

دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تاريخ مصر المعاصر

مذكرات

عبد الرحمن فهمي

يوميات مصر السياسية

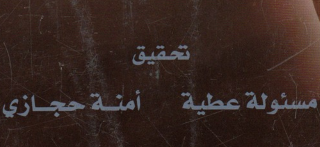


الاقتتال مايو - ديسمبر ١٩٢١

(الجزء الرابع)

إشراف وتحقيق
أ. د. يونان لبيب رزق

تحقيق
مسئولة عطية   أمنة حجازي



مذكرات
عبد الرحمن فهمي
يوميات مصر السياسية



الإدارة المركزية للمراكز العلمية

مركز تاريخ مصر المعاصر

مذكرات

عبد الرحمن فهمى

يوميات مصر السياسية

الاقتتال مايو - ديسمبر ١٩٢١

إشراف وتحقيق

أ.د. يونان لبيب رزق

تحقيق

مسئولة عطية على   أمنة حجازى عبده

الجـــزء الرابع

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. محمد صابر عرب

فهمى، عبدالرحمن، ١٨٨١ - ١٩٤٦.
مذكرات عبدالرحمن فهمى: يوميات مصر السياسية/ إشراف وتحقيق يونان لبيب رزق؛ تحقيق مسئولة عطية على، آمنة حجازى عبده. . القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، الإدارة المركزية للمراكز العلمية، مركز تاريخ مصر المعاصر، 2011-
مج ٤؛ 24 سم.
المحتويات: الافتتال مايو . ديسمبر ١٩٢١.
تدمك 5 - 0799 - 18 - 977 - 978
١ - فهمى . عبدالرحمن، ١٨٨١ - ١٩٤٦ . المذكرات
٢ - مصر . تاريخ . العصر الحديث . ثورة ١٩١٩
٣ - مصر . الأحوال السياسية
أ - رزق، يونان لبيب (مشرف ومحقق) ب - على، مسئولة عطية (محقق) جـ - عبده، آمنة حجازى (محقق مشارك)
هـ - العنوان
٩٢٠

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١١/٧٠٣٨
I.S.B.N. 978 - 977 - 18 - 0799 - 5

مقدمة

بعد غيبة غير قصيرة نقدم فى هذا المجلد القسم الرابع من مذكرات عبدالرحمن فهمى والذى يضم الملفات الأربعة بين رقم ١٤ ورقم ١٧ ويتعامل مع الفترة الممتدة ١٠ مايو عام ١٩٢١ و٣٠ ديسمبر من ذات العام .

وكما درجنا فى الأجزاء الثلاثة السابقة فقد آثرنا توصيف ما جاء فى تلك المذكرات بـ «يوميات مصر السياسية» فقد ظل الرجل يقدمها على شكل النظام الحولي المعروف الذى يسوق الأحداث يومًا بعد يوم وشهرًا بعد شهر .

إذا كان هناك ثمة فارق بين تلك اليوميات وبين الحوليات فهو أن أصحاب ذلك النوع الأخير من الكتابة كانوا فى موقع المشاهد يراقبون ويسجلون ويتفقون أحيانا ويرفضون أحيانا أخرى ، أما صاحب اليوميات قد ظل يقدم لنا «مادة خام» يمكن الحصول على أغلبها من الصحف السيارة ، خاصة فى القسم الثانى من الجزء الثالث بعد أن كان قد اختفى وراء قضبان السجن متهما فى قضية الاغتيالات الكبرى ثم فى هذا الجزء برمته ، الأمر الذى كان يمثل معه الغائب الحاضر ، هذا من ناحية ، والمفعول به بعد أن ظل عنصرا فاعلا فى الفترة السابقة على محاكمته بعد أن أدار التنظيم السري للوفد بكفاءة نادرة وبسرية كاملة ، حتى أنه أخفى أمره عن كل الناس بمن فيهم من قيد له الاطلاع على مذكراته .

وإذا جاز توصيف ما جاء فى الجزئين الأوليين وأغلب ما جاء فى الجزء الثالث بالمذكرات فإنه يصعب الأخذ بهذا التوصيف فى الجزء الذى بين أيدينا ، بيد أن ذلك لايمنع من القول بأن فوائد عديدة ترفد من وراء نشره :

١ - استكمال ما جاء فى الأجزاء الثلاثة الأولى حيث أن صاحب المذكرات اتبع نفس المنهج بتقديم كبريات الأحداث التى عرفتها مصر ، خلال ما يزيد عن الشهور السبعة فى مرحلة حاسمة من التاريخ الوطنى .

٢ - صحيح أن صاحب المذكرات كان غائبا خلال تلك الفترة فى غياهب السجون إلا أن حرصه البالغ على تجميع ما جرى إبانها وتقديمه على نفس النحو الذى فعله خلال المرحلة السابقة من تاريخ ثورة ١٩١٩ إنما يستكمل بها صورة كان قد بدأها ولا يجوز تجاهلها .

٣ - وبينما كان للجزء الأول ما يميزه باشتعال الثورة ، والجزء الثانى بما أسميناه سياسة (الحصار) التى نجح المصريون فى فرضها على لجنة ملنر وما تبع ذلك من سياسات بريطانية بفرض حصار مقابل على الوفد المصرى فى باريس ، والجزء الذى يليه بما عرفه من «انشقاق» الوفد الأمر الذى ميز مرحلة جديدة من تاريخ الحركة الوطنية ، فإن الجزء الذى بين أيدينا عرف (اقتتال) فصائل الحركة الوطنية . . صحيح أن حزب الأحرار الدستوريين لم يكن قد ظهر بعد ، ولكن ما حدث من وصول خصوم سعد إلى السلطة برئاسة عدلى يكن أدى إلى غلبة هذا الشكل من العلاقات على الحركة الوطنية المصرية .

ولعل إلقاء نظرة على محتويات هذا الجزء تبرر تلك التسمية ، فهو قد بدأ بحرب تصريحات بين زغلول وخصومه الذين أسماهم عبدالرحمن فهمى بالمنشقين عن الوفد بينما أسموا هم أنفسهم بالوفد تأسيسا على أنهم كانوا يشكلون غالبية الوفد بينما كان يمثل من بقوا مع زغلول الأقلية .

تحولت هذه الحرب الكلامية فى كثير من الأوقات إلى مظاهرات قام بها أنصار سعد باشا قوبلت بكل أنواع القمع من خصومه ، وقد جرت خلال تلك الفترة محاولات من جانب بعض العناصر المحايدة على رأسها على ماهر لمحاولة التوفيق ، اقتناعا من جانبه بأن المحتلين هم المستفيدون الحقيقيون من تلك الحرب .

زادت الأمور ضغثا على إبالة بما تقرر خلال تلك الشهور السبعة من تكوين الوفد المصرى الذى يفاوض الإنجليز برئاسة عدلى يكن باشا رئيس الوزراء ومن بعض أعضاء وزارته ، الأمر الذى رفضه سعد زغلول باعتباره وكيلا عن الأمة ، وبين قوة السلطة من جانب وقوة التأييد الشعبى من جانب آخر ، تفجر الاقتتال بكل ما فى هذه الكلمة من معنى .

وقد تحول إلى قتال فى الشوارع فى مناسبتين على الأقل ؛ أولاهما فيما جرى فى الإسكندرية يومى ٢٢ و ٢٣ مايو ، الأمر الذى لم يملك صاحب المذكرات معه سوى أن يصفها «بحوادث الإسكندرية الدامية» ، والتى خلفت أعدادا كبيرة من القتلى والجرحى بين المصريين والأجانب أعادت إلى الذاكرة ما عرف بمذبحة الإسكندرية فى ١١ يونيو عام ١٨٨٢ ، والتى كانت من أهم المبررات التى تذرعت بها بريطانيا لاحتلال البلاد .

المناسبة الثانية في رحلة سعد باشا إلى الصعيد خلال النصف الأول من شهر أكتوبر ، والتى نجحت السلطة بكل قوتها من إفساها إلى الحد أن الرجل لم يتمكن من ترك الباخرة التى أقلته فى الذهاب والإياب ، بحكم ما تعرض له أنصاره من أعمال القمع ، سواء من جانب رجال الحكومة أو من جانب بعض عناصر الأشقياء الذين استخدمهم المديرون لضرب الراغبين فى استقبال زعيم الأمة! .

وقد عزا البعض التصلب البريطانى فى المفاوضات التى جرت بين عدلى باشا وبين اللورد كرزون فى لندن إلى انتهاز حكومة لندن لذلك الوضع ، حتى أن الأمر قد وصل بها إلى سحب بعض التنازلات التى قدمتها فى المفاوضات السابقة المعروفة باسم مفاوضات سعد ـ ملنر .

على أى الأحوال فإن ذلك الاقتتال قد توقف بعد فشل تلك المفاوضات حين شعر الجانبان ، بل وعموم المصريين ، بمغبته ، الأمر الذى أدى إلى العودة لضم الصفوف ، وهو ما لم تحتمله دار المندوب السامى ، والتى وصل الأمر بها إلى حث حكومة لندن على نفي سعد باشا زغلول مرة أخرى ، وهو ما حدث بالفعل فى أواخر ديسمبر من ذلك العام الساخن .

وبينما كانت السفينة الحربية البريطانية التى أقلت سعد ومن معه تصل إلى عدن ، كان ذلك العام يلفظ أنفاسه الأخيرة ليسدل الستار على تلك الفترة السوداء من التاريخ المصرى ، وعلى ذلك الجزء الدامى من مذكرات عبدالرحمن فهمى .

دكتور/ يونان لبيب رزق

قرار الجمعية العمومية لنقابة المعلمين[١]
بشأن المفاوضات الرسمية

[١٣٦٧] كانت نقابة المعلمين من ضمن الفريق المؤيد لسعد باشا في خطته ولذلك اجتمعت فى يوم ١٠ مايو واتخذت قرارات ضد وزارة عدلى . ورفع هذه القرارات إلى عظمة السلطان من رئيسها وهذه هي القرارات :

«يا صاحب العظمة

«يتشرف خادمكم المطيع بأن يقدم إلى مقامكم السامى قرار الجمعية العمومية لنقابة المعلمين وهو :

«اجتمعت نقابة المعلمين في مساء الخميس ١٠ مايو سنة ١٩٢١ بهيئة جمعية عمومية بحضور ٢١٠ من أعضائها رجال التعليم بجميع المدارس العليا والخصوصية والثانوية والابتدائية والأميرية والأهلية وقررت ما يأتى بإجماع الآراء :-

«أولا :- تجديد ثقتها التى لا حد لها بمعالى الرئيس المحبوب سعد زغلول باشا وبالأعضاء المخلصين له وللقضية المصرية كما أنها تنزع ثقتها وتوكيلها من الأعضاء المنشقين .

«ثانيا :- عدم الموافقة على انفراد الوزارة بالمفاوضات الرسمية فإذا أصرت على ذلك مدعية أن الأمة تعضدها فإن النقابة تطلب عرض مسألة الثقة بالوزارة على جمعية وطنية يكون لها الرأى الأعلى .

«ثالثا :- الاحتجاج بشدة على إيقاف الموظفين التسعة[٢] الذين انتدبهم إخوانهم لتنظيم حفلة تكريم معالى سعد باشا زغلول وكيل الأمة وممثلها وعلى قمع المظاهرات البريئة السلمية بوسائل العنف والقسوة لما في ذلك من مصادرة الشعور والحجر على حرية الرأى التى هى حق مقدس لكل مصرى وقد أوقفت الجلسة ٥ دقائق حداداً على الضحايا الذين استشهدوا في سبيل وطنهم .

(١) في ٢٥ مايو ١٩١٩ تأسست نقابة المعلمين بعد اجتماع بمدرسة وادى النيل الثانوية بباب اللوق برئاسة محمد عاطف بركات بك ناظر مدرسة القضاء الشرعى ومن كبار أعضائها الشيخ محمد الخضرى بك وكيل نفس المدرسة ومحمود فهمى النقراشى أفندى ناظر المدرسة الأولية الراقية .

(٢) انظر أسماء هؤلاء الموظفين وظروف إيقافهم - الجزء الثالث من المذكرات ص ٣٥٧ .

«رابعا :- إبلاغ هذه القرارات لصاحب العظمة السلطان ولمعالى سعد باشا زغلول ولدولة رئيس الوزراء وغيرهم من الهيئات وللصحف ،

نقيب المعلمين - محمد عاطف بركات

بيــان للأمــة
من أعضاء الوفد المنشقين

[١٣٦٨] وفى يوم ١٣ مايو سنة ١٩٢١ نشرت الجرائد البيان المفصل الآتى لأعضاء الوفد المنشقين وهو :

«يطعن فينا سعد باشا بكل أساليب الطعن في الخطب والبيانات وبواسطة بطانتة في الصحف اليومية والمنشورات السيارة المهملة من الإمضاء . يطعن فينا بما يذيعه من أخبار مداولاتنا بعد أن تصاب بالبتر وبتحريف الوقائع عن مواضعها يطعن فينا لأن الوزارة لم تعطه رئاسة الوفد الرسمى وما كنا بوزراء ولا أراد أحد منا أن يكون رئيسا للوفد الرسمى ولا عضوا فيه ولا طلب أحدنا مجدًا خالدًا بإمضاء المعاهدة . إنما نريد شيئا واحداً يريده جميع أفراد الأمة وهو الوصول إلى استقلال بلادنا على يد أى كان من أبناء النيل . وما نحن إلا عمال لهذا الغرض دون سواه فلا يضايقنا أن ينتج عملنا عرضا أن يسجل لمعالى سعد باشا أجمل صحيفة في تاريخ عظماء الرجال ومحررى الشعوب .

«فعلام يحمل علينا سعد باشا بنفسه وأعوانه ورسله إلى أقاصى البلاد هذه الحملة الشعواء؟ وما ينقم منا إلا لأننا خالفناه في الدخول في المفاوضة وفي محاربة الوزارة جزاء لها على منعها إياه من رأسة الوفد الرسمى وأننا رأينا هذا المطلب مطلباً تافهاً لا يستحق أن يكون من جانب وكلاء الأمة مثاراً لخلاف يرخى أواصر الاتحاد في البلاد .

«إننا نقدر المسئولية التى علينا حق قدرها الآن كما قدرناها في الماضى حين اتهمنا سعد باشا بتلغرافه الذى وصل مصر قبيل وصولنا إليها (١) بأننا مع تمسكنا بالتحفظات نريد أن نروج فكرة ترمى إلى تعضيد وزارة للدخول في المفاوضات بلا قيد

---

(١) نصى هذه البرقية فى الجزء الثالث من المذكرات ص ٢٣٦ - ٢٣٧ وهى البرقية التى بعث بها سعد زغلول إلى أمين الرافعى والمعروفة ببرقية « نبتت فكرة »

ولا شرط (كذا)[١] على أن سعد باشا يعلم حق العلم أن الخلاف بينه وبين أكثرية الوفد
[١٣٦٩] إنما كان دافعاً على أن الأكثرية/ تريد عدم دخول الوفد في المفاوضات إلا بعد قبول التحفظات ولكنها تعضد وزارة الثقة للدخول في المفاوضات إذا كان بيدها تصريح بأن النص على إلغاء الحماية أساس من الأسس التى تبنى عليها المفاوضات . أما سعد باشا فكون رأيه وقتئذ على[٢] أن الوفد يكتفى للدخول في المفاوضات الرسمية بمجرد تأكيد من الحكومة البريطانية ينص في المعاهدة النهائية على إلغاء الحماية كما حادث بذلك مراسل الأخبار ومراسل الديلى هرالد[٣] في باريس فزعم الرئيس أن الأكثرية تعضد وزارة الثقة بلا قيد ولا شرط زعم باطل . على أن الرئيس قد ارتكب بسلوكه هذا خطأين سياسيين :-

«أحدهما أن حديثه مع مراسلى الجريدتين من شأنه أن يفهم الانجليز أن الوفد قد نزل عن قراره الاجماعى الذى أقرته الأمة عليه بل إن بعض الصحف البريطانية (مورننج بوست) قد صرح بأن الوفد قد نزل عن مطالبه وانضم بذلك إلى حزب المعتدلين .

«الثانى ان اتهام أكثرية الوفد بالباطل علناً بأنها تروج للمفاوضات على يد الوزارة بلا قيد ولا شرط لا يقل ضرراً عن حديثيه السابق ذكرهما . وفيه ما فيه من إظهار الوفد بمظهر المنشق على نفسه على طريقة رسمية في مصر وفي بريطانيا العظمى .

«فلو أن سعد باشا كان يتكل في تقدير سكوتنا عن دفع تهمه عنا على إشفاقنا من مسئولية ظهور الشقاق في ذلك الظرف فعلام يتكل الآن بعد أن وصلت المسألة المصرية إلى الأيدى الرسمية لتكون موضوع المفاوضات بين الحكومتين ؟ وبعد أن أصبحت
[١٣٧٠] الحكومة المصرية تصرح عاليا بأن ليس لها برنامج إلا برنامج الوفد ولا غرض إلا غرض الوفد ؟

---

(١) كذا مشطوبة في المذكرات ولكنها موجودة في البيان الذى نشرته الصحف

(٢) أضاف حرف الجر (على) وهو غير موجود في الاصل المنشور بالصحف

(٣) اختار سعد زغلول جريدة الأخبار التى يحررها أمين الرافعى لتكون في مقدمة الجرائد التى تقود الحملات الوفدية ، كما عقد الوفد اتصالات قويه مع المستر اور رئيس تحرير الديلى هرالد (انظر الجزء الثالث ص ٥٧ ، ٥٩) .

«على أننا حتى مع هذا الاعتبار لانزال نحب ألا نجارى سعد باشا فيما فعل بل نحافظ على ألا ننشر ما حقه أن يبقى الآن مطويا إلى أن ينشره التاريخ . غير أننا مضطرون بحكم الذمة أن نصحح الوقائع التى رواها الباشا خطأ خدمة للحقيقة وإيقافا للشهوات أن تعبث بمصالح البلاد »

١

«قال سعد باشا ان عدلى باشا ورشدى باشا ولطفى السيد بك قدموا من ورائه مشروعا يرمى إلى الحماية في أخص معانيها .

«والواقع المعروف عند جميع أعضاء الوفد أنه لم يكن هناك مشروع من هذا القبيل أصلا .

«وتحرير الخبر أنه لما تقدمت المفاوضات الشفوية بين الوفد ولجنة ملنر افترق الطرفان يوم ٥ يوليو على أن يضع كلاهما بالكتابة مذكرة بما فهمه كل طرف من تلك المفاوضات . غير أن الوفد بعد أن وضع مشروعه بمعاونة عدلى باشا لم ير من الحكمة أن يقدمه قبل أن ترد إليه مذكرة اللجنة . ففى يوم ١٦ يوليو زار عدلى باشا اللورد ملنر فأخبره بأن مذكرة اللجنة قد تمت وأنها سترسل الى الوفد غداً ودفع له صورة منها فقرأها عدلى باشا أمامه وأنكر عليه أنها النتيجة الدقيقة لما جرى في المفاوضات وأفهمه أن الوفد لا يقبل الأصول الواردة بها بحال من الأحوال وجادله فيها حتى استماله إلى امكان نزوله عن بعض النصوص إلى خير منها متى قبلته اللجنة ولكى يقيد نتيجة هذه المقابلة كتب هذه التعديلات امامه بالقلم الرصاص وجاء عدلى باشا إلى الوفد مباشرة وأخبره بهذا الخبر وقرأ هذه التعديلات/ فارتاح الأعضاء لمسعاه وفى مقدمتهم الرئيس وفى اليوم [١٣٧١] التالى وردت مذكرة اللجنة كما هى أى بدون تعديل فلم يجب عليها الوفد إلا بتقديم مشروعه فكان جواب اللجنة عن ذلك المشروع جافا شديد اللهجة ملزما أن يكون استمرار المناقشات معها على أساس مذكرتها هى لا على أساس مشروع الوفد فأراد الوفد أن يقطع المفاوضات بكتاب إلى اللورد ملنر ولكنه رأى بعد ذلك أن يطلع عدلى باشا اللورد ملنر

على هذا الكتاب قبل إرساله رسميا وأنه يتوسط في الأمر . فأخذ عدلى باشا كتاب الوفد يوم ٢٤ يوليو[١] واطلع اللورد ملنر عليه وبعد مناقشة اتفقا على أن اللجنة تعدل مذكرتها لإمكان استمرار المناقشات . ولهذه المناسبة طلب اللورد ملنر من عدلى باشا أن يرسل إليه نصوص التعديلات التى كان كتبها يوم ١٦ يوليو على تلك المذكرة فرجع عدلى باشا تواً إلى الفندق وأخذ يدخل تلك التعديلات التى كان اطلع عليها الوفد على مذكرة اللجنة وقد كان حاضرا وقتئذ كل من رشدى باشا ولطفى السيد ومحمد على ولم يكن لأحد منهم شرف الاشتراك في العمل في هذه التعديلات التى معظمها مطابقة لمشروع الوفد .

«وفي صباح ٢٥ يوليو قدم عدلى باشا مذكرة اللجنة معدلة هكذا إلى اللورد ملنر[٢] وفى هذا اليوم عينه أخبر لطفي السيد الوفد بذلك على أن اللجنة لم تقبل هذه التعديلات ووضعت مشروعا آخر قابل من أجله سعد باشا اللورد ملنر ومهما يكن من الأمر فإن سعد باشا صرح في الوفد مرارا أن مذكرة ملنر الأولى مضافا إليها هذه التعديلات المذكورة خير من المشروع الأخير .

[١٣٧٢] « أفبعد هذا يصح أن يقال إن لعدلى باشا مشروعا قدمه في غفلة من الوفد باشتراكه مع رشدى باشا ولطفى السيد بك[٣] أم الواجب أن يقال كما هو الواقع أن عدلى باشا كرجل سياسى توصل بصفته الشخصية وهو خارج عن هيئة الوفد إلى أن ينزل اللورد ملنر عن بعض أفكاره غير الموافقة للمصلحة المصرية وإلى وصل المفاوضات بعد وشك قطعها ؟

٢

«يذيعون الآن بين الجمهور أن عبد العزيز فهمى قال عن مشروع الاتفاق انه استقلال ونصف ويذيعون أيضا انه عليه كتابة بذلك ولكن هذا كلام ملقى على عواهنه

---

(١) نص مشروع الوفد الذى حمله عدلى لوزير الخارجية البريطانية فى الجزء الثالث ص ٩٢ - ٩٥ .

(٢) المشروع المعدل الذى قدمه عدلى ورفاقه إلى ملنر دون استشارة الوفد - نفس المرجع ص ٩٦ - ٩٨ .

(٣) فى الأصل لطفي فقط ولكنه أضاف هنا السيد بك من قبيل التوضيح .

كغيره من المطاعن فإن رأى عبد العزيز فهمى من الجهة القانونية في هذا المشروع من وقت وروده للوفد لم يتغير وهو معروف لجميع أعضاء الوفد في لوندرة وباريس وقد قدمه للوفد كتابة ونشر أخيراً في الصحف ودعوى أنه عليه كتابة تؤيد هذا المطعن لانصيب لها من الحقيقة .

٣

وكذلك طعن سعد باشا على أعضاء الوفد المندوبين لعرض المشروع على البلاد – طعن عليهم ونسى أنه عند عودتهم إلى باريس وتقديمهم للوفد التفسيرات والتحفظات ممضاة بامضاءاتهم هم السبعة قرر الوفد بالإجماع شكرهم على أداء مأموريتهم ونسى أيضا أن اللورد ملنر أقر التفسيرات التى فسروا بها المشروع عند عرضه على البلاد – أقر ذلك في لندره في جلسة من جلساته مع الوفد أمام سعد باشا نفسه فإن كان هؤلاء المندوبون لم يخرجوا في تفسير المشروع عما جرى في المفاوضات فلا ندرى ما وجه الطعن عليهم بعد ذلك . [١٣٧٣]

* * *

«لا نستطيع إخفاء الدهش العظيم الذى يعترينا عند كل طعنة يطعن بها سعد باشا واحدا منا حتى لم يبق أحد سليما من الطعن . ندهش وحقنا أن ندهش من أنه قد اتخذ المقام الكبير الذى أوصلته اليه القضية المصرية وسيلة لهدم الذين ساعدوه على هذه القضية[١] . لا يرقب في أحدهم إلاًّ[٢] ولاذمة . ولا يعترف لأحدهم الا بما تفضل به من طعن وتجريح سواء في ذلك زملائهم الستة[٣] الذين لما وكلتهم الأمة وإياه للمطالبة باستقلالها انتخبوه رئيسا لهم أو الرجال المخلصون الذين ارتأوا ضمهم الى الوفد لينتفع بملكاتهم ومراكزهم أو الوزراء الذين شجعوا سعد باشا وأصحابه الأربعة على تأسيس الوفد ووقفوا مراكزهم الوزارية على المساعدة في إنجاح مسعاه . لا نجده يبقى على أحد وكل ذلك من جراء مخالفتهم إياه في الرأى وهو عليم بأن حرية الرأى هى مظهر استقلال الفرد وملاك كل جمعية جدية من الجمعيات .

(١) في الأصل المنشور فى الصحف «الذين بنوا معه هذه القضية»

(٢) الإلّ : الإلُّ بالكسر هو الله عز وجل وهو أيضا العهد والقرابة (مختار الصحاح ص ٢٢) .

(٣) على شعراوى ، عبد العزيز فهمى ، محمد محمود ، أحمد لطفي السيد ، عبد اللطيف المكباتى ومحمد على .

« إلى هنا صبرنا على المطاعن لأننا عمال بناء لا هدامون للرجال وليس سعد باشا هو الذى يستطيع أن ينكر علينا هذه الحقيقة في الماضى القريب أو البعيد فخير له أن يتدبر أن هذا السلاح الذى جرده علينا سلاح خطر الاستعمال على حامله وبالخصوص في ظرف وطننا احوج فيه إلى تكاتف أبنائه المخلصين منه في أى ظرف آخر . وإننا لننصح لسعد باشا أن يقلع عن هذه الطريقة المعيبة التى تكون عاقبتها أقسى بكثير عليه منها على غيره . أولى بنا جميعا أن نوجه قوانا إلى خير من هذا وأن نتقى كل التقوى أن [١٣٤٧] تفتح الثغرات في صفوف اتحاد الأمة والعاقبة للمتقين »

عبد العزيز فهمى . عبد اللطيف المكباتى . أحمد لطفي السيد . محمد محمود . محمد على .

١٣ مايو سنة ١٩٢١

حول التحفظات وقرارات الوفد

من المكباتى بك[1] إلى سعد باشا

[١٣٧٥] وفى يوم ١٦ مايو نشرت الجرائد البيان الآتى لعبد اللطيف المكباتى بك يرد به على ما وجه اليه وإلى مؤيديه فى الصحف من تهم وهو :-

«لانزال نقرأ في بعض الصحف طعنا في وطنيتنا وإخلاصنا وقد أثار هؤلاء الطاعنون مسألة التحفظات وزعموا أن الرئيس هو الذى تمسك بها أما نحن فلم نكن بها متمسكين .

«ولقد كتبوا أخيراً في هذا الصدد مقالات مطولة نمرّ بما جاء فيها من السباب مرورنا على اللغو من القول ونكتفى بإيراد العبارة الآتية :

« وبهذه المناسبة أقول لحضراتهم (كاتب هذه السطور وزملاؤه) هل يظنون أنه ينطلى على الأمة المظهر الذى تظاهروا به من أنهم قوم شديدو التمسك بالتحفظات وأنهم خرجوا من الوفد لأن الرئيس رجع عن القرار السابق .

(كلا يا سادة - لا تظنوا مطلقا أن هذا ينطلى علينا) .

«هذا ما يكتبونه لطمس معالم الحقيقة والله يعلم والرئيس يعلم أنه لم يكن ذلك المتشدد المتصلب في تقديم التحفظات وإن نسى ذلك أو تناساه فإنى ناشر الآن خطابى الذى قدمته اليه ولأعضاء الوفد راجيا إياه أن يقدم التحفظات التى يأبى تقديمها إلى لجنة ملنر مدعيا أن هذه التحفظات مقدمة له لا للإنجليز وهذا نص خطابى بالحرف الواحد :-

[١٣٧٦] (لندرة لوكاندة سفواى ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٠

(حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا

رئيس الوفد المصرى

(رجع مندوبو الوفد الأربعة من مصر وهم يحملون طلبات الأمة بعد أن عرضوا عليها

---

(١) عبد اللطيف المكباتى عضو المجموعة الأولى للوفد ، عضو الجمعية التشريعية ١٩١٣ - سافر مع سعد زغلول إلى أوربا عام ١٩٢٠ وقدم استقالته من الوفد عام ١٩٢١ وأنشأ مع زملائه جمعية مصر المستقلة لمساعدة وزارة عدلى يكن وكان مقدمة لإنشاء حزب الأحرار الدستوريين .

مشروع الاتفاق بين مصر والحكومة الإنجليزية وقد فحص الوفد هذه الطلبات (التحفظات)[1] وقرر أن بعضها يجب قبوله من لجنة ملنر قبل البدء في المفاوضة الرسمية وأن تكون المناقشة في البعض الآخر أثناء هذه المفاوضة ولكن لعدم قبول ملنر ولجنته اى مناقشة في المشروع مع الوفد اقترحت تقديم مذكرة للجنة مبينا فيها تلك التحفظات وموضحا بها أن اللورد ملنر ولجنته قد وافقوا على التفسيرات التى فسر بها المندوبون ذلك المشروع في مصر وأن تلك الموافقة قد صرحوا بها أمام معالى الرئيس وحضرات الأعضاء الذين انتدبهم الوفد للسفر إلى لندرة قبل سفر الوفد بأجمعه فرفضتم هذا الاقتراح أولا وبعد مضى مدة طلبت الرجوع اليه ثانيا فقبلتموه وتقرر أن يكون مع التحفظات خطاب مفرغ في قالب ودى يؤيدها ولكن بعد ذلك بزمن قليل رجع الوفد فقرر عدم ارسال الخطاب والتحفظات . كان ذلك في أثناء غيابى ولكنى لما حضرت قبل انتهاء الجلسة تمسكت بإرسالها وشرحت الأسباب التى توجب ذلك فلم يصغ لقولى وصمم الوفد على القرار الأخير (أى عدم الإرسال) وعللتم ذلك بأن ارسال التحفظات مع اشتراط قبولها قبل المفاوضة الرسمية ربما يجلب أضراراً وتشديداً من جانب اللورد ملنر فعدلت اقتراحى الأول بالآتى رغبة في الوصول إلى تقديمها . [١٣٧٧]

«طلب ارسال التحفظات السالفة الذكر مرفقة بخطاب ودى مفاده أن الوفد لا يقبل تعضيد المشروع بدونها وأن اللورد ولجنته قد وافقوا على تفسير المشروع كما حصل فى مصر من المندوبين الأربعة بتلك التفسيرات التى تؤدى حتما إلى هذه التحفظات»

وانتى أرجو اجابة طلبى هذا للأسباب الآتية :-

أولا :- لأن الاقتراح بهذا النص لا يمنع الوفد من التمسك بقبولها قبل دخوله فى المفاوضات الرسمية حسب قراره الأول (الذى تقرر في باريس) .

ثانيا :- لأن ذلك يسجل على اللورد ملنر ولجنته موافقتهم على تفسير المشروع كما حصل فى مصر .

ثالثا :- لأن هذه التحفظات قد أرادت الأمة إبلاغها للإنكليز وطلبت ذلك من مندوبى الوفد .

(١) كان للأمة ١٣ تحفظا على الاتفاق - انظر الجزء الثالث ص ١١٧ - ١١٨

رابعا :- لأننا للآن لم نوقف الانكليز على طلبات الأمة ولا على نتيجة فحصها للمشروع الذى عرض عليها فإذا رجعنا من لندره بدون تقديم التحفظات نكون قد أهملنا واجبا خطيرا .

خامسا :- لأن هذه التحفظات إذا وصلت إلى لجنة ملنر على الطريقة المتقدمة فإن ذلك غالبا يدعوها لأن ترسل للوفد ردا يفيد بأن التحفظات ستكون محلا للنظر اثناء المفاوضات الرسمية وبذلك تكسب الأمة شيئا كثيرا متى لوحظ أنه بدون استلام ذلك [١٣٧٨] الرد المحتمل تكون المفاوضة الرسمية قاصرة على ما هو مذكور فى المشروع من قواعده وأحكامه فقط . والذى يدعو لاحتمال ارسال هذا الرد للوفد هو مما شاهدناه من لهجة اللورد ملنر الودية ومما نشاهده من الظروف والأحوال بوجه عام ومن خطة الجرائد الكبرى مثل التيمس والوستمنستر جازيت وغيرها وهى التى[١] كانت لا تكتب إلا بالطعن علينا .

سادسا : - لأن تلك التحفظات إذا قدمت وأعلن ذلك للأمة المصرية فإنها تكون حجة على كل من يتقدم للمفاوضة مع انجلترا وتكون عهداً وثيقاً تحاسب الأمة كل من يجرؤ على نقضه ولو نقضا يسيراً سواء كان من هيئة رسمية أو غير رسمية وخصوصا فيما يتعلق بوجوب النص على إلغاء الحماية نصا صريحا وحتى يعلم الإنجليز أنفسهم ذلك ولا يركنون لبعض الأحاديث التى دارت مع بعض أعضاء اللجنة كالبحث عن إيجاد Formule[٢] أى صيغة في مقام التنصيص على إلغاء الحماية أو كجعل مصر تابعة لانجلترا في سياستها الخارجية وحرة فيما عدا ذلك .

سابعا :- لأن تقديم تلك التحفظات على الطريقة السالفة لا يسئ الحالة (كما تقولون) ولا يضر بموقفنا اكثر من التزامنا الصمت نحوها وإنما بالعكس إذا لم تقدمها تضيع منا الفوائد السالفة ونكون قد أخللنا بالواجبات التى قد أبديتها آنفا .

لذلك أرجو من اخوانى أعضاء الوفد أن يوافقونى على قبول هذا الاقتراح المعدل

وتفضلوا بقبول عظيم احتراماتى ، ،

عبد اللطيف المكباتى

---

(١) في الأصل المنشور بالصحف « وغيرها مما كانت » غير أن عبد الرحمن فهمى شطب «مما» وأحل محلها « وهى التى »

(٢) الكلمة الفرنسية formule بمعنى صيغة غير موجودة في النص المنشور بالصحف .

[١٣٧٩] ملحوظة : قد أخبرت الرئيس بطريقة قاطعة أنه إن لم يوافق على تقديم التحفظات فإنى أقوم بتقديمها بنفسى مع إخطار الأمة المصرية بذلك ،

* * *

ويذكر الرئيس أن الأمر قد انتهى بعد هذا الخطاب بتقديم التحفظات فليترك الطاعنون مسألة التحفظات جانبا فإنها تشرف صحائفنا ولا تمسها بسوء

وإذا كان هذا غير كاف في نظر الرئيس ليبين للأمة من المنشق ومن الذى حاد عن الطريق المستقيم فإنى ناشر له الآن قرار الوفد في باريس في مارس سنة ١٩٢١ بعد فحص خطاب الحكومة الإنجليزية المرسل إلى عظمة السلطان لتعيين المفوضين لتعلم الأمة أن سيدى الرئيس هو الذى حاد عن خطة الوفد بلا مسوغ ظاهر وهاهو نص القرار ياسيدى الرئيس وهو من إنشائك .

قــرار الوفـــد

ليس في التصريح الصادر من الحكومة الإنكليزية بالدعوة إلى المفاوضات الرسمية للوصول إلى استبدال علاقة الحماية بعلاقة أخرى إن أمكن ما يشجع الوفد على تأييدها فقد أغفل الكلام عن التحفظات التى أبينا الدخول في أية مفاوضة رسمية قبل قبولها . نعم إنه أعلن عدم الرضاء عن الحماية ولزوم انتهائها ولكنه لم يجعل الغاية من هذا الانتهاء إلغاءها بالنسبة لجميع العلاقات الدولية بل استبدالها بالنسبة لما يختص بمصر مع إنجلترا فقط وهو بهذا المعنى ليس بجديد ولا مفيد فقد كان أول عبارة صدّرت بها لجنة ملنر مشروعها الأول ومع ذلك رآه الوفد غير صالح للقبول فرفضه وهو ما يرمى إليه [١٣٨٠] المشروع الأخير كما صرح به ملنر في الخلاصة العامة من تقريره تصريحا لم يترك للشك مجالا في انه استبدال لفظ الحماية مع استبقاء معناها وجميع أركانها ومن هنا يتبين أن غاية ما تصل اليه المفاوضات الرسمية إن نجحت هى البداية التى رفضت والاستبدال الذى أجمع الكل على استهجانه

ولهذه الاعتبارات يرى الوفد أن الأمة لا يمكن أن تؤيد هذه المفاوضات ولا تعتبر المتفاوضين الذين يعينون لغاية هذا الاستبدال ومن غير اشتراكها في تعيينهم وتحديد مأموريتهم نوابا عنها بل عن السلطة التى تمثل الحماية القهرية في البلاد .

سعد زغلول

وإنى أسأل معالى الرئيس وأسأل حضرة سكرتير الوفد لِمَ لم ينشر هذا القرار للأمة في حينه لتعرف ماذا قرر الوفد ؟

وأسأل معالى الرئيس ما هى الحالة التى جدت والتى حملته على تغيير خطة الوفد ونقض قراره الأول .

* * *

من هذا كله يتبين للأمة أننا ما تساهلنا في حقها وأننا لم نحد عن الطريق الذى رسمته الأمة لنا وما أخطأنا ولا انشققنا وهذه [1] الحقائق بيناها فلتسأل الأمة الرئيس عن كنهها وليعلم الطاعنون أننا لا نعبأ بهم ولا بأكاذيبهم ولا بألاعيبهم الصبيانية وليتقدم سيدى الرئيس لمواجهة الحقائق إن شاء وإن استطاع .

عبد اللطيف المكباتى

١٦ مايو سنة ١٩٢١

(١) فى الأصل المنشور بالصحف « وها هى » .

بيان من سكرتارية الوفد المصرى
في الرد على ما نشره المكباتى بك
حول التحفظات

[١٣٨١] «نشر حضرة المكباتى بك خطابا في الصحف ليستند عليه في دعوى أن الوفد لم يقدم التحفظات للجنة ملنر لولا تشديده عليه بهذا الخطاب وتهديده إياه فيما بعد .

«وهذا مخالف للواقع . والحقيقة أن الوفد - لما علم أن لجنة ملنر تأبى بحث التحفظات كل الإباء وتريد أن تحيلها على المفاوضات الرسمية وأنها صممت على أن تكون المفاوضات على أساس مشروعها - محصّ التحفظات تمحيصاً دقيقا وفرز منها ما يتناقض مع قواعد هذا المشروع ومالا يتناقض .

«وبجلسة ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٢٠ التى انعقدت بلوندرا في غياب مكباتى بك وزملائه الذين كانوا بباريس قدم الوفد القسم الأول من تلك التحفظات وطلب البحث فيه لتعديل المشروع به ودافع عنه دفاعا شديدا . وأما القسم الثانى منها فأبقاه لتقديمه في الوقت المناسب . وبعد أن سمعت اللجنة هذا الدفاع أصرت على عدم الدخول في مناقشة التحفظات فعرض الوفد عليها أن يضعها بالكتابة فأبت وقالت أنه يكفى أن تشير هى إليها في التقرير الذى ستقدمه لحكومتها .

«وفي أول نوفمبر سنة ١٩٢٠ كتب الوفد إلى اللورد ملنر الخطاب الآتى بعد وأثبت فيه أنه قدم إلى اللجنة تحفظات الأمة التى لا بد من تعديل المشروع بها أولا وأنه لايزال لديه تحفظات أخرى سيقدمها في أول جلسة . ثم أعد مذكرة (note verbale) [١٣٨٢] بالتحفظات المناقضة لقواعد المشروع ليقدمها عند المناسبة .

«وبجلسة ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٠ أشار اللورد ملنر في المذكرة السياسية التى تلاها إلى التحفظات فانتهز الوفد هذه المناسبة وقدم المذكرة إليه

«هذا ما فعله الوفد وكان يكفيه في المحافظة على حقوق الأمة إخباره اللجنة بأن للأمة تحفظات يجب تعديل المشروع بها مبدئيا وأن اللجنة امتنعت عن المناقشة في ذلك وأنه أعلنها أنه لايقبل قواعد المشروع كأساس للمفاوضة قبل تعديله بالتحفظات .

وحينئذ لا يضيع أى حق على الأمة ويمكن للوفد أن يقدم ما يشاء من التعديلات عندما يفتح باب البحث بأى طريقة كانت .-

«ومن هذا يتبين أن خطاب مكباتى بك لغوا فصرف الوفد النظر عنه .

«أما ما سماه حضرته قراراً صادراً من الوفد في ١١ مارس سنة ١٩٢١ بخصوص المفاوضات الرسمية فالحقيقة أنه لم يكن قراراً بل اقتراحاً تبادل الوفد فيه الرأى مع اعضائه الذين كانوا بمصر كما حصل في غيره من الاقتراحات . ولما عاد الرئيس وزملاؤه من باريس واجتمع الوفد في مصر تناقش في الموضوع وأصدر قرارا في ٦ إبريل سنة ١٩٢١ بقبول الدخول في المفاوضة الرسمية على الشروط التى أبلغت للوزارة ثم أعلنت للأمة . وتأيد هذا بقرار آخر في يوم ٩ إبريل سنة ١٩٢١ .

وهذه ترجمة الخطاب المشار إليه آنفا

«سافواى أوتيل بلندرا في أول نوفمبر سنة ١٩٢٠

[١٣٨٣] «عزيزى اللورد

«لقد أرسلتم لى في شهر أغسطس الماضى عن يد صديقنا عدلى باشا مشروعاً متضمنا القواعد التى رأيتم فخامتكم وزملاؤكم أنها صالحة لتكون أساساً لاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر . ولما لم يكن في استطاعتنا قبول هذا المشروع الذى تتجاوز نصوصه حدود توكيلنا اتفقنا معكم على إرجاء المفاوضات إلى وقت آخر حتى نعرض المشروع على الأمة ولقد ندب الوفد أربعة من أعضائه للسفر لمصر لهذا الغرض . وجاءت نتيجة مهمتهم مثبتة لرغبة الشعب المصرى الصادقة في تأسيس اتفاق بينه وبين بريطانيا العظمى على المودة المتبادلة على الثقة والإخلاص ولأجل الوصول الى هذه الغاية رأت الأمة من الضرورى ادخال تعديلات على المشروع الذى عرض عليها . وهذه التعديلات ترجع في قسم عظيم منها إلى تحديد معنى النصوص ومرماها بما يزيل الإبهام . ولا يجعل محلا لتغيير قد لا يكون متفقا مع قصد المتعاقدين .

«ولقد أنعم الوفد المصرى النظر في المطالب التى قدمت إليه وفحصها فحصاً جيداً واستخرج منها بعض النقط الأساسية التى طلبتها الأغلبية العظمى للأمة . وكان

لنا الشرف بأن عرضنا عليكم بعض هذه التحفظات اثناء اجتماعنا بالجلسة التى انعقدت بوزارة المستعمرات في يوم ٢٥ أكتوبر التى تفضلتم فيها بأن أقررتم التفسيرات[١] التى فسر بها المندوبون المشروع في مصر . ثم تأجلت الجلسة لحين حضور باقى أعضاء الوفد من باريس وهم الآن بلندرا . فأرجو أن تتفضلوا بتحديد جلسة لنتمكن فيها من إتمام [١٣٨٤] عرض مطالب الشعب المصرى . ولى كامل الثقة في أن فخامتكم تقبلون هذه التحفظات بالارتياح فإن قبولها يمكن الوفد المصرى من تعضيد الاتفاق المنوى عقده بين بريطانيا العظمى ومصر ويضمن له النجاح .

«وتفضلوا .... الخ »

سعد زغلول

سكرتير الوفد المصرى

مصطفى النحاس

القاهرة في ٩ رمضان سنة ١٣٣٩

الموافق ٩ بشنس سنة ١٦٣٧

و ١٧ مايو سنة ١٩٢١

(١) فى الاصل «التفاسير» وقد عدلها الكاتب إلى التفسيرات .

المظاهرات في القاهرة

[١٣٨٥] في ١٧ مايو سنة ١٩٢١ طاف جمهور كبير من المتظاهرين على وزارات الحكومة واجتازوها من الداخل وهم يهتفون لسعد باشا زغلول ولما اجتازوا وزارة الحقانية أبلغ الخبر إلى بوليس عابدين فأوفدت الحكمدارية ثلة من جنود بلوك الخفر لتفريقهم ولكن المتظاهرين كانوا قد وصلوا إلى وزارة الأوقاف وتجمهروا في الحديقة وداخل الديوان وعندئذ انبرى لهم الجنود وحاولوا تفريقهم بالقوة فاشتبكوا معهم وخرج الموظفون من مكاتبهم واختلطوا بالمتظاهرين فأصيب طائفة من الفريقين وفي جملتهم ضابط البوليس ثم اقفلت أبواب الوزارة على من كان بداخلها وأبلغ الخبر إلى النيابة فحضر أحد وكلائها للتحقيق .

* * *

[١٣٨٦] وفى يوم ١٨ مايو سنة ١٩٢١ تألف موكب كبير من المتظاهرين وأخذ يطوف في أحياء القاهرة هاتفا لسعد باشا زغلول وما كاد المتظاهرون يصلون إلى شارع كلوت بك حتى اعترضتهم قوة من بلوك الخفر فاشتبك الفريقان في القتال وأصيب البعض بإصابات مختلفة كما أصيبت سيارة الجنود بكسر في مقدمتها ولما وصل الخبر إلى الحكمدارية أوفدت ثلة أخرى من الجنود وكان المتظاهرون قد وصلوا إلى شارع سعد زغلول باشا وهناك أدركتهم قوة من فرسان البوليس فأطلقت الرصاص في الهواء إرهابا لهم فرد عليهم المتظاهرون بقذف الأحجار فأصيب بعض الجنود .

وعندئذ أطل سعد باشا من شرفة داره ورجا المتظاهرين أن يلقوا ما بأيديهم من العصى وغصون الأشجار والحصى وينصرفوا فامتثلوا إرادته وانصرفوا إلى مساكنهم وبذلك انتهت المسألة[١] .

وهذا هو التقرير الرسمى الذى رفعه حكمدار القاهرة إلى وزير الداخلية يصف فيه مظاهرات هذا اليوم والأمس . ويضمنه[٢] رأيه في هذه الحوادث :-

---

(١) تضيف الصحف إلى تلك المظاهرة الاشارة الى حدوث مظاهرات اخرى فى انحاء العاصمة اكبرها في شارع كلوت بك وإن لم يحدث فيها صدامات بين المتظاهرين ورجال الأمن ، الأخبار في ١٩ مايو ١٩٢١ .

(٢) في الاصل «يشفع به»

تقرير حكمدار القاهرة لوزير الداخلية

[١٣٨٧] «حضرة صاحب المعالى وزير الداخلية

«أتشرف بأن أعرض على معاليكم بأنه قد تجدد الهجوم على قوة البوليس اليوم بواسطة جماهير كبيرة مسلحة بكل أنواع المقذوفات الغير النارية .

«وصلنا البلاغ في بادئ الأمر عن المظاهرة من ميدان الخازندار فتوجه في الحال مأمور الأزبكية إلى تلك الجهة ومعه ثلاثون عسكريا من بلوك الخفر في اتومبيل كبير .

«وعند وصوله وجد جمعاً من الغوغاء مكونة من نحو ٨٠٠ شخص معظمهم من الرعاع إلا أن زعماءهم كانوا من الطلبة وكانوا جميعهم حاملين نبابيت وقطع أشجار .

«وعندما(١) رأى ذلك الجمع البوليس تدفقوا للهجوم عليه وقذفوا على أفراده احجارا وزجاجات مملوءة بالرمل وكان هجومهم هذا شديداً جداً بدرجة لم يتمكن معها الثلاثون عسكريا من بلوك الخفر من عمل أى شئ وقد أصيب مأمور الأزبكية ثلاث مرات مختلفة وأوقعوه على الأرض ثم أخذ حضرته في داخل دكان فهجم عليها الرعاع ولكنهم لم يدخلوها .

«وإن أغلب عساكر بلوك الخفر وعساكر الداورية(٢) المؤدين خدمة في الشارع اضطروا إلى الالتجاء إلى الدكاكين وخلافها هربا من الجموع المذكورة لأن هؤلاء العساكر لم يكونوا مسلحين إلا بالعصى ولم يمكنهم الدفاع ضد الهجوم المتواصل الذى ثبت عليه الغوغاء وقد أصيب أيضا معاون البوليس وكذلك أحد عساكر البوليس الذى كان واقفا لحماية المأمور عند سقوطه على الأرض وأصيب إصابة جسيمة في رأسه من ضربة حجر وأبعد عن المأمور .

[١٣٨٨] «وعندما بلغنى عدد المتجمهرين وتوحشهم هذا أرسلت سيارة(٣) آخرى محملة بعساكر من بلوك الخفر وعلى رؤوسهم خوذات من حديد ومسلحين ببنادق رش وبنادق

(١) في الأصل « وحال » .

(٢) عساكر الداورية : هم المكلفون بالحراسة فى الشوارع .

(٣) في الأصل اوتومبيلا .

رصاص . في الوقت الذى وصلت فيه هذه القوة إلى محل الحادثة كان المتجمهرون قد تركوها ووصلوا الى شارع قصر النيل قبل أن يصلنى خبر ثان عنها .

«وفي طريقهم في شارع قصر النيل كسروا أفرع الشجر التى في الشارع لاستعمالها كسلاح فانذعر جدا أصحاب الدكاكين الأوربية وانزلوا من فورهم[١] الأبواب الحديدية على دكاكينهم .

«وقد كنت أرسلت قوة من السوارى تحت قيادة اليوزباشى عزب أفندى سليم هذه القوة التى كانت مركبة من ثلاثين عسكريا التحمت بالرعاع المذكورين في شارع خيرت في نفس الوقت الذى وصلت فيه سيارة[٢] بلوك الخفر ثانيا والتحمت أيضا بالمتجمهرين الا أن بلوك الخفر لم يتمكن أيضا للمرة الثانية من عمل شئ يفيد في الموضوع لأن المتجمهرين كانوا كثيرين جداً وكانت مقذوفاتهم تمطر بشدة متناهية على أفراد البوليس وقد اضطروا عدة مرات إلى الانسحاب لجمع صفوفهم والعودة للهجوم . ولما كان الهجوم في أشده أطلق جاويش من بلوك الخفر نارا في الهواء فجرى المتجمهرون بكل سرعة .

«أما العساكر السوارى فقد هوجموا بأحجار غزيرة من جمع مؤلف من نحو ثلثمائة تلميذ وبعض الرعاع أمام منزل سعد باشا وقد أصيب قومندان[٣] القوة حضرة اليوزباشى عزب أفندى سليم بإصابة حجر جسيمة في رأسه وأصيب أيضا واحد من العساكر السوارى بجرح بليغ في وجهه فانسحب الضابط مسافة قصيرة وهجم بالقوة الموجودة معه في وسط المتجمهرين نحو ثلاث دفعات وقد استعمل العساكر العصى الغليظة التى كانت معهم وأخيرا فرقوا المتجمهرين .

[١٣٨٩] «وفى الساعة واحدة افرنجى[٤] بعد الظهر كان المتجمهرون جميعهم قد تفرقوا ماعدا جمعا من الأوباش بالقرب من وزارة الزراعة وقد تفرق هؤلاء ايضا بواسطة عساكر البلوك السوارى .

---

(١) في الأصل بكل سرعة .
(٢) في الأصل اوتوموبيلا .
(٣) قومندان بمعنى قائد .
(٤) كان يستخدم وقتذاك توقيتان العربى والافرنجى ، ثم استقر الأمر على التوقيت الأخير .

«أما مجموع الاصابات التى حدثت لرجال البوليس فكانت ثلاثة ضباط جرحوا وأربعة عساكر من بلوك الخفر وعسكرى واحد من البلوك السوارى[1] وعسكرى من الأقسام جرحوا أيضا .

«وهناك ما يدعو للاعتقاد بأن هؤلاء الرعاع كان جمعهم وتنظيمهم وتسليحهم بمعرفة أتباع سعد باشا زغلول لغرض واحد معين وهو التعدى على البوليس .

«وقد وصلنى معلومات أمس بأن الطلبة عازمون في المستقبل أن يستعملوا زجاجات مملوءة بالرمل وكان هذا السلاح هو أحد الأسلحة التى استعملت فعلا اليوم والأحجار أحضروها أيضا معهم .

ومن مجموع الأدلة التى حصلت عليها للآن أرى أن هذا الجمع المسلح كان تنظيمه بمعرفة طلبة المدرسة الإعدادية .

«في صباح نفس اليوم سمع حضرة مأمور الوايلي بأن أربعين طالبا من تلك المدرسة تركوا مدرستهم ولم يمض زمن طويل بعد ذلك حتى تشكل جمع الرعاع ووصلوا إلى ميدان الخازندار من جهة الظاهر أى من جهة المدرسة المذكورة .

«ومما يزيد الحالة صعوبة أن هذا التعدى على البوليس يحتمل أن يكون مدبراً خصيصا لاستفزاز البوليس الى اطلاق عياراتهم النارية . فإذا أصاب بوليس شخصاً بعيار نارى يترتب على ذلك اشاعات وأقوال كثيرة هنا في مصر وفي انكلترا وتتخذ الجنازات التى لا بد من عملها كفرصة لعمل مظاهرات هائلة شنيعة .

[١٣٩٠] «يوجد لدى بلوك الخفر عدد معين من بنادق الرش العادية لها خرطوش صغير فإذا استفز الجمهور العساكر بالصفة المنوه عنها آنفا فإنى أرى استعمال هذه البنادق على المتجمهرين قبل الالتجاء إلى استعمال بنادق الرصاص .

«إلا أنه سيبقى أمر ثابت وهو أنه إذا استمرت هذه التعديات القتالة على البوليس فلا يكون في إمكانى حمل عساكر البوليس على مواجهتها إلا إذا سمح بإطلاق النار .

---

(١) البلوك كلمة اصلها تركى بمعنى الفوج والسوارى أى الفرسان .

« واذا دعوت عساكر بيادة[١] الجيش المصرى لمساعدتى فهم أيضا لا يتحملون القاء الحجارة في وجوههم ويطلبون السماح لهم بإطلاق النار .

«وانى اطلب بأن يصير إعلان الجمهور إعلاناً صريحاً جلياً بواسطة الصحف بأن مثل هذه التعديات على البوليس لا يمكن تحملها وأن أفراد الجمهور لا يلومون أحدا في المستقبل سوى أنفسهم اذا استعمل البوليس اطلاق النار ضدهم .

« وتفضلوا معاليكم بقبول عظيم الاحترام .»

حكمدار بوليس مصر

(امضاء)

حرر في ١٨ مايو سنة ١٩٢١

وبمناسبة تلك المظاهرات التى كانت تقمع من رجال البوليس بالشدة والقسوة رفع سعد باشا لعظمة السلطان الخطاب الآتى :-

من معالى سعد باشا زغلول
إلى حضرة صاحب العظمة السلطان[٢]

[١٣٩١] «حضرة صاحب العظمة السلطانية

«يا صاحب العظمة :

«تجرى الوزارة على سياسة الشدة والإحراج لكم أفواه الأمة وكتم شعورها وحملها على مالا تريد في وقت يتقرر فيه مصيرها وتشعر فيه بوجوب إطلاق الحرية لها في إبداء آرائها وميولها وبصفة كونى وكيلا عنها رأيت من الواجب علىّ لفت نظر عظمتكم إلى النتائج السيئة التى تترتب على استمرار الوزارة في هذه السياسة المضادة لإرادة الأمة ، ومصلحتها والمخالفة لمقاصدكم السامية وإلى المسئولية الكبرى التى تتحملها الوزارة أمام عظمتكم وأمام العالم والتاريخ ،

سعد زغلول

القاهرة فى يوم الأربعاء ١٨ مايو سنة ١٩٢١

(١) بيادة : مشاة الجيش المصرى .
(٢) حذف هذا العنوان فى أصل المذكرات .

تعيين المفوضين[١] الرسميين
ومهمتهم

[١٣٩٢] قضى الأمر . وفشلت المساعى في التوفيق بين سعد باشا وعدلى باشا فأعلنت الحكومة أنها ستخوض[٢] غمار المفاوضات الرسمية وحدها ورفع رئيسها عدلى باشا يكن كتابه لعظمة السلطان متضمنا البرنامج الذى يسير عليه المفوضون المصريون والأغراض التى يرمون إليها وهى أغراض لو تحققت لكانت كل ما تنشده الأمة المصرية من الأمانى والآمال .

كانت تلك المفاوضات سببا في انقسام الوفد والأمة فاستفاد الانكليز وخسر المصريون تحققت المطامع الاستعمارية وفشلت الأمانى القومية .

فهنا سعد ومعه فريق من الوفد يناوئ الوزارة وهناك أعضاء الوفد الآخرون يقذفون رئيسهم واخوانهم بشتى التهم إن حقا وإن باطلا[٣] فلا هم متفقون معهم ولا مع الوزارة وإن كانوا الى الثانية أقرب والأمة من وراء الجميع حيرى تجهل مصيرها ومستقبلها . إذ الكل ينادى بأنه[٤] مستهام بحبها متفانٍ في الذود عن حريتها نازل على إرادتها جاعل المرجع والمصير إليها .

لم يشترك الوفد بقسميه في المفاوضات الرسمية ولم يؤيد القسم الأول منه الوزارة للدخول فيها فكان ما لابد منه وأعلن رسميا أسماء الأعضاء المفوضين ومهمتهم . وهذا هو خطاب عدلى باشا الذى رفعه لعظمة السلطان مبينا فيه برنامج الوفد الرسمى . والأمر السلطانى بتعيين اعضائه :-

---

(١) استخدمت كلمة (المفوضين) بدلا من (المفاوضين) ، ويعنى بها اولئك الذين فوضتهم الأمة لا الذين يفاوضون الانجليز .

(٢) في الأصل «ستتولى الخوض في »

(٣) في الاصل بالحق والباطل وقد دونت فى أصل المذكرات ثم حذفت .

(٤) ينادى بأنه : مضافة على الأصل .

المفاوضات الرسمية

أعضاء الوفد الذى يتولى المفاوضات ومهمته[١]

[١٣٩٣] «يا صاحب العظمة

«تفضلت عظمتكم فعهدت إلى أن أعرض على مقامها السامى أسماء أعضاء الوفد الذى يتولى المفاوضة برياستى للوصول إلى وضع اتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر وذلك إجابة للدعوة المرسلة من حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى إلى عظمتكم بتاريخ ٢٦ فبراير الماضى[٢] .

«وقد يتعين علّى الآن أن أقدم بين يدى عظمتكم بيان الأغراض التى سيلتزمها المفاوضون في القيام بمهمتهم .

«ولقد سبق لى أن اجملت ذلك في البرنامج الوزارى[٣] الذى تشرفت بعرضه على عظمتكم عند تشكيل الوزارة إذ قلت فيه :

«إن الوزارة ستجعل نصب عينيها في المهمة السياسية التى ستقوم بها لتحديد العلاقات الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين مصر الوصول إلى اتفاق لا يجعل محلاً للشك في استقلال مصر وستجرى في هذه المهمة متشبعة بما تتوق اليه البلاد ومسترشدة بما رسمته ارادة الأمة» .

«تلك كانت في جملتها مرامى الوزارة من ذلك العهد ، وإنى مستأذن عظمتكم اليوم في تفصيلها زيادة في تنوير المبادئ التى سنتوخاها في مسعانا السياسى .

«فسيكون الغرض الرئيسى للمفاوضين المصريين وأول همهم أن يصلوا إلى [١٣٩٤] الاعتراف بمصر دولة مستقلة في الداخل وفى الخارج وإلغاء الحماية إلغاء صريحا لا في علاقات مصر وبريطانيا العظمى وحدها بل في علاقات مصر والدول الأخرى أيضا .

---

(١) حذف هذا العنوان فى أصل المذكرات .

(٢) نص البلاغ البريطانى في الجزء الثالث من المذكرات ص ٢٤٦ – ٢٤٨ .

(٣) نص البرنامج المذكور – الجزء الثالث من المذكرات ص٢٥١ -٢٥٣ .

«أما ما يتعلق بمذكرة لجنة ملنر المؤرخة في ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٠[١] فسيحرص المفاوضون على تحقيق تحفظات الأمة بشأنها .

«على أنه لما كان من المقرر عندنا أننا سنعالج المناقشة في الشئون المصرية غير مقيدين ولا مرتبطين بتلك المذكرة فسنعمل على أن نضمن الاتفاق من الضوابط والاحتياطات ما تكون معه الضمانات المطلوبة للمحافظة على مصالح بريطانيا العظمى وعلى مصالح الأجانب غير منافية لاستقلال بلادنا .

«ولقد تبينا أن المبادئ التى أشرت إليها تتفق تمام الاتفاق مع مرامى الوفد المصرى ، غير أنه للأسف قد استحال الحصول على اشتراكه معنا تحقيقا للرغبة التى أعلنتها الوزارة في برنامجها[٢] ، وكان ذلك بسبب خلف[٣] على كيفية تشكيل الوفد الرسمى .

«على أن الواقع أيضا أن امتناع الوفد عن الاشتراك مع الوزارة يرجع عند عدد كبير من أعضائه لا إلى اختلاف معها بل إلى التزام خطة سبق لهم أن رسموها لأنفسهم وليس فيها ما ينافى الثقة بعمل الوزارة مادامت هى ترمى إلى تحقيق إرادة الأمة .

«هذا وإنى أتشرف بأن أعرض لتصديق عظمتكم السامى أسماء الأعضاء الذين يؤلفون معى الوفد الرسمى وقد قبلوا مؤازرتى في العمل :-

«حضرة صاحب الدولة حسين رشدى باشا نائب رئيس مجلس الوزراء . حضرة صاحب المعالى اسماعيل صدقى باشا وزير المالية حضرة صاحب المعالى محمد شفيق باشا وزير الأشغال العمومية والحربية والبحرية . حضرة صاحب المعالى أحمد طلعت باشا وزير سابق ورئيس محكمة الاستئناف الأهلية . يوسف سليمان باشا وزير سابق . [١٣٩٥]

وسيتولى مجلس الوزراء تعيين المستشارين الفنيين وموظفى السكرتارية الذين يرافقون الوفد .

(١) نص المذكرة - الجزء الثالث من المذكرات ص ١٠١ - ١٠٥ .

(٢) جاء في هذا البرنامج ان الوزارة «مسترشدة بما رسمته إرادة الأمة ستدعو الوفد المصرى الذى يرأسه سعد زغلول باشا إلى الاشتراك في العمل لتحقيق هذا الغرض» .

(٣) (خلف) بمعنى خلاف .

«وبما أن القول الفصل في نتيجة المفاوضات سيكون للأمة ممثلة في جمعية وطنية[1] فإن الوزارة تحقيقا لبرنامجها ستعنى - مستعينة بخير الأخصائيين - ببحث وتحضير مشروع قانون للانتخاب لتلك الجمعية ومشروع دستور يعرض عليها إذا وفقت المفاوضات بعون الله عز وجل إلى تحقيق أماني البلاد .

(وإنى لعظمتكم العبد الخاضع المطيع والخادم المخلص الأمين)

عدلى يكن

القاهرة في ١٠ رمضان ١٣٣٩

١٨ مايو ١٩٢١

(١) كانت فكرة استدعاء جمعية وطنية محل اهتمام في ذلك الوقت ، فقد رأى البعض أصوبية هذا الاستدعاء لأنه ضمانة لحسن سير المفاوضات ، ولأن الوزارة التى تتولى المفاوضات تلقى من هذه الجمعية هيئة تسهل على المفوضين مهمتهم وتجعلهم على بينة من آراء الأمة ، من مقال للأخبار في ١٩٢١/٥/٢٢ تحت عنوان «الجمعية الوطنية والحماية» .

نص الأمر الكريم(١)

الصادر إلى حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء عدلى يكن باشا

[١٣٩٦] «اطلعنا على كتاب دولتكم المتضمن لأسماء أعضاء الوفد الذين اخترتم دولتكم انتدابهم لمؤازرتكم في المفاوضة مع بريطانيا العظمى ولبيان مهمتهم .

«وبناء عليه قد أصدرنا أمرنا هذا بتشكيل الوفد الرسمى برياسة دولتكم وعضوية :-

(حضرة صاحب الدولة حسين رشدى باشا نائب رئيس مجلس الوزراء . حضرة صاحب المعالى إسماعيل صدقى باشا وزير المالية . حضرة صاحب المعالى محمد شفيق باشا وزير الأشغال العمومية والحربية والبحرية . حضرة صاحب المعالى أحمد طلعت باشا من الوزراء السابقين ورئيس محكمة الاستئناف الأهلية . حضرة صاحب المعالى يوسف سليمان باشا (٢) من الوزراء السابقين .

«وإنى لعظيم الثقة بحكمة دولتكم وحسن مقدرتكم واخلاصكم في خدمة البلاد وبأنكم ستقومون جميعا في مهمتكم بما ترتاح إليه ضمائرنا نحو مستقبل بلادنا العزيزة ويتفق مع أمانينا الشريفة القومية .

«والمسئول من المولى عز وجل أن يمدكم بروح من عنده وأن يوفقكم وإيانا للعمل بما يكفل لوطننا السعيد أرفع مراتب الفخر والمجد إنه القدير الحكيم .

نمرة ٤٦ فؤاد

١١ رمضان سنة ١٣٣٩

١٩ مايو سنة ١٩٢١

---

(١) حذف هذا العنوان فى أصل المذكرات وكتب بدلا منه «أمر عظمة السلطان»

(٢) قاض وسياسى ، وزير الزراعة عام١٩٢٠ تخرج من مدرسة الحقوق عام ١٨٨١ وعمل بالقضاء وشغل منصب مستشار بمحكمة الاستئناف عام ١٩١٦ .

رأى سعد باشا زغلول

بعد إعلان أسماء المفوضين الرسميين ومهمتهم

[١٣٩٧] ذكرنا للقارئ شروط الوفد والحكومة في المفاوضات الرسمية فعرف القارئ خطة الفريقين ازاء هذه الشروط . ولقد احتدم الجدل بين سعد باشا وعدلى باشا فانتهى بعدم الاتفاق بين الاثنين كما تقدم واستقلال الوزارة بالعمل وعلى ذلك صدر المرسوم السلطانى بتعيين المفوضين الرسميين وبسطت الوزارة قواعد خطتها في المفاوضة وهى تتفق - من غير شك- مع مطالب الأمة ورغباتها . ولكن كان لسعد باشا رأى خاص فيها . ويظهر رأيه هذا بوضوح وجلاء في الحديث الذى دار بينه وبين الأستاذ داود بركات رئيس تحرير «الأهرام» في ٢٢ مايو سنة ١٩٢١[(١)] وها هو بنصه :-

س - «ما رأى معاليكم في الخطاب الذى رفعه دولة رئيس الوزراء إلى عظمة السلطان بشأن تعيين المفوضين الرسميين ؟

ج - «إن هذا الخطاب استند إلى الدعوة الإنجليزية بتأليف وفد للمفاوضة . وإلى وعود لا تتفق مع مرمى هذه الدعوة خصوصا ولم يصدر من الطرف الإنجليزى ما يدل على إمكان قبوله لها .

«والسياسة الإنجليزية تقضى بأن لكل طرف أن يقول ما شاء ولا يرتبط الطرف الثانى بقبول إلا إذا صرح بقبوله . على أن الوزارة العدلية أتمت في عهدها القصير من الأعمال مانفر الناس منها وجعلهم يعتبرونها مضيعة لآمالهم ومضرة بمستقبلهم فهم لا يرتاحون لأى وعد منها مهما كان جميلاً ولا يثقون بأى عهد يصدر منها مهما كان وثيقاً .

(١) قدم داود بركات هذا الحديث بقوله : لما بدأ الطور الأول من أطوار المباحثة والمناقشة بين معالى الرئيس الجليل سعد باشا والوزارة العدلية قصدت في ٢٣ إبريل معالى سعد باشا وسألته باسم قراء (الأهرام) أن يتفضل علَى بالبيان الشافي والتصريح الوافى فلبى طلبى وأجاب ملتمسى وفي ٢٥ إبريل قصدت صاحب الدولة عدلى يكن باشا للغرض ذاته فتفضل علَىّ بالشرح والبيان كما يذكر القراء واليوم وقد انتهى الطور الأول ولم يتم الاتفاق بين معالى سعد باشا والوزارة على الاشتراك بالمفاوضات الرسمية واستقلت الوزارة بالعمل وصدر المرسوم السلطانى بتعيين المفوضين الرسميين وبسطت الوزارة قواعد خطتها في المفاوضة وهى تتفق مع ما كان معالى سعد باشا يشترطه . فرأيت أن استطلع رأى معاليه في ساعة فراغه من مقابلة الزوار ومزاولة الأعمال فزرته في منتصف الساعة الثالثة بعد ظهر أمس وهو مُكب على العمل في مكتبة فتفضل بمقابلتى بلطفه المشهور ولما أعربت لمعاليه عن مقصدى من الزيارة والمحادثة قال : سل ما بدا لك فإنه يسرنى أن اجيبك .

«بل أصبحوا يعتقدون بالاستناد إلى هذه الاعمال أنها سوف تأتيهم بمشروع لا يتفق مع أمانيهم ثم تجتهد في حملهم على قبوله بمثل ما تستعمله الآن من وسائل الشدة البالغة والاستمالة الخادعة . [١٣٩٨]

«وهم لم يروا في تشكيل وفد المفاوضة ما يضعف اعتقادهم بل لم يجدوا فيه الا تأييداً لرأيهم لأنه تألف ممن ليس لهم موقف ثابت في المطالبة بالاستقلال التام ولا يتفق مع ماضى أغلبهم وحاضرهم على مبادئه وكلهم ممن أيدوا مشروع ملنر المثبت لأركان الحماية في أخص معانيها .

«والوزارة لشعورها في عدم ثقة الأمة بها لم تشر اليها في هذا الخطاب ولكنها أشارت إلى ثقة (عدد كبير من أعضاء الوفد) المنشقين فهل ترى أنها لحيازة ثقة هؤلاء تكتسب ثقة الأمة أيضا ؟ أن الأمر أكبر من ان يعالج بالإيهام أو بوعد خلاب أو بعبارات طلية . إنه مصير أمة بتمامها لا يمكنها أن تسمح بأن يتولاه إلا من أعلنت بهم ثقتها .

«فليذهب وفد الوزارة للمفاوضة إن كانت لا ترى ضرورة ثقة الأمة بهم .

«ولتعلم الحكومة الانجليزية أنها إذا تفاوضت معهم فإنها تتفاوض مع وفد لا يمثل إلا أشخاص أعضائه ولا يمكن أن ترتبط الأمة بنتائج أعمالهم .

س – «ولكن الوزارة تعتمد على ما عندها من قرارات الهيئات النيابية وغير النيابية بتأييدها أفلا يكفى ؟؟

ج – «إن الهيئات النيابية لم تبد جميعها ثقتها بها . لأن كثيرا منها لم يعطها ثقته . ثانيا أن ذلك كان قبل تأليف الوفد الرسمى .

«أما بعد تأليفه فإن من هذه الهيئات ما عدل عما بذل .

«وثالثا أن المديرين تدخلوا في حمل هذه الهيئات على تأييد الوزارة وعندى أدلة قاطعة على ذلك . [١٣٩٩]

«فضلا عن هذا فإن آلافاً مؤلفة من موكلى هذه الهيئات أعلنوا لى بصراحة إنهم لا يقرون نوابهم على ما أبدوه وإنهم لم يكونوا فيه إلا معبرين عن آرائهم الشخصية فلتحترم الوزارة الحقيقة لأن الأمر أصبح واضحاً لا يحتمل الإبهام .

س – «إن برنامج الوزارة في عملها بالمفاوضة هو نفس البرنامج الذى بسطه معاليكم يوم السعى للاتفاق مع الوزارة ؟

ج– «إن اتحاد البرنامج لا يكفى بل يجب العزم على تنفيذه وكل الدلائل تدل على أن هذا العزم غير موجود وأن هذه الوعود لا يمكن تنفيذها لأن أعمالهم الماضية والحالية قد أثبتت بكل جلاء انهم لا يفون بوعودهم ولهذا أصبحت الأمة لا تركن بحال من الأحوال إلى وعود من هذا القبيل .

س – «ما رأيكم اذا سافر المفاوضون وقد انقطع الأمل بالاتفاق مع معاليكم ؟

ج – «فليسافروا غير موثوق بهم وليسافروا لحسابهم لا لحساب الأمة .

س– «اذا فرضنا أنهم نجحوا فى عملهم طبقا لبروجرام معاليكم فماذا تكون الحال؟

ج– «أنا لا يمكننى أن أفرض هذا الفرض إلا إذا أعطى الشىء فاقده .

«وكانت للإنكليز أسباب خاصة تحملهم على الاتفاق مع من لا ثقة للأمة المصرية فيه» .

المظاهرات
ضد وزارة عدلى باشا يكن

[١٤٠٠] لم يكن عدلى باشا من صنائع المستعمرين أو من مشايعيهم حتى يظهر الشعب غضبه عليه ولم يكن من العاملين ضد إرادة الأمة أو من الخارجين على مبادئها حتى تقابله بمظاهر العداء والاحتجاج ولكن الخلاف الذى قام بينه وبين سعد باشا زغلول هو الذى أوجد هذا الشعور ضده .

فقد كان طبيعيا أن تنقسم الأمة على نفسها بعد أن وقفت على أمر الخلاف القائم بين سعد وعدلى إذ أن هذا الخلاف كان من أجل مصالحها ومستقبلها . ولكن هذا الانقسام لم يكن متعادلا بمعنى أن فريق الأمة المؤيد لعدلى باشا لم يكن ليتساوى في الميزان مع الفريق المؤيد لسعد باشا اذ كان الثانى يربو عليه بكثير . أضف إلى ذلك أن جماعة المتظاهرين في الأمة كلها كانوا في جانب سعد فلم تقم مظاهرة واحدة للترحيب بوزارة عدلى باشا بعد الخلاف المتفاقم وهذا ما أبان سخط الحكومة وجعلها تقابل مظاهرات الاحتجاج السلمية منها والعدائية بالقسوة والشدة مما جعل المظاهرات تتطور وتأخذ شكلا عنيفاً .

وإن الحكومة لتخطئ الخطأ كله اذ تعتقد أن في مكنتها منع المظاهرات بالقوة وهى العليمة بقوة عزيمة الشعب المصرى وصلابته لا سيما اذا وجد من السلطات تحديا لشعوره . وإذا كانت وسائل العسف والقوة ترهبه وتفت في عضده فقد رأينا فيما سبق أن السلطة العسكرية كانت تجرد سياراتها المدرعة وجنودها المسلحة بالبنادق والمترليوزات لقمع المظاهرات ومع ذلك فقد كانت حرارة القلوب تتغلب على نيران المدافع والبنادق .

[١٤٠١] ومادامت هذه الحقيقة معروفة فكيف يراد قطع المظاهرات ولا سيما بعد أن تألف وفد الحكومة الرسمى بغير رضاء الوفد ورئيسه .

قامت المظاهرات في القاهرة والإسكندرية وانحاء الأقاليم وتخلل بعضها أعمال العنف . وإليك وصف بعض هذه المظاهرات :

مظاهرات القاهرة

وفي يوم ١٩ مايو سنة ١٩٢١

ألف الشعب مواكب المظاهرات التى أخذت تطوف في الشوارع والميادين فبدأت بالسير من جهة الحلمية فالسيدة زينب فشارع المبتديان فشارع الدواوين كما خرجت مواكب أخرى من جهات متعددة ولما علم البوليس بهذه المظاهرات أخذ في الاستعداد لتفريقها وعسكرت الأورطة السوارى الأولى بجوار قشلاق فرسان البوليس من الساعة الثامنة صباحا حتى الساعة العاشرة صباحا . وكان المتظاهرون قد وصلوا في طوافهم إلى وزارة المالية وهم يهتفون لسعد باشا زغلول فتدخل البوليس لفض مظاهراتهم بالقوة وحينئذ حدث اصطدام عنيف بين الفريقين فاقتلع العامة الأشجار الواقعة في شارع خيرت وأخذوا الأخشاب المرتكزة عليها وكسروا الحديد الذى يسندها واستعملوها في صد الجنود واستمرت هذه المصادمات في ميدان لاظ اوغلى مدة استعمل فيها العساكر المزاريق[1] وكانوا يمسكون بعض الشبان بحبال يلفونها عليهم وحدث أن احتمى بعض المتظاهرين بمنزل في شارع الشيخ عبد الله فصعد رجال البوليس إلى المنزل وأخذوا صاحبه وهو بملابس النوم وكان في هذا الوقت يذاكر في دروسه وساقوه مع نحو ٢٠ شخصا الى المحافظة .

[١٤٠٢] وفى شارع خيرت حدثت حوادث محزنة أصيب فيها شاب يدعى أمين بدوى بطعنة مزراق اخترقت صدره ووصلت إلى قلبه فدعى الدكتور محجوب ثابت[2] لاسعافه ولكن الضربة كانت قاتلة فمات في الحال وكان هذا المسكين واقفا أمام محل عمله ولم يشترك في المظاهرات فذهب ضحية عمل لم يقترفه .

وحدث أن جماعة من المتظاهرين واصلوا سيرهم إلى عابدين وانضم اليهم هناك كثير من الأهالى ثم أخذوا جميعا يرجمون القسم بالحجارة إلى أن وصلت القوة ففرقتهم . ونظرا لكثرة الحوادث وتعددها لم يعلم عدد المصابين بالضبط .

---

(١) جمع مزراق وهى كلمة أصلها فارسى بمعنى رمح أو حربة .

(٢) طبيب وسياسى اشتهر بمناصرة الثورة وكان خطيبا لها ، وكان أول من دعا إلى تنظيم حركة العمال عام ١٩٢٠ ، انتخب عضوا بمجلس النواب ١٩٢٤ بعد عودته من المنفى .

وفي دائرة قسم بولاق وقعت حوادث أليمة . إذ اشتبك رجال البوليس مع طلبة مدرسة الصنايع ثم معهم ومع عمال العنابر في قتال عنيف أصيب فيه الكثيرون من رجال البوليس والطلبة والعمال .

وإليك تقرير حكمدار القاهرة الذى رفعه إلى وزير الداخلية وفيه وصف تفصيلى لهذه الحوادث مشفوعة برأى الحكمدار وهو وجوب استعمال الرصاص لتفريق المظاهرات وهو :-

تقرير حكمدار القاهرة لوزير الداخلية

[١٤٠٣] «حضرة صاحب المعالى وزير الداخلية

«أتشرف بأن أعرض لمعاليكم أن يوم أمس ١٩ مايو الجارى خرجت مظاهرة كبيرة في الساعة ٩٫٣٠ أفرنكى صباحا وكانت مركبة من أوباش[1] يقودهم طلبة وكان الجميع حاملين أحجارا وعصيا وآلات أخرى . وقد مروا من النحاسين والسروجية إلخ حتى وصلوا بالقرب من الوزارات وعندها تقابلوا مع موكب آخر مركب من عدة مئات كانوا توجهوا لهناك من السيدة زينب . فبناء على أوامر الوزارة التى تقضى بتفريق مثل هذه المظاهرات أمرت حضرة صاحب العزة القائمقام شاهين بك قومندان بلوك سوارى الجيش المصرى بأن يأخذ البلوك قيادته ويأخذ أيضا ثلاثين عسكريا من بلوك سوارى بوليس مصر الى ميدان لاظ اوغلى ويعمل كل ما فى استطاعته لتفريق المتظاهرين والقبض على أفراد منهم .

«من نحو الساعة ١٠ أفرنكى صباحا إلى الساعة ٣ أفرنكى بعد الظهر كانت القوة المذكورة من السوارى مشتبكة مع المتجمهرين الذين كانوا يمطرون البوليس بوابل من الحجارة الكبيرة وقطع الحديد التى اتخذوها من الدواير الحديدية المحيطة بالاشجار وقد كان بعض المعتدين يلجأون إلى بعض المنازل ويلقون من شبابيكها أو أسطحتها الأحجار والحدايد . وكان عساكر سوارى الجيش المصرى يستعملون أيادى مزاريقهم

---

(١) الأوباش هم سفلة القوم مثل الرعاع والغوغاء والحرافيش .

وعساكر بلوك سوارى البوليس يستعملون عصيهم الغليظة . وكنت قد أعطيت أوامر بأن العساكر يجب أن يعملوا كل ما فى وسعهم لعدم قتل أى واحد من المتجمهرين وبناء على هذه الأوامر لم يحملوا معهم بنادق .

[١٤٠٤] «وهذه القوة ضبطت خمسة وعشرين شخصا من المتظاهرين وقد أصيبت هذه القوة بجروح كالآتى :-

«عدد ٢ ضباط - ١٤ عساكر - ٢٢ خيول

«وقد أصبح هؤلاء المصابين غير صالحين للعمل من نتيجة جروحهم .

«والشخص الوحيد الذى قتلته تلك القوة هو كاتب يدعى أمين محمد بدوى كان من المعتدين قتل من ضربة مزراق طعن بها

«وفى الساعة ٣ أفرنكى بعد الظهر أعطيت أوامر لهذه القوة أن تنسحب وتتوجه الى اسطبلات بلوك سوارى البوليس بقسم الموسكى لأنها في ذلك الوقت كانت قد تغلبت على المتجمهرين .

«أما أشد حادث حصل في ذلك اليوم فكان في بولاق وتفصيله كالآتى :-

«في الليلة السابقة لذلك اليوم كنت عينت قوة احتياطية خصوصية في قسم بولاق مركبة من ٢٥٠ صف ضابط وعسكرى منتخبين من العساكر التابعين للبوليس المقيمين بجوار جهة بولاق .

«فى الساعة ١٠ افرنكى صباحا أخطرتنى وزارة المعارف تليفونيا بأن طلبة مدرسة الصنايع ببولاق أضربوا عن العمل وعينوا ضباطا لهم وأنهم في استعداد للخروج من المدرسة حاملين كل أنواع الآلات .

«فأعطيت أمراً بأن قوة البوليس الاحتياطية الموجودة في بولاق تتوجه في الحال تحت قيادة جناب البكباشى فيليب[1] إلى المدرسة وتفرق الطلبة اذا كانوا بشكل مظاهرة .

[١٤٠٥] «وقد بلغنى البكباشى فيليب بعد ذلك بأنه وجد الطلبة كما كان منتظرا بشكل مظاهرة . فتكلم جنابه مع الزعماء ونصحهم بأن يتفرقوا إلا أنهم رفضوا ذلك .

---

(١) البكباشى جون فيليب يونانى الأصل وكان من أقرب مساعدى حكمدار القاهرة توماس باشا رسل .

«وحينئذ قسم البكباشي فيليب قوته إلى فرقتين وقصد المتظاهرين من جهتين . ولما رأى الطلبة بأن البوليس لم يكن في عزمه أن يسمح لهم بالمسير انهالوا عليه بالأحجار وقطع الحديد والمسامير المبرومة الكبيرة والترابيس الحديد وخلاف ذلك .

«ففي بادئ الأمر أنسحب البوليس إلى الوراء إلا أنه بعد ذلك هجم على الطلبة باستعمال العصى فتقهقر الطلبة إلى داخل المدرسة وأغلقوا الأبواب . وعندها بلغني تليفونيا بأن الطلبة كانوا يسلحون أنفسهم بعواميد حديدية وغيرها لكى يخرجوا ثانياً ويهاجموا البوليس .

«وقد حدث بعد ذلك أن خرج وفد من الطلبة للمفاوضة مع جناب البكباشي فيليب لإخلاء سبيل الطلبة الذين كان قبض عليهم وبعد مناقشة وأخذ ورد صار تسليم الطلبة المقبوض عليهم الى ذلك الوفد بعد أن تعهدوا بالعودة الى عملهم في المدرسة .

«ثم أعطيت أوامر بأن تنسحب قوة البوليس من جوار المدرسة قبل الساعة ١ أفرنكى بعد الظهر حتى لا تصطدم بعمال عنابر السكة الحديدية عند خروجهم الساعة ١ افرنكى بعد الظهر أى فى نفس الوقت الذى تخرج فيه طلبة مدرسة الصنايع .

«إلا أنه حدث لسوء الحظ أن فرقة من عساكر البوليس كانت لم تزل سائرة في طريقها الى القرقول[1] فقابلها جمهور كبير من عمال عنابر السكة الحديدية ويظهر أن الطلبة كانوا قد أرسلوا خبراً الى عمال العنابر بأن البوليس ضربهم وطلبوا مساعدتهم . فلذلك خرج عمال العنابر مسلحين بكل أنواع الآلات لمهاجمة البوليس وحيث أن [١٤٠٦] البوليس لم يكن لديه خلاف العصى فلم يكن في وسع العساكر مطلقا أن يدافعوا عن أنفسهم واضطروا أن يفروا هاربين بكل وسيلة ممكنة .

«وانجلت هذه الحادثة عن اصابة ٤٢ عسكرى بوليس بإصابات جسيمة بوجه عام وقد اضطر الحال لترك معظمهم في محل جمعية الاسعاف لأن الطلبة والرعاع لم يكونوا ليسمحوا بنقلهم الى المستشفى .

«هذا وإن الرعاع خلعوا من على العساكر المجروحين كساويهم الرسمية وباقى مهماتهم . ولو لم يكن العساكر لابسين الخوذات الصلب على رؤوسهم لقتل عدد منهم

(١) كلمة أصلها تركى بمعنى نقطة الحراسة وأصبحت تستخدم بعد ذلك توصيفاً لقسم البوليس .

لامحالة كما يستدل على ذلك من حالة معظم الخوذات المذكورة التى وجدت محطمة فعلاً من شدة الضربات التى نزلت عليها من القضبان الحديد والفؤوس والمواسير الحديد وخلافه

«وقد ضبط الطلبة أحد رجال البوليس السرى وتعدوا عليه تعديا قاتلا كما يتضح ذلك من التقرير المقدم من حضرة مأمور قسم بولاق .

«وكانت نتيجة هذا الاعتداء الفظيع على البوليس أن رجال تلك القوة الاحتياطية طلبوا تسليمهم بنادق أو إعفاءهم من هذه الخدمة - وأنى الآن متخذ الاجراءات اللازمة نحو توزيعهم في المستقبل على أقسام بوليس المدينه كى يكونوا هناك بصفة احتياطى في حالة ما اذا حدث هجوم على القره قولات وهو أمر أراه محتمل الوقوع جدا .

«والآن أريد أن أشرح الموقف بكل جلاء ووضوح :-

[١٤٠٧] «ليس في امكان البوليس بعد الآن أن يتغلب على جموع المتجمهرين اذا كان عساكره ليسوا مسلحين إلا بالعصى الخفيفة والعصى الغليظة لأن جماعة المتجمهرين مسلحون جميعهم بمقذوفات خطرة ولا يمكن عساكر البوليس الذى هم فعلا غير مسلحين بأن يهاجموا جماعات الرعاع التى هى مسلحة .

«ولا يغرب عن البال بأنه لا يفيدنى الآن أن طلب مساعدة الجيش المصرى إلا إذا تصرح لنا ولهم بإطلاق العيارات النارية لأن الجيش المصرى لا يمكنه الوقوف أمام الأحجار والمقذوفات الأخرى أكثر مما نقف نحن .

«وتفضلوا معاليكم بقبول عظيم احترامى» ،،،

حكمدار بوليس مصر (١)

(امضاء)

القاهرة في ٢٠ مايو سنة ١٩٢١

(١) هو توماس رسل باشا الذى تولى هذا المنصب منذ عام ١٩١٨ وأشهر من تولاه من الإنجليز .

خطاب سعد باشا لعظمة السلطان

ولقد حملت تلك الحوادث التى تكرر وقوعها سعد باشا على أن يرفع إلى عظمة السلطان الخطاب الآتى وهو :-

من معالى سعد باشا زغلول
إلى صاحب العظمة السلطانية

[١٤٠٨] «يا صاحب العظمة السلطانية

«تزداد الحالة التى عرضت عنها لعظمتكم شدة وسوءاً فإن رجال الحكومة ينكلون بالناس تنكيلا تأباه كل مدنية وتجفل منه الإنسانية لأنهم يهجمون على الناس في مأمنهم ويسوقونهم إلى السجون في ملابس نومهم بعد أن يوسعوهم ونساءهم إهانة وضربا ويوثقونهم كتافا ويربطونهم بالخيول تجرهم أيضا مبالغة بالتنكيل بهم ويصوبون حرابهم في مقاتلهم بإزهاق أرواحهم لا يفرقون بين أحد منهم حتى من لم يكن له دخل في المظاهرات البريئة التى تعتبرها الوزارة جرائم تستحق أن تقابل بمثل هذه الوسائل البربرية وترتب على ذلك أن مات شخص في دكانه بطعنة حربة ومنع الضابط الذى كان يدير حركة هذه القسوة رجال الاسعاف من إسعافه .

وإنى واثق بأن هذه الفظائع لا ترضى عظمتكم فأرجو بلسان شعبكم الهادئ تدارك هذه الحالة السيئة بما يقى البلاد أخطارها» .

سعد زغلول

القاهرة في ٢٠ مايو سنة ١٩٢١

توالى المظاهرات فى القاهرة

[١٤١٠] واحتفل بعد ظهر ٢٠ مايو سنة ١٩٢١ بتشييع جنازة أمين بدوى[١] الذى قتل على اثر طعنة من حربة جندى في يوم ١٩ منه وهو واقف أمام محل عمله بشارع خيرت كما ذكرنا .

بدأ سير الجنازة من مستشفى قصر العينى واشترك فيها ألوف من طلبة المدارس حاملة أعلامها والأهالى والسيدات[٢] يتقدم الجميع جماعة من راكبى الدراجات فموسيقى إحدى فرق الكشافة وسار المشهد على هذا النظام حتى وصل إلى بيت الأمة فاشترك فيه سعد باشا زغلول ومعه حضرات فتح الله بركات باشا وعلى بك الشمسى ومصطفى بك النحاس وغيرهم من أعضاء الوفد .

ولما وصل الموكب إلى قصر الدوبارة رجع رئيس الوفد ومن معه واستأنف الموكب سيره إلى محطة مصر حيث شيعت الجثة في القطار إلى شبين الكوم لتدفن في مدفن الأسرة .

وعند ذلك رجع المشيعون مؤلفين مواكب المظاهرات وهم يهتفون بحياة سعد باشا ولما وصلوا إلى قسم عابدين خرج الجند محاولين تفريقهم بالقوة فتبادل الفريقان الضرب . ثم تحول المتظاهرون إلى ميدان الاوبرا وهناك تصدى لهم رجال البوليس فساروا فى اتجاه العتبة الخضراء فتصدى لهم البوليس هناك أيضا فدارت المعركة بين الفريقين وانهزم الجند فاضطروا إلى الدخول في قسم الموسكى الذى حطم المتظاهرون نوافذه . وبعد ذلك خرج الجنود ببنادقهم محشوة بالرصاص فأصيب أربعة بإصابات خطرة و٢٠ بإصابات خفيفة[٣] .

---

(١) لم تذكر الوثائق ولا الصحف شيئا عن طبيعة هذا الشهيد .

(٢) ذكرت الصحف أنهم كانوا نحو ألفين ، الأخبار ٢٢ مايو ١٩٢١ .

(٣) حسب رواية جريدة الأخبار أنه وقع ثلاثة من القتلى و ١٥ من الجرحى .

مظاهرات الاسكندرية

[١٤١١] كانت أذهان السكندريين منصرفة إلى الحالة السياسية الحاضرة فأرادوا أن يظهروا احتجاجهم على الحكومة لعدم اتفاقها مع الوفد فأقاموا مظاهرة كبرى في مساء يوم ١٩ مايو سنة ١٩٢١ اذ كان الوقت (رمضان) (١) . وإليك وصفها :-

بعد أن أدى الناس صلاة العشاء والتراويح بمسجد أبي العباس (٢)خرجوا من المسجد مؤلفين مظاهرة كبيرة تتقدمها الموسيقى فاخترقوا الشوارع والميادين وهم يهتفون لسعد والوفد والوطن . ولما وصل الموكب الى شارع الإبراهيمى انضم اليهم جماعة من الرعاع كانوا السبب في تشويه جمال المظاهرة وجلالها إذ طلب جماعة منهم من رجال البوليس الواقفين في قسم اللبان أن يهتفوا لسعد فكان طبيعيا ألا يذعن هؤلاء لإرادتهم وعندئذ شرعوا في تحطيم نوافذ القسم فاشتبك رجال البوليس مع المتظاهرين في عراك وحينئذ اشتد الهرج وزاد قذف الحجارة فتحطمت بعض مصابيح الشارع وأصيب جندى بجرح بسيط وهو يحاول إقفال باب القسم .

ولما وصل المتظاهرون الى شارع محمد على ألقى بعض الرعاع المشار إليهم الحجارة على بعض الأماكن فكسر لوح واحد من زجاج محلات سمعان صيدناوى حتى إذا وصل المتظاهرون الى مخازن مورروم سمعوا طلقاً نارياً صادرًا من تلك الجهة وحينئذ اندفع بعض المتهورين الى المحل المذكور وأخذوا يقذفونه بالحجارة فكسروا ثمانية ألواح زجاجية كبيرة كما كسروا زجاج بعض النوافذ على أنه لم يسلب من المحل شئ كما أشيع .

[١٤٠٨] حدثت هذه الحادثة في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ولكن موكب المظاهرة استأنف سيره فاخترق شارع شريف باشا وشارع محطة مصر وشارع ابن الخطاب وغيره وانتهت المظاهرة نحو الساعة الثانية صباحاً .

وفى اليوم التالى أقيمت مظاهرة بعد صلاة الجمعة هاك وصفها : -

---

(١) ١٩ مايو ١٩٢١ الموافق الخميس ١١ رمضان ١٣٣٩هـ .

(٢) جرت العادة على أن تبدأ المظاهرات في الإسكندرية بعد صلاة الجمعة غير أنها لم تخضع لهذه القاعدة في شهر رمضان فجاءت المظاهرات مساء الخميس (ليلة الجمعة) .

لما كانت العادة أن تقام المظاهرات فى أيام الجمع وكان غداة المظاهرة السابقة يوم الجمعة فقد خشى بعض الكبراء أن يحدث مالا يحمد عقباه بعد الصلاة ولذا ذهب أحمد يحيى باشا [١] وجعفر فخرى بك والدكتور أحمد عبد السلام وبعض الأعيان إلى المسجد فحضروا صلاة الجمعة ثم نصحوا الجمهور المحتشد بالكف عن المظاهرات الليلية بعد الساعة العاشرة وبعدم قذف الحجارة واستعمال الألفاظ الجارحة فى الهتاف .

وبعد ذلك خرج الجمهور من المسجد مؤلفاً مظاهرة عظيمة[٢] سار موكبها في الشوارع الكبرى بكل نظام . وكان الهتاف لسعد وانصاره يتصاعد إلى عنان السماء ولكن الأولاد كانوا ينقلون الأحجار في عربات يد من عربات المجلس البلدى لتكون ذخيرة للمتظاهرين لاستعمالها عند الحاجة .

ولما وصل المتظاهرون إلى قسم العطارين طلبوا إخراج الأربعة المقبوض عليهم بسبب مظاهرة الليلة الماضية . ثم تفرقوا أقساماً فذهب قسم إلى شارع راتب باشا وقامت مظاهرة أمام دار المحافظة واحتشد قسم آخر معظمه من الرعاع أمام قسم اللبان وأخذ في قذف الحجارة عليه أكثر من ساعة وكان القسم مقفل النوافذ والأبواب طول الوقت . وأخذ بعض الرعاع والأولاد يركبون الترام متظاهرين حتى اضطرت شركة الترام إلى تعطيل بعض خطوطها وأقفلت بعض المحال والمخازن .

مظاهرات طنطا

[١٤١٣] وفى ٢٠ مايو سنة ١٩٢١ صباحاً ألفت تلميذات المدارس بطنطا مظاهرة وطفن بجميع شوارع المدينة ولما وصلن إلى قسم أول البندر خطبت إحداهن خطبة لطيفة هتفت فيها بحياة سعد وبرفض بيان الوزارة وبألا رئيس إلا سعد وكان يحيط بهن طلبة المدارس وانتهت المظاهرة بسلام .

وفى المساء تألفت مواكب المظاهرات في طنطا من جميع الطوائف واخترقت شوارع المدينة وأخذ المتظاهرون يهتفون بحياة سعد وبتأييده وانتهت المظاهرة بسلام أيضا .

---

(١) رأس أسرة من كبار تجار القطن فى مصر ومن ابنائه امين وعبد الفتاح والذى تولى رئاسة الوزارة ١٩٣٤ .

(٢) قدر بيان قلم المطبوعات عددها بما بين خمسة وستة آلاف متظاهر (الأخبار ٢٢ مايو ١٩٢١) .

وفى يوم ٢١ مايو سنة ١٩٢١ قامت مظاهرة كبيرة في المدينة وأغلقت جميع المحلات التجارية والمصانع والقهوات للاحتجاج على صدور المرسوم السلطانى بتعيين وفد الحكومة وأرسل الأهالى تلغرافات إلى المستر لويد جورج[١] واللورد اللنبى وعظمة السلطان يقولون فيها بأنهم لا يريدون رئيسا إلا سعد .

وقد طاف المتظاهرون جميع شوارع المدينة . ولما بلغ البوليس ان المتظاهرين سيطوفون بمواكبهم على مصالح الحكومة لإخراج الموظفين للاشتراك معهم أرسلت قوة من الجيش المصرى فعسكرت في ديوان المديرية وفى المحكمة .

هذا وقد أخذ الدكتور حسن كامل بك الوفدى المعروف يطوف بسيارته في شوارع المدينة ناصحاً الجمهور بألا يحتك بمصالح الحكومة حرصاً على مصلحة القضية المصرية . وفى الساعة العاشرة والنصف صباحاً وصلت قوة من الجيش المصرى فمرت بين المتظاهرين فهتفوا لها قائلين ليحيى الجيش المصرى . وعند منتصف الساعة الثانية عشرة وصل المتظاهرون امام ديوان المديرية وأرادوا الدخول فنصحهم الطلبة بالعدول عن ذلك وبأن يلتزموا الهدوء والسكينة . [١٤١٤]

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر ذهب وفد من الأعيان على رأسه السيد حسين القصبى وأخذ يفرق المتظاهرين .

المظاهرات فى انحاء البلاد

وكذلك قامت المظاهرات السلمية في جميع انحاء القطر تقريباً ولم تصحب بأعمال العنف والحمد لله . وأهم هذه المظاهرات ما قام في المنصورة وبور سعيد والزقازيق وقد انتهت أيضا بسلام .

(١) زعيم حزب الأحرار ورئيس وزراء بريطانيا بين عامى ١٩١٦ و١٩٢٢ .

تلغراف[1] رئيس الوفد إلى عظمة السلطان

وبمناسبة هذه المظاهرات المتعددة التى قامت في أنحاء القطر وكانت الحكومة تقمعها بالقوة والشدة . وجه سعد باشا التلغراف الآتى لعظمة السلطان وهو :-

[١٤١٥] «حضرة صاحب العظمة السلطانية

«يا صاحب العظمة :

«أنكرت الوزارة الوقائع التى عرضتها على عظمتكم وزعمت انها لا صحة لها وأن تدخلها في المظاهرات لم يكن إلا للمحافظة على الأمن والسكينة وبلغ الأمر بها أن نسبت في البلاغات الرسمية إلى اتباعى تسليح الرعاع وتنظيم صفوفهم بغرض التعدى على البوليس .

«وهى تعلم أن المظاهرات لم تقم إلا لإعلان سخط الأمة على تصرفها فى موضوع المفاوضات ومخالفتها للوعود التى وعدت الأمة بها فسياستها هى التى أوجبتها فيلزم أن تكون هى المسئولة عنها وكذلك هى المسئولة وحدها عن التعديات التى وقعت فيها على الأرواح والأجسام لأنها هى الآمرة باستعمال القوة فيها وليس بصحيح ما زعمته من دعوى المحافظة على الأمن باستعمال هذه القوة لأن كل المظاهرات التى لم يتدخل رجالها فيها تمت بسلام وبأحسن نظام على أنه من السهل جداً المحافظة على النظام بدون الالتجاء إلى وسائل القسوة التى يستعملها رجالها .

«والغرض الحقيقى للوزارة من استعمال الشدة هو إخفاء غضب الأمة عليها ومنع شعورها من الظهور بطريقة واضحة ولم تكن هذه المظاهرات قاصرة على مدينة مصر حتى يسهل على الوزارة أن تتهم أتباعى بها بل هى حاصلة فى أكثر مدن القطر وأشهرها . بطريقة لا تدع للشك مجالا في كونها صادرة عن شعور حقيقى متأصل فى البلاد واندفاع طبيعى لا صناعى كما تحاول الوزارة التمويه به .

(١) فى الأصل «خطاب» وتم تصحيحها «بتلغراف» ، والواضح أنه كان خطابا كما أدرجته الصحف يوم ٢٣ مايو نظراً لطوله الشديد .

[١٤١٦] «ولا تزال تطارد هذه المظاهرات بكل أنواع القسوة كما حصل في مصر والإسكندرية أمس الأول مما ملأ القلوب جزعاً واضطراباً والنفوس فزعاً واكتئاباً .

«أما إنكار الوزارة للوقائع التى أوردتها فلا ينفى صحتها لتوافر أدلة إثباتها لدينا ونظراً للمسئولية الخطيرة المترتبة عليها واتباعاً لسنة البلدان الدستورية التى تستند الوزارة على تقاليدها أرفع لعظمتكم بلسان شعبكم المغلوب على أمره الرجاء فى أن تأمروا بتأليف لجنة تنتخبها الجمعية التشريعية لتقوم بتحقيق حر إظهاراً للحقيقة التى حاولت الوزارة إخفاءها عن عظمتكم تخلصاً من المسئولية الملقاة على عاتقها .

سعد زغلول

القاهرة فى ٢٢ مايو سنة ١٩٢١

رد الحكومة على خطاب سعد باشا

ولما اطلعت الوزارة على خطاب سعد باشا المتضمن تهما خطيرة للحكومة بادرت بإذاعة البلاغ الرسمى الآتى :-

بلاغ من رئاسة مجلس الوزراء

[١٤١٧] «اطلعت الحكومة على تلغراف[١] مرسل من سعد زغلول باشا إلى عظمة مولانا السلطان وقد تضمن تهما شنيعة للوزارة .

وإنه لا يسع الحكومة تلقاء هذه المزاعم إلا أن تعلن الحقيقة للجمهور حتى لا يضلل حكمه أو يفسد عليه رأيه - والواقع أنه ليس شئ مما زعمه سعد باشا بصحيح . فإن الحكومة تساهلت فى بادئ الأمر فتركت المظاهرات لا يتعرض لها بشىء . غير أن استمرار تلك الحالة وخروج المظاهرات عن الدائرة المشروعة احدثا ازعاجا واضطرابا فى الأمن .

فكان من الواجب عليها أن تعمل على تلافيه فمنعت المظاهرات واكتفت ـ فى تنفيذ هذا المنع ـ بأقل الوسائل أذى للمتظاهرين إلا أن ذلك كان من نتائجه أن تجرأ

(١) تصف الحكومة هنا كتاب سعد زغلول بأنه تلغراف .

المتظاهرون على الاعتداء الجسيم على البوليس والخروج الشديد على النظام والقانون ، كما يتبين من التقارير المنشورة اليوم عن حوادث الأيام الأخيرة - فتعين على الحكومة - كما يتعين على أية حكومة فى مثل تلك الظروف - أن تلجأ الى استعمال القوة لتفريق الجماهير وكف أذاهم بكل الوسائل الممكنة ولم يكن للحكومة فى ذلك باعث أو غرض غير المحافظة على النظام واستتباب الأمن والسكينة

«وإن الحكومة تناشد العقلاء وأهل الرأى من المصريين ألا يسترسلوا لعوامل التهييج والاضطراب التى ترمى إلى استفزاز عواطفهم بتشويه الوقائع والتى لا يكون منها بعد ذلك إلا استمرار هذه الحالة المحزنة ، ولنا كبير الثقة أن جمهور أهل الرأى لا يتأخر عن مساعدتنا بكل الطرق الممكنة لاعادة النظام الى قراره حتى نتمكن من العمل في سبيل تحقيق أمانى البلاد»

٢٣ مايو سنة ١٩٢١

أثر حوادث المظاهرات في بعض النفوس

[١٤١٨] تتابعت المظاهرات للاحتجاج على وزارة عدلى باشا وشروعها فى المفاوضات الرسمية وأخذت هذه المظاهرات كما قلنا شكلا عنيفا فهال ذلك بعض النفوس وخشى بعض الكبراء من تطور هذه المظاهرات التى لا يبعد أن تجر على البلاد مالا تحمد عقباه .

فقال أعضاء الوفد السبعة المختلفون مع رئيسهم وأذاعوا نداء للأمة يحثونها فيه على الهدوء والسكينة ويحضونها على الثقة بالوزارة لأنها حددت أغراضها بما يتفق مع أغراض الأمة .

غير أن هذا النداء تضمن بعض الغمز واللمز لرئيس الوفد ولمؤيديه من أعضاء الوفد (مما كان يجب أن يتنزه عنه موقعوه[١] .

(١) عبارة مشطوبة من الأصل ، وهى العبارة التى شطبت من جانب من حاول إدخال بعض التعديلات على المذكرات ، اشفاقا على الوزارة كما يبدو .

وكذلك رفع بعض ذوى المكانة كتاباً الى عظمة السلطان يشكون فيه حوادث المظاهرات وما نجم وينجم عنها من النتائج السيئة . بيد أن هذا الخطاب أيضا مفرغ في قالب اتهام لسعد باشا وزملائه ومشايعيه وإن كان قد تحاشى ذكر الأسماء صراحة كما أنه حوى دسيسة للإيقاع بين سعد والسراى .

وهذا هو نص كل من نداء الأعضاء المنشقين وكتاب مؤيدى الوزارة :

نداء للأمة من أعضاء الوفد المنشقين

[١٤١٩] «لقد تم ما كانت ترجوه البلاد ، اذ نزلت الحكومة على إرادة الأمة وجعلت غرض الأمة غرضها فحددت مهمة الوفد الرسمى بما ينطبق كل الانطباق على ما يتوق إليه الشعب وأصبحت الحكومة والأمة جميعاً يداً واحدة في طلب الاستقلال .

«تلك منزلة رفيعة كسبتها الأمة بجهادها وصبرها على المكاره . فكان من اللازم أن تحرص عليها كل الحرص لتتقدم بعدها خطوة أخرى في سبيل تحقيق سلطتها والوصول إلى بقية آمالها لكننا نرى اليوم أهل الأغراض يحملون البسطاء والعاطلين من الناس على أن يقوموا بالمظاهرات الخالية عن الأغراض الجدية لمجرد العبث بالنظام فيؤذون الشعب في سمعته ويعرضون أبناءه ما بين متظاهرين وجنود إلى أن يسفكوا دماءهم هدراً وبلا ثمن .

«هل يرضى بذلك أولو الرأى في البلاد ؟

«هل يرضى أهل البلاد في الوقت الذى نحن فيه أحوج ما نكون الى عطف العالم المتمدن أن تقوم في مصر حركة قد تخيف الأجانب النازلين بيننا في مصالحهم وتهدد طمأنينتهم فيكون من وراء ذلك حتما أن تنصرف عنا جاذبيتهم التى خدمتنا في كثير من المواقف؟

«هل يرضى أهل البلاد الذين ضحوا في سبيل الاستقلال ما ضحوا أن تحاول طائفة سوق البلاد الى الوقوع في الشغب والفوضى خدمة لأطماعها الشخصية ؟

«لو أن هذه الحركة الحادة القائمة الآن في القاهرة وفى الإسكندرية كانت استمراراً لحركة الاستقلال لهان علينا أن نضحى بأبنائنا كما فعلنا في الماضى . أما والحركة [١٤٢٠] المخيفة الحاضرة هى حركة صناعية صرفة سداها المصالح الشخصية ولحمتها المصالح الشخصية فإن الأمة يجب أن تسد فى وجهها كل طريق وأن تقضى عليها القضاء الأخير لأن البلاد ما قامت قومتها لخدمة شخص ولا لمنفعة آخرين بل هى قامت بطلب حقوقها المهضومة لا غير[١] .

«تلقاء ذلك نرى الواجب الوطنى يقضى علينا أن نجهر عالياً بإنكارنا لهذه الحركة كل الانكار .

«نقول ذلك ونعتقد أن الاكثرية العظمى في البلاد بل كل الرجال المسئولين فيها ينكرون معنا هذه الحركة . وكيف لا ينكرونها وهم إذا رجعوا إلى أعماق ضمائرهم لا يجدون لها أدنى مبرر ولا سبب معقول . غير أن الوطن لا يكتفى منهم بالإنكار الصامت والاستعاضة عن القضاء على هذه الحركة بالاستعاذة بالله من شرها . الوطن لا يكتفى من بنيه المخلصين بالسكوت عما هو الحق وما هو الصالح للبلاد . الوطن يوجب فرض عين على كل مصرى أن يعلن على رؤوس الأشهاد انه برئ من هذه الحركة وألا يكون ظالماً لنفسه مقصراً فى حق هذا الوطن العزيز .

«نناشد مجاميع الأمة وأفرادها أن يلتزموا الهدوء والسكينة منتظرين نتيجة المفاوضات الرسمية التى للأمة وحدها القول الفصل فيها . نناشدهم أن يتدبروا عاقبة هذه الفتنة التى أثارت المطامع الشخصية غبارها والتى لا يعلم إلا الله نتائجها المحزنة على البلاد . نناشدهم أن يسعوا جهدهم في إطفائها وأنهم لا يستهينوا بما قد تجر من المصائب فمعظم النار من مستصغر الشرر» .

على شعراوى ــ محمد محمود ــ عبد العزيز فهمى ــ أحمد لطفى السيد

محمد على ــ عبد اللطيف المكباتى ــ حافظ عفيفى

---

(١) يميز الموقعون على هذا النداء بين المقاومة المصرية للوجود البريطانى من قبل التى رأوها استمراراً لحركة الاستقلال وبين أحداث ١٩٢١ التى اعتبروها انقساما يهدد مصلحة الأمة .

من بعض مؤيدى الوزارة إلى
عظمة السلطان

[١٤٢١] «يا صاحب العظمة

«تكررت المظاهرات هذين اليومين وعمت منها شكوى ذوى الرأى والمصالح الذين يقدرون ما نجم وقد ينجم عنها من سوء المصير .

«ومن المحزن أن من يلجأ من المتظاهرين إلى أساليب العنف والاعتداء إن هم إلا سذج مسخرون لمصادر تعمل على أن تصل إلى أغراضها الذاتية بأى الوسائل فتسير أولئك العوام البسطاء فى طريق الفوضى وجلب المخاطر على القضية الكبرى وهم لا يدركون سوء ما يصنعون .

«ومن الغريب أن قد ازدادت تلك المظاهرات تكراراً وعنفا على أثر المرسوم الكريم الذى أصدرته عظمتكم متضمنا برنامج الوزارة الحالية . ذلك البرنامج الناطق بأن مصدريه مستمسكون بمطالب الأمة عاملون على تحقيقها كاملة .

«وليس فى تلك المظاهر السيئة التى بدت بعد صدور هذا المرسوم إلا دليل حاسم على أن الأغراض الشخصية متحكمة فى نفوس هذا النفر الذى يوجه العامة من مواطنينا هذه الوجهة الخطرة السيئة طمعا فى إسقاط الوزارة لكى تتهيأ لهم فرصة الوصول إلى ما يشتهون ولا شك فى أن حكمة عظمتكم تأبى منعا للفوضى فى المستقبل إسقاط الوزارة لمثل تلك العوامل .

«وتكرموا يا صاحب العظمة بقبول خالص ولائنا» .

الإمضاءات

[١٤٢٢] الدكتور على بك إبراهيم . الدكتور حافظ بك عفيفى . يونس بك صالح المحامى . اسماعيل زهدى المحامى . صادق بك أباظة . عبد اللطيف بك المكباتى عضو الجمعية التشريعية . محمد بك على عضو الجمعية التشريعية . عمر بك عبد الآخر عضو الجمعية التشريعية . إبراهيم بك صالح . ميخائيل جرجس المحامى . محمود نجاتى المحامى . إبراهيم بك الطاهرى عضو مجلس بلدى المنصورة . إبراهيم دسوقى أباظة المحامى .

حامد العلايلى بك . راغب بك وهبة المحامى . محمد محفوظ باشا عضو الجمعية التشريعية . محمد كامل حسين وكيل نقابة المحامين . عبده جوده المحامى . عبد الرحمن بك محمود عضو الجمعية التشريعية . عبد القوى أحمد المهندس . على بك محمود . عبد العزيز زكى المحامى . مدحت بك سامى . عثمان بك سليمان عضو مجلس المديرية . الدكتور أحمد بك سعيد . عبد الجليل أبو سمرة المحامى . السيد بك خشبة عضو مجلس المديرية . إبراهيم الشواربى المحامى . عبد الستار بك الباسل . محمد كامل البندارى المحامى . الدكتور سامى كمال . عبد المجيد إبراهيم المحامى . الدكتور سالم هنداوى . محمد سعيد الجردلى المحامى . أحمد عبدالغفار عضو لجنة الشياخات . عبد الحميد بك أباظة . غضبان فكرين من عربان الرماحة . يس أبو جليل . كامل بك بطرس المحامى . إبراهيم الشواربى الطبيب . عبد الحليم القمحاوى مدرس . زكى فخر الدين تاجر . رضوان مهران . أحمد أبو رحاب . أحمد زارع عطية . محمود أبو جليل من عربان الرماحة . طراف على مهندس . إبراهيم بك صالح . حفنى محمود . عبدالرازق عبد الحق . عبد الرحيم مصطفى . خليل إبراهيم . الدكتور محمد صالح(١) .

٢٣ مايو سـنة ١٩٢١

(١) الملاحظة أن أغلب موقعى هذا الخطاب كانوا من أعضاء حزب الأحرار الدستوريين بعد ذلك .

بلاغ من سكرتارية الوفد المصرى

[١٤٢٣] ولما اطلع الوفد على نداء السبعة الأعضاء المنشقين من الوفد أذاعت سكرتاريته البلاغ الآتى :-

«اطلعنا ببعض الجرائد على نداء من على شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك وأحمد لطفى السيد بك ومحمد محمود باشا ومحمد على بك وعبد اللطيف المكباتى بك والدكتور حافظ عفيفى بك يقولون فيه أنهم أعضاء الوفد المصرى . وهذا غير صحيح لأن الموقعين على هذا النداء قد انفصلوا عن الوفد بعضهم باستعفائه وبعضهم بقرار من الوفد أعلن فى ٢٩ أبريل . وقد سحبت الأمة ثقتها منهم ووكالتهم عنها فلا حق لهم أن يصفوا أنفسهم بتلك الصفة» .

سكرتير الوفد المصرى

مصطفى النحاس

من حافظ عفيفى بك[١] إلى النحاس بك

أحدث هذا البلاغ تأثيراً لدى اعضاء الوفد المنشقين وكان أكثرهم تحمسا فى الرد عليه الدكتور حافظ عفيفى بك وهذا نص خطابه الذى وجهه للنحاس بك سكرتير الوفد وهو :-

«إلى صديقى القديم[٢] مصطفى بك النحاس

[١٤٢٤] «لك أن ترى أننا انفصلنا او استقلنا من الوفد المصرى ولنا أن نتناقش فى صفة الهيئة الباقية بعد انفصالنا وفى سلطتها ولكنى لم أفهم على أى دليل استندت عندما نشرت البارحة فى الجرائد ما يأتى «وقدسحبت الأمة ثقتها منهم ووكالتها عنها» إن كنت تستند على بعض العشرات أو المئات أو الألوف من التلغرافات التى تصلك فى هذا

(١) حافظ عفيفى : طبيب أطفال اشتغل بالسياسة وانضم للوفد ثم انشق عنه - كان وكيلا لحزب الاحرار الدستوريين وعمل سفيرا لمصر فى لندن بين عامى ١٩٣٦ و ١٩٣٨ ورأس الديوان الملكى عام ١٩٥١ .

(٢) الوصف بالصديق القديم ناشئ عن أن الرجلين كانا من مناصرى الحزب الوطنى قبل ثورة ١٩١٩ .

المعنى وهى بصورة واحدة تقريبا من أصوان إلى فاقوس[١] إلى الإسكندرية فأنت تعلم أن مرسلى هذه التلغرافات ليسوا هم كل الأمة .

«على أنى أرجوك أن تترك الأمة الآن حتى يأتى الوقت الذى يباح فيه لى ولك لنقول كل ما نعلم دون أن نشوش على القضية الكبرى وأؤكد لك من الآن أن رأيى سيكون كرأيك فى الوقائع والأشخاص عندئذ - وعندئذ فقط - يمكن أن تحكم الأمة حكمها العادل علىّ وعليك وعلى الجميع .

«أما مجرد الإنتساب الى الوفد دون الاشتراك الفعلى فى السياسة التى يجرى عليها فهذا شرف أتركه إليك والسلام .

دكتور

حافظ عفيفى

القاهرة فى ٢٥ مايو سنة ١٩٢١

الدعوة الوطنية
للنظر فى الحالة الحاضرة

[١٤٢٥] فى يوم ٢١ مايو سنة ١٩٢١ نشرت الصحف دعوة وطنية وقعها سمو الأمير عزيز حسن[٢] وفضيلة الشيخ محمد بخيت[٣] والسيد عبد الحميد البكرى[٤] دعوا فيها إلى اجتماع يعقد بمنزل السيد البكرى فى الساعة الرابعة بعد ظهر ٢٢ مايو سنة ١٩٢١ للنظر فى الحالة الحاضرة التى لا يصح السكوت عليها من سفك الدماء بلا موجب ولا مبرر .

وفى الموعد المحدد اجتمع خلق كثير وفى مقدمتهم الأمير عزيز حسن وابراهيم سعيد باشا وفتح الله بركات باشا وعبد الخالق مدكور باشا ومحمد صدقى باشا والدكتور

(١) أحد بلاد مديرية الشرقية

(٢) احد أمراء الأسرة الحاكمة الذين ناصروا ثورة ١٩١٩ انظر الجزء الثانى ص ٢٨٠ .

(٣) مفتى الديار المصرية بين عامى ١٩١٤ ، ١٩٢١ وكان له موقف مشرف من الثورة ، انظر الجزء الثانى ، صفحات ١٤٦ ، ٢٤٤ ، ٢٨٠ ، ٣٢٧ .

(٤) عبدالحميد البكرى نقيب الأشراف عن دوره فى الثورة . انظر الجزء الثانى صفحات ٢٤٤ ، ٢٨٠ ، ٣٧٠ .

محجوب ثابت وعاطف بك بركات وسلامة بك ميخائيل والأستاذ مكرم عبيد وحسين بك هلال ومحمد بك ابراهيم هلال وعبد المجيد بك الرمالى وإبراهيم بك هلباوى والقمص مرقس سرجيوس والأستاذ أمين عز العرب وطاهر بك اللوزى وبعض المندوبين من طنطا وغير هؤلاء كثيرون .

وبعد ذلك تناقشوا جميعا فى تقديم عريضة لعظمة السلطان فى موضوع الدعوة . وبعد أن اتفقوا على الصيغة تليت على الحاضرين فوجد بعضهم أنها ضعيفة ولم يقروها . ولكن سمو الأمير وبعض الكبراء وقعوها وأعد الآخرون عريضة ثانية ضد الوزارة . وتألف وفد لإيصال العريضة الأولى لعظمة السلطان .

وهذا هو نص القرار وأسماء الذين رفعوه :-

نتيجة الدعوة الوطنية
قرار المجتمعين ورفعه إلى عظمة السلطان(١)

[١٤٢٦] «يا صاحب العظمة

«إنه نظراً لاشتداد الأحوال الحاضرة واستياء الأمة منها بسبب التعدى على أبنائها وإراقة دماء الكثير منهم بلا مبرر سوى إظهار غضبها من جريان الأمور ضد مشيئتها والتصرف فيها رغم إرادتها قد اجتمعنا اليوم وقررنا عرض الحال على عتبات عظمتكم لتنظروا فيها بما يترتب عليه منع التعديات وحقن الدماء واحترام إرادة الأمة وأمن البلاد على مستقبلها ورجوع الراحة والطمأنينة إليها وندعو لكم بدوام العز والتأييد .

«حصل هذا القرار من جمع مكون من خمسة آلاف من العلماء والقسس وذوى الرأى من الأمة بناء على دعوة إلى ذلك نشرت فى الجرائد من حضرة صاحب السمو الأمير عزيز حسن وحضرة صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكرى وحضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت وكان الاجتماع بمنزل سماحة السيد البكرى» ،

عزيز حسن

الأحد ١٤ رمضان سنة ١٣٣٩ الموافق ٢٢ مايو سنة ١٩٢١

(١) حذف هذا العنوان فى أصل المذكرات .

[١٤٢٧] أسماء الذين كلفوا بحمل القرار إلى حضرة صاحب العظمة السلطان :-

السيد عبد الحميد البكرى . الشيخ محمد بخيت . الشيخ محمد شاكر السيد حسين القصبى . القمص لويس غبريال . فتح الله بركات باشا . أحمد شفيق باشا . إبراهيم باشا سعيد . عبد الله باشا وهبى . محمد عاطف بركات بك . حسين بك هلال . إبراهيم راتب بك . عبد المجيد بك الرمالى . عبد المجيد بك رضوان . مراد بك الشريعى . نجيب بك الغرابلى . حنفى بك ناجى . راغب اسكندر . الدكتور محجوب بك ثابت . عبد الغنى بك سليم . محمد بك زكى الشينى . سيد بك الدماطى . محمود بك أبو جازيه . خالد بك مهدى . خليفة بك محمود . أمين بك عز العرب . رياض بك عفيفى . أحمد بك رمزى . علوى بك الجزار . الدكتور عبد الحميد فهمى . محمد أفندى حجازى . عوض الله بك إبراهيم . عبد الرحمن بك جاد الله . محمد بك عز العرب . خليل بك شاهين . محمود أفندى كساب .

حوادث الاسكندرية الداميــة

[١٤٢٨] وفى مساء ٢٢ مايو قام جماعة من المتظاهرين من جهة كوم الشقافة وباب سدره ومشوا فى الشوارع هاتفين وساروا حتى وصلوا إلى مسجد أبى العباس فالتقوا هناك بمظاهرة أخرى ثم سار الجميع متجهين الى أواسط المدينة . وبينما كان الموكب سائراً فى شارع انسطاس ـ وهو شارع يكثر فيه الأجانب ـ إذ حدث تصادم بين المتظاهرين والأجانب تبعه طلقات نارية من الآخرين فأهاج ذلك الجمهور المتظاهر فاستحضر بعضهم مشاعل وبترولاً وأشعلوا النار فى باب منزل كانت قد أطلقت منه عيارات نارية وازدادت الحالة تفاقماً ثم دار الضرب بالعصى والحجارة والمسدسات فسقطت القتلى والجرحى وقد سعى البوليس لمنع الفتنة فلم يستطع ثم اندفع الجمهور المضطرب من الجهات الأخرى وأخذ البعض يقذفون الحجارة على واجهات المخازن والقهاوى منها محل موروم وقهوة النيل وقهوة محمد على والسنترال وغيرها وامتدت روح الفتنة إلى حى الجمرك وأخذ الجمهور الهائج فى الاقتصاص من كل من رأى أنه اعتدى عليه . وقامت عند الأوربيين فكرة المقاومة فكانت ليلة فظيعة لم يذق السكان فيها طعم النوم .

حتى اذا أشرقت شمس يوم ٢٣ مايو كانت روح الفتنة لاتزال مخيمة على المدينة . فظهرت فى الشوارع حركة تدل على الاضطراب «وعندئذ أخذ الأجانب يقفلون محلاتهم ويلوذون بأذيال الفرار إذ أطلق الرصاص فى شارعى المنشية الصغرى والمحافظة وغيرهما من الأجانب على السكندريين» (١) .

إذ قام جمهور من الأجانب بمظاهرة فساروا من شارع انسطاس وما جاوره إلى قسم العطارين وهم يصيحون بنداءات مختلفة وأخذوا يطلقون الرصاص فى الهواء وفى وسط الشوارع ثم تجمهروا أمام المخفر الإنجليزى وطلبوا فى نداءاتهم تدخل الحامية البريطانية [١٤٢٩] لإخماد الهياج وانطلق بعضهم إلى جهات الهماميل واللبان والعطارين وأخذوا يطلقون رصاصهم على السكندريين فانطلق الأهالى يضربون بالعصى والحجارة فسقط كثيرون من القتلى والجرحى .

(١) تم حذف هذه العبارات بعد كتابتها خوفا من أن يؤدى نشرها إلى إثارة الحساسيات .

ولما رأت السلطة المحلية أن ليس فى مكنتها إخماد الحركة طلبت إلى السلطة العسكرية رسمياً المساعدة فوافقت دار الحماية على ذلك وتولى الجنرال بلايك القيادة عند الساعة العاشرة صباحا[1] فوزع الجنود البريطانية فى الشوارع والميادين وجهزهم بالمدافع الرشاشة والسيارات المدرعة ثم أصدر البلاغ الآتى بمنع السكان من المرور فى الشوارع بعد الساعة التاسعة ونصف ليلا وهذا نصه :-

«أنا الموقع اسمى أدناه وليم ألن بلايك كولونل قومندان فرقة الاسكندرية عملا بالسلطة الممنوحة لى بمنشور القائد العام لقوات جلالة الملك فى مصر المؤرخ ١٤ مايو سنة ١٩١٦ [2]وجميع أنواع السلطة التى بيدى آمر بما يأتى :-

١- «من الآن وإلى أن تصدر أوامر أخرى جميع الأشخاص ممنوعون من السير فى الشوارع ضمن منطقة بلدية الإسكندرية بين الساعة ٩ ونصف مساء الى الساعة ٤ صباحاً مالم يكن بيد الشخص إذن بالمرور من مساعد البروفرست مارشال لمدينة الإسكندرية .

٢ - «جميع المحال العمومية والمخازن والمطاعم والقهاوى والبارات وغيرها من محال المرطبات يجب أن تقفل الساعة التاسعة تماماً .

٣ - «كل شخص يأتى بفعل أى شئ يكون مخالفا لمنطوق الفقرتين ١ و ٢ من هذا المنشور يكون قابلا للاعتقال من قبل السلطة العسكرية أو الملكية ويحاكم أمام المحكمة العسكرية أو الجزئية ويحكم عليه بالعقوبات التى تصدرها تلك المحاكم» . [١٤٣٠]

وهكذا باتت المدينة تطوف فى أحيائها الجنود بالسيارات المسلحة ومشياً على الأقدام فلم يقع فى اثناء الليل أى حادثة .

---

(١) انزعجت الدوائر السياسية المصرية كثيرا من إخماد الفتنة على أيدى قوات الجيش البريطانى وطالبت الأهرام بالتحقيق فى سبب عجز قوات البوليس المصرى الموجودة فى الإسكندرية عن ذلك مع العلم أن عدد قوات الجيش البريطانى التى أخمدت الاضطرابات لا يتجاوز ٤/١ عدد قوات الأمن المصرية (الأهرام ٢٦ مايو ١٩٢١ - بلاغ المارشال اللنبى)

(٢) نشر هذا الإعلان فى الصحف يوم ١٨ مايو ١٩١٦ ويتضمن ٢٤ مادة - المواد الست الأولى تحت عنوان محظورات عامة والمواد السبع التالية عنوانها محظورات خاصة بعد ذلك أربع مواد عن «التصرفات المفضية الى مساعدة العدو» وبقية المواد « أحكام شتى» وهى فى عمومها مواد تخول القائد العام سلطات واسعة بما فيها تقديم من يراهم إلى المحاكم العسكرية .

ومما يذكر أن موظفى المحكمة المختلطة خافوا أن يخرجوا من المحكمة بدون حراسة فأرسلت إليهم السلطة العسكرية جنوداً تحرسهم حتى أوصلتهم إلى منازلهم وأقامت حراسا على بعض القنصليات وإدارة التليفون والسكة الحديد وغيرها .

هذا وقد بلغ عدد حوادث إشعال النار فى ليلة ٢٢ مايو المذكورة ١٢ حادثة وقعت بين الساعة العاشرة ليلا والساعة الواحدة بعد منتصف الليل . وبلغ عدد القتلى فى ليلة ٢٢ مايو ونهار ٢٣ منه ٥٨ قتيلا ونيف ومائتين جريحاً [١]

وقد نشرت الحكومة عن طريق ادارة المطبوعات البلاغين الرسميين الآتيين بخصوص هذه الحوادث وهما :-

بلاغ رسمى عن حادثة الإسكندرية[٢]

[١٤٣١] «حدث أمس تصادم خطير بين بعض من رعاع الإفرنج [٣] والوطنيين بحى الهماميل بالإسكندرية ولكن لم تعلم حقيقة السبب فى ذلك وقد تبودلت العيارات النارية وأشعلت النار فى المنازل واشترك البوليس بمساعدة الجيش المصرى فى قمع الاضطراب إلى ساعة متأخرة من الليل أمس . وقد عادت السكينة إلى الحى المذكور فى نحو الساعة الثالثة صباًحا وانتشرت العساكر فى أنحاء الحى المذكور وفى صباح اليوم عاد الاضطراب وفى منتصف الساعة العاشرة تولى قيادة المدينة الكولونيل قومندان القوة البريطانية المعسكرة فى الاسكندرية بناء على طلب حكمدار بوليس المدينة وتبودلت عيارات نارية كثيرة اطلقت اعتباطا بين الأهالى والأوربيين واستمر ذلك إلى أول النهار .والإصابات التى وصلنا بيانها إلى الآن هى ٤٩ جريحا و ٣ قتلى نقلوا إلى المستشفى الأميرى و٢١ جريحا وقتيلان نقلوا إلى المستشفى اليونانى .

(١) استغل البريطانيون هذه الحادثة أسوأ استغلال فى اضعاف مركز المفاوض المصرى فى مفاوضات عدلى - كرزون ولإظهار أن وجودهم هو الذى يحمى مصالح الأجانب فى مصر - وهو استغلال قريب لما حدث فى واقعة مماثلة فى ١١ يونيو ١٨٨٢ التى أدت لاحتلال مصر ، الأمر الذى تنبهت له الصحف المصرية التى أسمت ما حدث بفتنة الإسكندرية (انظر الأهرام ٢٧ مايو ١٩٢١) .

(٢) حذف هذا العنوان فى أصل المذكرات .

(٣) كان من أسماهم البلاغ رعاع الإفرنج ، من اليونانيين والمالطيين وبعض النازحين من شرق أوربا ، السبب الرئيسى وراء هياج السكندريين ، وقد استخدموا الأسلحة النارية فى الاضطرابات الأمر الذى يتضح من زيادة عدد ضحايا المصريين (٤٣ قتيلا ، ١٢٩ جريحا) فى مقابل قلة عدد ضحايا الاوربيين (١٥ قتيل ٦١ جريح) أغلبهم من اليونانيين .

«وأصيب ثلاثة من البوليس إصابة بليغة ولم تصلنا بلاغات عن إصابات أخرى فى البوليس أو الجيش . وقد نهبت بعض المحال وأشعلت النار فى أماكن أخرى من المدينة وخصوصا فى حى الورديان . ثم أخمد بعض تلك النيران قبل الظهر وتغلب على الباقى بعد ذلك . وألقى البوليس القبض على عدد كبير من الناس فى منتصف الساعة الواحدة . وقد قاربت المدينة أن تعود الى حالتها الطبيعية سوى بعض عصابات من الغوغاء الذين لايزالون متظاهرين فى ضواحى المدينة .

٢٣ مايو ١٩٢١ ادارة المطبوعات

بلاغ رسمى عن حوادث الإسكندرية

[١٤٣٢] ٣٠ قتيلا و ١٣٠ جريحا من المصريين

١٤ قتيلا و ٩٦ جريحا من الأوربيين

«أصبحت مدينة الإسكندرية اليوم هادئة ساكنة وفتح كثير من المحال التجارية وأخذت الطمأنينة تعود شيئا فشيئا . والقوة البريطانية تطوف دورياتها فى المدينة وبعضها مرابط فى الشوارع وقد صرفت القوة البريطانية كل يوم أمس فى منع كل شروع فى النهب أو إشعال النار فى الدكاكين والمنازل أو منع فرق الحرائق من القيام بعملها وقد نهبت الدكاكين الأوربية ودمرت وأشعلت النار فى أكثرها ولم ينج من ذلك سوى المحال الواقعة فى الأحياء الراقية .

«أما عدد الإصابات التى وصلنا بيانها فهو من المصريين ٣٠ قتيلا و ١٣٠ جريحا ومن الأوربيين ١٤ قتيلا و ٩٦ جريحا .

«وأما إصابات البوليس والجنود التى وصلنا خبرها فهى إصابة نفر واحد بجرح خطير ونفرين آخرين بجروح بليغة على أثر صدمة سيارة مسلحة» .

إدارة المطبوعات

٢٤ مايو سنة ١٩٢١

بلاغ مدير الأمن العام

وفى ٢٥ مايو أذاع مدير الأمن العام البلاغ الرسمى التالى وهو :-

[١٤٣٣] «لم تحدث اضطرابات أخرى فى الإسكندرية ويجرى تأليف لجنة تحقيق عسكرية ستعقد قريبا للبحث فى الاضطرابات التى حصلت فى المدينة .

«وهذا هو البيان الصحيح لعدد الإصابات :

«٥٨ قتلى منهم ٢٣ من أثر جروح أصابتهم . ومن القتلى ٤٣ مصرى و١٢ يونانى و٣ من الأوربيين . ومجموع عدد الجرحى ٢٠٠ منها ١٢٩ مصرى و ٤٦ يونانى و ١٨ أوربى و ٥ اسرائيلى و ٢ مالطى [١]

«ولم ترد أنباء عن حصول اضطرابات فى الأقاليم» .

٢٥ مايو سنة ١٩٢١

(١) تتفق هذه الأرقام مع ما جاء فى الوثائق البريطانية السرية عن عدد ضحايا أحداث الإسكندرية .

نداء سعد باشا

[١٤٣٤] وما كاد نبأ هذه الحوادث المفجعة يصل الى سمع سعد باشا حتى بادر بإصدار النداء الآتى وهو :-

«بنى وطـنى :

«ملأت حوادث الإسكندرية قلوبنا غما وحزنا فنستمطر سحائب الرحمة على كل من قضى فيها ونستنزل الصبر وجميل العزاء لأهله وذويه ونطلب لجرحاها عاجل الشفاء وطول البقاء كما نرجو أن يعود الأمن لهذه المدينة الزاهرة وأن يسود السلام فى جميع البلاد .

«ومهما يكن من أسباب هذه الفاجعة التى سيكشف التحقيق بالطبع عنها فإنه لا ينبغى أن يستولى الجزع منها على النفوس حتى يخرجها عن قصدها ويثنيها عن اعتدالها فعلينا للأوربيين حرمة يجب رعايتها ولنا منهم مودة ينبغى استدامتها .

«أيها المصريون ، أناشدكم الوطنية الصادقة والإخلاص الصحيح لبلادكم أن تقابلوا هذه الحادثة بما عهد فيكم من الرزانة والسكينة وأن تستمروا فى إكرام ضيوفكم من الأوربيين وفى حسن الرعاية لهم وألا تعتدوا عليهم ولو اعتدوا عليكم فذلك أبقى لمودتهم وأليق بكرم أخلاقكم وأحفظ لقضيتكم العادلة من أن يعوق سيرها عوامل الاضطراب»[١]

سعد زغلول

القاهرة فى ١٦ رمضان سنة ١٣٣٩

٢٤ مايو سنة ١٩٢١

---

(١) لاشك أن سعد زغلول قد انزعج كثيرا من أحداث الاسكندرية وكان يعلم أنها قد تكون سببا فى تأخر القضية الوطنية .

رجـاء إلى الأمـة المصرية بوقف المظاهرات

[١٤٣٥] ولقد هال سعد باشا تلك الحوادث المنكرة وخشى عاقبتها فأذاع على الأمة الرجاء الآتى :-

«باسم الوطن المفدى وباسم الضحايا البريئة التى أسلمت الروح بعزة مرددة اسم الوطن العزيز يتقدم الوفد المصرى إلى الشعب الكريم أن يكظم غيظه الذى استولى عليه بحق وأن يقف إظهار سخطه على الوزارة بالمظاهرات اتقاء لما يرتكبه القساة فيها من الفظائع المفزعة واكتفاء بما أظهرته لغاية الآن من شدة سخط الأمة على الوزارة وبما تدل عليه الرسائل والتلغرافات التى تنهال على كثير من المقامات وبالوفود التى تتوارد من كل الجهات معبرة عن آراء أصحابها وغير ذلك من مظاهر غضب الأمة عليها » .

سعد زغلول

القاهرة فى ١٧ رمضان ١٣٣٩

و ١٧ بشنس ١٦٣٧

و ٢٥ مايو ١٩٢١

«لقد أدت هذه الحوادث المحزنة إلى النتيجة المتوقعة منها وهى تدخل الإنجليز فى الأمر بصورة واضحة جلية بعد أن ظلوا مدة طويلة لا يظهرون فى ميدان السياسة العملية . ظهر تدخلهم هذا فى البلاغ الذى أصدره اللورد اللبنى والذى يعلن فيه إن مسئولية حفظ الأمن والنظام ترجع فى آخر الأمر اليه .

وكان من نتائج هذه الحالة أيضا أن نسمع[١] أحد غلاة الاستعماريين وهو المستر تشرشل على ان يعلن جهرة أن الوقت لم يحن بعد لجلاء الجنود الانجليز عن مصر[٢] .

وهاك بلاغ اللورد اللنبى الذى نشر فى ٢٥ مايو سنة ١٩٢١» [٣] .

(١) حذفت هذه الكلمة وكتب بدلا منها «جنود» .

(٢) من خطبة ألقاها المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية فى جمعية زراع القطن بما نشستر «ان علاقاتنا بمصر يجب أن تتغير وعلينا أن نفرغ كل ما فى طاقتنا ولكن عملنا فى مصر لم ينته ولست أرى ان الزمان حان بعد لجلاء الجيوش البريطانية بينما غوغاء القاهرة والإسكندرية تفتك بالأوربيين والسكان الأجانب وتقوض البناء العظيم الذى قضت الإدارة البريطانية أربعين سنه فى معاناته» ، جريدة مصر ١٨ يونية ١٩٢١ .

(٣) فقرة مضافة بتعليق من قارئ للمذكرات .

بلاغ من اللنبى نائب الملك

[١٤٣٦] وفى يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٢١أصدر اللورد اللنبى البلاغ الآتى بمناسبة حوادث الإسكندرية الدامية وهو :

«جرت حديثا مظاهرات فى مصر والإسكندرية وغيرهما مقترنة بأفعال توجب الأسف من العنف والتعدى وفقد نفوس كثيرة . وهذه المظاهرات هى على ما يقال سياسية فى كنهها وليس من شأنى التعرض لسياسة الأحزاب ولكن المتظاهرين يتسلحون قبل خروجهم فى المظاهرات بأسلحة وقذائف خطرة وذلك يدل على أنهم لا يقصدون أن تكون تلك المظاهرات سلمية .

«كانت عادتى على الدوام أن أجعل مداخلتى فى حفظ القانون والنظام أقل ما فى الإمكان وأنا فى هذه الأزمة العظيمة الشأن فى تاريخ مصر أروم بكل جهدى أن أحافظ على عادتى هذه ولكن فى آخر الأمر مسئولية حفظ القانون والنظام واقعة علىّ وواجبات ذلك منوطة بى .

«لقد كانت سياسة حكومة جلالة الملك التى جريت عليها ولم أحد عنها بصفة كونى معتمداً سياسياً لجلالته سياسة الصداقة . وقد اتخذت حكومة جلالته التدابير اللازمة حتى عرفت الأمور التى يتظلم منها الشعب المصرى تمام المعرفة وهى ساعية الآن فى إزالة أسباب ذلك التظلم وعليه دعت عظمة السلطان لكى يعين وفداً يفاوضها قصد الوصول إلى حل مرضٍ للمشاكل التى بين البلادين [١] ولم تحصر مواضيع البحث والمناقشة وإنما صرحت بأن الغاية الخصوصية المقصودة من المفاوضات هى جعل إلغاء الحماية البريطانية على مصر أمراً ممكناً ولا يمكنها قبل المفاوضة أن تتساهل وتمنح أمراً [١٤٣٧] آخر غير ذلك ولكنها لاتقيد بوجه من الوجوه حرية الذين عينهم عظمة السلطان بناء على مشورة رئيس وزرائه لكى يفاوضوها بشأن مصر .

«فحكومة جلالة الملك مدت يد المصالحة والمصادقة إلى مصر وهى تنتظر الآن جواب مصر . أما أنا فلم أقدم فى ذلك نصيحة ولا مشورة ولا أقصد الآن أن أقدم نصيحة ولا مشورة غير أنى أحب مصلحة هذه البلاد من صميم فؤادى وأحذو حذو المعتمدين

(١) كتبت فى البلاغ الذى ظهر فى الصحف « البلدين »

البريطانيين السابقين الذين سعوا فى المرحلات الأولى من مراحل تقدم مصر السريع . أن يرقوها فى التقدم والنجاح وأن يقدموا ذلك على كل ما سواه وعليه لا يسعنى إلا أن أعرب عن رجائى بأن المصريين يتبصرون فى هذه الأزمة فى حقائق الأمور ويتبعون مقتضى الدواعى الوطنية السامية فيقدرون إخلاص سياسة الصداقة التى أنا ممثل لها حق قدره ويسيرون فى معاملتهم بعضهم لبعض فى سبيل السلام والمصالحة»(١)

٢٥ مايو سنة ١٩٢١

رد الوفد المصرى على بلاغ اللورد اللنبى

ولم يكد الوفد يطلع على بلاغ اللورد اللنبى حتى بادر بالرد عليه وهذا هو نص ذلك الرد :-

جواب مصــــر

[١٤٣٨] «اطلع الوفد المصرى على بلاغ فخامة اللورد اللنبى ويرحب كل الترحيب بما جاء فيه من حرص فخامته على سياسة الصداقة للأمة المصرية والتصريح بعدم حصر مواضيع البحث فى المفاوضات وعدم تقيد المفاوضين المصريين فيها بوجه من الوجوه ويشكره جميل الشكر على الرغبة التى أبداها فى الاتفاق والوئام .

«ويسره أن يؤكد لفخامته أن الأمة المصرية تتقبل يد المصالحة والمصادقة التى مدتها إليها حكومة جلالة الملك بالشكر والامتنان وترغب شديد الرغبة فى عقد اتفاق معها يتأسس على العدالة واحترام الحقوق . وإن اهتمامها بالوصول إلى هذا الاتفاق هو الذى جعلها تهتم غاية الاهتمام باختيار المفاوضين الذين ينوبون عنها فى المفاوضات الرسمية من أهل ثقتها . وهى متحدة الكلمة فى هذا الخصوص ولا انقسام يعتد به بين

---

(١) علقت الأهرام على هذا البيان بأن اللورد يعنى أنه لا يتدخل بين الأحزاب من الوجهة السياسية ولكنه يقوم بواجباته فى حفظ النظام اذا اختل ، غير انها لم تأخذ بقوله انه لم يتدخل فى مسألة تعيين المفاوضين أو فى برنامج عملهم وأن ذلك تم بطريق دستورى وإن اتفقت معه فى قوله أنه يبذل النصيحة بصفته محب لمصلحة البلاد (الأهرام فى ٢٦ مايو ١٩٢١) .

أفرادها وإنما الخلاف بينها وبين الوزارة وهو مع شديد الأسف خلاف لا يمكن الاتفاق فيه لبنائه على عدم ثقة الأمة بها ولا يحسمه إلا استقالة الوزارة أو انتخاب جمعية وطنية على القواعد الدستورية لتبت رأيها فيما يختص بالمفاوضات ونتائجها .

«أما المظاهرات فالوفد أول الآسفين على ما حدث فيها من التعديات ويلاحظ أنها مع تجرد الأهالى من الأسلحة النارية وغيرها لم تأخذ الشكل الذى أشار إليه فخامته إلا بسبب تدخل البوليس واستعمال الشدة البالغة لقمعها وإلا فإنها كانت قبل هذا التدخل بريئة وغاية فى السلام .

[١٤٣٩] «كما أنه يمقت كل المقت المعتدين فى حوادث الإسكندرية أياً كانوا ويستنكر مجموع ما وقع فيها ويستغرب كل الاستغراب لحدوثها فى هذه المدينة فى الأوقات التى كان المتظاهرون فيها وفى جميع البلاد يهتفون للأجانب والأجانب يحيونهم ، ويشتركون معهم فى الهتاف ولهذا فإنه قوى الرجاء فى أن هذه الحوادث التى لم تكن لها صفة سياسية لا تؤثر شيئا فى علائق الود والاحترام السائدة بين المصريين والنزلاء من قديم الزمان والتى يعمل على توكيدها العقلاء من الطرفين فى جميع الأوقات»(١) .

رئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

القاهرة فى ١٨ رمضان سنة ١٣٣٩

١٨ بشنس سنة ١٦٣٧

٢٦ مايو سنة ١٩٢١

(١) حرص الوفد على ان ينفى عن المظاهرات التى اتسمت بطابع العنف صفة الوطنية وأن اغلبها تألف من « مساحى الأحذية والعاطلين والرعاع» الذين يحملون العصى الغليظة والأحجار والزجاجات المحشوة بالرمل (الأهرام فى ٣١ مايو ١٩٢١)

رسالة لجنة الوفد المركزية للسيدات
إلى معتمدى الدول بمصر
بشأن حوادث الاسكندرية

[١٤٤٠] تألمت الأمة المصرية كلها لتلك الفتنة التى وقعت بمدينة الإسكندرية التى ترتب عليها إزهاق أرواح كثيرة عزيزة من المصريين والأجانب ولكن الجرائد الأوربية عظمت الحوادث وهولت فيها فأحدث ذلك أثراً سيئاً لدى الأوربيين . ولقد قرأ الناس ضمن ما قرأوا فى تلك الجرائد الأجنبية أن قناصل الدول الأوربية الموجودين بمصر قد أبرقوا إلى حكوماتهم يطلبون منها حماية فعالة وإجراء عمل حاسم فى هذا الشأن . فدفعت تلك الأخبار لجنة الوفد للسيدات إلى رفع الكتاب الآتى الى وكلاء الدول السياسيين بمصر محرراً باللغة الفرنسية وهذا هو تعريبه :-

«جناب ....

«بصفة كونى الرئيسة للجنة الوفد المركزية للسيدات أتقدم باسمى واسم بنات وطنى معربة لجنابكم عن الأسف الشديد الذى أحدثه لنا الخبر المنشور فى جريدة «الجور نال دى كير»[1] وغيرها من الجرائد الأوربية بمناسبة الحوادث التى يؤسف لها التى وقعت بالإسكندرية فى هذه الأيام الأخيرة . ومفاد ذلك الخبر أن «القناصل قد أبرقوا الى حكوماتهم يطلعونها على الحالة ويطلبون حماية فعالة» .

«وأنه ليصعب علينا تصديق مثل هذا المسعى من جنابكم إذ ليس حتى الآن ما يبرر ذلك التخوف . نعم أنه يسر بعض الصحف منذ مدة أن تزيد الحالة خطورة بموقفها موقف العداء إزاء حركتنا ونحن نجهل أسباب ذلك .

[١٤٤١] «وعليه فنحن نرجو منكم يا جناب المعتمد إذا صح ظننا أن تكذبوا تلك الإشاعات الكاذبة التى لا ينجم عنها إلا تجريح حالة شعب منكود الحظ وذلك بأن تنسب اليه غلطات لم يرتكبها وبأن يثار ضده الرأى العام .

(١) صحيفة يومية ، كان صدورها بانتظام فى القاهرة ابتداء من ٤ يناير ١٩٠٢ ، كان مديرها راؤول كانيفيه ، ويعاونه فى تحريرها جورج ڤاياسييه مدير وكالة هاڤاس فى مصر ، كانت تصدر فى أربع صفحات من القطع الكبير . محمود نجيب أبو الليل الإحتلال البريطانى والصحف الفرنسية من سنة ١٨٨٢ حتى سنة ١٩٠٤ ، ط١ ، ١٩٥٣م ص٣١١

«وإذا كنتم قد هالتكم الإشاعات التى لا يفتأ أعداؤنا عن إذاعتها علينا بجميع الطرق مشوهين الحقيقة حسب رغباتهم فحملكم ذلك على القيام بذلك المسعى الضار بقضيتنا والذى لم نستحقه فأننا نستنجد بعدلكم وإنصافكم لتطلعوا حكوماتكم على الحقيقة الناصعة عند ما تثبت مسئولية تلك الحوادث .

«وإننا لنكون ممتنات لجنابكم لو أبلغتم حكومتكم أن الشعب المصرى الذى يقدس حقوق الضيافة والذى اكتسب عطف مواطنيكم وإعجابهم فى أحرج وأشد أطوار أزمته السياسية إن ذلك الشعب يدرك ما أمامه من المسئوليات والحقوق وسيظل جديرا بتلك العواطف حتى النهاية .

«وتفضلوا يا جناب المعتمد ..... الخ » ،

هدى شعراوى (١)

الاعتداء على بدر الدين بك
مراقب الأمن العام

[١٤٤٢] فى أول يونية سنة ١٩٢١ حوالى منتصف الليل حدث أن حضرة محمد بك بدر الدين مراقب قسم الجنايات بإدارة الأمن العام اجتاز شارع الملك الناصر من شارع خيرت قاصدا منزله فى شارع الدواوين . فلما قرب من باب المنزل إذا بشخص يلبس بذلة من النوع الكاكى أطلق عليه رصاصة من مسدس على مسافة قريبة فأصابت الرداء الخارجى ومرت من فوق الملابس ولم تحدث أثراً يذكر(٢) .

وقد استنجد بدر الدين بك بخدمه وخدم المنازل المجاورة ليدركوا الجانى ولكن عبثا حاولوا .

---

(١) رائدة الحركة النسائية فى مصر ، بنت محمد سلطان باشا رئيس اول مجلس نيابى فى مصر وزوجة على باشا شعراوى عضو الجمعية التشريعية - قادت المظاهرات النسائية فى ثورة ١٩١٩ وهى سافرة فكانت اول مصرية مسلمة ترفع الحجاب ، الفت عام ١٩٢٣ جمعية الاتحاد النسائى .

(٢) زادت خلال هذه الفترة حملة الاغتيالات ضد الموظفين والعسكريين البريطانيين فضلا عن المصريين المتعاونين معهم .

نداء سعد زغلول باشا للأمة

بمناسبة عيد الفطر المبارك

[١٤٤٣] كان يوم ٧ يونيه سنة ١٩٢١ موافقاً لأول أيام عيد الفطر المبارك وفيه أذاع سعد باشا زغلول نداءه الآتى بمناسبة هذا العيد وهو :-

«كنت أود أن يكون أول عيد أعيده فيكم بعد طول غيبتى عنكم عيد الهدوء والصفاء إن لم يكن عيد الحرية والاستقلال . ولكن أتى القدر بغير المراد . وأبت سياسة الوزارة الا أن تكون البلاد فى حزن وحداد . إذ فقد الكثير من العائلات فتيانا فى عنفوان الشباب لغير ذنب جنوه سوى التظاهر بشعورهم الوطنى . وزادت حوادث الإسكندرية هول المصاب ففاضت عدة أرواح طاهرة من الأجانب والوطنيين . وسال كثير من الدماء الذكية وأوذيت الحرية فى أغلب مظاهرها . فعم الكدر جميع الأنحاء . ولم يبق إلا تبادل عبارات العزاء .

«ولهذا أتقدم إلى جميع سكان القطر بلا استثناء بعبارات التعزية الخالصة ، على هذه المصائب الفادحة . وأضرع إلى الله سبحانه وتعالى بحرمة شهر الصوم المبارك . وببركة هذا العيد المجيد ، أن يحفظ الوطن من شر الدسائس والفتن . ومن خطر الثقة المختلسة والاعتماد المغصوب . وأن يقوى بالمصائب قلوبنا ، ويشد بالاتحاد أزرنا . وأن يبارك فى جهودنا ، وينير الطريق أمامنا . ويبلغنا فى القريب العاجل آمالنا إنه على ما يشاء قدير» .

سعد زغلول

رد الوزارة على نداء سعد باشا زغلول

وما كادت الوزارة تطلع على نداء سعد باشا حتى بادرت بإذاعة البلاغ الرسمى الآتى وهو :-

بلاغ رسمـــى

[١٤٤٤] نشر صاحب المعالى سعد زغلول باشا فى الصحف نداءً أقل ما يوصف به أنه مهيج للخواطر مثير للعواطف . ولقد جرى فى هذا النداء على تغرير الرأى العام والتضليل به فسمى حفظ النظام اعتداء[١] للحرية فى مظاهرها واعتبر المظاهرات المصطنعة ترجمانا لمشاعر الأمة . وألقى على الحكومة مسئولية الحوادث التى أدت اليها تلك المظاهرات فى حين أن هذه المسئولية يجب أن تتحملها سياسة خدمة الأغراض الشخصية على حساب مصلحة البلاد .

«وإن الحكومة مع الإعراب عن أسفها الشديد على ما وقع من الحوادث المؤلمة التى أدت اليها هذه السياسة تنبه الجمهور إلى الاحتراس من تصديق هذه الأقاويل وتدعو الأمة إلى الاستمرار على سلوك سبيل الحكمة والرشاد بالتزامها خطة الهدوء والسكينة فتسهل بذلك على الحكومة مهمتها فى تحقيق الأمانى القومية» ،

٧ يونيه سنة ١٩٢١

(١) فى الاصل مكتوبة ايذاء للحرية وهى الاكثر صحة حسب النص الذى نشر فى الصحف .

الثقة بوزارة عدلى باشا وبلاغ سعد باشا

كانت الجرائد المصرية المعتدلة والمؤيدة للحكومة(١) تطلع على الناس فى كل يوم [١٤٤٥] بعرائض موقعة من بعض الكبراء والعامة بالثقة بالوزارة واستنكار حوادث المظاهرات والمشاغبات الأخيرة . كما كانت تنشر أخبار الوفود الآتية من المديريات والمحافظات لتأييد الوزارة فى موقفها ورفع عرائض الثقة إليها .

وكانت الصحف الموالية للوفد تفيض أنهرها كذلك بأخبار الوفود التى تأتى لإعلان ثقتها بالوفد ورئيسه وتأييده فى خطته كما كانت كذلك مملوءة بتلغرافات الثقة بالوفد وعرائض الاحتجاج على الوزارة .

ولكن سعد باشا بقدر ما سره من إظهار الثقة به كان غير مرتاح لإعلان الثقة بالوزارة . ولذلك أذاع البلاغ الآتى :-

بلاغ من سعد زغلول باشا(٢)

[١٤٤٦] «فى كل يوم يردنا من جهات القطر المختلفة كثير من الرسائل والتلغرافات المملوءة احتجاجات شديدة ضد أعمال الإدارة لأنهم يسعون فى حمل الناس بوسائل مختلفة من قهرية واحتيالية على إمضاء وثائق الثقة بالوزارة الحاضرة . وإنا نحمد الله على هذه الاحتجاجات وعلى عدم انصياع الأكثرين لهذه الوسائل لأن فى هذا دلالة قاطعة على أن فى البلاد روحاً قوية تأبى أن تخضع للقوة فيما خالف الحق وتترفع عن أن تكون آلة فى أيدى الحكام يديرونها كيف يشاءون وعلى أن الأمة تضن بثقتها على من لم تعرف فيهم الصراحة فى القول والإخلاص فى العمل . وننصح للوزارة وعمالها بالإقلاع عن هذه الوسائل المعيبة التى صرف الاشتغال بها الموظفين عن أعمال وظائفهم وقد يترتب

---

(١) نلاحظ هنا أن عبد الرحمن فهمى عندما يصف الصحف الموالية للحكومة بأنها معتدلة مما يعنى ضمناً اتهامه للصحف المؤيدة للوفد بأنها متطرفة - ومثل هذه التعليقات التى أضافها صاحب المذكرات للوثائق تكشف عن تغير فى موقفه بحكم ان كل تلك الأحداث لم يشارك فيها نتيجة لسجنه الا بالتعليق ، وهى تعليقات وضعها وقت كتابة المذكرات فى فترة اعتزاله السياسة بعد خلافه مع سعد عام ١٩٢٦ وحتى ١٩٣٦ ، انظر مقدمة الجزء الأول .

(٢) حذف هذا العنوان فى أصل المذكرات .

عليها الإخلال بالنظام العام . وإن نجحت لا قدر الله تسئ سمعة البلاد وتظهرها بمظهر الضعف والاستسلام وتقيم حجة عليها بأنها غير جديرة بالاستقلال . كما ننصح الأمة لهذا السبب عينه أن تستمر فى احتجاجها على هذه الإجراءات ومقاومتها بجميع طرق الدفاع المشروعة وأن ترفع ما يقع منها تحت طائلة العقاب الى القضاء فإن فى مصر قضاة وفيها محامون يدافعون عن حق الضعيف . ولا شك فى أن الأمة ستنزل ثقتها ممن يظاهرون عمال الإدارة فى صنعهم ولا تنتخبهم لأى هيئة نيابية تنظر فى أى شأن من شئونها حتى لا يتولى تدبير أمورها غير المخلصين»

رئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

يونيه سنة ١٩٢١

تصريح المستر تشرشل والاحتجاج عليه

[١٤٤٧] المستر تشرشل وزير المستعمرات الإنجليزية هو من متطرفى المستعمرين من الإنجليز وهو صاحب «الدائرة المرنة» التى أعلنها فى تصريحه يوم تسلم مقاليد الحكم فى وزارته .

انتهز جنابه الحادثة المحلية التى وقعت فى مدينة الإسكندرية فسولت له نفسه أن يعلن رأيه الخطر فى احتلال مصر وهو أن الوقت لم يحن بعد لجلاء الجيوش الإنجليزية عن مصر . ولقد كان فى تسرعه بهذا الحكم ما أدهش الانكليز أنفسهم قبل المصريين ففى الوقت الذى تكرر فيه الحكومة الإنجليزية أنها مستعدة لأن تمد إلى مصر يد الصداقة والاتفاق . وفى الوقت الذى تتأهب فيه الوزارة المصرية لإجراء هذا الإتفاق الذى يحقق لمصر استقلالها ولإنجلترا مصالحها الخاصة على حد تعبير الجانبين المصرى والإنجليزى وفى الوقت الذى ابتدأ فيه المصريون يحسنون الظن بنوايا الإنجليز يصرح المستر تشرشل بهذا التصريح الذى لاشك أنه يزعزع ثقة المصريين ويجعلهم ينأون عن سماع صوت البريطانيين بالدعوة الى المصالحة والمصافحة .

«وما أن علم المصريون»(١) بأمر هذا التصريح حتى هبوا جميعا للاحتجاج عليه لا فرق فى ذلك بين الأحزاب والهيئات المصرية على اختلاف أهوائها ومنازعها إذ وقت الخطر تتضافر القوى وتتناسى الأحقاد والشهوات .

واليك بعض الاحتجاجات الهامة وهى :-

احتجاج رئيس الوفد المصرى على تصريح المستر تشرشل

[١٤٤٨] «جناب المستر لو يد جورج رئيس الوزارة البريطانية

بلندن

«بإسم الشعب المصرى انهض محتجاً بكل قوة على ما جاء فى خطبة المستر تشرشل وزير المستعمرات الإنكليزية(٢) من أنه لا يرى الوقت قد حان لجلاء الجنود

(١) وردت هذه العبارة فى أصل المذكرات «ولم يكد المصريون يعلمون) ثم عدلت .

(٢) وهى الخطبة التى ألقاها فى ما نشستر فى جمعية زراعة القطن البريطانية British cotton growing Association

البريطانية عن مصر إذ ليس من الكرم ولا من العدل أن تُتخذ حوادث الإسكندرية حتى قبل ظهور نتائج التحقيق فيها فرصة للقضاء على شعب بتمامه تبريراً للأغراض الاستعمارية فقد وقعت هذه الحوادث بغتة ولم تتجاوز بعض الأحياء فى المدينة فى حين أن الأجانب فى سائر جهات القطر لم ينقطعوا لحظة واحدة عن التمتع بلطف جميع المصريين وحسن مودتهم .

«صرح المندوب السامى هنا بأن المفاوضات بين الأمتين ستكون حرة بقصد تأسيس علاقة الود المتينة بين الأمتين فما جاء فى خطبة المستر تشرشل بعد هذا التصريح إنما يكشف القناع عما ترمى إليه سياسة الوزارة الإنجليزية بهذه المفاوضات .

«إن مصر تريد استقلالها التام مع المحافظة على مصالح الأجانب المشروعة معتمدة على حقها الثابت وعلى الوعود البريطانية التى تكررت على رؤوس الأشهاد»

رئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

القاهرة فى ١٠ يونية سنة ١٩٢١

احتجاج بعض أعضاء الوفد المنشقين على تصريح المستر تشرشل[1]

[١٤٤٩] «جناب المستر لويد جورج

«بينما تمد الأمة المصرية يدها لتصافح يد الصداقة التى مدتها لها الأمة البريطانية وقف المستر تشرشل يصرح

«بأن أعمال الانجليز فى مصر لم تنته وبأنه لايرى أن الوقت قد حان بعد لسحب الجيوش البريطانية فقد يحدث بعد ذلك أن يتخلص رعاع القاهرة والإسكندرية من الجالية الأوربية الأجنبية فى الحال ويقوضون الصرح العظيم والعمل الكبير الذى مضت الإدارة البريطانية أربعين عاما فى تشييده» .

(١) يبدو أن الموقعين على هذا الاحتجاج تخوفوا من أن أى موقف متخاذل من خطبة وزير المستعمرات الاستفزازية قد تضعف من موقعهم .

«وإن أول ما يتبادر للأذهان من هذا التصريح هو أن وزير المستعمرات قد اتخذ حادثة الإسكندرية التى أسف المصريون لوقوعها والتى لا تزال موضوع التحقيق ذريعة للتردد فى حل المسألة المصرية حلا مرضيا . على أن المعروف الى الآن كما ذكرته جريدة التيمس أن سبب هذه الحادثة المؤلمة انما هو الاعتداء من الأجانب على المصريين .

«فإذا كان المستر تشرشل يعبر برأيه هذا عن رأى الحكومة البريطانية فلا جرم أن يقابل هذا التصريح من جانب الأمة المصرية بالاستياء الشديد .

«إن مصر ترفض بتاتا كل اتفاق يمس باستقلالها ويعرض شئونها إلى أية مراقبة أجنبية فهى إذن لا تقبل تدخل أيه قوة بريطانية فى أمور حفظ النظام .

«فنحن نحتج على هذا التصريح الذى نعتبر الإصرار عليه عقبة كؤودا فى سبيل [١٤٥٠] التفاهم بين البلدين ونعلن أن مصر المستقلة قادرة تمام القدرة على التفرد بالمحافظة على النظام وحسن رعاية النزلاء الأجانب الذين سيلاقون من إكرامها أكثر مما لاقوه فى الماضى» .

على شعراوى ، عبد العزيز فهمى ، أحمد لطفى السيد ، حافظ عفيفى ، عبداللطيف المكباتى ، محمد على .

١٠ يونية سنة ١٩٢١

احتجاج رئيس الوزراء

احتجاج عدلى باشا على تصريح تشرشل[١]

بلاغ رســـمى

[١٤٥١] «زار أمس حضرة صاحب الدولة عدلى يكن باشا رئيس مجلس الوزراء فخامة المندوب السامى وقدم له كتابا ضمنه استياء حكومة عظمة السلطان والرأى العام المصرى من التصريحات التى وردت على لسان المستر تشرشل عن مصر فى خطابه الذى ألقاه فى منشستر .

«وقد قرر دولته فى ذلك الكتاب أن رأيه[٢] هو بلا نزاع رأى شخصى لأحد رجال الحكومة الإنجليزية ليس من شأنه أن يؤثر على نتيجة المفاوضات التى تنوى الوزارة أن تتمسك فيها بالمطالب القومية وأن تدافع عنها بحرية تامة . ثم احتج فيه على ما ذهب إليه المستر تشرشل من أنه إذا سحبت الجنود البريطانية أتت غوغاء مصر والإسكندرية على الجاليات الأوربية كما أعلن يقينه بأن مصر المستقلة الصديقة لبريطانيا العظمى خير من يوفر للقطر أسباب النظام والأمن والرفاهية وخير من يحافظ على مصالح بريطانيا الخاصة ومصالح الجاليات الأوربية على العموم» .

١٣ يونيه سنة ١٩٢١

احتجاج رجال الدين على تصريح تشرشل

[١٤٥٢] «دهشنا من تصريح جناب وزير المستعمرات الإنجليزية المتضمن أنه لايرى أن الوقت قد حان لجلاء الجيوش الانكليزية عن مصر حرصا على حياة الجاليات الأوربية من رعاع المصريين إلى آخر ما جاء به مما هو بعيد عن حقيقة الواقع .

«فنحتج بكل شدة على هذا التصريح الماس بكرامة الأمة التى شهدت لها هذه الجاليات نفسها بوداعة أخلاقها وحسن رعايتها لضيوفها واستعدادها التام لأن تحكم نفسها بنفسها .

---

(١) حذف هذالعنوان فى أصل المذكرات .

(٢) حذف صاحب المذكرات هذه الكلمة وكتب فوقها (رأيًا) .

«ونرى أن هذا التصريح سواء عَبّر به جناب وزير المستعمرات الانجليزية عن رأيه الشخصى أو عن رأى حكومته فإنه يتنافى كل المنافاة مع ما جهرت به الحكومة الانجليزية أمام العالم أجمع من أنها تريد أن تتفق مع المصريين اتفاقا يضمن دوام علاقات الصفاء بين الأمتين المصرية والإنجليزية»

محمد بخيت مفتى الديار المصرية

عبد الحميد البكرى . محمد هلال الابيارى

عبد ربه مفتاح

١٤ يونيه سنة ١٩٢١

احتجاج نقابة المحامين على تشرشل

[١٤٥٣] «المستر لو يد جورج بلندن

«أتشرف بتبليغكم قرار مجلس نقابة المحامين :-

«الاحتلال الإنجليزى بمصر مؤقت وليس له صفة شرعية وقد اعترفت بذلك الحكومة البريطانية مرات عديدة ووعد وزراؤها بسحب الجنود غير مرة .

«ومصر أصبحت مستقلة دوليا بعد انتهاء علاقاتها السياسية بتركيا كما أن الحماية التى أعلنتها إنجلترا عليها من تلقاء نفسها باطلة .

«وبعد أن طلب الوفد المصرى الاعتراف باستقلال بلاده طلبت إنكلترا من عظمة السلطان ندب مفوضين ليضعوا أساس ذلك الاستقلال .

«وبما أن حكومة جلالة الملك لم تقدم على هذه المفاوضة ولم تعلن استعدادها لإلغاء الحماية إلا وهى عالمة بأحوال مصر التى خبرتها من أربعين سنة مضت .

«فمن غير المفهوم أن ينتهز أحد وزرائها المسئولين فرصة حادثة مشئومة يقع أمثالها فى جميع انحاء العالم المتمدين وعلى الخصوص فى الموانى المحتشدة بمختلف الأجناس لم يتعد أثرها بعض انحاء مدينة واحدة من مدن القطر المصرى حيث توجد الأجانب منتشرة مطمئنة فى أبعد نواحيه - ليقول إن وقت خروج الجنود الانكليزية لم

يحن بعد وأن فى سحبها خطر على الأجانب وعلى الإصلاحات الإنجليزية . لهذا يحتج مجلس النقابة بكل قوته على هذه التصريحات التى من شأنها أن تزيد حرج المركز وتعرقل الاتفاق بالشكوك التى تبرزها حول المفاوضات المزمعة»

النقيب

مرقس حنا

٢٠ يونية سنة ١٩٢١

احتجاج مصر على تصريح تشرشل

[١٤٥٤] لم تكد التلغرافات تروى نبأ تصريح المستر تشرشل حتى هب على الفور سمو الأمير عزيز حسن يدعو المصريين جميعا إلى عقد اجتماع بمنزل السيد عبد الحميد البكرى للاحتجاج على تصريح تشرشل وهذا نص دعوته :-

«مواطنى الأعزاء

«روت التلغرافات[١] أن جناب وزير المستعمرات الإنجليزية صرح فى خطاب ألقاه بأنه لايرى الوقت قد حان لجلاء الجيوش البريطانية عن مصر خشية أن يبيد الرعاع فى القاهرة والإسكندرية الجاليات الأجنبية وأن ينهار بناء الاصلاحات التى تمت على يد الإدارة الانجليزية فى مصر وإننا مع التحفظ فى صحة ما ورد به التلغراف من باب الاحتياط نقول ان هذه تهمة لاتليق بكرامتنا . وتوجيهها إلى أمتنا اعتساف واضح خصوصاً قبل إعلان نتيجة التحقيق الجارى بالاسكندرية عن حوادثها وبعد الدعوة للمفاوضات فى تصريح جناب المندوب السامى هنا بأنها ستكون حرة . فلذا رأيت من الضرورى أن يجتمع كل غيور على مصلحة بلاده للاحتجاج على ما ذكر .

«ولهذا أدعو كل مصرى بلا فرق بين الأحزاب المنتمى اليها أن يتفضل بالحضور إلى سراى سماحة السيد عبد الحميد البكرى بالخرنفش[٢] فى الساعة الخامسة

(١) جاءت هذه التلغرافات نقلا عن وكالة رويتر الإنجليزية .

(٢) أحد أحياء القاهرة القديمة .

والنصف من بعد ظهر يوم الثلاثاء ١٤ يونيه سنة ١٩٢١ لإمضاء الاحتجاج على ما جاء به ذلك التلغراف حفظا لحقوق البلاد»

عزيز حسن

[١٤٥٥] وفى الميعاد المذكور توافد على دار السيد عبد الحميد البكرى جمهور عظيم من الأمة حتى اكتظ بهم المكان المعد للاجتماع .

وكان الحاضرون يمثلون طبقات مختلفة من الأمة مابين محامين وأطباء ومهندسين ومعلمين وعلماء وطلبة وموظفين وتجار وصناع وغيرهم وقد بلغوا فى مجموعهم نحو أربعة آلاف[١] نفس . فى مقدمتهم كثيرون من العظماء والأعيان والأدباء .

وقبيل الساعة الخامسة أقبل سعد باشا زغلول مع بعض أعضاء الوفد فعلا الهتاف بحياته ودام طويلا . وبعد أن استراح قليلا ذهب إلى حيث أعد مكان الخطابة ومعه سمو الأمير عزيز حسن فتكرر الهتاف ثانيا له ولسمو الأمير .

وبعد ذلك وقف الأمير عزيز وخاطب الحاضرين قائلا :-

«أشكركم كثيرا على اجابتكم دعوتى واقول لكم أن سعد باشا الذى هو وحده وكيل الأمة ورئيس وفدها سيلقى عليكم كلمة بشأن تصريح المستر تشرشل وأكرر لكم الشكر على تلبية الدعوة»

فصفق الحاضرون كثيراً وقام سعد باشا بين الهتاف المتواصل وألقى الخطبة الآتية :-

خطبة سعد زغلول باشا

«حضرات السادة . إخوانى الكرام . أبنائى الأعزاء :

«لقد اجتمعنا هذا اليوم بناء على دعوة الأمير الجليل عزيز باشا حسن للنظر فى الاحتجاج على ما جاء بخطبة المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية .

(١) فى التقرير الذى وضعه المندوب السامى عن هذا الاجتماع يوافق على ان العدد بلغ أربعة آلاف ، ويصف الخطبة بأنها كانت عنيفة ومشبعة بروح العداء لبريطانيا/ F. O. 407 / 189 No. 192 Allenby to Curzon June 18/ 1921

«تعلمون جميعا أن السياسة الإنجليزية سياسة استعمار وهى ترمى منذ مئات من السنين إلى الاستيلاء على مصر فقد حاولت هذه السياسة منذ الحملة الفرنسية أن تمحو النفوذ الاجنبى من مصر وأى نفوذ كان غير إنجليزى . حاولت هذا وتمكنت من إجلاء الجنود الفرنسية عن مصر ثم إخذت بعد ذلك تعاكس محمد على الكبير فى سياسته التى كانت ترمى إلى جعل مصر أمة قوية مستقلة حاولت فى معاكسته محاولة طويلة . [١٤٥٦] وبعد ذلك أخذت تتدخل فى أمور مصر المالية وحاولت أن تستبد بها . ثم انتهزت بعد ذلك فرصة الثورة العرابية التى كانت هى وتداخل انكلترا فى شئون مصر من أسباب الاحتلال وكان هذا الاحتلال مؤقتا .

«قالت إنه مؤقت ولكن لم تكن لتقول ذلك إلا تخديرا للأعصاب وتطميناً للنفوس ولكنها كانت تكن الاستيلاء الحقيقى .

«كانت تقول أنها تريد أن تتدرج بنا فى سبيل الحكم الذاتى ولكننا فى الواقع كنا نتأخر عن هذا الحكم الذاتى وكانت الأنظمة ترمى إلى تقهقرنا يوماً فيوماً حتى إنكم إذا قارنتم بين مشروع اللورد دوفرين[1] الذى وضعه حينذاك والتعديلات التى أدخلت عليه ترون أننا كنا نتأخر إلى الوراء .

«إذا قارنتم بين ما وضعه اللورد دوفرين وبين ما عدل به فيما بعد لوجدتم أننا كنا نتدرج للحكم الأجنبى .

«سار بنا الاحتلال على هذا المنوال إلى أن أعلنت الحرب فانتهزتها انجلترا ووضعت الحماية علينا رغم أنوفنا وعلى غير إرادتنا ولم تحسب لنا حسابا وافتكرت أنها تستطيع أن تؤيدها بمحض إرادتها دون أن تسأل الدول ودون أن تنال رضاها واستمرت على ذلك رغم أنوفنا حتى وضعت الحرب أوزارها فظنت أنها بحصولها على قبول الدول قد انتهى الأمر وصارت الحماية شرعية علينا ولكن شعوركم وإرادتكم واتحادكم وإيمانكم بوطنكم أبت علينا ذلك فقمتم قومة واحدة غداة عقد الهدنة وقلتم : إن حماية وضعت بدون قبول منا حماية باطلة .

---

(١) سفير بريطانيا فى تركيا والذى وضع عام ١٨٨٣ تقريرا لحكم مصر قدمه لحكومة لندن وأصبح دستورا للمحتلين فى حكم البلاد .

«قلتم إننا أمة لنا قومية . لنا تاريخ مجيد . كنا أساتذة العالم فى العلوم والمعارف .
[١٤٥٧] كنا مستقلين استقلالا يقرب أن يكون تاما . ثم جاءت الحرب فقطعت العلاقة الاسمية[١] التى كانت مع تركيا فصرنا مستقلين . ونحن عارفون أننا أمة حية لا ترضى أن نكون مستعبدين لأ قوى الأمم .

«قمتم تلك القومة فتوهموا أو أرادوا أن يتوهموا أنها قومة شرذمة قليلة منكم فجمعتم جموعكم واتفقت جميع طبقاتكم لا فرق بين مزارعيكم وفلاحيكم وصناعكم وعمالكم وموظفيكم لا فرق بين مسلميكم ومسيحييكم .

أجمعتم على المطالبة بالاستقلال فأخرستم بهذا الاتحاد الذى بدا منكم بين طبقاتكم أخرستم ألسنة خصومكم .

«وبعد أن استخفوا بأعمالكم واستهتروا بقيامكم خضعوا لاتحادكم وأصغوا لصوتكم وأرسلوا لجنة لتحقيق[٢] أسباب الاضطراب وسماع قولكم .

«ورغما من سماع صوت الاستقلال واتحادكم لم يعدلوا عن سياستهم وعن رغبتهم فى جعلكم تحت حماية فى شكل آخر .

«فأحكمتم مقاطعة اللجنة ولم يتقدم أحد منكم لمباحثتها وبعد أن مكثت بمصر أربعة أشهر فاضطرت إلى العودة من حيث أتت . وقالت لقومها إنكم مجمعون على الاستقلال وأنكم لا تريدون عنه بديلا .

«ثم استدعت اللجنة الوفد للمفاوضة ولكنه علم علم اليقين أن المراد لم يكن من التفاوض هو الحصول على مطلبكم ولكن الحصول على مطلبهم بشكل آخر فوضعوا المشروع الذى عرض عليكم فأوجدتم التحفظات وقد عرضها الوفد فأبت لجنة ملنر أن تبحث فيها وأرجأتها للمفاوضة الرسمية .

[١٤٥٨] «وبعد ذلك تشكل وفد رسمى من الحكومة لأجل أن يذهب للمفاوضة وقالوا إن المفاوضة على غير أساس ولن يتقيد المفاوضون بشروط . قالوا ذلك وكان هذا من أول الأمر رأينا . أن تكون حرة ومادامت قاعدتها الحرية فلا بأس من الدخول فيها لأن

(١) يقصد العلاقة القانونية De Jure
(٢) لجنة ملنر Milner

العمدة[1] تكون على كفاءة المفاوضين ومبلغ ثقة الأمة بهم وقد جاء بلاغ عميد الحماية[2] مبينا بهذه الحرية ولكننا لم نلبث أن سمعنا صوتا آخر هو صوت المستر تشرشل يقول : إن أعمالنا فى مصر لم تتم بعد وأن الوقت لم يحن لجلاء جنودنا عن مصر بسبب الحوادث الأخيرة : حوادث الاسكندرية .

«هذا الكلام يكشف بجلاء عن نية سياسة الاستعمار فينا : هنالك قسمان : القسم الأول يقول إن أعمالنا لم تتم وأقوال هذا القسم لاعلاقة لها بحوادث الإسكندرية لأنها لم تحل بين الإنجليز وأعمالهم فى مصر . إذن هذه الدعوى تكشف لنا عن نياتهم ذلك أنهم لا يريدون ترك مصر لنا وأنهم لا يرون إلغاء الحماية ولكن يريدون البقاء لاتمام هذه الأعمال ولا ارتباط بين الاثنين .

«أما القسم الثانى فإن هذا الوزير يقول إننا لانجلى جنودنا عن مصر لحوادث الاسكندرية .

«وكنت أود أن أعتقد أو أتوهم أن هذا القول الصادر من وزير المستعمرات يعبر عن رأيه الخاص كنت أود أن أتوهم ذلك وأنتم كنتم أيضا تودون أن تكون هذه التصريحات شخصية ولكن الوزراء لا يخطبون إلا للتعبير عن سياستهم ولا يخطب الوزير إلا للتعبير عن رأى حكومته وزملائه .

[١٤٥٩] «ثم إذا كانوا لا يرضون عن قوله لكانوا أعلنوا أنه يعبر عن رأيه الشخصى ولكن هذا القول قاله مصرى

«قال وكيل الخارجية[3] فى مجلس النواب إنه كان يتوقع إلغاء الأحكام العرفية فى مصر ولكن الحوادث الأخيرة تمنع تحقيق هذا الإلغاء

«كل هذا قيل . وجاء خبر أو أخبار موثوق بها بأن الحكومة البريطانية اتفقت مع حكومة نرويج _[4] على أن جميع الاتفاقات التى تتفقها معها تكون سارية على مصر .

«معنى ذلك اتفقت على أن كل اتفاق بينهما يسرى على مصر .

---

(١) يقصد المرجعية .

(٢) المندوب السامى البريطانى اللورد اللنبى Allenby

(٣) المستر هرمسوث .

(٤) النرويج احدى الدول التى كان يتمتع رعاياها فى مصر بنظام الامتيازات .

«هذه مسألة من مشروع ملنر ترمى إلى أن الاتفاقات الخاصة بلغو الامتيازات تحصل بين إنكلترا والدول بدون تدخل مصر .

«فهذا الاتفاق بين إنكلترا ونرويج - تنفيذ لمشروع ملنر ولما عرض هذا المشروع أبدت الأمة فيه تحفظات ورغبت أن تكون طرفا فى العقود التى تعقد بين إنكلترا أو الدول ذوات المصالح فى مصر .

وإن كل التلغرافات والأنباء تكشف عما ترمى إليه السياسة الإنجليزية وهو الاستيلاء على مصر بشكل آخر ولا يهمهم سموا الاستيلاء على مصر استقلالا لمصر أو حرية أو ما تشاءون من الأسماء القصد أن تكون سيطرتهم عليها تامة .

«هذه سياسة الإنجليز . هذه هى سياستهم وهذا ليس استنتاجا فقد صرح لى به على لسان ملنر ذاته اللهم إلا إذا كان يعبر عن رأيه الشخصى أيضا . [١٤٦٠]

فى يوم ٢١ يونيه الماضى اجتمعت على موعد باللورد ملنر فى بيته فقال لى ما أنقله لكم من مذكرتى التى دونت بها هذا الحديث عقب حدوثه .

«قال إننا الآن فى مصر واضعون يدنا على كل شئ فيها ونريد أن نتخلى عنها فى مقابل شئ واحد وهو أن تعترفوا بمركزنا فى مصر الآن لأنه فعلى ونريد أن يكون شرعياً مرتكزا على الصفة القانونية . إننا نبحث عن مصر منذ أكثر من مائة سنة - هذا تعبيره - والآن هى فى قبضتنا فنريد أن يكون مركزنا الآن شرعيا .

«فقلت له إن هذا غير ممكن فلا يمكننى بصفتى مصرياً ولا بصفتى وكيلا عن الأمة أن أقول بتصحيح هذا المركز لأن ذلك اعتراف بالحماية التى وضعت قهرا عنا وبالرغم منا وما قمنا قومتنا إلا لإبطالها فبصفتى الشخصية بصفتى مصرياً ونائباً عن مصر لا أسمح بقبول هذا الطلب فقال إن هذا الطلب الذى استندتم عليه انتم الذين استكتبتموه من الأمة . أنتم يا زغلول وأصحابه انتم الذين استكتبتموه من الأمة فلا حجة لكم به علينا .

«فقلت سواء كنا نحن الذين استكتبناه من الأمة أو الأمة كتبته من تلقاء نفسها فقد صار عهداً بيننا وبينها لا نملك وحدنا نقضه .

«نريد أن نعرف الآن ماذا يحدث إذا وجه هذا السؤال إلى الوفد الرسمى . إذا قيل لكم إنكم تستطيعون أن تحملوا الأمة على قبول هذا المشروع كما أتيتم بهذه الوثائق فبماذا يجيبون ؟

[١٤٦١] «من هذا يتبين أن الغرض الإنجليزى هو الاستيلاء علينا أرادوا الاتفاق مع الوفد فلم يتمكنوا والآن يريدون الاتفاق مع الأمة من طريق آخر من طريق الوزارة .

«والآن يريدون أن نرضى بالحماية تحت أى اسم كان وهذا لا نرضاه . ومادام المستر تشرشل كشف عن نياتهم وما دامت انكشفت الاتفاقات مع نرويج فلا نقبل مفاوضة على هذا الشكل .

«جاء فى كلام وكيل الخارجية الانكليزية أن الأحكام العرفية لا تلغى بسبب حوادث الإسكندرية فإن ذهب الوفد الرسمى ألا يكون ذلك تأييداً لهذا القول ؟

«ألا يكون ذهابه تأييداً وتصديقاً على أن حوادث الاسكندرية تستوجب بقاء الأحكام العرفية فهل ترضون ذلك ؟

«ألا يكون تأييداً لهذا القول وأننا نذهب لا للاستقلال ولكن لتأييد الحماية ؟

«ألا يحسن ألا نذهب للمفاوضة إلا بعد التصريح بأنه لا تأثير لكلام تشرشل فى المفاوضات أو التصريح بأن حوادث الاسكندرية لا تستوجب بقاء الجنود الإنجليزية ؟

«حوادث الإسكندرية لم تحدث بتدبير منا ولا برغبتنا ولا بفعلنا ولم نكن نملك أن نلاحظ حدوثها قبل وقوعها . حدثت فجأة وبالرغم منا ولابد لنا فيها ولكن إذا ساغ لوزير الخارجية أن ينسب هذه الحوادث إلينا فليس من المبالغة أو الخطأ أن هذه الحوادث ليست منا .

«نعم أقول ذلك لأنى اعتقد أنها وقعت لتصيب مقتلا من مقاتلنا ولأنه ليس لنا فائدة منها والدليل على ذلك أننا لم ينلنا منها إلا الأسف وقول تشرشل بأنه يريد تأييد الاحتلال . [١٤٦٢]

«حقيقة إنى وإياكم تأسفنا جدا على حدوث هذه المصائب ولم نكن المعتدين فيها بل سار المتظاهرون فى مظاهرة بريئة طاهرة ولم تكن ضد الأجانب .

«وقد كانت تحدث المظاهرات فى الجهات المختلفة فيرحب بها الأجانب ويشتركون فيها وكان المتظاهرون يحيون الأجانب وهؤلاء يحيونهم ولم يشعر أحد من سكان مصر الأجانب أن بها شيئا من العداء لهم .

«وهذا يوم قدم الوفد من أوربا قد احتشد فى مصر الناس جميعاً ولم يقع أدنى حادث اعتدائى بل إن الأشقياء أنفسهم امتنعوا عن أعمالهم .

«انتهت هذه المظاهرات وأعجب بها الأجانب والوطنيون وتوالت عدة أيام ولم يحدث حادث يكدر خاطر أجنبى عنا وكنا نفخر بذلك وأنا أولكم وقد جرى ذلك على لسانى خصوصا مع أصحاب الصحف الأوربية . ولكن قوماً لم يرق فى عينهم هذا الصفاء وهذه الحكمة وهذا النظام فأرادوا أن يشوهوه فاتخذوا هذه الحركة دليلاً على أن استتباب النظام نحو الأجانب غير متوفر وما كان النظام معكراً بل هم الذين عكروه .

«لسنا أنعاماً تقتل أبناؤنا وندفع دية قتلها . لقد قتل منا الكثيرون وأصيب منا بالجروح أكثر . كان عدد من ماتوا منا وجرحوا أضعافا مضاعفة بالنسبة لغيرنا . كانت إصاباتنا كلها نارية وإصابة غيرنا جروحاً ثم يقال بعد ذلك ادفعوا دية من ماتوا منكم ومن مات منا ــ هى حرية بلادكم إلى الأبد .

[١٤٦٣] «ظلم لا نرضاه . لا نرضاه . لا نرضى أن نقتل ونجرح ويؤخذ قتلنا وجرحنا سبباً لتأييد الاحتلال .

«بل نقول الحق معنا : بسبب حوادث الإسكندرية يجب الجلاء نحن لسنا فى جب نحن على ظهر البسيطة فإما أن ننال حقنا وإما أن نموت .

«يظلم أهلنا وبنونا ثم يقال يجب أن تخضعوا للقوة هذا لا نرضاه . لا نرضاه . وعقلاء الأجانب لا يرضونه أبداً .

«لا يرضى عقلاء الأجانب هذا السبب لأنه إذا حدث كان وجودهم بيننا علة شقائنا وعلة وجود الاحتلال فينا فلا يمكن ان يصفو لنا عيش معهم .

«هم يعرفون ذلك ويريد أن يظهروا أنهم ليسوا المعتدين هم يعلمون أننا نحتاج إلى مدنيتهم وعلومهم وتجارتهم وأعمالهم ومساعدتهم فلا غنى لنا عنهم وهم كذلك بالنسبة لنا فإذا كانت المعيشة مبنية على القهر فلا أمل فى الحياة معهم .

«فأرجو أن يعمل عقلاء الأجانب على بقاء الود معنا على أساس تبادل المنفعة لا القوة والقهر .

«خلاصة ما أقول إن حوادث الإسكندرية لا تبرر بقاء الاحتلال هنا وإنه يجب على كل فرد أن يحتج على هذا التصريح حتى يصدر من الحكومة المختصة التصريح بأنها لا توافق على ما جاء فى كلامه فهل أنتم موافقون ؟»

«فصاح الحاضرون بقولهم موافقون وهتفوا لسعد باشا هتافاً متواصلاً .

«ثم تليت على الحاضرين صورة الاحتجاج فأخذوا فى مناقشتها وتعديلها حتى أقرها الجميع فى آخر الأمر على الصورة الآتية :

الاحتجاج الذى رفعه الأمير عزيز حسن[١]

[١٤٦٤] «جناب المستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية

بلندرة

«كلفنى أهل الوطن العزيز المجتمعون برئاستى أن أنوب عنهم فى تقديم المحضر الآتى لاجتماعهم الذى عقد اليوم وهو :

«اجتمع آلاف من المصريين برئاسة حضرة صاحب السمو الأمير عزيز حسن ما بين علماء وآباء روحيين ومحامين وأطباء ومهندسين ومعلمين وأعيان ونواب عن جميع طبقات الأمة وموظفين وطلبة وعمال وعربان وعمد ووفود من الجهات وضباط وفلاحين . وبعد أن سمعوا خطبة القاها حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصرى ووكيل الأمة أصدروا القرار الآتى :

(١) حذف هذا العنوان فى أصل المذكرات .

«بعد العلم بخطبة المستر تشرشل التى قال فيها أن بريطانيا العظمى لم تتم عملها فى مصر إلى الآن وأنه لا يرى أن الوقت قد حان لجلاء الجنود البريطانية خشية أن رعاع مصر والإسكندرية يبيدون الجاليات الأوربية ويقضون على ثمرة مجهودات الإدارة البريطانية مدة أربعين سنة .

«ونظراً لأن حوادث الاسكندرية وقعت بغتة وبدون أى تدبير من بعض الرعاع من الأجانب والوطنيين وكانت قاصرة على بعض أحياء المدينة .

«ونظرا لأن الأجانب منتشرون فى جميع أنحاء البلاد مدنها وقراها بل وعزبها وكفورها ولم يصب أحد منهم بأى أذى بل أعلنوا هم من تلقاء أنفسهم أنهم كانوا محلا للرعاية والعطف من جميع السكان . [١٤٦٥]

«ونظراً لأن إكرام المصريين للأجانب هو مضرب الأمثال من قديم الزمان وعلى الأخص من عهد محمد على الكبير أى من نحو قرن فليس هو من عمل الاحتلال الإنجليزى .

«ونظراً لأن الوداعة والتسامح من طبائع المصريين وأنهم لا يريدون إلا أن يعيشوا أحرارا وعلى وفاق تام من جميع الأجانب من أى أمة كانوا .

«ونظرا لأن التحقيق فى هذه الحوادث لا يزال آخذاً مجراه ولا نريد أن نتعجل رأى المحققين قبل تمامه ومع ذلك فإن بعض الصحف الأجنبية وعلى الخصوص كبرى الصحف الإنجليزية[١] اعترفت بألا علاقة لحوادث الإسكندرية بالحركة الوطنية المصرية بل هى على ما يظهر نتيجة لإطلاق بعض اليونانيين الرصاص من نوافذ بيوتهم على المتظاهرين السلميين فقتلوا بعضهم . ولا يمكن أن يكون المعتدون هم المصريين فإن قتلاهم ثلاثة أضعاف القتلى من الأجانب وجرحاهم خمسة أضعاف الجرحى من هؤلاء ومن الثابت أن المصريين كانوا عزلا من السلاح وأن الأجانب كانوا مسلحين .

«ونظرا لأن الأجانب تربطهم بالمصريين رابطة اكبر تضامن لاشتباك المصالح بينهم ولا يصح مع ذلك أن تكون مصالح الأجانب مبررا لوجود احتلال انجليزى بقصد حمايتهم لأن هذا من شأنه أن يوجد فى قلوب المصريين حقدا شديدا دائميا[٢] وعداء

(١) كانت التايمز والمانشستر جارديان والنير يست Near East من اكثر الصحف المعنية بالشئون المصرية .

(٢) دائميا : موجودة هكذا فى المذكرات .

[١٤٦٦] للأجانب وفى هذا من الخطر ما فيه فإن المصريين يعتبرون الأجانب إذ ذاك انهم علة استعبادهم وشقائهم بدوام احتلال اجنبى .

«ونظرا لأن الوسيلة الوحيدة لاستمرار السلام والوفاق على حالهما هو توثيق اليقين فى قلوب المصريين والأجانب على السواء بأنه لا يمكن لفريق منهم أن يعيش بدون الآخر وانهم لا غناء لهم عن التعاون فيما بينهم .

«ونظرا لأن ما صرح به المستر تشرشل فى خطبته مخالف لجميع الوعود الرسمية التى أخذتها إنجلترا على نفسها أمام العالم اجمع وعلى الأخص تصريح المندوب السامى البريطانى فى مصر من أن المفاوضات بين البلدين ستكون حرة حرية تامة .

«ونظراً لأن تصريح المستر تشرشل إنكار لهذه الحرية لأنه يدل على أن نية الإنجليز هى تثبيت الحماية على البلاد باستبقاء جيش احتلال فيها .

«ونظراً لأن المصريين لا يسألون منحة بل يطلبون حقهم الثابت فى الحرية والاستقلال ذلك الحق الذى ليس لأحد فى العالم أن ينازعهم فيه .

«ونظرا لأن قبول الشعب المصرى الدعوة للمفاوضات تحت هذه الشروط القليلة المودة مناف لكرامته .

«ونظراً لأن مصر المستقبل ستكون أقدر على الشعور بمسئوليتها فلا تكتفى بالعمل على استمرار علاقات المودة القديمة للأجانب بل ستأخذ على نفسها توثيق هذه المودة التى تعتبرها مشرفة لها .

«فلهذه الأسباب قرر الحاضرون بالإجماع ما يأتى :-

(١) «إظهار استيائهم لحادثة الاسكندرية الموجبة للأسف

(٢) «الاحتجاج على تصريحات المستر تشرشل الواردة فى خطبته

[١٤٦٧] (٣) «إعلان عدم فائدة المفاوضة مع إنجلترا قبل أن يصدر تصريح رسمى من الحكومة الانجليزية بأن تصريحات المستر تشرشل لا تؤثر فى حرية المفاوضات ولا تقيد المفوضين المصريين بأى قيد .

(٤) «انتهاز هذه الفرصة لتأييد واستمرار الثقة بمعالى الرئيس سعد زغلول باشا وأصحابه المخلصين وأن الأمة لا تقبل مفاوضة على غير أيديهم بحال من الأحوال

(٥) «رجاء حضرة صاحب السمو الرئيس أن يبلغ هذا الاحتجاج إلى المستر لويد جورج والى مجلس النواب ومجلس اللوردات والى الصحف الإنجليزية الكبرى والوزارة المصرية

«وتفضل يا جناب الوزير بقبول فائق احتراماتى»

«عزيز حسن»

١٥ يونيه سنة ١٩٢١

كلمة رجال الدين للأمة المصرية

[١٤٦٨] أصبح فى حكم المقرر تقريباً أن يسافر الوفد الرسمى المصرى فى أول يوليو سنة ١٩٢١ ولم تنجح المساعى كذلك فى حمل سعد باشا وعدلى باشا على الاتفاق كما فشلت كل خطة فى حمل سعد باشا وأصحابه على إعلان الثقة بالوزارة وتأييدها فى الدخول فى المفاوضات الرسمية .

لذلك نشر رجال الدين كلمتهم الآتية على الأمة يحثونها فيها على الاتحاد والتضامن والتأهب للانتخابات المنتظرة حتى يظهر رأى الأمة الصحيح فى تقرير مستقبلها

وها هى تلك الكلمة :-

كلمة رجال الدين
إلى أهل هذا البلد الأمين[١]

«فى هذا الوقت العصيب وقد حل الخلاف والشقاق محل الاتحاد والوفاق والأمة المصرية أحوج ماتكون إلى جمع الكلمة ووحدة الرأى وتساند الصفوف نوجه نداءنا معشر [١٤٦٩] خدام الدين إلى كل من تظله سماء مصر من أبنائها قياما بما تفرضه علينا واجبات الدين الذى نحن خدمته من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأداء لما يدعونا إليه الواجب الوطنى العام لخير هذا القطر وأهله وبراءة إلى الله من تبعة التقصير إلى هذا الوطن من السكوت وقد وجب النصح والتحذير

إخواننا وأبناءنا

يقول الله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (يد الله مع الجماعة) ويقول الحكيم : «لاجماعة لمن اختلفوا» .

(١) حذف هذا العنوان فى أصل المذكرات .

«ويقول الآخر

كونوا جميعا يابنى إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسراً واذا افترقن تكسرت أفرادا

«إخواننا وأبناءنا

«لا ينازع منازع فى أن الاتحاد قوة والاختلاف وهن ولقد جاءنا من أنباء التاريخ وأخبار الأمم مافيه معتبر لأولى البصر. ولسنا نكذبكم ولانكذب أنفسنا إذا قلنا أننا وإياكم لا نملك سلاحا ولا قوة سوى الاتحاد فى سبيل غايتنا فهو الدعامة الوحيدة لحقنا الذى نسعى إليه فإذا ما ضاع هذا الاتحاد فقد تسرب إلى صفوفنا الوهن والفساد وكنا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة [١٤٧٠]

«إخواننا وأبناءنا

لقد قام نفر من السابقين الأولين من ذوى العزيمة والاقدام فى يوم واحد قومة رجل واحد يجهرون بالمطالبة بحق هذه الأمة وسرعان ما وجدوها كلمة واحدة تؤيدهم وتشد أزرهم أننا لنعرف وكثير منكم يعرف أن صاحبى الدولة رشدى باشا وعدلى باشا كانا فى طليعة المؤيدين لأولئك الأبطال المقاديم(*) وقد بذلا فى سبيل ذلك مركز الوزارة مرتين ومانتس(**) لاننسى موقفهما مع لجنة اللورد ملنر عند حضورها إلى مصر ذلك الموقف الذى ملأ الجميع يقينا بأن لمصر من أبنائها أبطالاً انجاداً ورجالاً أمجاداً

«وإننا لنعرف وكثير منكم يعرف وساطتهما بين الوفد واللجنة وأنهما كانا خير ظهير فى قضيتنا لما يعرف من أخلاقهما وكفاءتهما وأننا لنعرف وكثير منكم يعرف ماجهر به رئيس الوفد وهو فى أوربا من الثناء على دولة عدلى باشا حتى لقب بصديق الوفد - نعم كل هذا مازلنا نذكره ويذكره كثير منكم ولما وصل بلاغ الحكومة الإنكليزية إلى عظمة مولانا السلطان بالدعوة إلى إرسال مفوضين رسميين للبحث فى مطالب مصر تطلعت الأنظار إلى تشكيل وزارة الثقة التى كنا جميعا ننتظر إسناد الأمر إليها إذا ما جاء دور

(*) جمع مقدام بمعنى الرجل الكثير الإقدام على العدو

(**) الصحيح «وإن نسينا»

المفاوضات الرسمية وإنا لنعرف وكثير منكم يعرف إلى أين امتدت الأبصار واتجهت الأفكار ومن الذى تمنينا أن يقع عليه الأختيار وكلنا يذكر والعهد غير بعيد مبلغ سرور الأمة واغتباطها باسناد رياسة الوزارة الى دولة عدلى باشا ومبلغ / اجتهاده لمن اختارهم [١٤٧١] أعضاء لوزارته وبالبيان الذى أصدره كذلك نذكر الحفاوة التى قوبل بها معالى رئيس الوفد من الأمة وفى مقدمتها الوزارة حتى لقد سافر بعض قطر[1] السكة الحديدية بالمستقبلين لمعاليه مجانا . وكذلك نذكر وكثير منكم يذكر ماصرح به معالى سعد باشا فى خطبه بعد عودته لمصر من الثناء على زملائه ومن الثقة بالوزارة حتى قال فى بعض خطبه إنى مستبشر بهذه الوزارة .

«ماكان الاحتفال بمعالى رئيس الأمة وزملائه إلا لما قدموه للأمة من الخدمات الجليلة الغنية عن التفصيل .

«وقد بقيت الأمة إلى اليوم الثانى من إبريل كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا كلمتها واحدة وغايتها واحدة وفى مقدمة الجميع الوفد والوزارة ثم لم نلبث أن وجدنا الخلاف قد دب دبيبه بين رئيس الوفد والسابقين الأولين من إخوانه ثم بين رئيس الوفد أيضا الوزارة ذلك الخلاف الذى كانت نتيجته أن انقسمت الأمة على نفسها واصبحت على عكس ماكانت عليه : شقاق بعد وفاق واختلاف بعد ائتلاف .

« إخواننا وأبناءنا

«اننا جميعا متفقون على مطلب واحد هو حرية مصر واستقلالها : الأمة تطلبه والوفد جميعه يطلبه والوزارة تطلبه وقد عاهدت الأمة على أنها لا تسعى إلا إليه جاعلة الكلمة الأخيرة والقول الفصل للأمة ممثلة فى جمعيتها الوطنية التى تنتخب للنظر فيما يجئ به المفوضون الرسميون فإما قبلته وإما رفضته فعلام هذا الخلاف والشقاق وإلام هذا الانقسام والافتراق وفيم هذه الوفود الوافدة تغالبها /المجموع الحاشدة والتأييد ينقضه [١٤٧٢] التأييد ؟

«وهل لموضوع الخلاف من القيمة ما يستحق أن يذهب من أجله بناء وحدتنا وأن تختل صفوفنا بافتراق الأمة شيعاً وانقسامها فرقاً أم هل من الحكمة والمصلحة أن

(١) جمع قطار .

يستباح دخول الغوغاء والجهلة فى شأن هم أبعد الناس عن إدراك دخائله وهم الذين يقول عنهم سيدنا عبد الله بن عباس : (ما اجتمعوا قط إلا أضروا) .

«لقد عرفنا وعرفتم أن خلاف رجال الوفد فيما بينهم ينحصر فى أن فريقا من الوفد وهم الذين انفضوا من حول رئيسه يريدون عملاً بما قرره الوفد وهو فى باريس ومراعاة لمصلحة الأمة فى اعتقادهم أنه لا يجوز أن يشترك الوفد فى المفاوضات الرسمية بل يتركها للوزارة وينتظر ما يأتى به المفاوضون . والوفد يبقى مع الأمة على الحياد ينتظر ما يجئ به المفوضون الرسميون وتقبله الأمة أو ترفضه وفريق آخر وهم معالى الرئيس ومن معه يرون الاشتراك مع المفوضين الرسميين فى المفاوضة وقد عدل هذا الفريق أخيرا عن خطته للأسباب المعلومة .

«لقد عرفنا وعرفتم أن موضوع الخلاف بين رئيس الوفد ورئيس الوزارة إنما هو فى رياسة المفوضين فالأول يراها لنفسه بمقتضى رياسته للوفد النائب عن الأمة والثانى يرى أنها لنفسه بمقتضى التقاليد الدولية وسواء أكان هذا أم ذاك فالبت فى الرئاسة وإسنادها لمن تسند اليه حق من حقوق ولى الأمر عظمة السلطان وكلا الرئيسين يسر بذلك أما حق الأمة فهو النظر فى النتيجة العملية للمفاوضات وهذا الحق لايزال محفوظاً لها وسيكون لها القول الفصل/ فى القبول أو الرفض سواء كان الرئيس عدلى باشا أو سعد باشا وقد عين الوفد الرسمى وانتهى الأمر . [١٤٧٣]

«رجال الوزارة والمفاوضون الرسميون مصريون محبون لبلادهم قبل كل شئ ومما لا ريب فيه أن الحق الذى تطالب به الأمة المصرية هو حق عام لا يتجزأ شائع بين أفراد يملكه كل واحد منهم ويملك المطالبة به وحده ولا يسوغ لأحد منهم أن يحتكره لنفسه ويعتبر كل من طالب بهذا الحق كاملا ممثلا للأمة قائما مقامها فى المطالبة به بدون حاجة إلى إنابة منها ولا توكيل متى كان ذلك المطالب عاملا على ما فيه مصلحة الأمة غير مفرط فى شئ من حقها كما هو مقتضى القاعدة الشرعية بالنسبة لجميع الحقوق العامة التى لا تتجزأ الثابتة للأمة على الشيوع بين آحادها وما كان توكيل الأمة للوفد الذى أنابته عنها إلا لينظر إجماع آحادها على المطالبة بهذا الحق ويمثلها وفدها مجمعة على المطالبة به مخافة أن يقول غاصب الحق لمن يطالب به وحده ان طلبك فردى لا

إجماعى توافقك عليه الأمة بأسرها . ومن عداك منها راضٍ بأن يبقى حقها تحت يد الغاصب .

«وبعد فإننا وإياكم جميعا إنما نطلب حريتنا واستقلال بلادنا فهل من سداد الرأى أن يرى بعضنا أننا نقبل هذا المطلوب إن جاء على يد فلان ونرفضه إن جاء على يد فلان أم هل من سداد الرأى ونبالة المقصد وسمو الغاية أن تتفرق بنا السبل ونتشاحن ونتنابذ ويصدم بعضنا بعضا من جراء أمر عرضى نسينا من أجله غاية الغايات . والشعوب ناظرة إلينا والدول تحسب ذلك علينا .

[١٤٧٤] ومنها من يتربص بنا العثرات ويتلمس علينا السوآت (فما لكم كيف تحكمون)

الخلاصة

«إن الأجدر بالأمة الآن أن تترك الوفد الرسمى يعمل جهده للوصول إلى تحقيق غرضها الأسمى الذى أجمعت عليه عامة طبقاتها على اختلاف ميولهم ومذاهبهم وأن تعمل الأمة مع الوفد المصرى برئاسة معالى سعد زغلول باشا على جمع صفوفها وتوحيد قواها حتى تحصل الانتخابات المقبلة على درجة تحقق تمثيل الأمة تمثيلا صحيحًا فى الجمعية الوطنية التى سيكون لها الرأى الأخير فى تقرير مصير البلاد «إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد»

مفتى الديار سابقًا	شيخ مشايخ الصوفية
محمد بخيت	عبدالحميد بكرى

عبدالرحمن الجزيرى من علماء الأزهر . محمد هلال الإبيارى من علماء الأزهر . عبده الشناوى من علماء الأزهر . عبد رب مفتاح من علماء الأزهر . محمد هاشم عقل من علماء الأزهر . محمد إسماعيل حمدى من علماء الأزهر . محمد عبدالعظيم أحمد من علماء الأزهر . محمد عبدالله السيد من علماء الأزهر . أحمد أبو العينين الجنزورى من علماء الأزهر . أمين عبدالهادى من علماء الأزهر . حسن محمد سالم من علماء الأزهر أحمد الحفنى من علماء الأزهر . محمد جاد الحق من علماء الأزهر . أحمد حسن

إبراهيم من علماء الأزهر . عبدالرسول همام من علماء الأزهر . عبدالرءوف القاضى من علماء الأزهر إسماعيل[١] من علماء الأزهر . عبدالرحمن هيكل السلمونى من علماء الأزهر . عبدالسلام البشرى من علماء الأزهر . محمد على الحسينى شيخ المقارئ بالقطر المصرى . صالح يوسف من علماء الأزهر . محمود محمد جوهر من علماء الأزهر . [١٤٧٥] عبدالله ناشىء من علماء الأزهر . سيد بيومى من علماء الأزهر . على على محمد الشموتى من علماء الأزهر . شريف وحيد من علماء الأزهر . إبراهيم أحمد همام من علماء الأزهر . حسنين عزيز من علماء الأزهر أحمد أبو بكر من علماء الأزهر . محمد حنفى صبرى من علماء الأزهر . أحمد عبدالجواد من علماء الأزهر . أحمد محمد السيد من علماء الأزهر . عبدالوهاب سليم من علماء الأزهر . علاء الدين عبدالرحيم من علماء الأزهر . عثمان محمد الزهرى من علماء الأزهر . محمد حقنى من علماء الأزهر . حسين عبدالخالق من علماء الأزهر . محمد أحمد أبو دنيا من علماء الأزهر . أبو بكر محمد الحسينى من علماء الأزهر .

١٦ يونيه سنة ١٩٢١ .

بيان من سكرتارية الوفد
بشأن كلمة رجال الدين

تعرض العلماء في بيانهم لنقطة خاصة بالمفاوضات الرسمية رأى الوفد تصحيحها فأذاعت سكرتاريته ما يأتى :

بيان حقيقته

[١٤٧٦] جاء فى كلمة الشيخ محمد بخيت وشركائه المنشورة فى جريدة الأهرام يوم الخميس ١٦ يونيه سنة ١٩٢١ ما يفيد أن الوفد وهو فى باريس قرر عدم جواز اشتراكه فى المفاوضات الرسمية بل تركها للوزارة ومن تنتخبه ويبقى الوفد مع الأمة على الحياد

(١) لم توضح المراجع إسماعيل من؟

وينتظر ما يجىء به المفاوضون الرسميون . . إلى آخره .

«وهو قول غير صحيح والحقيقة أن الوفد قرر بالإجماع فى باريس ألا يدخل المفاوضات على أساس مشروع ملنر ولا يؤيد من يدخلها قبل تعديل هذا الأساس بالتحفظات التى أيدتها الأمة وأنه بعد دعوة الحكومة الإنجليزية من حرية المفاوضات التى يدخل الوفد فيها بالشروط المعلومة التى قررها . وليس بحقيقى أيضًا ما جاء فى هذه الكلمة من أن الوزارة قبلت جميع هذه الشروط إلا الرئاسة لأن الوزارة لم تقبل أيضًا غير هذا الشرط مثل الأحكام العرفية التى لم تلغ لغاية الآن» .(١)

سكرتير الوفد المصرى

مصطفى النحاس

«هذا وقد دعا هذا البيان أحد أعضاء الوفد المنشقين وهو محمد على بك للرد عليه بما يأتى :

بيان حقيقة

«نشر بعض الصحف كلمة لحضرة مصطفى بك النحاس ردًا على ما جاء ببيان حضرات أصحاب الفضيلة مفتى الديار المصرية سابقًا ومن معه من العلماء وقد جاء فى كلام حضرة مصطفى بك «أن الوفد قرر بالإجماع فى باريس ألا يدخل المفاوضات على أساس مشروع ملنر ولا يؤيد من يدخلها قبل تعديل هذا الأساس بالتحفظات» .

[١٤٧٧] والحقيقة أن الوفد مع تقريره بالإجماع عدم دخوله فى المفاوضات الرسمية إلا بعد قبول التحفظات قرر بالأغلبية أن تدخل وزارة الثقة تلك المفاوضات بشرط أن يكون لديها تصريح بأن إلغاء الحماية أساس من الأسس التى تبنى عليها المفاوضات وأن الوفد فى هذه الحالة يؤيدها لتكون قوية فى المفاوضات الرسمية وأن يقف الوفد بجانب الأمة مراقبًا ومنتظرًا نتيجة المفاوضات . فإن كانت النتيجة محققة لمطالب الأمة قبلها الوفد وإلا رفضها ورفضتها الأمة .

(١) الأخبار ١٩٢١/٦/١٩ ص ٣ .

«ونظراً لأن حضرة مصطفى بك النحاس لم يبين فى كلمته تاريخًا للقرار الذى يعتمد عليه فيلوح لى أن الإجماع الذى ينوه عنه إنما كان من حضرات الأعضاء الذين بقوا فى باريس بعد أن غادرتها الأغلبية التى كانت ترى خلاف رأى معالى الرئيس والثلاثة الأعضاء الذين بقوا معه .

«هذا كله بصرف النظر عن قرار الوفد الذى صدر بمصر أخيرًا فى ٢٨ إبريل سنة ١٩٢١ القاضى بعدم محاربة الوزارة وبصرف النظر أيضًا عن الخطاب الذى أرسله حضرات حافظ بك عفيفى وعلى بك ماهر وويصا بك واصف الذين لم يحضروا جلسة ذلك اليوم وطلبوا فيه اشتراك الوفد مع الوزارة فى المفاوضة مع تنازله لها عن الرياسة .

«أما الرأى الذى يراه الآن معالى سعد باشا ومن معه وهو دخول الوفد فى المفاوضات قبل تحقيق التحفظات وبشرط تحتيم الرياسة للوفد وإلا حوربت الوزارة فهو رأى نبرأ إلى الله منه(١) .

محمد على

العضو بالوفد المصرى

[١٤٧٨] ولكن المسألة لم تقف عند هذا الحد إذ أن سكرتارية الوفد ردت على محمد على بك ببيان رأى معه الأخير الرد عليه كذلك وهذا بيان الطرفين :

بيان سكرتارية الوفد(٢)

«جاء فى بيان محمد بك على «أن الوفد مع تقريره بالإجماع عدم دخوله فى المفاوضات الرسمية إلا بعد قبول التحفظات قرر بالأغلبية أن تدخل وزارة الثقة فى تلك المفاوضات بشرط أن يكون لديها تصريح بأن إلغاء الحماية أساس من الأسس التى تبنى عليها المفاوضات وأن الوفد فى هذه الحالة يؤيدها لتكون قوية فى المفاوضات الرسمية وأن يقف بجانب الأمة مراقبًا ومنتظرًا نتيجة المفاوضات فإن كانت النتيجة محققة

(١) النص فى : النظام ١٩٢١/٦/١٩ .

(٢) نص البيان منشور فى : جريدة النظام «بيان حقيقة أيضًا» ١٩٢١/٦/٢٠ ص ٢ .

لمطالب الأمة قبلها الوفد وإلا رفضها ورفضتها الأمة ، وهذه العبارة من أولها الى آخرها لا حقيقة لها أصلاً . والدليل القاطع على ذلك أن محمد بك على والأعضاء الذين عادوا معه من أوربا ونحن الذين كنا هنا أصدرنا بيانًا بتاريخ ٢٨ يناير سنة ١٩٢١ جاء فيه ما نصه «نظرًا لما لوحظ أن البعض أراد أن يفسر قدوم الأعضاء الذين حضروا أخيرًا من أوربا تفسيرًا لا يتفق مع الواقع رأينا أن نصرح بأن الوفد بأجمعه وعلى رأسه رئيسنا الجليل سعد باشا على أتم وفاق وأكمل اتحاد وأنه ثابت كل الثبات ومتشدد كل التشدد فى التمسك بما قرره من أنه لايدخل المفاوضات إلا إذا قبلت التحفظات التى طلبتها الأمة وفى أولها النص على إلغاء الحماية لتكون من القواعد الأساسية التى تبنى عليها تلك المفاوضات ولا نؤيد أية هيئة أخرى تتقدم للمفاوضات الرسمية إلا إذا كانت متفقة معه على المبدأ والخطة»

«فهذا يدل دلالة قاطعة على عدم صحة عبارة محمد بك على بالمرة .

[١٤٧٩] «وكما أنه لا صحة بصدور قرار فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٢١ بعدم محاربة الوزارة بل الحقيقة أن القرار صدر بعدم تأييدها .

«ونكرر هنا بأنه ليس لمحمد بك على حق فى الاتصاف بكونه عضوًا فى الوفد المصرى بعد انفصاله منه وبعد تصريح الأمة بسحب ثقتها منه ، وما دام يكابر فى المحسوس وأصبحت الأمة لا تثق به فلا نرى وجها للاسترسال معه فى المناقشة» .

سكرتير الوفد المصرى

مصطفى النحاس

رد محمد بك على(١)

«نشر مصطفى بك النحاس كلمة لم يكتف فيها بما يؤسف له من اختلافنا فى الوقائع اختلافاً يدع الأمة حيرى لا تعرف من أمرها شيئًا بل تناولت عبارته من جارح القول ما اعتاد أن يكيله هو وجماعته لمن خالفوهم فى الرأى ولم يرد أن يجادل بالتى هى أحسن .

---

(١) النص فى الأخبار ـ تحت عنوان : بيان حقيقة ١٩٢٦/٢٢ ص ٣ .

«حال محزنة لا أتردد فى الاعتراف بأنى عاجز عن النزول معهم فى ميدانها ولذا فإنى اكتفى بالرد على جوهر الموضوع .

«يعتمد مصطفى بك على بياننا الذى نشرناه عقب حضورنا فى ٢٨ يناير سنة ١٩٢١ وقد جاء فيه «ولا يؤيد (أى الوفد) أية هيئة أخرى تتقدم للمفاوضات الرسمية إلا إذا كانت متفقة معه على المبدأ والخطة» ليقول للناس بأن الوفد كان متفقا بالإجماع على عدم تأييد الوزارة إذا دخلت المفاوضات على خلاف الشروط التى اختطها الوفد لنفسه .

«والحقيقة التى يعرفها مصطفى بك النحاس أننا اجتمعنا بعد عودتنا من باريس بزملائنا الذين كانوا بمصر وأردنا جميعا أن ننشر للأمة بيانًا فرغب مصطفى بك فى أن تكون عبارة البيان هكذا «ولا يؤيد (أي الوفد) أية هيئة أخرى تتقدم للمفاوضات الرسمية [١٤٨٠] الا اذا كانت متفقة معه على مبدئه وخطته» فعارضناه معارضة شديدة وأفهمناه أن خطتنا معروفة من قبل وقد أرسلها إليه سعد باشا من باريس وهى تنحصر فى تأليف وزارة ثقة تدخل المفاوضة متى حصلت على تصريح بأن الغاء الحماية أساس من أسس المفاوضات كما أفهمناه أن رأينا هو أن الوفد يؤيد تلك الوزارة متى اتفقت معه على هذا المبدأ أى (متى تعهدت بألا تدخل المفاوضة إلا بعد حصولها على تصريح بأن إلغاء الحماية أساس من أسس المفاوضات) وكررنا له ما يعرفه هو وزملاؤه من قبل من أننا لا نحتم على وزارة الثقة لدخولها فى المفاوضة أن تكون متفقة مع الوفد على مبدئه وخطته التى اختطها بالإجماع على نفسه لدخوله هو فى المفاوضات .

«فاتفق معنا مصطفى بك ثم عدل ثم رجع إلى رأى الأغلبية الساحقة ووقع على البيان كما وضعناه ووقع معه جميع الأعضاء

ومن هذا يظهر جليا أن ما يريد مصطفى بك أن يفهمه للناس مناف لما قصدنا وكتبنا منافاة تامة ـ وكنت أرجو ألا ينسى حضرته تاريخ هذه المسألة .

«ثم انى أعود فأكرر أن قرار ٢٨ أبريل سنة ١٩٢١ كان «عدم محاربة الوزارة» لا «عدم تأييدها» وقد أبنا أدلة ذلك فى مقالة سابقة .

«وأكرر أيضًا أننا لا نوافق سعد باشا ومن معه على رأيهم الأخير القاضى بدخول الوفد فى المفاوضات دون التمسك مبدئيا بتحقيق تحفظات الأمة .

«أمام هذه الحقائق وأمام إعلان مصطفى بك النحاس بعدم رغبته فى استمرار المناقشات أعلنه بأنى لا أود أن أتشرف بمناظرته . واهنئه ومن معه بالثقة التى يدعونها [١٤٨١] لأنفسهم وينكرونها على غيرهم فإنى عالم بوسائل حصولهم عل ما يدعون كما أعلم أن فى البلاد قوتها الحقيقية الرشيدة التى لا تعرف الصياح ولا الهتاف وكفانا من وسائل خصومنا ما تعانيه الآن أمتنا البريئة والسلام»[١] .

محمد على

عضو الوفد المصرى

والجمعية التشريعية

خطاب أعضاء الوفد المنشقين
إلى عدلى باشا بتأييده

معروف أن أعضاء الوفد السبعة المنشقين[٢] مؤيدون لعدلى باشا فى خطته ولما احتدم الجدل بين أحدهم وهو محمد على بك والوفد بشأن المفاوضات الرسمية وتأييد الوزارة أرادوا أن يظهروا للملأ بصورة أوضح كبير ثقتهم بعدلى باشا وعظيم تأييدهم له ولاسيما وقد اقترب ميعاد سفر الوفد الرسمى إلى إنجلترا فأرسلوا إليه الخطاب الآتى :

«إلى حضرة صاحب الدولة عدلى يكن باشا

[١٤٨٢] «يا صاحب الدولة

«إن الظروف الصعبة التى فيها أخذ كل منا وإياكم بنصيب من المسئولية فى قضية الاستقلال سواء عند تأليف الوفد المصرى أو مدة المفاوضات الماضية . قد مكنتنا من الاقتناع بمقدرتكم السياسية السامية وتفانيكم فى خدمة القضية المصرية من أجل ذلك لم تدهشنا من جانبكم هذه المذكرة الخطيرة التى بعثتم بها إلى الحكومة البريطانية

(١) يلاحظ فى المعركة التى جرت بين كل من مصطفى النحاس ومحمد على أنه بينما اتخذ الأول جريدة النظام الوفدية لسانا له اتخذ الثانى جريدة الأخبار الناطقة باسم الحزب الوطنى منبرا له .

(٢) للتعرف على هؤلاء الأعضاء انظر الجزء الثانى من المذكرات ص ٣٣٧ : ٣٤١ ـ ص ٣٤٨ : ٣٥٦ .

احتجاجا على تصريحات وزير المستعمرات . فإنها على ما تشف[1] عنه من الحذق السياسى دليل واضح للمفاوضين الإنجليز على أنكم لن تفرطوا لهم فى صغيرة ولا كبيرة من اغراضنا القومية ولا من المقاصد التفصيلية التى تتعلق بتلك الأغراض وبرهان سديد على أن المفاوضين عن مصر رجال أحرار ليسوا تابعين فى عملهم لسلطة غير سلطة ضمائرهم . لا يلينون فى دفاعهم عن حقوق الأمة أمام أى اعتبار من الاعتبارات .

«أما وهذا عنوان خطتكم فى المفاوضات الرسمية وذلك ما ضيكم الشريف فى المفاوضات غير الرسمية وفى كل موقف وقفتموه من قبل أنتم وزملاؤكم فى قضية الاستقلال التام فسيروا على بركة الله مؤيدين من الأمة واثقين بأن مصر على رغم هذه المحنة السطحية أعطف الأوطان على أبنائها العاملين لمجدها المتفانين فى خدمتها .

[١٤٨٣] «سيروا مؤيدين من الأمة ولا تخشوا تفرقا فى الكلمة فأننا معاشر أبناء النيل لا نلبث وقت الشدة أن نجمع صفوفنا ونسعى متكاتفين بخطوة واحدة الى غرضنا الأسمى الذى قد عرفنا أن نضحى فيه كل مصلحة شخصية وكل رابطة مذهبية أو حزبية . فلن يعوزكم إجماعنا على تأييدكم أثناء المفاوضات فإننا نعلم يقينًا أن هذا الإجماع هو العلة الوحيدة للنجاح نسأل الله أن يوفقكم إلى تحقيق آمال البلاد .

«وتفضلوا يا دولة الرئيس بقبول تحياتنا وعظيم احترامنا» .

على شعراوى . محمد محمود . عبدالعزيز فهمى . أحمد لطفى السيد . محمد على . عبداللطيف المكباتى . حافظ عفيفى .

١٧ يونية سنة ١٩٢١ .

(١) تنم أو تكشف .

تكريم الموظفين الموقوفين

[١٤٨٤] أشرنا فى حوادث شهر إبريل سنة ١٩٢١ الى الحفلة التى اقامها الموظفون تكريمًا لسعد باشا بالرغم من تهديد الحكومة لهم .

فلمّا وجدت الوزارة من الموظفين هذا التحدى أصدرت أمرها فى ٨ مايو سنة ١٩٢١ بإيقاف تسعة من زعمائهم وهم حضرات :

صادق حنين بك مدير قسم الإدارة والاحصاء بوزارة الزراعة ، والأستاذ محمود فهمى النقراشى وكيلها ، وسلامة بك ميخائيل القاضى بمحكمة بنى سويف الأهلية وأحمد خشبة بك وكيل نيابة الاستئناف الأهلية ، والأستاذ مكرم عبيد الأستاذ بمدرسة الحقوق السلطانية والدكتور نجيب اسكندر الموظف بمصلحة الصحة وزكى أفندى جبرة الموظف بالبلديات وفؤاد أفندى شرين وحسين أفندى فتوح الموظفين بوزارة المعارف .

ولقد صدر أمر الوزارة بإحالتهم جميعا إلى مجالس التأديب . فحكم مجلس التأديب المنعقد بوزارة الحقانية فى ٢٨ مايو سنة ١٩٢١ على الأستاذ مكرم بقطع شهر من مرتبه ابتداء من ٨ مايو سنة ١٩٢١ . وانعقدت الجمعية العمومية بمحكمة الاستئناف فى يوم ٢ يونيه سنة ١٩٢١ وبرأت سلامة بك ميخائيل[١] . وانعقد مجلس التأديب بوزارة الزراعة فى أول أكتوبر سنة ١٩٢١ وأيد قرار ١٦يونيه سنة ١٩٢١ القاضى بإنذار الاستاذ النقراشى . وانعقد مجلس التأديب بوزارة الزراعة فى يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٢١ وحكم [١٤٨٥] بإنذار الأفنديين فؤاد شرين وحسين فتوح بعد أن كان مجلس التأديب قد برأهما فى ٢٦ يونية سنة ١٩٢١ .

أما صادق بك حنين فقد قرر مجلس الوزراء فى ٢ يونيه سنة ١٩٢١ فصله من وظيفته[٢] .

---

(١) رأس محاكمة سلامة ميخائيل (أحمد طلعت باشا) ودافع عنه كل من المحامين مرقص بك حنا نقيب المحامين حينذاك وأحمد رمزى بك عضو مجلس مديرية الدقهلية ، وكامل صدقى بك عضو الجمعية التشريعية . انظر جريدة النظام ١٩٢١/٦/٢ ص ٢ .

(٢) انظر الجزء الثالث ص ٣٥٧ .

وعلى ذلك أقيمت له حفلة تكريم شائقة فى ١٩ يونيه سنة ١٩٢١[١] حضرها سمو الأمير عزيز حسن وكثير من الكبراء والعظماء والموظفين والطلبة . وقد خطب فى الحفلة كل من سلامة بك ميخائيل القاضى والأستاذ النقراشى وحسن نبيه المصرى بك القاضى والدكتور أحمد ماهر الأستاذ بمدرسة التجارة العليا والأستاذ مكرم عبيد .

ثم وقف سعد باشا وألقى الخطبة الآتية :

خطبة سعد زغلول باشا[٢]

[١٤٨٦] يا صاحب السمو الجليل أيها السادة الكرام . إخوانى . ابنائى لا أقول لصادق بك إلا كلمة واحدة : كفاك شرفًا أن رفتتك الوزارة العدلية .

كنت فى جماعة من إخوانى يوم أن اشتغلت محكمة الاستئناف بالنظر فى قضية حضرة القاضى الفاضل سلامة بك ميخائيل فجاءنى الخبر الجميل بأن المحكمة بالاجماع اصدرت حكمها ببراءته . ففرحت بهذا الحكم لأنه أيد مبدأ جميلا جدًا هو تقرير حرية الموظفين فى ابداء رأيهم . ولكن ما لبثت ان فكرت ان الوزارة ستتخذ خطة ربما تجردنا من سلاح قوى لمحاربتها : فكرت أنها ستقول إنى وزارة دستورية جئت لأن أتفاوض وآتى بالاستقلال التام واضع مشروعاً للدستور على المبادئ العصرية ولأنى وزارة دستورية لم أرد أن أستبد بالموظفين الذين خالفوا رأيى فقد كنت أملك إنذارهم وقطع مرتباتهم لغاية نصف شهر ولكنى لم أرد أن أكون مستبدة ولذلك أحلتهم الى المجالس التأديبية ومن ضمنها مجلس التأديب للقضاة . ومن حيث أن هذا المجلس مؤلف من قضاة عدول هم الملجأ الوحيد للعدالة فى البلاد ومن حيث أنهم أصدروا حكماً ببراءة حضرة سلامة بك فإنى أحترم ذلك الحكم واسحب بقية القضايا من مجالس التأديب الأخرى برهانًا على أنى أحترم القضاء والعدالة .

---

(١) كان هذا الحفل هو أولى الحفلات التى أقيمت لذلك الغرض ومن أروع مظاهرها أن الداعين إلى إقامتها كانوا ٧٦ موظفا من رجال القضاء والنيابة والطب والهندسة والتعليم والإدارة . وكان مكان الاحتفال فى أرض فضاء فى مواجهة المدرسة السنية بشارع المبتديان .

انظر مذكرات فخرى عبدالنور ثورة ١٩١٩ (دور سعد زغلول والوفد فى الحركة الوطنية) تحقيق د . يونان لبيب رزق دار الشروق ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص ١٥٣ .

(٢) نص الخطبة ـ جريدة النظام ـ فى ١٩٢١/٦/٢٣ ـ ص ٢ .

قلت إن الوزارة سوف تقول هذا وإذًا تجردنا من سلاح ضدها ولكن الله لم ير أن يغش الأمة . لأن الوزارة لو كانت قالت ذلك وهى هى كما أعلم منها ومن خفايا صدورها لانخدعت الأمة بقولها ولكنها لم تلبث أن اجتمعت اجتماعًا غير عادى وقررت رفت [١٤٨٧] صادق بك حنين . ولولا كراهة طبيعية للظلم لفرحت بهذا القرار لأنه كشف عما فى صدورها من النيات[1] للبلاد .

وزارة تدعى أنها تسعى لاستقلالنا وتنزل على إرادتنا ثم هى لا تعمل الا لقهر هذه الإرادة وتطعن القضاء بغير حق عقب أن طعنها بحق . ولو كنت فى مركز الوزارة ولطمتنى العدالة هذه اللطمة لخررت مغشيا علىّ فى الحال ولفارقت مركزى لأن العدالة قضت علىّ وعلى سياستى ومن هو أكبر من القضاء إذا حكم ؟

استخفت الوزارة بالقضاء وقررت رفت ذلك الفاضل صادق بك حنين لأنه قضاء فلاحين[2] . هذا هو اعتقادها ولو كان بين أولئك الفلاحين إنجليزى لما أمكنها أن تفعل ما فعلت . عزيز علىّ أن أقول هذا عن وزارة مصرية فى الشكل والظاهر ولكن الحقيقة فوق كل اعتبار .

تقول الوزارة في بيانها الأول رداً علىّ فيما يختص بالرئاسة إننا ونحن نريد أن نكون أمة مستقلة دستورية لا يسوغ لنا أن نبتدع فى التقاليد بل نتبع الدول الدستورية فى تقاليدها ومتى كانت تقضى بأن يكون رئيس الحكومة رئيسًا للمفاوضين فلا نريد ونحن قادمون على هذا العصر الجديد أن نبتدع فى باب التقاليد .

اذا كان هذا هو الذى حمل الوزارة على التشبث بالرئاسة حقيقة فهلا كان يحملها من باب أولى على احترام حرية الناس وهو مبدأ أعلنته الثورة الفرنسية وقدسته كل الدول المتمدنة . فكيف أيتها الوزارة تحتفظين بالتقاليد فيما يتعلق بالأمور العرضية ولا [١٤٨٨] تحتفظين فيما/ يتعلق بالأمور الجوهرية؟ أفلا كان ينبغى لك أن تتركي الناس أحرارًا يبدون آراءهم كما يشاءون ؟ نحن الآن نكرم رجلاً لأنه ضحى وظيفته فى سبيل إبداء

---

(١) فى أصل الخطبة المنشورة فى النظام (النوايا) وليست النيات ، انظر جريدة النظام ١٩٢١/٦/٢٣ ص ٢ .

(٢) واضح أن سعد باشا أراد من وراء ذلك التلميح إلى غياب العنصر المصرى من الفلاحين فى وزارة عدلى يكن ذى الأصول التركية .

رأيه بحرية . ولو اطلع علينا رجل متمدين لاستغرب جداً حالتنا ولكان يقول هل ابداء الرأى بحرية فضيلة ممتازة؟ ومتى كان ابداء الرأى يعد تضحية ؟ ومتى كان مبديه يستحق التكريم؟ نقول له نعم إن سياسة وزارتنا قضت بذلك فجعلت الموظف يحتاج لشجاعة ومخاطرة فى ابداء رأيه بحرية وهى فضيلة يستحق عليها التكريم .

كنا نود أن تكون حرية الرأى ملكا شائعا بين الجميع كالضوء والهواء ولكن الوزارة لم تشأ ذلك بل قالت للموظفين انى أمنعكم عن ابداء آرائكم بحسب اعتقادكم بل لاتبدوا رأياً إلا إذا كان موافقاً لرأيى . بل قالت يجب عليكم أن تبدوا آراء تخالف ضمائركم وتوافقنى هكذا فعلت مع الموظفين فى أسيوط وغيرها ومن خالف منهم أمرها نكلت به تنكيلا شديدًا فمنهم من رفتت[1] كعمدة قليوب ومدير المنوفية ومنهم من نقلت[2] إلى مكان سحيق كقضاة دمياط والسنطة وملوى الشرعيين وكمأمور مركز أبى تيج . هؤلاء لم يأتو بما هو ضد اعتقادهم فما كان من الوزارة الا أن أنزلت بهم هذا العقاب .

ولم تكتف بذلك ـ وهذا موضوع أسفى وكدرى ولابد أن يكون موضوع أسف الكل ـ بل دخلت إلى المدارس تفسد أخلاق تلاميذها فوعدت من يمضى/ بالثقة فيها بالنجاح [١٤٨٩] فى الامتحان ولو كان خائباً فيه . وتوعدت من لم يمض لها بالسقوط فى الامتحان وان كان ناجحاً . أمر مفسد للأخلاق مفسد للتعليم مؤخر للعلوم .

لا أريد أن أشق عليكم بكثرة الأمثلة واكتفى بمثل صغير من كبير جاءتنى به الإفادات .

لم تكتف الوزارة بالمدارس بل دخلت الكتاتيب أيضاً لإفسادها فقد جاء فى كتاب بتاريخ ١٥ يونيه يقول كاتبه : «أتقدم إلى معاليكم محتجًا على عمل رجال الإدارة عندنا ومن ضغطهم على حريتنا وارغامنا على الوثوق بالوزارة التى لن نثق بها وارغام صبيان الكتاتيب على التوقيع حتى بلغ ذلك الاجحافُ ولدىّ الصغيرين : الأول لم يبلغ من العمر إلا ست سنوات تقريبًا والثانى أربع سنوات أمر أثار الغضب فى نفوس كل محب

---

(١) الصحيح رفت .

(٢) الصحيح نقل .

لوطنه غيور على مصلحته ، ولقد حضر إلىّ أولادى يبكون وينوحون مما أرغموا عليه صارخين ألا وثوق لنا إلا بمعالى رئيسنا وزعيمها المحبوب سعد باشا زغلول . فنحتج بشدة على هذا التصرف السيىء ونرجو من الله القدير أن ينصرك نصرًا عزيزًا . وإنى وأولادى جميعا نكرر ثقتنا بمعاليك ونحتج بشدة على سفر الوفد الرسمى الذى لا ينوب عنا ولا يمثل إلا نفسه فقط كما نحتج على خطبة تشرشل ضد مصلحة قضيتنا العادلة . ونحن وجميع البلقاسيين براء من كل وفد يرأسه غير معاليك ولو أتانا بالاستقلال التام .

«فليحى الشعب يؤيدك في خطتك الحكيمة . ولتحيى مصر حرة مستقلة على يدى معاليك .

«وختاما تقبل يا معالى الرئيس المحبوب تحياتنا» [١٤٩٠]

«عبد المجيد حمودة ببلقاس»

إن إدارة تختّم الصبيان بهذه الكيفية على الثقة بها هى التى تأتى إلينا بالاستقلال التام؟ (ضحك) .

رأتْ وفودًا تأتى فى طائفة مختارة لتعبر عن ثقتها بالوفد المصرى فأوعزت إلى رجالها بأن يأتوا لها أيضًا بوفود . جاءت تلك الوفود وعلى رأسها المدير وعلى حواشيها المأمير وفى أوساطها الخفراء فيستقبلهم رئيس الوزارة ويقول لهم أمام هؤلاء الذين يسوقونهم أو يحوطونهم : انى مسرور من اخلاصكم ومن أنكم جئتم طائعين مختارين (ضحك وتصفيق) .

ذكرنى هذا بحاكم فى أيام السلطة العسكرية فى أثناء الحرب رأى رجلا مكتوف اليدين والخفراء يجرونه لأجل أن يوردوه للسلطة فقال هذا الحاكم : ما هذا؟ قالوا : متطوع يا سيدى .

ورئيس الوزارة أيضاً يقول لوفوده انى ممنون من إخلاصكم ومن هذه الثقة الخالصة التى دفعتكم للحضور عندى (ضحك) وإن حضوركم على «هذه الكيفية» ، دليل صادق على كذب خصومنا الذين يزعمون أنكم آتون بطريق الإرهاب والتهديد (ضحك) وإننا بناء على ذلك وعلى هذه الثقة سنذهب بعناية الله إلى لندرة لإتمام المهمة التى أخذناها على أنفسنا .

ألعب هذا أم جد؟ أيتكلم ليشهد الأمة المصرية على أن كلامه مخالف للحقيقة أو على الأقل ليشهد الذين أمامه على أنه يقول حقًا؟ أنه لا يتكلم بهذا لأمتنا لأنها ليست [١٤٩١] بشيء عنده وإنما يتكلم للأمة الانجليزية التى يعتمد عليها فى حكمنا . أؤكد لكم أنه لو كان يعتمد على الأمة المصرية وثقتها لما بقى فى منصبه بعد أن سحبت منه هذه الثقة يومًا واحدًا ولكنه يعتمد على الحكومة الانجليزية التى تشد أزره .

ترون كل يوم فى الجرائد الانجليزية خصوصًا تنديدًا بنا وتمجيدًا لعدلى باشا وزملائه حتى قالت التيمس الصادرة فى ٩ يونيو بأن معارضة الوفد شديدة لعدلى وانها إذا استمرت فإنها تجعل سفر الوفد الرسمى غير ممكن واذًا فإنها تجعل المطالب المصرية لا تنال .

ان عدلى رجل يمثل المصالح الإنكليزية لا المصرية فإننا لم نتعود من الجرائد الانجليزية أن تدافع عن رجل أو هيئة تسعى بإخلاص لمصلحة بلادنا . ويقول أيضًا بعض هذه الجرائد الإنكليزية أن المصريين منقسمون الآن فيجب الإسراع بالاتفاق معهم قبل أن تعود صفوفهم إلى الاجتماع والالتئام .

رأينا الجرائد الانكليزية والوزارية[1] هنا ينسبون إلينا الثورة قاصدين تشويه حركتنا التى هى قذى فى أعينهم ويتخذون الثورة شيئًا مخيفًا يهددون به . عجبًا لهؤلاء الناس!! إن حركتنا أو نهضتنا أو ثورتنا التى قامت فى سنة ١٩١٩ - سموها كما شئتم - قامت لاستقلالنا ولتعلن أن الحماية باطلة وقامت فى وجه أكبر دولة فى العالم غداة انتصارها فأعلنت بطلان الحماية جهارًا . ويقول هؤلاء الوزراء أنهم اشتركوا فى هذه الحركة فهى لم تكن ثورة عندما اشتركوا فيها ولكنها الآن وهى موجهة ضد بعض أشخاص منا يريدون أن [١٤٩٢] يغلبونا على أمرنا بغير القانون وبغير ما أراد الله فقد صارت ثورة كما يقولون .

ان كان إعلان الغضب على وزارة وعلى أشخاص معدودين ملونين مهما خالفت أعمالهم أقوالهم ثورة . وان كان طلب اسقاطهم بطريق شرعى ثورة . فأنا أول الثائرين وعلىّ المسئولية (تصفيق حاد جدًا) .

أتخضع أمة قامت فى وجه أكبر دولة لحكم عشرة أشخاص لاثقة لها بإخلاصهم

(١) يقصد : الأخبار والوطن ومصر والاستقلال التى اتخذت موقفا معاديا من الوفد .

للبلاد ؟ من ذا الذى يجبر الأمة على ذلك ؟ كيف نسمع ان العداء لهم وأن الغضب منهم يؤخر مطلبنا ويقهقرنا إلى الوراء ثم نسكت على ذلك ؟

ان الجرائد الإنكليزية إلا واحدة منها كلها ضدنا . أرسلنا لبعض وكلائها فى انجلترا ببعض معلومات عن حوادث إسكندرية وغيرها وعن أعمال الوزارة هنا وطلبنا منهم نشرها بالجرائد فلم تقبل نشرها . وأما ما هو فى مصلحة الوزارة فإنه ينشر بالتفصيل .

وهذا دليل على أن هناك اتفاقًا بين الوزراء المصريين والحكومة الإنجليزية على أن تترك الحكومة الإنكليزية وزراءنا المصريين يفعلون بنا ما يشاءون على أن يجبرونا على قبول المشروع الذى يأتون به مهما كان مخالفًا لمطالبنا . ونحن لا يمكننا أن نعتمد على هؤلاء ولا أن نوليهم ثقتنا لأنه لم يقم برهان على إخلاصهم وإنما قام البرهان على ممالأتهم للإنجليز .

تقول طائفة منا من حيث أنهم تعينوا فعلاً فالأولى بنا أن ندعو لهم بالسلامة وننتظر ما يأتون به . ومن الأسف أن هذا القول صدر من بعض العلماء ونحن لا نريد أن نمنع سفر هؤلاء بالقوة بل نريد أن نمنع سفرهم منعًا معنويًا فلا نوليهم ثقتنا بل نريد أن نعلنهم [١٤٩٣] ونعلن الملأ أجمع بأنهم ليسوا وكلاءنا وإنما يعبرون عن أشخاصهم فقط .

طلبنا أن يكون المفاوضون هم الذين تثق بهم الأمة فقالوا ثائرون .

فى كل بلد دستورى لا يسأل الملك عن أمر أصدره متى كان ممضيًا من وزرائه وقد أمضى الوزراء المرسوم المعين للمفاوضين فهم المسئولون عنه أمام الأمة . وهل نعد ثائرين إذا نحن طلبنا من عظمة السلطان تعديله وإذا أجابنا عظمة السلطان فهل أيضًا يعد ثائرًا في حكمهم ؟

كلمة الثورة جرت على ألسنتهم وطبعت بها منشورات ساقطة وزعت وتوزع بواسطة رجال الإدارة وترسل مع الخفراء بدفاتر الأحوال إلى البلاد والقرى كأنها من أعمال الحكومة الرسمية . وسائل صبيانية معيبة .

وقد ضبط رجال الحكومة يستعملون سلطتهم في توزيع هذه الأوراق ولهم قضية بالنيابة الآن .

وتطبع الجرائد الموالية للحكومة كل حين منشورات وبيانات تكتب تحتها (طبق الأصل) وتدعى فيها أن الوفد اصطلح مع الوزارة وتارة تطبعها على حدة وتوزعها فى الشوارع وتلصقها على الجدران .

الوفد أمين الأمة ووكيلها . والقضية التى عهد إليه فيها وأمنته الأمة عليها هى قضية الوطن الكبرى . . والوزارة تبين من أعمالها أنها تلعب بهذه القضية ولا تريد لها نجاحًا . فلا يمكن أن الوفد المصرى يقبل صلحًا فيها مع هذه الوزارة .

[١٤٩٤] تلك الدماء التى أريقت ـ وتلك الأرواح التى أزهقت وتلك الحرية التى خنقت وأولئك الموظفون الذين تكل بهم وهذا الاستخفاف الشديد بالأمة . كل ذلك منع الوفد من أن يشترك مع هذه الوزارة ولو قبلت جميع شروطه . ولو قبلتُ الاشتراك معها لعددت نفسى خائنًا لأمتى .

تقول الوزارة وأنصارها تغريرًا وتلبيسًا أنها قبلت شروطنا إلا الرئاسة . فما بال الأحكام العرفية لا تزال قائمة فوق رءوسنا؟ قالوا : كنا سنلغيها لولا حادثة الإسكندرية ولماذا لم يلغوها قبل هذه الحادثة ؟ كانوا يقولون أنهم سيلغونها بعد الاتفاق مع الوفد . أى أنها كانت سيفًا مسلولاً على الوفد حتى يتفق مع الوزارة . ان كرامة الأمة المصرية تأبى الدخول فى المفاوضات وهى خاضعة لأحكام عسكرية تقهر بها الأمة التى تتفاوض معها . ولا ندرى كيف سوغ الوفد الرسمى لنفسه أن يذهب للمفاوضة تحت هذه الأحكام العرفية وبعد أن صرحت الحكومة الإنجليزية بعدم إلغائها ؟ ليس الغرض من السفر في الواقع هو الاتيان بالاستقلال بل بشىء آخر يفهموننا أنه الاستقلال ويقهروننا على قبوله بواسطة تلك الأحكام العرفية ولكن فاتهم أن الروح التى اودعها الله فى الأمة لا تقوى على مغالبتها لا أحكام عرفية ولا استبداد مستبد ولا قوة أى مملكة ولو كانت أقوى من مملكة انجلترا (تصفيق حاد) هذا هو الاعتقاد الذى رسخ فى نفسى من كل ما رأيت وسمعت من يوم عودتى الى البلاد الى الآن .

ان الروح المنبثة فى البلاد روح قوية صادقة لا يغلبها غالب ولا يمكن لأى خادع[١] أن يموه على البلاد فيجعلها تقبل شيئا لا يحقق استقلالها التام فى الواقع ونفس الأمر .

[١٤٩٥] فليذهب هو وأنصاره إنا هنا قاعدون .

---

(١) سقط من الخطبة عندما نقلها صاحب المذكرات كلمة «ولو كان عدلى» . جريدة النظام فى ١٩٢١/٦/٢٣ .

ثم نهض حضرة صادق بك حنين وشكر الحاضرين عمومًا والموظفين خصوصًا على ما أظهروه نحوه من حسن العواطف فصفق له الحاضرون طويلاً .

ثم وقف الأستاذ سلامة بك ميخائيل القاضى وتلا على الحاضرين صورة قرار فوافق عليه الجميع وهذا نصه :

نص القرار

«اجتمع اليوم جمهور عظيم من موظفى الحكومة وأعيان الأمة بناء على دعوة لجنة مؤلفة من ستة وسبعين من كبار الموظفين فى القطر المصرى لتكريم زميلهم صادق بك حنين أكبر موظف مصرى في وزارة الزراعة بمناسبة فصله من الخدمة بقرار من مجلس الوزراء دون محاكمته وذلك لمجرد عدم تأييده للوزارة الحالية فى خطتها السياسية وابداء رأيه فى الحالة الحاضرة بمنتهى الحرية والإخلاص وخصوصًا أن هذا الفصل جاء على أثر حكم القضاء العادل بتبرئة زميله سلامة بك ميخائيل القاضى فالحاضرون ينتهزون هذه الفرصة لتقرير ما يأتى :

«أولا : احتجاجهم الشديد على التجاء الوزارة إلى استعمال سلاح استبدادى في فصل الموظف بقرار منها كلما أعيتها الحيل فى فصله بطريق المحاكمة التأديبية أو أعوزتها الحاجة الي فصله ارضاء لشهوة سياسية .

«ثانيا : عدم الثقة بالوفد الرسمى الذى لا يمثل الأمة وتشكل ضد ارادتها مخافة أن يصيب الاتفاق المزمع عقده من الفشل ما أصاب الاتفاقات الأخرى التى عقدتها الحكومات ولم تقرها الشعوب .

[١٤٩٦] «ثالثا : تأييدنا لمعالى سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصرى وزعيم الأمة بلا مراء وتأييد صحبه المخلصين فى خطتهم الحكيمة فى القضية المصرية .

«رابعاً : تبليغ هذا القرار لعظمة السلطان ولصاحب المعالى سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصرى ولصاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ولغيرهم من الهيئات والصحف» .

الاجتماع لتكريم الموظفين

[١٤٩٧] وأقيمت فى مساء الثلاثاء ٢١ يونيه سنة ١٩٢١ الحفلة التى أعدت لتكريم حضرات الموظفين التسعة الذين أحيلوا على المحاكمات التأديبية بسبب اشتراكهم في حفلة تكريم سعد زغلول باشا .

ففى الساعة الخامسة احتشد جمهور عظيم من العلماء والآباء الروحيين والموظفين والمحامين والأطباء والمهندسين وأعضاء الوفد المصرى والأعيان والوفود من الأقاليم والطلبة والعمال وغيرهم من مختلف الطبقات .

وكان الاحتفال برياسة صاحب السمو الأمير عزيز حسن باشا[١] وحضره صاحب المعالى سعد زغلول باشا .

وقد خطب الأستاذ أبو شادى بك ثم الأستاذ الشيخ محمد على ندا الذى كان قاضيا للسنطة ثم نقل إلى إسنا[٢] ثم حضرة فخرى بك عبدالنور[٣] ثم أعقبه حسن أفندى فايق الممثل فألقى منولوجا ثم تلاه الأستاذ أمين أفندى عز العرب المحامى فألقى خطبة .

ثم قام معالى سعد باشا زغلول فألقى بين الهتاف الشديد والتصفيق المتواصل الخطبة الآتية :

خطبة سعد باشا

أيها السادة :

ليس لدى[٤] شىء كثير لأقوله بعد الخطباء الذين سبقونى فإنهم ألموا بموضوعات شتى ولأنهم لم يتركوا لى شيئا منها أعرضه عليكم وزيادة على ذلك [فلابد أنكم مللتم

(١) افتتح الأمير عزيز حسن الحفلة بقوله : «السلام عليكم ، باسم الله افتتح الحفلة التى تقام لتكريم الموظفين التسعة»

(٢) حيث جازته الوزارة على هذه الخطبة .

(٣) ألقى كلمة باسم «لجنة الوفد المركزية» وقد تركزت على الهجوم ضد وزارة عدلى واتهامها باستخدام القوة والعنف وتحديها رغبة الأمة .

انظر مذكرات فخرى عبدالنور ثورة ١٩١٩ / تحقيق د . يونان لبيب رزق ص ١٥٤ .

(٤) فى أصل الخطبة/ لم يكن عندى . جريدة النظام ـ أخبار وحوادث ١٩٢١/٦/٢٣ .

[١٤٩٨] طول الجلوس][(١)] (هتاف لا . لا) وكذلك أحس بنفسى شيئًا من التعب فاعذرونى إذا[(٢)] قصرت عن بيانى[(٣)] على أن لسان الدمع[(٤)] أفصح من بيانى[(٥)] أنا شاعر[(٦)] بماذا ؟[(٧)] شاعر بما أنتم به[(٨)] شاعرون ، كلكم شاعر أننا[(٩)] محكومون ظلما وعدوانا[(١٠)] وأن الذنب[(١١)] ليس على الوزارة فإن الوزارة ليست إلا درعًا للانكليز فلنترك الوزراء لأنهم لم يعودوا أهلاً لأن يكونوا خصومنا فإن خصومنا هم الإنجليز لا الوزراء الذين مهما بلغت قوتهم فلن يحكموا أمة بتمامها أمة قوية روحها المعنوية . إن الذين يحكموننا هم الإنجليز فليبرزوا لنا فإن الوزراء (برادع) لهم .

انى أيها السادة ولست مغاليا فيما أقول أشعر بنفسى باحتقار لنفسى إذا استرسلت فى خصومة هؤلاء الوزراء

فلنخاصم أولئك الخصماء ولنترك الوزراء جانبا فإنهم إنما ينفذون سياسة الإنكليز الذين صح لهم أن يقولوا بعد التهم التى رضيت بها سياستهم بعد الحرب إن رجالنا ومفتشينا كانوا غائبين أثناء الحرب وأن الإدارة كانت بأيدى الوطنيين فالوطنيون هم الذين ظلموا ذلك الظلم الذى عمت به الشكاية ، أما نحن فلم تلوث أيدينا بهذا الظلم ولكنهم الآن لا يمكنهم أن يتخلصوا من هذه الوصمة وهم بيننا ولهم مفتشون وموظفون يرون التوقيع على هذه الوثائق . ولا عيب أن تلقى عليهم مسئولية هذه المظالم إذا ما دامت الحماية موجودة وما داموا واضعين أيديهم على كل شيء في مصر فليتحملوا مسئولية هذه المظالم .

(١) فى الأصل/ فإنه لابد أن يكون أصابكم شيء من الملل لأن الوقت طال ـ المصدر السابق .
(٢) سقطت كلمة (أنا) .
(٣) فى الأصل (فى البيان) .
(٤) فى الأصل (الجميع) وليس الدمع .
(٥) سقطت كلمة (كلكم شاعر بما) .
(٦) فى الأصل (به) وليس بماذا .
(٧) سقطت كلمة (وأنا) .
(٨) أضيفت كلمة (به) من خلال صاحب المذكرات .
(٩) فى الأصل (باننا) .
(١٠) فى الأصل بالظلم والعدوان) .
(١١) سقطت كلمة (فى الحقيقة) .

إن هذه العرائض التى تستعمل كل طريقة غير شريفة لإمضائها وتلك الوفود التى تحضر أمام عدلى باشا هذه وهذه معدة لخدام الأمة الانكليزية . كل عريضة ثقة وكل وفد تقدم للأمة الانكليزية تلغرافيا ويقال إن عدلى باشا جاءه وفد من أسيوط بعشرة آلاف امضاء ووفد من الشرقية ومعه ٢٥ ألف امضاء ووفد من المنوفية ومعه ٣٠ ألف إمضاء وغير ذلك . [١٤٩٩]

تنشر كل الصحف الانجليزية أخبار الوفود والعرائض الكاذبة لتدل على أن الوزارة موضع ثقة الأمة ثم إنها لحادثة كحادثة الاسكندرية أو لمعارضة كمعارضتنا نقول إن من شأنها أن توجب على الأمة الإنجليزية على ألا تعطى الأمة المصرية شيئا أو تعطيها القليل من مطالبها . فهذه الوثائق يراد بها تفهيم الإنكليز أن عدلى باشا هو موضع ثقة الأمة وحتى إذا لم يأت الوفد الرسمى بكل ما تطلبه الأمة قالوا إن حوادث الاسكندرية هى التى منعته عن الاتيان بكل ما تريده . وهاكم ما جاء بإحدى الصحف الوزارية وأعنى بها جريدة «الأخبار» ـ ثم قرأ رسالة مكاتب التيمس ومقالها الافتتاحى ـ وقال : كل هذه الأكاذيب أنتم أعلم بالغرض منها فهى تنشر لتقلل من شأن الأمة وتعزز من شأن عدلى باشا وأنصاره .

يجب ألا أترك مسألة التشريفات تمر . حقيقة أنى سمعت بالإشاعة انى كنت أريد عمل تشريفات وما كنت لأهتم بتكذيبها لأنها لاقيمة لها ولأنها غير صحيحة ولكنهم اخترعوا إلى جانبها فرية أخرى فقالوا إن زغلول يريد قلب الحكومة إلى جمهورية يكون هو رئيسها وطبعاً يمهد بالتشريفات وغيرها .

نقلت إلى هذه الإشاعة فكذبتها لرواتها كما هى الحقيقة وأقول لكم ولا أخشى أن أقول لكم ما فى فؤادى ولا يخشى الحق إلا الضعيف وأنا قوى بكم (هتاف) أنه لم يخطر على بالى هذا الخاطر ولم يمر ببالى والمشروع الذى قدمه الوفد لملنر بينا فيه وقلنا إن مصر تكون ملكية مستقلة لا جمهورية ونادينا بأننا نحترم البيت السلطانى وأننا نحتفظ به [١٥٠٠]

من أول يوم تشكل فيه الوفد فى كل مناسبة وفى كل مكان وأقول أيضًا أنى لا أبتغى عن هذا المركز بديلا (ليحيا رئيس الأمة المصرية ـ ليحيا زعيم الأمة)(١) .

أنا لا أريد أن أكون موضوع خوف بل اريد ان أكون دائما موضوع احترام فليطمئن أعدائى ليطمئن خصومى وليطمئن كل من يريد الاطمئنان من جهتى وانه ليس لى مطمع ما غير ما أنا فيه .

قالت التيمس (قرأ المقالى الافتتاحى حتى وصل إلى نقطة الخلاف فقال) تدرون ما هى الكفاءة ؟ هى المرونة وكانوا يقولون عن عدلى باشا أنه مرن ولكنهم عادوا يعدونه اصلب من زغلول وقالت الوستمنستر أنه أصبح خشنًا (يعنى اسمعوا يا مصريين) ثم استمر فى القراءة حتى وصل الى عبارة (الحكم الذاتى) فكررها مرتين)(٢) .

ثم قال أنهم يقولون أنه مادام الهياج والسب الشنيع مستمرا فإن الأمانى المصرية ستصاب بصدمة هو حد قاله يسب دا اللى يقول يحيا فلان يطلق عليه الرصاص . واستمر فى القراءة حتى وصل إلى كلمة (عناصر مخيفة) فقال : كلمة تخوف شوية . فالجرائد الإنكليزية اعتمادًا على وثائق الثقة تعزز عدلى باشا وتجعل خصومه المسئولين عن نتيجة المفاوضات وأن حوادث الاضطراب مما يجعل الأمة البريطانية لا تعطى مصر إلا مقدارًا من المسئولية لاكل المسئولية ثم تقول للأمة انظرى إن زغلول وأعوانه هم الذين أفسدوا عليه خطته . لو كانوا لم يعتدوا على الوزارة أو كانوا أيدوها . لو كانوا شيعوها [١٥٠١] بالفاتحة كانت (جابت) الاستقلال التام ولكن إذا لم تأت به فالحق عليهم ويتخذون الهياج فى عرفهم معارضة الوزارة سببًا والصحف الممالئة للإنجليز تمهد هذا العذر ولكن خاب فألهم فإن هذه العرائض قليلة ولا تنفعهم شيئًا والمقاومة الحقيقية من كل الجهات لهذه العرائض لا تجعلنا نخشى على مستقبلنا ولا يمكن أن تعد معارضتنا صادرة من صعاليك أو رعاع إلا إذا كانت الأمة كذلك . ولكن الأمة ليست كما يريد عدلى والانجليز بل الأمة بطبقاتها مجمعة على أن هذه وزارة إنكليزية وأنها لا تريد أن تأتى بالاستقلال بل بما يرضى سياسة الاستعمار .

---

(١) ينفى سعد هنا الإشاعة التى كان يروج لها خصومه فضلا عن الصحافة البريطانية أنه يريد إقامة جمهورية فى مصر ويكون هو أول رئيس لها محتذيا في ذلك حذو مصطفى كمال فى تركيا الذى كان فى طريقه لانهاء السلطنة العثمانية .

(٢) حذفت هذه العبارة في اصل المذكرات وكتب فى الهامش هذه العبارة (يريدون أن يخلقوا الصفات للرجل وأن يحملونا على التصديق بوجودها فيه) .

أقول لحضراتكم أنى لما علمت أن حضرات الموظفين أجمعوا رأيهم على تكريمى وزملائى وأن الوزارة منعت هذه الحفلة شعرت بضعف سمّوه اشفاقا أو تخوفا عليهم وقلت أرجوكم أن تعدلوا عنه لأنى لا أريد أن يصيبكم كدر بسببى فأجابونى إن الأمر ليس مختصا بك بل مختص بالمبدأ وبكرامتنا وبأننا بنو آدم بصفتنا مصريين أن نكون موظفين قلت (عظيم جدًا) وشعرت بالخجل من أنى لم أدرك ما أدركوه فعرضت أن أغيب عن الحفلة فأبوا أن أغيب عنها فرجعت عن رأيى وقلت اتركهم وما يصنعون . ولو كنت أعلم بالنتائج الهامة التى ترتبت على تصميمهم لشجعتهم عليه لأن هذه النتائج ظهرت جميلة ونافعة للقضية العادلة نتائج نشرت مبدأنا ـ وأنا من أوساطكم ـ لم أكن ملمًا بها كل الإلمام هو مبدأ حرية الموظف فى ابداء آرائه السياسية صار هذا المبدأ مقررًا في كل [١٥٠٢] الأذهان معروفًا وجاء القضاء متوجًا له نتيجة أخرى . أن هذه النتائج قضت على الوزارة قضاءا مبرمًا واذا كانت الوزارة لم تسقط فعلاً فليعلم أنصارها أنها سقطت سقوطًا أدبيًا ولذلك لا اعتبار لها الوزارة فى عرفى ساقطة ولذلك لا أتكلم عنها .

هذا الاحتفال ليس تكريما للتسعة الموظفين لأن كل تضحية تحمل فى نفسها المكافأة عليها وما السرور الذى تشعر به النفس وصوت الضمير الذى يناد بها لك الفخر قد أصبت شاكلة الصواب وقمت بالواجب عليك ـ هذا صوت الضمير وهذا السرور المتدفق على القلب هو مكافأتكم وليس لكم مكافأة عندنا غير هذا السرور .

دامت هذه المبادئ العلمية والنفوس الكريمة . انا نحتفل تشجيعا للمترددين وليحتذى الضعفاء حذو من نحتفل بهم .

* * *

وبعد أن انتهى معالى سعد باشا زغلول من خطبته قام صادق بك حنين وألقى كلمة شكر للحاضرين ثم قرأ الأستاذ أمين عز العرب قرار الاجتماع عليهم وخلاصته كما يأتى :

١ - الاحتجاج الشديد على التجاء الوزارة إلى سلاح استبدادى فى معاملة الموظفين .

٢ - عدم الثقة بالوفد الرسمى الذى لا يمثل الأمة وتشكل ضد إرادتها .

٣ - تأييد معالى سعد باشا رئيس الوفد المصرى وزعيم الأمة المصرية .

[١٥٠٣] ٤ - الاحتجاج على تداخل رجال الإدارة فى عمل عرائض الثقة بالوزارة وطلب تحقيق دقيق فيها .

٥ - الاحتجاج على الأعمال التى وقعت فى مظاهرات مايو وعمل تحقيق لمعرفة من هم المسئولون عنها لمعاقبتهم .

٦ - تعيين لجنة أصلية برياسة صاحب السمو الأمير عزيز باشا حسن وبعضوية حضرات فتح الله بركات باشا ومرقص حنا بك وأبو شادى بك وويصا واصف بك وأحمد رمزى بك وأمين بك عز العرب ولها الحق فى ضم أعضاء آخرين وإنشاء لجان فرعية لها لجمع الاستعلامات الخاصة بالمادة الخامسة والسادسة .

٧ - تبليغ هذه القرارا إلى عظمة السلطان وإلى معالى سعد باشا زغلول وصاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء والصحف[١]؟

---

(١) بعد هذا الاجتماع بيومين (٢٣ يونيه) قرر اللورد اللنبى بعد أن تشاور مع كل من السلطان ورئيس الوزراء طرد الأمير عزيز حسن من مصر لتأييده للحركة الوطنية بعد أن كان قد عاد إليها قبل وقت قصير . وفى ٨ يوليو غادر مصر قاصداً الى فيينا وكان فى وداعه فى محطة مصر سعد زغلول نفسه ومظاهرة من الطلاب بلغ عددها ٦٠٠ طالبا .
F. O. 407/189 No. 197 Allenby to curzon June, 23, 1921

إعلان

أسماء المستشارين والموظفين

الملحقين بالوفد الرسمى

وفى ٢٥ يونيه سنة ١٩٢١ أذاعت إدارة المطبوعات البلاغ الرسمى التالى وهو :

الوفد الرسمى

[١٥٠٤] قرر مجلس الوزراء بتاريخ ٢٥ يونيه سنة ١٩٢١ تعيين المستشارين والموظفين الآتية أسماؤهم بعد لمرافقة الوفد الرسمى(١) وهم :

المستشارون الفنيون

إبراهيم وجيه بك المستشار بمحكمة الاستئناف المختلطة . وعبدالحميد مصطفى بك القاضى بمحكمة الاسكندرية المختلطة . وتوفيق دوس بك المحامى لدى محكمة الاستئناف الأهلية . وأحمد أمين أفندى الأستاذ بمدرسة الحقوق السلطانية . ومحمود فايد بك وعبدالحميد سليمان بك من مفتشى الرى . وعبد المجيد عمر بك وكيل مدرسة الهندسة السلطانية . ويوسف أصلان قطاوى باشا ومحمد أبو الفتوح باشا ويوسف نحاس بك والياس عوض بك واللواء محمود عزمى باشا والقائمقام محمد يوسف بك .

السكرتير العام

عبد الحميد بدوى بك

موظفو السكرتارية

محمد شريف صبرى أفندى رئيس مكتب دولة رئيس مجلس الوزراء . وإبراهيم فهمى بك السكرتير الفنى الأهلى لوزير الأشغال العمومية . وحسن فريد أفندى سكرتير معالى وزير المالية ، وإبراهيم دسوقى أباظة أفندى المحامى . وحسن نصيف أفندى

(١) تشكيل الوفد الرسمى ـ الأخبار ـ ٢٦ يونيو سنة ١٩٢١ ـ ص ٢

الموظف بوزارة المالية . ومحمد خطاب افندى سكرتير دولة نائب رئيس مجلس الوزراء وحامد العلايلى بك . وأحمد محمد حسنين افندى المفتش بإدارة الأمن العام . وعباس سيد أحمد أفندى مساعد سكرتير بمكتب دولة رئيس مجلس الوزراء وعبدالقوى أحمد أفندى المهندس .

إدارة المطبوعات

٢٥ يونيه سنة ١٩٢١

فصل مدكور باشا من الوفد

[١٥٠٥] وفى ٢٨ يونيه سنة ١٩٢١ نشرت سكرتارية الوفد ما يأتى :

«قرر الوفد المصرى بجلسة اليوم «الثلاثاء ٢٨ يونيه سنة ١٩٢١» فصل سعادة عبدالخالق باشا مدكور من عضويته نظرًا لمخالفته مبدأ التضامن»[١] .

سكرتارية الوفد المصرى

مصطفى النحاس

رد مدكور باشا
على قرار فصله من الوفد

وفى اليوم التالى وزع مدكور باشا رده[٢] الآتى على الصحف لنشره وهو :

«لم أكن أود أن يخط قلمى حرفًا أو أن يجرى لسانى بكلمة عن البلاغ الذى صدر أمس بفصلى من عضوية الوفد المصرى لولا أنه تضمن فرية لايحسن السكوت عليها .

«قالوا إنى خالفت مبدأ التضامن . وانها تهمة ما كنت أظن إنسانًا ممن يقدرون المسئولية ويتصدرون لزعامة الأمة وقيادتها فى أحرج مواقفها يتسرع برمى الناس بها وكيّلها لهم جزافًا وبلا حساب كأنما تغيرت الدنيا وصار الهدم أساس النجاح ومعوله أداة البناء كأنما أصبحت الضمائر والتاريخ وفق مشيئة شخص إن شاء نسخ بكلمة ما خطه الإخلاص فى صفحاتها أو شاء زهق الضمير وماتت الذمم واستلت الوطنية من الصدور وخلت القلوب من الغيرة والإخلاص .

ولو أن هذه الفرية صدرت من شخص عادى لاستغفرت له وتلمست له الأعذار فأما [١٥٠٦] وقد صدرت عن أناس أقاموا أنفسهم فى مركز الزعامة ونصبوا أنفسهم قدوة تحتذى فلا يسعنى إلا الرد على ما جاء فى بلاغهم دون أن أطالبهم بإذاعة الأسباب التى بنوا عليها قرارهم فأكلفهم بذلك شططًا إذ لو كانت هناك أسباب لما تأخروا عن نشرها كما هو ظاهر .

---

(١) انظر قرار الوفد فى جريدة النظام - ١٩٢١/٦/٢٨ ص ٣ .

(٢) نص الرد فى جريدة الأخبار ، تحت عنوان ، مدكور باشا والوفد المصرى ، ١٩٢١/٦/٢٩ -ص ٣ .

«والحمد لله فلست أول من رمى بمثل هذه التهمة من أعضاء هذه الهيئة الموقرة ولا أظننى سأكون آخرهم إذا صح أن الماضى مقياس للمستقبل ودليل عليه . وحسبى أن أنشر لمن اطلعوا على بلاغ الأمس نص الخطاب الذى أرسلته الى معالى الرئيس الجليل بتاريخ ١٤ يونيه الجارى أى منذ خمسة عشر يوماً والذى لم أتلق عنه جوابًا الى اليوم واحسب ذلك كان من معاليه سهوًا لأنى أعرفه متمسكًا بما تقضى به الآداب وهذا هو نص الخطاب .

«حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا

«لاحظت منذ مدة أن أعمالا تعمل وبيانات ونداءات تنشر باسم الوفد المصرى ولكن بغير أن يشترك فيها ولا أن يدعى للاشتراك فى المستعجل منها الباقون فى عضوية الوفد . ولا يخفى أن فى هذا تحميلاً لمسئولية ثقيلة وتجاوزا عن الغرض المقصود من تأليف الوفد من أكثر من واحد . ولقد تكرر هذا الانفراد بالعمل واطرد بحيث لم يبق مجال لظنه السهو ولا سبيل لأن يقبل من له كرامة فى ذاته أن تجرى الأعمال باسمه على هذا المثال مهما حسنت نيته وكانت تضحيته للقضية المصرية .

«ولهذا أرانى مضطرًا أن أكتب إلى معاليكم ألفت نظركم الى أن هذه الطريقة المتبعة فى الانفراد بالأعمال منافية لما تقضى به طبيعة تأليف الوفد .

[١٥٠٧] «ولا جدال فى أن الوفد إنما تألف من رجال اختيروا بنوع خاص لأن لهم آراء ذات قيمة فتبادل المشورة مع هؤلاء الرجال لا يمكن الا أن يكون واجبًا ومفيدًا .

«ولست أريد بملاحظتى هذه أن أكف عن خدمة بلادى ولا أن انصر فريقا على فريق كلا فإنى انما اكتب هذا الخطاب لأنى لا أرانى قائمًا بالواجب الذى ألقته البلاد على عاتقى وسأواصل تأدية هذا الواجب بكل قواى وفى كل وقت . أرجو الله تعالى أن يوفقنا جميعا ويهدينا سبيل الرشاد .

«وتفضلوا يا معالى الرئيس الجليل بقبول عظيم الاحترام» .

«هذا هو الخطاب الذى كان على ما يظهر سببًا فى استياء الرئيس الجليل فهل يعد المطالب باحترام رأى الجماعة مخالفًا لمبدأ التضامن ؟؟ وهل من يريد الحرص على كرامته وكرامة الوفد وكرامة القضية يعد مخالفًا لمبدأ التضامن ؟ وهل من يحتفظ على حقوقه وحقوق بلاده ومصلحتها يعد مخالفًا لمبدأ التضامن ؟؟ .

«ولا يفوتنى أن ألفت نظر حضرة سكرتير الوفد الى أن حق الفصل لا يملكه إلا ثلاثة أرباع هيئة الوفد . فهل الخمسة الذين أصدروا القرار أصبحوا يملكون هذا الحق مع أنهم ليسوا الأغلبية بل هم الأقلية الكلية . ولكن ما دام حكم الفرد سائدًا وحكم الشورى مبغوضًا فلا عجب أن تتحكم الأقلية فى الأغلبية وأن تكون نتيجة هذه السياسة ما وصل إليه الوفد الآن بعد أن كان هيئة متفقة متحدة والله المسئول أن يصلح الأحوال ويحفظ لهذه الأمة اتحادها وكرامتها آمين» .

محمد عبدالخالق مدكور

بيان لابد منه

بشأن حوادث الاسكندرية[١]

[١٥٠٨] بهذا العنوان وضع لفيف من الأمراء وكثير من علماء الأمة ووزراؤها وأعيانها رسالة بالفرنسوية عن الحوادث الدامية التى وقعت بالاسكندرية فى يومى ٢٢ ، ٢٣ مايو سنة ١٩٢١ وقد دفعهم إلى إعداد هذه الرسالة ما رأوه من الضجة الشديدة التى أثيرت عقب هذه الحوادث وكان أبرز ما ترتب عليها ذلك التصريح الظالم الذى فاه به المستر تشرشل وزير المستعمرات الانجليزية[٢] .

وقد وجه حضراتهم الرسالة المذكورة الى جميع المقامات العالية الرسمية وغير الرسمية في مصر وأوربا وأمريكا والى الصحافة فى جميع انحاء العالم .

وهذا هو نص تلك الرسالة وأسماء موقعيها :

بيان عن الحوادث التى وقعت بالأسكندرية

فى يومى ٢٢ ، ٢٣ ، مايو سنة ١٩٢١

من بعض الأمراء والكبراء[٣]

[١٥٠٩] «إن ما وقع من حوادث الاسكندرية فى شهر مايو الماضى قد ملأ نفوس الموقعين على هذا حزنًا . فرأوا من واجبهم أن يعربوا علنًا عن استيائهم من هذه الحوادث الشائنة وعن الدهشة التى استولتهم عندما شاهدوا فى بعض الأوساط الأوربية بادرة شعور بميل إلى إسناد السبب فى وقوع هذه الحوادث إلى التعصب وكراهية الأجانب .

(١) تأثر سعد زغلول بأنباء هذه الحوادث وبادر برفع تلغرافا إلى السلطان فؤاد احتج فيه على الوزارة لتعديها على الأهالى متهما إياها بأن الغرض الحقيقى هو إخفاء غضب الأمة عليها وكبت شعورها من الظهور بطريقة واضحة . وحمل الوزارة مسئولية ما حدث وما سوف يحدث وطلب تأليف «لجنة لتحقيق هذه الحوادث» تكون منتخبة من الجمعية التشريعية ـ مذكرات فخرى عبدالنور «دور سعد زغلول والوفد فى الحركة الوطنية» ص ١٥٢ .

(٢) استغل المستر تشرشل هذه الحوادث لصالح انجلترا مستندا إليها فى تبرير بقاء الاحتلال حماية لأرواح الأجانب . . حيث ذكر فى خطبته أمام جمعية زراع القطن البريطانية «أنه لو كانت قد سحبت القوات البريطانية من القاهرة والاسكندرية لتم القضاء على الجاليات الأوربية فى المدينتين والقضاء كذلك على ما أنجزته الإدارة البريطانية خلال أربعين عاما» .

نقلا عن د . يونان لبيب : مذكرات فخرى عبدالنور ثورة ١٩١٩ ، ص ١٥٨ .

(٣) حذف هذا العنوان فى أصل المذكرات .

«ثم ردد لسوء الحظ عدد من الجرائد صدى هذا الشعور حتى بالغت فأكدت وجوده عند جميع المصريين على السواء .

«أما وقد هدأت النفوس قليلا بعد الشعور الذى بدر اليها بكل أسف لأول وهلة فإن الموقعين على هذا يعتبرون فى مقدورهم اليوم أن يوضحوا الأمور على حقيقتها بدون أى تحيز .

«صحيح أن التحقيق الذى يجرى الآن سيكشف الغطاء عمن هم المسئولون فيجازى المجرمون والحارقون والناهبون إلا أن القضاء على الإشاعات الباطلة التى أذيعت بدون أن يفكر مذيعوها فيما تحدثه من ضرر للأجانب والمصريين على السواء يستوجب على الموقعين على هذا عرض الاعتبارات التى تسمح فى نظرهم بتقدير الوقائع على وجه الصحة .

«أليس من يجهل أن أهالى الثغور الواقعة على البحار مثل ثغر الاسكندرية هم على العموم خليط من أجناس مختلفة للغاية وأن بينهم نسبة لا نصيب لها من التعليم ولا [١٥١٠] قسط من المبادئ تخلق بين أفرادها ضرورات المعيشة منافسات ومطامع تهدد فى كل وقت بإثارة اعتداءات من جانب ورد اعتداءات من جانب آخر سيما إذا أضيف إلى سبب هذا التباغض وجود ظروف خاصة تلهب النار من مستصغر الشرر إلا أنه مع بلوغ سكان الإسكندرية ٤٠٠,٠٠٠ نفس فإننا نتمسك بتقرير هذه الحقيقة وهى أنه ليس بينهم إلا أقلية ضعيفة جدًا من هذه الطبقة التى نشير إليها . . وبالتالى لا يمكن أن يسند الى جميع المصريين ما شوهد فى بلدة واحدة من بلدانهم .

«ومما يثبت أن القلاقل كانت محصورة الدائرة هو أن معظم الجرحى من أوربيين ووطنيين كانوا من أفراد هذه الطبقة المشار إليها بحيث أنه إذا كان قد أصيب أحد من غيرها فإصابته استثنائية ويمكن تعليلها بأنه فى مثل هذه الاضطرابات يسعى دائما الأشقياء الذين لا خلاق لهم فى انتهاز الفرصة السانحة[١] .

---

(١) يؤكد ذلك فخرى عبدالنور في مذكراته حيث قال «ومما يستدعى الالتفات أن مستر «انجرام» وهو ضابط إنجليزى فى البوليس المصرى ، مشهور بالغلظة والقسوة والوقيعة بين المصريين والأوربيين كان يشغل ـ وقت هذه الحوادث وظيفة مأمور الضبط في محافظة الاسكندرية مما خلق جوا من الريبة حول تصرفاته .

مذكرات فخرى عبدالنور ثورة ١٩١٩ ، تحقيق د/ يونان لبيب رزق ص ١٥٢ .

إن هناك آلافا من العائلات الأوربية موزعة فوق متسع البلاد المصرية بحيث لا قرية إلا وفيها تاجرها[١] الأوربى يعيش مع عائلته عيشة هادئة وسط سكان كلهم من الأهالى ولا مدينة[٢] فى الأرياف إلا وفيها عدد[٣] من التجار الأوربيين وسماسرة القطن ورجال الأشغال الذين يرون مدارسهم وكنائسهم وأديرتهم . . . الخ تعيش وتنمو فى جوها المطلق . ومع هذا فإنه بالرغم من حوادث الإسكندرية الدموية ومن المناقشات الجدلية الصحفية فإنه لم يحدث أى حادث اعتداء أو سوء رعاية ضد هذه الآلاف من العائلات المنثورة فوق أطراف القطر . المتباعدة بل على العكس استمرت علاقات الوداد على أوثق [١٥١١] ما تكون فهل يعقل إذًا أن يسند إلى ١٣ مليونا من سكان مصر روح هذا التعصب وكراهة الأجانب التى تحدث بها المتحدثون ؟

«فى قلاقل ١٩١٩ حيث انتزعت قضبان السكك الحديدية من مواضعها وقطعت خطوط التلغراف والتليفون بقيت عدة مدن فى الداخل معزولة تمام العزلة ومع هذا فلم يبد من الأهالى وقتئذ أى شاهد على كراهة الأجانب عمومًا أو التعصب الممقوت .

«وفى جميع المظاهرات السياسية الكبرى التى حصلت منذ ثلاثة أعوام لم يصب قط أى أوربى بأى إيذاء بل كثيرا ما رأينا الأوربيين يعطفون على المتظاهرين وشاهدنا ما هو فريد فى بابه ولا مثال له فى تواريخ الشعوب الأخرى وهو تأليف الهلال مع الصليب فوق راية واحدة فهل التعصب هو الذى أحدث هذه المعجزات؟

«إن جعل أمة بأكملها مسئولة عن قلاقل وقعت فوق نقطة من أرضها لهو ظلم يحتم على كل واحد منا واجب العمل على دفعه . وإن ما أذاعه كثير من الأوربيين ونشروه من مشاهدات الأحوال التى رأوها وقرروا فيها كيف لزم المصريون العديدون فى تلك الأيام المحزنة خطة المحبة والتآخى لكاف لإقناع من يصدقون بأن إحساسات الأمة المصرية لم يطرأ عليها أى تغيير .

---

(١) تم حذف هذه العبارة فى أصل المذكرات وكتب فوقها [فلا تكاد تخلو قرية من] .
(٢) حذفت هذه الكلمة وكتب فوقها [تخلو بلدة] .
(٣) حذفت فى أصل المذكرات ووضع بدلا منها [من] .

«إن الموقعين على هذا يرجون ممن كان من نصيبهم قيادة الرأى وإرشاد الجمهور أن يعملوا بإخلاص على تهدئة الخواطر تحقيقا لمصلحة العناصر المختلطة التى عاشت جنبا لجنب وفى كل زمان عيشة طيبة هادئة ؟»

فى يوم السبت ٢٥ يونيه سنه ١٩٢١ .

الإمضاءات

[١٥١٢] سمو الأمير محمد على[١] . سمو الأمير عزيز حسن . سمو الأمير محمد على حليم[٢] . الشيخ محمد بخيت . السيد عبدالحميد البكرى . القمص يوسف غبريال . أحمد مظلوم باشا . يوسف سابا باشا . أحمد حشمت باشا[٣] . يحيى إبراهيم باشا . حسن حسيب باشا . موسى قطاوى باشا . محمد شكرى باشا . عبدالله وهبى باشا . إسماعيل صبرى باشا . إسماعيل أباظة باشا[٤] . أحمد فايق باشا . اللواء على فهمى باشا . اسكندر فهمى باشا . أحمد خيرى باشا . حسن عبدالرازق باشا . أفلاطون باشا . عثمان مرتضى باشا . أمين يحيى باشا . خيرى بك . عمر شريف بك . عبدالحليم جندى . نجيب شكور باشا . أحمد شفيق باشا .

نحن الموقعين على هذا . قد اطلعنا على البيان المتقدم الذكر ونصادق على أجزائه لأننا متعقدون تمام الاعتقاد بأن حوادث الإسكندرية التي يؤسف لوقوعها لم تكن قط نتيجة أى إحساس تعصب أو كراهة للأجانب .

---

(١) الأمير محمد على : ابن الخديوى توفيق باشا وشقيق الخديوى عباس حلمى الثانى . تلقى مبادى العلوم فى المدرسة العليا بعابدين ثم انتقل إلى سويسرا وتلقى العلوم العالية والفنون العسكرية من مدرسة هكسوس الكلية الكائنة فى سويسره .

(٢) الأمير محمد على حليم . ابن البرنس حليم باشا بن محمد على باشا الكبير .

(٣) أحمد حشمت باشا (١٢٧٥ - ١٣٤٤هـ / ١٨٥٨ - ١٩٢٦م) . ولد فى كفر المصيلحة بالمنوفية ، وتعلم بها وبالقاهرة ، ودرس الحقوق فى فرنسا ، وتولى فى مصر أعمالا إلى أن كان وزيرا للمالية سنة ١٩١٠ فالمعارف ١٩١٣ . فالأوقاف فى السنة نفسها . وإليه يرجع الفضل فى إدخال علم الصحة فى المدارس المصرية وفى إنشاء روضة الأطفال ومدارس التدبير المنزلى . ونشط حركة الترجمة للكتب العلمية .

(٤) إسماعيل أباظة باشا (٠٠٠ - ١٣٤٥هـ-٠٠٠ ١٩٢٧م) عميد الأسرة الأباظية فى أيامه عمل فى الحركة الوطنية وكان فى أول وفد مصرى لمفاوضة الإنكليز (١٩٠٨م) وأثار الحملة على امتياز قناة السويس ١٩١٠ - وأصدر جريدة «الأهالى» واستخرج منها رسالة فى تراجم بعض معاصريه سماها «مقدمه أساس التاريخ العصرى لمشاهير القطر المصرى» .

أ . مانو زاردى محام أمام محكمة الاستئناف المختلطة . ج . ن . موصيرى بك بنكير ـ ن . بوجن مدير بنك الاسكونت دى باريس ـ دكتور كومانوس باشا ـ البير مزراحى أحد مديرى بنك كوكس ـ الأستاذ الدكتور بول فالنتين مدرس بالجامعة المصرية .

سفر الوفد الرسمى إلى انجلترا

[١٥١٣] وفى أول يوليو سنة ١٩٢١ أبحر الوفد الرسمى برئاسة عدلى باشا من الاسكندرية قاصدًا عاصمة الدولة البريطانية لإجراء المفاوضات الرسمية بين الحكومتين المصرية والانجليزية .

سافر الوفد بعد نضال وكفاح طال أمدهما بين العدليين والسعديين سافر علي الرغم من المعارضة القوية التي واجهته وعلى الرغم من الطارئ الجديد الذى طرأ على المفاوضات وهو تصريح المستر تشرشل وزير المستعمرات الإنجليزية الذى مر بالقارئ ذكره .

ولقد أقيمت الاحتفالات العظيمة بالإسكندرية[1] للوفد الرسمى واحتشدت لتحيته الجماهير الحاشدة وعلى رأسها كثير من النواب والأعيان والعلماء والمحامين والأطباء والمهندسين وكبار الموظفين ومندوبى الطلبة وغيرهم .

وقبيل قيام الباخرة التى أقلت المفاوضين أقيمت لهم حفلة وداع فخمة على رصيف الميناء إلى الجانب الأيسر من مرسى الباخرة فى سرادق كبير يسع بضعة ألوف من الناس .

وبعد أن فرغ الخطباء من ألقاء كلماتهم وقف دولة عدلى باشا وألقى الكلمة الآتية :

«أيها السادة :

«أرجو منكم عذرًا إذا لم أجد كلمات تفى بما يجب عليّ لكم من الشكر فقد تفضلتم بالقدوم من أقصى البلاد وجميع نواحيها لتوديعنا ولا أشك فى أن اهتمامكم هذا يحمل معنًى كبيرًا فى نفوسكم وفى نظرى لأنه يعبر فى الحقيقة قبل كل شىء عن اتحادكم المتين نحو غرض البلاد السامى . ويدل دلالة تامة علي اجتماع الكلمة [١٥١٤] والتضامن والحرص على تشجيعنا على الخدمة العامة . ولذلك فإننى أشعر بسرور كبير جدًا لا أقدر على التعبير عنه .

(١) تقول الوثائق البريطانية أنه فى مقابل الشخصيات التى جمعتها الحكومة للقيام بواجب توديع رئيس الوزراء كان هناك خطب معادية فى جامع المرسى أبو العباس وهو ما لم تشر إليه الصحف المصرية .

«وانى أسافر مطمئنًا كل الاطمئنان فقد وجدت من الأمة ما كنت أنتظره منها وآمله دائمًا فيها من الحكمة والروية وحسن التقدير والنظر السديد .

«وان الوفد تلقاء ذلك المظهر الشريف وما أبدته الأمة وتبديه من مظاهر الثقة فى كل مناسبة ليسافر مشدود الأزر معضدًا بثقة البلاد . وهذا من أكبر عوامل النجاح فى القضية المصرية .

«أسأل الله الكريم أن يوفقنا لخدمة الوطن العزيز وأن يلهمنا السداد فى مهمتنا وأدعوه سبحانه وتعالى أن نرجع اليكم فرحين مشروحى الصدر بنجاح قضيتنا وتحقيق برنامجنا إن شاء الله .

وبعد ذلك استقل عدلى باشا ومن معه الباخرة بين الهتاف العالى والتصفيق الشديد . وفى الساعة الثالثة والدقيقة العاشرة بعد الظهر قامت الباخرة من الميناء رافعة العلم المصرى قاصدة تريستا .

وفى ٤ يوليو وصلت الباخرة إلى تريستا وقام منها الوفد الرسمى إلى باريس فوصل إليها فى ٦ منه فاستقبله على المحطة بعض أعيان المصريين الموجودين هناك كما استقبله وطسن باشا باسم الحكومة البريطانية .

وفى ١١ يوليو وصل الوفد الرسمى الى لندن فقابله الطلبة المصريون هناك بمظاهرة احتجاج صغيرة[١] وكانوا يلوحون برايات حمراء كتبت عليها هاتان العبارتان «لا مباحثة مع عدلى» و«مصر للمصريين» ثم مروا أمام الفندق الذى نزل فيه الأعضاء وهم يلوحون براياتهم أيضًا ويهتفون «يسقط عدلى» و «لا زعيم إلا زغلول» ثم اخترق موكبهم الشوارع الكبرى فى لندن .

(١) لا تشير المذكرات هنا إلى أن بعض الطلبة المصريين استقبلوا الوفد بمظاهرة صغيرة في العاصمة الفرنسية وهو ما فعله زملاء لهم فى لندن F.o. 407/190 No. 33 Report on general Situation in Egypt

قرار الجمعية المصرية فى لوزان

[١٥١٥] ولما علمت الجمعية المصرية فى لوزان بسفر الوفد الرسمى الى انجلترا اصدرت القرار الآتى وهو سابق لوصول الوفد الى لندن .

«ان الجمعية المصرية فى لوزان المعقودة بشكل جمعية عمومية فى ٣ يوليو سنة ١٩٢١ لتقرير موقفها إزاء المفاوضات الرسمية المقبلة بين إنجلترا ومصر بشأن نظام مصر المستقبل .

قــررت :

١ - «تأييد وتعضيد كل وفد مصرى يكون برنامج مفاوضاته الغاء الحماية الانجليزية على مصر إلغاءً حقيقياً والاعتراف الكامل المطلق باستقلال مصر والسودان استقلالاً تاماً حقيقياً في الداخل والخارج من إنجلترا ومن الدول الموقعة لمعاهدات الصلح المختلفة .

٢ - «انكار كل وفد مصرى لا تكون غايته مطابقة تمام المطابقة لذلك البرنامج .

وعليه :

«فلا يسع الجمعية المصرية فى لوزان أن تؤيد الوفد الرسمى الذى يرأسه عدلى باشا رئيس الوزارة المصرية إلا إذا أصبح برنامج ذلك الوفد ـ المبهم فى كثير من نقطه ـ أكثر وضوحًا وجلاءً وكان مطابقًا تمامًا للمبادئ المتقدمة» .

عن الجمعية المصرية فى لوزان

الرئيس : منصور القاضى

هذا ولقد صرح عدلى باشا بأنه سيقابل اللورد كيرزون يوم ١٢ يوليو قائلا أنه لا يرى تعذر الوصول إلى الاتفاق الآن ولوفده ثقة تامة بما لإنكلترا من روح السخاء والعدل .

وفى ١٣ يوليو تباحث اللورد كيرزون مع عدلى باشا فى وزارة الخارجية مدة ساعة وهى أول مقابلة بين عدلى باشا وكيرزون وكان الأول مصحوبًا بأكابر أعضاء الوفد الرسمى [١٥١٦] كما كان أعضاء وزارة الخارجية المطلعون على الشئون المصرية يعاونون اللورد كرزون .

واستؤنفت المباحثات يوم ١٤ يوليو فدامت الجلسة ثلاث ساعات وكان عدد المفوضين الإنجليز أربعة على رأسهم اللورد كيرزون .

وكان الوزراء المصريون المندوبون على اتصال دائم كل يوم باللجان المؤلفة من المستشارين المصريين فيتناقشون معهم فى خطة المفاوضات وإعداد المذكرات والمستندات .

ولقد حاول مندوبو الصحف الانجليزية والامريكية الاتصال بعدلى باشا والحصول منه على ما يهم من الشئون ولكن عدلى باشا كان يتوخى التحفظ الشديد فى تصريحاته(١) .

البلاغ الرسمى عن المفاوضات

وفى ١٥ يوليو سنة ١٩٢١ مساءً أصدرت وزارة الخارجية البريطانية البلاغ الرسمى التالى :

«فى الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ١٣ يوليو استقبل المركيز كرزون أوف كدلستون فى وزارة الخارجية الوفد الرسمى المصرى المؤلف برياسة صاحب الدولة السر عدلى يكن باشا رئيس الوزراء وصاحب الدولة السر حسين رشدى باشا وأصحاب المعالى إسماعيل صدقى باشا ومحمد شفيق باشا وأحمد طلعت باشا ويوسف سليمان باشا والسكرتير عبدالحميد بدوى بك لفتح المفاوضات بقصد الوصول إلى اتفاق فيما يتعلق بنظام مصر السياسى المستقبل .

«ورحب اللورد كرزون بالوفد ثم لخص الحوادث التى أفضت إلى إرسال الوفد إلى هذه البلاد . ثم أشار إلى بعثة اللورد ملنر التى زارت مصر فى سنة ١٩١٩ وإلى التصريح الذى كلف اللورد اللنبى أن يبلغه إلى عظمة السلطان فى شهر فبراير من هذه السنة» .

[١٥١٧] «وبعد أن رد السر عدلى يكن باشا دارت المناقشة حول القواعد العامة التى ستجرى عليها المفاوضات . وقد أرفض المؤتمر فى الساعة الخامسة والدقيقة ٤٥ مساء بعد أن خطا خطوات واسعة . وسيعقد اجتماع آخر فى يوم الخميس (١٤ يوليه)» .

---

(١) تفاصيل هذه المفاوضات ـ انظر محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية ـ البريطانية .

المسألة المصرية فى البرلمان الإنجليزى

وفى يوم ١٤ يوليو سنة ١٩٢١ أثار اللورد ونترتون وغيره[١] مناقشة فى البرلمان الانجليزى عن المسألة المصرية وكان غرضهم من تلك المناقشة إضعاف مركز الوفد الرسمى المصرى في المفاوضات .

وهذا هو نص ما دار فى هذه المناقشة منقولاً عن التقرير الرسمى : «سأل الكولونل : جيمس هل تعطى الحكومة تأكيدات بألا نعقد اتفاقات رابطة[٢] مع الوفد الموجود الآن فى إنكلترا حتى يعطى المجلس الفرصة التامة لدرس مثل هذه الاتفاقات؟

«فأجاب المستر لويد چورج قائلا : إن الحكومة ستذكر هذه النقطة التى أشار اليها صديقى المحترم .

«وسأل الكولونيل جيمس : هل يرى رئيس الوزراء من الملائم أن يتولى المفاوضات بنفسه فلا تترك فى أيدى مصلحة ثانوية وذلك نظرًا للنتائج الخطيرة التى ستدور عليها المناقشة بين مندوبى الوزارة المصرية والحكومة البريطانية؟

«فأجاب المستر لويد چورج قائلا : ان المفاوضات ليست فى أيدى مصلحة ثانوية بل فى أيدى وزارة الخارجية وأن وزير الخارجية هوالذى يتولاها وهو يمثل الحكومة فى هذه المسألة .

«وسأل الكومندور كنورثى هل يؤخذ رأى المجلس قبل أن تخطى خطوات فعالة فيما يتعلق بمصر ؟

[١٥١٨] «وسأل ارل ونترتون هل لا يعلم الريت أونورابل أن الحكومة أعطت وعدًا صريحًا بأن ستكون لهذا المجلس فرصة بحث الاتفاق قبل أن[٣] يصدق عليه البرلمان البريطانى والجمعية التشريعية المصرية ؟» .

«فقال المستر لويد جورج : لا أرتاب فى أنه ستكون هناك فرصة كافية قبل البت فى أى شىء» .

---

(١) منهم المستر اورمسبى جو والسير ريس والمستر ميليز .

(٢) نهائية .

(٣) تم إضافة هاتين الكلمتين لأصل المذكرات بخط مخالف .

عرائض الثقة والمفاوضات الرسمية

وفى ٢٠ يوليو جرت مناقشة فى البرلمان الإنجليزى بخصوص عرائض الثقة بسعد باشا والمفاوضات الرسمية . وقد أثار هذه المناقشة بعض النواب من أصدقاء الوفد المصرى . فسأل زعيمهم المستر سوان السؤال الآتى :

«هل وقع ٢,٢٥٠,٠٠٠ من سكان مصر ، ٣,١٥٦ عضوًا من ٣٤٦٠ عضوًا من الذين يؤلفون الهيئات العمومية تصريحات تتضمن تأييد سياسة سعد باشا؟ وإذا كان الأمر كذلك هل تنوى الحكومة مواصلة المفاوضات مع الوفد الذى يرأسه عدلى باشا؟ .

«فقال المستر هرمسورث وكيل وزارة الخارجية ، لم أتلق معلومات كهذه ومن جهة أخرى أشار أحد أعضاء الجمعية التشريعية فى الصحف المحلية الى أنه فى حين يبلغ مجموع سكان مصر ١٤ مليونًا فإن اكثر من ١٧,٥ مليون توقيع يقال أنها توقيعات ذكور بالغين دونت على تصريحات تتضمن الثقة أو عدم الثقة بالوزارة .

«أما الجواب عن الجزء الثانى من السؤال فبالإيجاب» .

ويجدر بنا هنا أن نذكر للقارئ أن الموعز بهذه الحملة وما سيأتى بعدها ضد عدلى باشا والمنظم لها هو الدكتور حامد محمود(١) المقيم بإنكلترا فقد كلفه سعد باشا بذلك وأمده بكل ما يلزم من المال والمعلومات .

الحفاوة بأعضاء الوفد الرسمى المصرى

[١٥١٩] وفى ٢١ يوليو سنة ١٩٢١ دعى جميع أعضاء الوفد الرسمى الى حفلة أقيمت فى حديقة الملك فى قصر بكنجهام بعد الظهر . وقد حضر هذه الحفلة ألوف من أعيان البريطانيين ومن ذوى الحيثيات من الأجانب . ولبس فيها الأعضاء القبعات بدل الطرابيش .

---

(١) الدكتور حامد محمود : شارك فى العمل الوطنى مع وصول الوفد إلى لندرة بزعامة سعد ثم شارك فى العمل الوزارى بعد أن عين فى وزارة محمد محمود الرابعة ١٩٣٨/٦/٢٤ وزيرا للصحة ممثلا عن الحزب السعدى حيث غلب على هذه الوزارة طابع التوازن بين الحزبين الكبيرين [الدستوريين والسعديين] ثم شارك فى وزارة على ماهر الثانية ١٩٣٩/٨/١٨ ، ووزارة حسين سرى الثانية ١٩٤١/٧/٣١ .

د . يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ - ١٩٥٣ ، ص ٤١٦ - ٤١٩ ، ٤٢٩ .

ودعا اللورد كارنارفون[١] الوزراء المصريين الستة وثمانية غيرهم من المصريين الى تناول العشاء فى مساء هذا اليوم . كما دعا أعضاء الوفد الرسمى وموظفيه إلى سهرة حافلة بعد العشاء .

مقابلة الوفد الرسمى لملك انجلترا

وفى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٢١ الساعة الحادية عشرة صباحًا قدم اللورد كرزون الوزراء الستة أعضاء الوفد الرسمى إلى جلالة ملك انكلترا فى قصر بكنجهام . وقد استغرقت هذه المقابلة عشر دقائق كان فيها الملك والوزراء واقفين جميعا . وبعد أن سأل جلالته عن الحالة فى مصر أعرب عن أمله فى أن تسفر المفاوضات عن اتفاق يرضى البلدين فأجابه عدلى باشا بأن مجهودات الوفد موجهة إلى هذه الغاية . ولقد كان الوزراء المصريون فى أثناء المقابلة لابسين[٢] الطرابيش .

استمرار الحملة فى البرلمان الإنجليزى على الوفد الرسمى المصرى[٣]

[١٥٢٠] تابع أعضاء البرلمان الإنجليزى من أصدقاء سعد باشا حملتهم على عدلى باشا واخوانه أعضاء الوفد الرسمى فأثاروا مناقشة ثانية في مجلس النواب البريطانى فى ٢٢ يوليو سنة ١٩٢١ وهذا نصها :

«سأل المستر سوان : هل هناك معلومات رسمية بأن مأمور مركز المحلة ومساعده ضَربا معًا بالكرباج شخصًا يسمى عبدالقادر شرف لأنه لم يوقع على إعلان الثقة بوزارة عدلى؟

«وأن رجال الإدارة دخلوا منزل أخت المرحوم مصطفى خليل باشا وقبضوا على إبنها وأخذوا منه عرائض ثقة بسعد زغلول باشا موقعًا عليها من ستة آلاف شخص؟ .

---

(١) اللورد كارنارفون من أشهر المهتمين بعلم المصريات وقد ارتبط كشف مقبرة توت عنخ آمون (١٩٢٢) باسمه .

(٢) حذفت هذه الكلمة وكتب بدلا منها [فى اثناء المقابلة يلبسون] .

(٣) نجحت خطة مكرم عبيد الذى أرسله سعد زغلول إلى إنجلترا للدعاية ضد «وفد عدلى ووزارته فى مصر» أمام الرأى العام البريطانى إذ استجاب إليها بعض أعضاء «مجلس العموم» البريطانى من حزبى «العمال» و«الأحرار» وتمت الإتصالات بينهم وبين رسول الوفد ، وانتهى الرأى إلى تكوين لجنة منهم تقوم ببث هذه الدعاية بين أوساط البرلمانيين الإنجليز .

انظر مذكرات فخرى عبدالنور : مصدر سابق ، ص ١٧٧ .

«وأن رجال بوليس قرية «ميت أبو غالب» بمركز شربين بمديرية الغربية وغيرها من الأماكن حُملوا على التوقيع على عرائض ثقة بعدلى باشا فى الساعة التى كانوا يتسلمون فيها مرتباتهم؟ .

«وأن عمدة «قلمه» تحصل بالقوة على توقيعات سكان تلك القرية على عرائض ثقة بزغلول باشا؟ .

«وأن عمدة «سمادون» بمديرية المنوفية ومساعديه وبوليس القرية استقالوا جميعا احتجاجًا على الأعمال القهرية التى طلب إليهم[1] عملها لكى يحصلوا على تأييد لعدلى باشا؟

«فأجاب المستر هرمسورث : ليس لدى معلومات عن هذه الحوادث المزعومة .

«فقال المستر سوان : اليس الواقع أن هذه الحوادث ذاعت في كل مكان وأن عددًا كبيرًا من إعلانات الثقة هى بالرغم من ذلك فى جانب زغلول باشا؟ [١٥٢١]

«فقال المستر هرمسورث : الظاهر ان اعلانات الثقة التى فى جانب عدلى باشا مساوية لها فى العدد .

فسأل المستر سوان : اليس الواقع أن الأغلبية الكبرى فى جانب زغلول باشا؟

«فأجاب المستر هرمسورث : اذا قرأت يا صديقى إجابتى بالأمس وجدت أن عدد التوقيعات على الشكايات المختلفة يزيد بكثير جدًا على عدد سكان مصر (ضحك من الأعضاء) .

«ثم سأل المستر ارمس جور : هل عندك معلومات عن مديريتى الغربية والمنوفية؟

«فقال المستر هارمسورث : لم أسمع عنهما إلى الآن شيئًا» .

* * *

أثر هذه المناقشات فى إنكلترا

أخذت بعض الدوائر السياسية فى تفهيم الرأى العام الإنجليزى أن المصريين يجبرون على اعطاء توقيعاتهم للوزارة المصرية تحت تأثير القوة . وأن الموظفين المصريين

(١) كانت هذه الكلمة فى أصل المذكرات [منهم] وأضيفت إليها الألف واللام بخط مخالف .

ليسوا أهلا للثقة لأنهم يضربون مواطنيهم بالكرباج ارضاءً لرؤسائهم فى الحصول على التوقيعات .

فمن هذا ومن المناقشات التى دارت في البرلمان الإنجليزى انتهز الاستعماريون هذه الفرصة وراحوا يقولون أن[1] الموظفين المصريين قساة القلوب لا يصلحون لحكم أبناء وطنهم ويجب أن يكونوا مرءوسين للبريطانيين .

وزادوا على ذلك بقولهم إن أنصار سعد زغلول باشا قد اشتكوا الى البرلمان [١٥٢٢] البريطانى من الموظفين الوطنيين فلا غنى للمصريين ـ والحالة هذه ـ عن الأجانب لتسوية اختلافاتهم حتي فى الوقت الذى يطالبون فيه بالاستقلال .

وانتهزت صحف كثيرة هذه الفرصة أيضًا فأخذت تسخر من المصريين وتنفث فى جمهور قرائها من الأباطيل ما يتنافى مع حقيقة الواقع[2] .

كتاب أعضاء مجلس العموم البريطانى فى الحملة على الوفد الرسمى[3]

لم يكتف بعض النواب الإنجليز بما أثاروه فى البرلمان البريطانى من المناقشة فى المسألة المصرية التى حملوا فيها على عدلى باشا حملة شعواء تردد صداها فى إنجلترا[4] ومصر . لم يكتفوا بهذا بل انتهزوا فرصة وصول المفاوضات الرسمية إلى نقطة صعبة ونشروا كتابًا فى جريدة «المورننج بوست» بتاريخ ٢٦ يوليو سنة ١٩٢١ متخذين من الشقاق القائم بين سعد وعدلى ذريعة لعملهم هذا . وقد وقع هذا الكتاب تسعة عشر عضوًا من بينهم بل على رأسهم المستر سوان زعيم المناقشات التى جرت فى البرلمان الإنجليزى . وهذا هو نصه :

---

(١) حذفت هذه العبارة في أصل المذكرات وكتب فوقها [وأخذوا يعلنون] .

(٢) كأنما يحمل عبدالرحمن فهمى الوفد وسعد زغلول مسئولية إعطاء الموظفين البريطانيين فى مصر ذريعة للبقاء .

(٣) انظر صورة المنشور فى مذكرات فخرى عبدالنور ـ مصدر سابق ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٤) حذفت هذه الكلمة فى أصل المذكرات .

صورة ما نشره أعضاء مجلس العموم البريطانى بجريدة المورننج بوست[1]

[١٥٢٣] «وصل الوفد الرسمى إلى لندرة ليعقد معاهدة محالفة باسم مصر مع بريطانيا العظمى . وقبل أن يبدأ بالمناقشة فى هذه المعاهدة . وقبل أن ينتهى منها نرى من المصلحة إذاعة بعض الحقائق التى تأكدنا من صحتها مبينين النتائج التي تنجم عنها .

«إن هذه الجماعة المصرية ليست مطلقًا وفدًا من قبل الشعب المصرى لأنها معينة من قبل الوزارة التي عينها السلطان الذى عينته الحكومة الإنجليزية .

«إن هذه الجماعة غير ممثلة للرأى العام المصرى وفوق ذلك فإن الأغلبية العظمى من المصريين تعارضها .

«إن الوزارة الحالية تستعين بالأحكام العرفية (التى وضعتها بريطانيا العظمى على مصر سنة ١٩١٤ واستمرت للآن) لتضييق الخناق على الرأى العام في مصر ولانتزاع ثقة الناس بها وتأييدهم لها على كره منهم .

«إن المفاوضات «مع هذا الذى يسمونه وفدًا» لايمكن أن تؤدى إلى حل مرضٍ للمسألة المصرية . ذلك لأن الوزارة امتنعت عن إجراء انتخابات لجمعية وطنية فضلا عن استعمالها وسائل الإكراه التى ولدت العداء فى قلوب أغلب المصريين وجعلتهم يعتقدون أن الوزارة ووفدها خاضعان لمراقبة الحكومة الإنجليزية التى يتفاوضون معها .

[١٥٢٤] «إن وضع معاهدة على هذه الطريقة يجر إلى اضطرابات لا حد لها وربما إلى ثورة . زد على ذلك إحياء العداء فى صدور المصريين نحو الإنجليز مما يؤدى حتما إلى زيادة الأعباء المالية على عاتق الشعب الإنجليزى ومن العبث إجبار أربعة عشر مليونا من الناس على التسليم بمعاهدة وحكومة لا يرضون عنها .

«ليس هناك من وسيلة لعمل معاهدة يمكن للمصريين قبولها إلا اجراء انتخابات عمومية بعد أن ترفع الأحكام العرفية . والجمعية التى تنتخب تعين وفدًا ينوب عنها» .

الامضاءات التسعة عشر

(١) حذف هذا العنوان فى أصل المذكرات .

تلغراف سعد زغلول باشا
إلى المستر سوان ورفقائه[١]

كان طبيعيا أن يسر سعد باشا زغلول من الحملة التى قام بها فريق من النواب الإنجليز[٢] تلك الحملة التى غذاها الدكتور حامد محمود الموجود فى لندن كما ذكرنا . وكان طبيعيًا كذلك أن يطرب سعد باشا لهذا العمل لا سيما بعد الكتاب الذى نشروه فى الصحف والذى وصفوا فيه عدلى باشا بأنه لا يمثل الشعور القومى المصرى . لذلك أرسل سعد باشا التلغراف الآتى إلى المستر سوان وزملائه يشكرهم فيه على توفيقهم فى الحملة التى أقاموها .

وهذا هو نص تلغرافه :

[١٥٢٥] «باسم الأمة المصرية التى أتشرف بالنيابة عنها أشكر حضرتكم وحضرات زملائكم المحترمين جزيل الشكر على دفاعكم المجيد عن حرية مصر واستقلالها بما نشرتموه فى جريدة المورننج بوست ووجهتموه من الأسئلة الدقيقة في مجلس النواب الى الحكومة بخصوص البعثة المصرية ووقائع الإكراه والغش التى ارتكبها عمال الحماية هنا للحصول على الثقة بهذه البعثة الّتى تألفت بنفوذ السلطة الانجليزية وسافرت تحت حماية قوتها رغم إرادة الأمة المصرية وأبدى الاستياء من أجوبة جناب المحترم وكيل وزارة الخارجية الإنجليزية عن هذه الأسئلة . تلك الأجوبة التى تشهد أرض مصر بعدم إصابتها[٣] ومن بها من السكان على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم خصوصًا الذين شاهدوا منهم سفر تلك البعثة من اسكندرية ولا عبرة بالاحتجاجات التى أوعز بإرسالها من هنا ضدكم لأن هذه الوقائع منها ما هو مادى لا يمكن محوه من الواقع ومنها ما هو رسمى مسجل في الدفاتر ولأن الذين دبروها هم نفس عمال الحماية الذين يرتكبون المظالم تحت إشرافها ثم يستعملون بعد ارتكابها مع من يستضعفونهم شهود نفى

---

(١) كانت قد تشكلت فى نفس الوقت جمعية الدفاع عن الحرية السياسية فى مصر، برئاسة فتح الله بركات باشا والتي تولت الدعاية للوفد فأرسلت برقيات مشابهة للمستر سوان وزملائه .

F. O. 407 190 No. 55

(٢) أثيرت احتجاجات كثيرة حول مناقشة المستر سوان في البرلمان الإنجليزى وأيضًا ضد موقف سعد زغلول لتأييده هذه المناقشات ، انظر جريدة الأخبار فى ٥ ، ٧ـ ١١ ، ١٤ ، ٢٢ ، ٢٣ / ٨ / ١٩٢١ .

(٣) حذفت هذه العبارة فى أصل المذكرات .

لإخفائها . أما من عدا هؤلاء وهم مجموع الأمة المصرية فهم شاكرون حسن سعيكم ويرون أن ارتكاب هذه المظالم ثم إخفاءها بمثل هذه الوسيلة التى يهزأ بها كل عارف بالحقيقة لا يترتب عليه إلا تعميق الهوة بين الأمتين الإنكليزية والمصرية وأؤكد لكم أن [١٥٢٦] الأحكام العرفية التى تديرها السلطة العسكرية الإنجليزية أصبحت لا وظيفة لها فى البلاد إلا خنق الحرية السياسية التى نصبتم أنفسكم للدفاع عنها وإرغام الأمة المصرية على تأييد الحماية فى معناها الحقيقى والتنازل عن الاستقلال التام وهى سياسة محكوم عليها بالفشل لأن الأمة المصرية مجمعة على الاستماتة في طلب حقوقها» .

سعد زغلول

٩ أغسطس سنة ١٩٢١[١] .

بيان أعضاء الوفد المنشقين

ولم يكد ينشر تلغراف سعد باشا زغلول الى المستر سوان ورفاقه المتضمن آيات الشكر لهم على ما بذلوه فى الدفاع عن القضية المصرية كما يقول سعد باشا . حتى بادر أعضاء الوفد المنشقين الى نشر البيان الآتى وهو :

[١٥٢٧] «إن أظهر آية تدل على أن المصريين جادون فى طلب استقلالهم مستعدون جميعا للتضحية فى سبيله هى أنه لم توجد فى مصر هيئة من هيئات الموظفين أو من الهيئات النيابية وأولى الرأى فى البلاد إلا سارعت إلى طلب الاستقلال وكسرت عن أعناقها سلاسل الطاعة لحكم الأجنبى ونفضت عن وجهها غبرة الذلة والمسكنة التى من شأنها أن تزين للأفراد والجماعات في الأمم المغلوبة إيثار المصلحة الشخصية على القيام للوطن بواجبه . هذه الآية : آية الإجماع والتضحية قد سُجِّلت للمصريين فى صحيفة العزة القومية ولا تزال إلى اليوم وغدًا المصباح الوضاء الذى على نوره يحكم العالمُ بأهلية المصريين للارتقاء الي مصاف الأمم المستقلة السعيدة .

---

(١) حذف هذا التاريخ في أصل المذكرات .

«تلقاء ذلك لانكاد نجد فرقا بين من يدعون باطلاً أن مصر غير أهل للاستقلال وبين من يدعون باطلاً أن الموظفين المصريين «عمال للحماية» وأن الهيئات النيابية وأولى الرأى فى البلاد إما عمال لها أيضًا وإما مستضعفون» يصدعون بأوامر عمال الحماية ويجاورنهم على ما يعتقدونه وقيعة بوطنهم وافسادًا لقضية استقلالهم . كلا إن من يقل ذلك عن موظفينا المصريين أو عن أعضاء الهيئات النيابية وغيرهم من نابغى المصريين الذين فهقت[1] أسمائهم أعمدة الجرائد على أسئلة «المستر سوان» يقل حتما أن المصريين غير أهل للاستقلال .

إن فساد هذه التهمة يشهد به الواقع الملموس . يشهد به الواقع من أمر الموظفين إذ [١٥٢٨] يسارعون إلى الاستجابة لداعى الوطنية فى بداية حركة الاستقلال يصمون آذانهم إلا عن صوت الواجب الوطنى . ويلقون من وراء ظهورهم كل عائق من شأنه أن يحول بينهم وبين المركز السامى الذى وقفوا فيه فى طليعة طلاب الاستقلال حين كانت الأحكام العرفية على أشد ما يكون من القسوة فى كم الأفواه عن النداء بالاستقلال والقضاء على كل ذريعة تؤدى إلى الاستقلال . لا يزال هؤلاء الموظفون منذ عامين هم الموظفين اليوم ما بدلوا بخطتهم خطة ولا بشجاعتهم جبنًا ولا باستعدادهم للتضحية بخلاً . هؤلاء الموظفون الذين يحتجون اليوم على أسئلة «سوان» هم بعينهم أولئك الذين كانوا بالأمس يحتجون على حبس الوفد عن السفر ويعملون لإزالة كل عقبة فى مجرى القضية المصرية فاللهم إن رميهم كلهم أو بعضهم بأنهم عاملون للحماية كبيرة من الكبائر . وأما نوابنا الذين قرروا استقلالنا وأنفقوا من أوقاتهم وأموالهم على قضيتنا ما أنفقوا ولم يبالوا يوم الشدة بما قد يصيبهم من وقوفهم عقبة كؤودًا فى طريق الباطل . ونشرهم فوق مجالسهم وعلى ذرى دورهم اعلام استقلال البلاد . فهم بعينهم اولئك الذين تفيض الصحف اليوم بأسمائهم محتجين على المستر «سوان» ومماثليه فما تغيرت وطنيتهم في الحالين ولا تضاءلت شجاعتهم في الموقفين بل كانوا ولا يزالون وكلاء الأمة الشرعيين وأهل التحدث عنها والحرص على منفعتها إليهم مرجعنا في أمورنا وعليهم اعتمادنا فى كل [١٥٢٩] آمالنا القومية . فهم لسان الأمة الناطق بالاستقلال وهم قلب الأمة الخافق لكل صغيرة

(١) حذفت هذه الكلمة من أصل المذكرات وكتب فوقها [غصت] .

وكبيرة تعترض سير قضية الاستقلال .إجماعهم هو اجماعنا نحن المصريين وما كان لنا وهم لم يبدلوا بخطتهم خطة ولم يغيروا من إجماعهم على الاستقلال أمرًا أن نجحد من فضلهم ونحط من قيمة جهادهم بعد أن نصروا بلادهم ونسوا مصالحهم وأشخاصهم إذا كان «هؤلاء بين عامل للحماية ومستضعف له» فممن يستمد سعد باشا صفة الوكالة ؟ اللهم إن مصر لا تعرف أن من أبنائها من هم بين عمال للحماية وبين مستضعفين يتطوعون شهود نفى لعمال الحماية وفيهم الشهداء والمشهدون .

«اننا قد أعلنا استقلالنا واننا لا نعترف لبريطانيا العظمى ولا لأية دولة فى الأرض بسيادة علينا أو متبوعية أيًا كان نوعها أو اسمها . ومن اليوم[1] وقع اجماعنا على الحرص كل الحرص على شخصيتنا . والنفور كل النفور من أى تدخل فى شئوننا بإرادتنا فكيف يسوغ لنا وهذا إجماعنا أن نسعى بأرجلنا إلى البرلمان الإنجليزى نحمل نعى شخصيتنا القومية ونبسط إليه الشكاوى من الموظفين المصريين والمستضعفين المصريين ليكون له القول الفصل والحكم الأعلى فى شئوننا الداخلية فى حين أنه يكبر على أنفسنا بل نرفض بتاتا أن نعتبر بريطانيا إلا خصمًا لنا لا حكمًا علينا . خصما يريد من ناحيته ونريد من ناحيتنا أن نصطلح على إعطائه ضمانات لا تمس باستقلالنا أنريد أن نعاملها معاملة النظير للنظير ونريد فى الوقت عينه أن يبسط لها اكف الضراعة أن تنظر فى شكوى بين عمدة ومأمور فى أدخل داخلية البلاد . أفنريد ذلك وقد كان يغضبنا لو عومل رجال وفدنا الرسمى بأنزل من معاملة السفراء أو بما يشبه معاملة التابعين . كلا إننا نرفض بكل قوانا [١٥٣٠] أن يكون البرلمان البريطانى مرجعًا نبسط إليه أية شكوى من أى نوع وننكر كل الإنكار من أى مصرى أيًا كان أن يولى وجهه فى قضية الاستقلال إلا شطر اتحادنا وقوة إيماننا . فما اعتمادنا في نجاحنا إلا على الله وعلى أنفسنا ولنصبرن على ما آذى به قضيتنا الذين لا يعرفون راجين لهم الرشد وحسن النظر في العواقب .

«فإلى سعد زغلول باشا ومن ينحو نحوه نقدم نصيحتنا الخالصة ألا تطوح بهم الشهوات إلى مهاوى السهو عن اعتبار بريطانيا العظمى خصمًا لا حكمًا وأن يعدلوا عن خطة إشغال البرلمان البريطانى والصحف البريطانية والرأى العام البريطانى بشئوننا

(١) حذفت هذه الكلمة فى أصل المذكرات .

الداخلية وبالنظر فيما إذا كان[١] الحكام المصريون أهلا[٢] للقيام بأعباء أمتهم ولا ما إذا كانت الأمة[٣] من الضعف إلى حد أن تكره معه[٤] على غير ما تختار لترضى بما لا تراه إلا وسيلة من وسائل الافناء والاستئصال من على أرض الله . وإلا فليتكلم سعد باشا باسمه كما شاء أن يتكلم لاباسم الأمة .

«وإلى مستر سوان وزميليه[٥] الذين استضيفوا فى مصر ننصح بألا يمنوا أنفسهم بالتصدر لتحقيق أى أمر مدع بحدوثه بين المصريين وأن تكون سياحتهم الصيفية المريبة قاصرة[٦] على طلب الراحة . أنهم على ذلك فى بلادنا على الرحب والسعة وإلا فإن المصريين أعز نفسًا من الاختصام إلى من سواهم وأشد حرصًا من أن يستدرجوا إلى أن يصنعوا بأيديهم حبائل الارتباك فى قضيتهم وينسجوا على مناسجهم كفن شخصيتهم ويهدروا حقهم الطبيعى المسلم به عند جميع العالمين . أنهم لم يفعلوا ولن يفعلوا بعد أن ظفروا بالإجماع على مقاطعة لجنة ملنر بأفعل وسيلة للاستقلال وهى إشهاد العالم على تضافرهم عليه . [١٥٣١]

«وإلى الأمة الكريمة المصونة نرفع دعاءنا أن يجتهد كل امرىء فى ضبط شهواته السياسية الضارة حتى تخرج آثارها عن حدود البلاد خصوصًا فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى ضبط النفس وكبح الشهوات والله يتولى إرشادنا جميعا إلى ما هو خير مكانا وأحسن عقبى» .

على شعراوى . محمد محمود . أحمد لطفى السيد . محمد على . حافظ عفيفى . عبد العزيز فهمى[٧] .

١٢ أغسطس سنة ١٩٢١ .

---

(١) حذفت العبارة فى أصل المذكرات وكتب بدلا منها [فى كفاية] .

(٢) حذفت فى أصل المذكرات .

(٣) حذفت هذه العبارة وكتل بدلا منها [وهل بلغت] .

(٤) أضيفت كلمة [معه] بين السطور .

(٥) حذفت هذه الكلمة وكتب بدلا منها [وزملائه] .

(٦) حذفت وكتب فوقها [مقصورة] .

(٧) تقول الوثائق البريطانية أن أنصار عدلى قد نشطوا خلال تلك الفترة لإفساد أعمال الوفد الاحتجاجية وأنهم جمعوا نحو ٦٠٠ من الأعيان فى موقف احتجاجى على أعمال زغلول .
F. O. 407/ 190 No. 58

استئناف المفاوضات الرسمية

[١٥٣٢] وفى يوم ٢٩ يوليو سنة ١٩٢١ بعد الظهر استؤنفت المفاوضات بين الوفد الرسمى المصرى والحكومة الإنجليزية في وزارة الخارجية بعد أن كانت قد أوقفت أسبوعا كاملاً وذلك بسبب مشغولية اللورد كرزون فى المباحثة مع بعض سفراء الدول فى مسائل هامة .

وقد دام هذا الاجتماع ساعة واحدة للسبب نفسه بالرغم من رغبة اللورد كرزون فى متابعة المفاوضات .

سير المفاوضات

وتسير المفاوضات بطريقة سرية فمن العبث التكهن بتفاصيلها .

ولقد سأل المستر سوان في مجلس البرلمان الإنجليزى السؤال الآتى بجلسة ٢٨ يوليو سنة ١٩٢١ .

«هل يوجد لدى الحكومة معلومات عن سير المفاوضات مع الوزارة المصرية؟

فأجاب المستر هرمسورث قائلا : ان المفاوضات سائرة في مجراها الطبيعى وانه لاينتظر أن تكون سريعة أو أن تبلغ فيها نتيجة من النتائج بسهولة .

فقال المستر سوان : هل صحيح أن الذين يقومون بالمفاوضة لا يمثلون الرأى العام فى مصر؟

فأجاب المستر هرمسورث قائلا : أظن هذه النقطة من النقط التى تحتمل الجدل الكثير .

وفى جلسة ٢٩ يوليو بمجلس العموم رد المستر لويد جورج على سؤال من المستر أدرمس جور بقوله : أنه عقدت حتى الآن أربع جلسات مع الوفد المصرى وأنهم ينوون [١٥٣٣] تأجيل الاجتماعات قريبًا ثم استئنافها فى الخريف .

* * *

الأستاذ مكرم عبيد[1] فى لندن

وفى أواخر شهر يوليو سنة ١٩٢١ غادر الأستاذ مكرم عبيد عضو الوفد المصرى البلاد المصرية قاصدًا لندن فوصل إليها فى ٢ أغسطس سنة ١٩٢١ .

وقد أذاعت سكرتارية الوفد قبيل سفره بأنه سافر «إلى أوربا لأشغال تتعلق بالقضية المصرية خصوصًا فى انجلترا»

ولقد عمل الأستاذ مكرم منذ وصوله على بسط آراء الوفد للجمهور الإنجليزى وخصوصًا ما يتعلق بخطة الوفد نحو المفاوضات الرسمية الدائرة بين الحكومة البريطانية والوفد الرسمى المصرى .

وقوف المفاوضات

وفى ٤ أغسطس سنة ١٩٢١ استقبل اللورد كيرزون عدلى باشا فى وزارة الخارجية ومن هذا التاريخ أوقفت المفاوضات على أن تستأنف فيما بعد فى شهر سبتمبر وقد انتهز عدلى باشا هذه الفرصة فسافر إلى باريس لقضاء بضعة أيام مع أسرته .

تلغراف من الأستاذ مكرم عبيد

وبهذه المناسبة أرسل الأستاذ مكرم عبيد التلغراف الآتى إلى الوفد وهو :

«علمت من مصادر برلمانية وغيرها أن الطريقة المرجحة التى تسلكها الحكومة البريطانية بعد إعادة المفاوضات فى شهر سبتمبر هى تأخير الاتفاق وايجاد عذر يعود الوفد الرسمى بسببه الى مصر وبذلك تكسب الوقت وتثبط همم المصريين» .

مكرم

(١) كان يعمل وقتئذ أستاذا فى مدرسة الحقوق السلطانية وقد ذهب إلى لندن لتعبئة الرأى العام ضد وفد عدلى ومعاونه الدكتور حامد محمود فى حملته ودعوة عدد من النواب المؤيدين للوفد لزيارة مصر .

ذيول حوادث الاسكندرية

[١٥٢٤] تحولت حوادث الاسكندرية التى وقعت فى شهر مايو الماضى إلى حجج سياسية لدى فرنسا وإيطاليا وإنكلترا ضد مصلحة مصر فكانت بمثابة[١] حجر عثرة فى طريق المفاوضات الجارية فى لندن بشأن مستقبل مصر . وقد احتجت الدول على وقوع تلك الحوادث وطلبت بسببها صيانة امتيازاتها وإحاطة مصالحها بسياج من القوة والنفوذ بالرغم من أن تحقيقات ومحاكمات السلطة العسكرية لم تنته بعد .

ولقد قابل وفد من الجالية الإيطالية بالأسكندرية معتمدهم وقدموا اليه مذكرة عن اضطرابات الإسكندرية وقالوا فيها انهم يرون من الضرورى بقاء نظام الامتيازات الأجنبية الحالى كما يرون إنشاء قوة دولية مسلحة لحفظ النظام .

وبالرغم من أن[٢] إيطاليا[٣] هى الدولة الوحيدة التي لم تعترف بعد بحماية إنجلترا على مصر فإن الحكومة البريطانية فى هذه الأيام أخذت تبذل المساعى لحمل إيطاليا على الاعتراف بمركزها السياسى فى مصر .

فدعا كل ذلك بعض أعضاء الوفد المنشقين إلى توجيه الخطاب الآتى إلى معتمد إيطاليا بمصر وهو :

من بعض أعضاء الوفد المنشقين
إلى معتمد إيطاليا[٤]

[١٥٢٥] «سعادة الوزير :

«إن حسن العلاقات بين مصر وبين الأمة الإيطالية الكريمة كان فى كل زمان سندًا قويًا للمصريين يحسبون حسابه فى تقدير المساعدات الخارجية التى يعتمدون عليها في معرض الاعتراف باستقلالهم . ولقد اقتنعوا أنهم لم يخطئوا فى هذا التقدير بل أصابوا فيه كل الإصابة حينما رأوا من معتمد إيطاليا فى شخصكم الكريم الانتصار للحق وبيان

(١) حذفت هذه الكلمة في أصل المذكرات .
(٢) حذفت هذه العبارة وكتبت فوقها [ولما كانت] .
(٣) أشارت الوثائق البريطانية أن أعدادًا من الأوربيين ، الإيطاليين واليونانيين خصوصًا ، قد بدأوا ينزحون عن البلاد .
(٤) نص الخطاب نشر ـ الأخبار ـ تحت عنوان مصر والجالية الإيطالية ١٩٢١/٨/١٤ ص ٣ .

الواقع من الأمر بمناسبة حركة الاستقلال فى سنة ١٩١٩ وتصريحكم لنا باعتباركم الحركة المصرية ـ ولم تكن وضحت بعد لأنظار العالم ـ حركة وطنية صرفة بعيدة عن كل تعصب دينى وكره للأجانب . خدمة إنسانية جليلة لا يزال المصريون يذكرونها لجنابكم ويعترفون لكم عليها بالجميل . فكم يكون دهش المصريين حينما يجدون بعض الجالية الإيطالية باسم الاتحاد الإيطالى ينفردون دون سواهم من الأجانب النازلين في مصر باتخاذ الحوادث المؤلمة التى وقعت بالاسكندرية فى مايو الماضى ذريعة للطعن على المصريين بلا حق ولا روية . طعنًا يؤلم العواطف ويحفر هاوية الخلف بين الشعب المصرى والجالية الإيطالية . كل ذلك والاتحاد الإيطالى المقيم بين ظهرانينا يعلم حق العلم حقيقة أحوالنا . فحق للمصريين أن ينسبوا هذا التهجم إلى محاولة وضع العراقيل فِى سبيل نجاح قضيتهم السياسية متناسين أن مصر المسئولة أو مصر المستقلة ستكون [١٥٣٦] بطبيعة الحال أحرص على راحة الجاليات الأوربية من مصر الموضوعة قسرًا تحت الوصاية والتى ليست مسئولة عن إدارة شئونها فيما يتعلق بحسن علاقاتها مع الأجانب مسئولية حقيقية .

«من غير النافع الآن أن نطيل فى أمر هذه الحوادث التى كنا أول من تألم لها ونأسف عليها ولكن الذى نتشرف بأن نطلبه من جنابكم وما نظنكم إلا عاملين عليه فعلا ومن بادئ رأيكم هو أن تبذلوا نفوذكم العظيم للقضاء على كل أثر لمطاعن الاتحاد الطليانى حتى تعود الحال إلى ما كانت عليه من الصفاء والثقة المتبادلة بين المصريين وبين الجالية الطليانية المحترمة فى مصر .

«وإننا يا جناب المعتمد مع اعتدادنا بفضلكم الماضى واعتقادنا بحسن مسعاكم الحالى نرجوكم أن تتفضلوا بقبول تحياتنا وعظيم احتراماتنا .

فى ١١ إغسطس سنة ١٩٢١

على باشا شعراوى . محمد محمود باشا . لطفى السيد بك . عبدالعزيز فهمى بك . الدكتور حافظ عفيفى بك . محمد على بك .

تهنئة الوفد للأمة بعيد الأضحى[١]

[١٥٣٧] كان يوم الأحد ١٤ أغسطس سنة ١٩٢١ موافقًا لأول أيام عيد الأضحى المبارك . وقد انتهز فيه سعد باشا هذه الفرصة[٢] فهنأ الأمة به باسم الوفد واسمه . ونظرًا لما حوته هذه التهنئة من الأفكار والآراء السياسية ننشرها للقارىء فيما يلى : ـ

«بنى وطنى الأعزاء :

«أهدى إليكم باسم زملائى وباسمى أجل عبارات التبريك والتهانى بحلول عيد الأضحى الأكبر الذى يذكرنا بوجوب التضحية فى سبيل الله والوطن . وأفتخر بثباتكم على تأييد الوفد وبوقوفكم فى وجه الوزارة وقوفًا اضطرها الى التمسك بمطلبكم من جعل الغاء الحماية عامًا بالنسبة للعلاقات مع جميع الدول والاستقلال تامًا فى الداخل والخارج . وذلك رغم الأحكام العرفية التى توسلت بها لكم أفواهكم . واخفاء شعوركم . فى وقت تقرير مصيركم . ونحمد الله على أن ثباتكم على مقاومة عوامل التفريق عكس القصد على أنصارها وأحبط أعمالهم فازددتم اتحادًا فى مطلبكم ووثوقًا بمستقبلكم . ولقد سافرت بعثتها رغم إرادتكم بعد أن مهدت السبيل لسفرها بكل وسائل القهر والإرهاب . فقام أحرار الإنكليز فى مجلس نوابهم يوجهون الأسئلة لحكومتهم ويطلبون الغاء الأحكام العرفية واجراء انتخابات حرة لتأليف جمعية وطنية تعبّر عن مشيئتكم فى الشئون الحاضرة لعلمهم أن المفاوضة مع بعثة غير مرتكزة على ثقة الأمة لا تجدى نفعًا ولا يكون من ورائها إلا اتساع مسافة الخلف بين الأمتين الإنكليزية والمصرية وتعذر الاتفاق [١٥٣٨] بينهما وعلى أثر سعيهم عولت الحكومة الإنجليزية على أن تستشير فى هذا الطلب مندوبها السامى . فاضطربت الوزارة والوزاريون وشعروا بحرج مركزهم . فدبروا حملة أرادوا أن يوقعوا بها فى أوهامكم أن تلك الأسئلة ضارة باستقلالكم وأن سعى أولئك الأحرار يقدم لحزب الاستعمار سلاحًا ضدكم يحارب به أهليتكم لحكم بلادكم . ولكنها حيلة لم تجز بحمد الله إلا على القليل منكم . أما الأكثرون فلم يروا فى سعى الأحرار إلا النفع لقضية البلاد ولم يروا فى تلك الأسئلة إلا افتضاحًا لأعمال الوزارة التى أرادت بها

(١) نص التهنئة ـ جريدة وادى النيل ، ١٩٢١/٨/١٤ ، ص٣ .

(٢) كان سعد باشا مقيمًا آنئذ فى عزبته فى مسجد وصيف للراحة ومع ذلك ظلت الوفود من المنصورة وميت غمر وغيرها تذهب إليه ويخطب فيها .

الحصول على ثقة زائفة . وأننا نعتقد كل الاعتقاد أن الذين تأثروا منكم بهذه الحملة عن حسن قصد سيدركون خطأهم رجوعًا إلى الحق والصواب على الرغم مما يبذره المنشقون واضرابهم من بذور الوقيعة بين الوفد والموظفين واعيان البلاد . وهى وسيلة ما كنا نحسب أن يلجأوا إليها مهما ضاقت السبل فى وجوههم . لأنهم يعلمون كما يعلم الناس جميعًا أننا لا نقصد حطًا من كرامة أحد من مواطنينا . ونعترف لكل طبقة من طبقاتهم بنصيبها من الفضل فى النهضة الحاضرة . ونعجب كل الإعجاب بأفرادهم وجماعاتهم . ولكنا لا يمكننا أن نقر الذين يستخفون بالحرية استخفاف الوزاريين بها ولا أن نمالئهم على اخفاء الحقائق . لأن الدفاع عن الحق واجبنا . ولا نرضى مطلقًا ان نفرط فيه اذا اعتدى عليه معتد . كما لا نرضى أن نقصر فى شكر من نصبوا أنفسهم للدفاع عن حريتنا وسعوا فى تأييد مطالبنا سعيًا كاد يأتى بالثمرة المقصودة .

«فاحذروا أن تقعوا فى هذه الفخاخ التى تنصب لكم تحت ستار الغيرة على الكرامة الوطنية . وثابروا على تأييد الحق وأهله . وإنكار الباطل وشيعته . ولقد دنت ساعة سماع [١٥٣٩] صوتكم الرهيب . فخذوا أهبتكم لها . فإن كلمتكم هى الفاصلة .

«ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يبعد عنا وساوس الأوهام وأن يقينا شر الدسائس والفتن . وأن يعيد علينا هذا العيد بنعمة الاستقلال التام .»

رئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

(١) يقصد الوفود .

خطبة سعد زغلول باشا
فى وفد ميت غمر

وفى ذلك الوقت أخذت الوفود تأتى حيث يقيم سعد باشا إلى القاهرة او فى مسجد وصيف لتعلن ثقتها لسعد باشا وبالوفد الذى يرأسه وكان سعد باشا يخطب فى هذه الفوائد[1] مرحبا بها واسعا آراءه فى خطة الوزارة وأعمالها والمفاوضات الرسمية[2] .

[١٥٤٠] ففى ١٧ أغسطس سنة ١٩٢١ ألقى سعد باشا زغلول خطبة سياسية فى وفد ميت غمر الذى جاء إليه لتهنئته وتجديد الثقة به . وكان سعد باشا فى هذه الأثناء مقيمًا فى «مسجد وصيف»[3] انتجاعًا للصحة وترويحًا للنفس .

ولما كانت الأمة فى هذا الوقت منقسمة إلى شيع وأحزاب كثيرة ففريق يؤيد سعدًا وآخر ينصر عدليًا وثالث يعطف على الاثنين ورابع ينقسم عليهما وهذا مما لا يسر له وطنى غيور على مصلحة بلاده .

ولما كان الجو السياسى أيضًا غير جلى إذ أصيب بفتور زائد رأينا أن ننشر للقارىء هنا خطبة سعد باشا المشار إليها وهى بلا ريب تعطيك صورة مصغرة عن رأيه فى الطور الحاضر . وها هى ذى : ـ

١٧ أغسطس سنة ١٩٢١

أبنائى الأعزاء

[١٥٤١] يسوءنى جدًا تحملكم مشاق الحضور كما يسوءنى أعمال رجال الإدارة فى كل قاصد لنا ولكنهم إن منعوكم فهم إنما يمنعون أجسامكم ولا يمكنهم منع قلوبكم من أن تشعر بحبنا فلهم فيكم الأجسام يتصرفون فيها ولكن لنا القلوب التى بذلتموها . وحقيقة تجدونى وإخوانى فخورين بتلك القلوب الطاهرة وإنى أشعر بهؤلاء المساكين الذين

---

(١) يقصد : الوفود .

(٢) دونت هذه العبارة وبخط مخالف فى أسفل ص ١٥٣٩ .

(٣) كان من عادة سعد باشا أن يقصد فى بعض الأوقات إلى عزبته فى «مسجد وصيف» والتى تقع بين مدينتى بنها وميت غمر فى مديرية الغربية .

تستعملهم الحماية يقولون بإخماد حركة منذ قبضهم الله سبحانه وتعالى لأن الله هو الذى جمع اتحادكم متآزرين على الدفاع عن حقوقكم وما أنا إلا واحد منكم قمت لأعبر عنه .

يجب علينا أن نتحد جميعًا وذلك لا يكون إلا برفع الصوت عاليًا فى وجه كل من يحاول إخماد أنفاسنا وأنا بالنيابة عنكم أرفع صوتى ولو لقيت حتفى :

نحن قادمون على أمر خطير جدًا وهو أن يكون منا نواب تتألف منهم جمعية وطنية لتنظر فى المفاوضات ونتيجتها . إن المفاوضين منا يريدون أن يتلاعبوا بنا كى يتمكنوا من تفريق كلمتنا . وإذا آنسوا فينا هذا الانقسام تمكنوا بواسطة رجال الإدارة أن ينتخبوا نوابًا يكونون آلات صماء فى أيديهم لأجل أن يصدقوا على المشروع الذى سيأتون به فاحذروا . وإذا أتى يوم الانتخابات فانتخبوا من وثقتم بهم ومن عرفتم أنهم أهل لأن [يترافعوا عنكم][1] هتاف وتصفيق حاد)

[١٥٤٢] إننا لا نبتغى مالا نستغنى به ولا عزة[2] لأن العزة التى أوليتموها إلينا فوق كل عزة والمنزلة التى [أعطيتموها لنا][3] لهى أكبر منزلة .

لست أسعى إلا لشىء واحد وهو أن أحقق استقلالكم وفقنى الله إليه ـ فإذا وفقت إلى اتمام هذه الأمنية كنت سعيدًا (هتاف شديد) حقيقة لا أبتغى إلا هذا الغرض فقط فلا سعادة إلا تلك السعادة . واليوم الذى أنال فيه أمنيتكم هو اليوم الذى أعود فيه إلى هذا المكان لأستنشق الهواء وأرعى النجوم وأختفى عن أنظار العالم وانى شاعر بأن أمنيتى ستحقق وسأعود إن شاء الله وأراكم ولكن فى ظروف أسعد من هذه الظروف وإن ما يعمله هنا الحكام إن هى إلا أعمال صبيانية وليس من شأنها أن تخمد الحركة التى قمتم بها (هتاف بسقوط المنشقين) . إنهم يطوفون عليكم بخزعبلات وأراجيف بمكذوبات وأضاليل يريدون أن يسمموا عقولكم ولكن ساء فألهم . ما الذى أريده بعد بلوغ هذه المنزلة منكم حتى تحدثنى نفسى بخروجى على وطنى وبلادى . فهل أريد أن

---

(١) فى أصل الخطبة (لأن يتولوا الدفاع عن مستقبل بلادكم) وليس (يترافعوا عنكم) .

(٢) حذفت هذه العبارة وكتب بخط مخالف [شيئا تعتريه] .

(٣) فى أصل الخطبة «التى أحللتمونى بها هى أكبر» .

أنزل عن هذه المنزلة بعد أن رفعتمونى إليها . فإن كان لمنصب فقد رفضته ، وإن كان لمال فعندى والحمد لله منه الكفاية . وإنما [أقصد][1] تحقيق ثقة الأمة بى وهذه أكبر نعمة أريد أن يسبغها الله على فلتحفظوا هذا عنى إن مت فى سبيل خدمتكم واثبتوا أمام كل خصم ينازعكم إخلاصى لوطنى ولا يمكنى أن أكون غير مخلص لبلادى ومن حسن حظى أن الذين يقولون هذا ظلمًا ، لهم تواريخ معروفة عندكم وأنا واثق بأن كذبهم هذا لا يجوز على عقول الأمة وإنى واثق أن كل ما أفعله هو لحرية الشعب المصرى وسأجاهد عنها بكل قوة حتى آخر نسمة فى حياتى ولا أبالى بقول المنشقين وليس لهم عندى إلا احتقار كلامهم وحججهم . لقد أعلنت شكرى لأولئك النواب الأحرار الذين قاموا يسألون [١٥٤٣] فى مجلس النواب الإنجليزى بخصوص الثقة المزعومة . يلزموننا بأن نثق بمن هم ليسوا أهلاً بالثقة ويلومون علينا بأننا أسلمناهم للإنجليز .

هذا كـــــلام له خـــــبىء   مـــعناه ليـــست لنا عـــقـــول

أليس الانجليز متداخلون فى شئوننا وينتخبون حكامنا ويدفعونهم للأعمال التى تئن الأمة منها .

هذه وصيتى لكم لتعملوا بها إن لم أكن موجودًا بين ظهرانيكم : يجب عليكم ألا تنتخبوا إلا من وثقتم بهم (هتاف بطول البقاء لزعيم الأمة)

ثبت الله قلوبكم وأيدكم بروح من عنده وإننى سأدافع عنكم ما دمت حيًا (هتاف وتصفيق حاد)[2] .

---

(١) فى أصل الخطبة «أريد» وليس أقصد .

انظر نص الخطبة فى جريدة وادى النيل ١٩٢١/٨/١٩ ، ص٣ .

(٢) تم حذف عبارات الهتاف بحياة الزعيم والتصفيق الحاد فى أصل المذكرات .

تصريح المستر لويد جورج
ورد سعد باشا عليه

وفى ١٨ أغسطس سنة ١٩٢١ سأل أحد النواب المستر لويد چورج رئيس الوزارة البريطانية سؤالاً عن المسألة المصرية فرد عليه جنابه بتصريح نثبته للقارئ فيما يلى .

[١٥٤٤] «إن المفاوضات جارية فى الوقت الحاضر مع بعض مندوبين ممن لهم حيثية كبرى . وأرجو أن يكون لى السرور غدًا بمقابلة رئيس الوفد بنفسى . وأظن أن من الصعب قليلاً المناقشة الآن فى هذه المسألة . وانى أرغب رغبة صادقة فى الوصول الى اتفاق يمكن معه التوفيق بين حرية مصر والمصالح البريطانية والعمل معًا لفائدة تلك البلاد القديمة الذائعة الصيت . وإنى واثق جدًا من أنه يمكن الوصول إلى مثل هذا الاتفاق» .

رد سعد باشا
على المستر لويد چورج(١)

فلما اطلع سعد باشا على هذا التصريح بادر بإرسال البرقية الآتية إلى المستر لويد چورج وهى : -

[١٥٤٥] جناب المحترم المستر لويد چورج .

(رئيس الحكومة الإنكليزية بلندرا)

«وردت الأنباء التلغرافية بأنكم صرحتم فى مجلس النواب بأنكم واثقون بأن الاتفاق تم أو سيتم بينكم وبين البعثة الرسمية على أن تعمل إنجلترا مع مصر لخير/ مصر

---

(١) نص التلغراف ـ جريدة وادى النيل فى ١٩٢١/٨/٢٥ ، ص٣ .

وأتشرف بأن أؤكد لجنابكم أن الأمة المصرية لا تقبل أى اتفاق يجعل انجلترا شريكة لمصر فى إدارة شئونها وأن كل مشروع يتضمن مثل هذا الاتفاق مقضى عليه بالفشل والمشروع الوحيد الذى تقبله الأمة المصرية هو ما يضمن استقلالها التام .»

رئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

تأجيل المفاوضات الرسمية شهرًا

[١٥٤٦] فى غضون شهر أغسطس سنة ١٩٢١ دارت بعض مفاوضات ومقابلات بين عدلى باشا واللورد كيرزون . وفى ٢٤ منه عقدت فى وزارة الخارجية البريطانية جلسة ختامية للدور الأول من المفاوضات إذ رؤى تأجيلها شهرًا لأن كبار المفاوضين قرروا الاستراحة من العمل واستئنافها فى أكتوبر .

عودة سعد باشا إلى العاصمة

[١٥٤٧] فى ٢٥ أغسطس سنة ١٩٢١ عاد سعد زغلول باشا من عزبته بمسجد وصيف إلى القاهرة بعد أن قضى فيها أيامًا عديدة فاجتمع على المحطة لاستقباله جمهور كبير فى مقدمته بعض أعضاء الوفد وكثير من الكبراء والأعيان . ولما نزل من القطار أبى عليه الطلبة أن يسير على قدميه فحملوه على أكتافهم مهللين حتى أوصلوه إلى سيارته التى كانت تسير الهوينا والناس على طول الطريق يحيونه ويهتفون له .

ولما وصل إلى بيت الأمة طلبت إليه الجماهير الحاشدة إلقاء كلمة فارتجل الخطبة الآتية :ـ

خطبة سعد زغلول باشا
بعد عودته من مسجد وصيف[١]

أيها السادة

[١٥٤٨] أقدم لكم شكرى على احتفالكم بى وأطفىء بمشاهدتكم شوقى وأدخل السرور عليكم بأنى وجدت فى المدة القصيرة التى أقمتها بعيدًا عنكم فيمن أتاحت لى الفرصة الاجتماع بهم من إخوانكم شعورًا صادقًا بالوطنية مثل شعوركم وإن كل ما يأتيه المبطلون من أضاليل وأراجيف لا يؤثر فى هذه الروح ضعفا ولا فى التفافهم حول المخلصين شيئًا . وأؤكد لكم أن التلغرافات التى استمضى عمال الحماية الكثير عليها لم تحدث أدنى أثر فى نفسى لأنى أعلم أن الذين أمضوها لم يضلوا بقلوبهم . بل قلوبهم فى الحقيقة مملوءة ثقة بالمخلصين من خدامكم ولكن من هؤلاء الذين نسبت إليهم من وضعت امضاؤهم بغير علمهم وفى غيبتهم ومنهم من أثر فى ضعفه إرهاب عمال الحماية . وعلى كل حال فجميع الأمة مقدرة لإخلاصنا قدره . أمّا ما أراد المبطلون أن يسوئوا به سمعتنا من جهة سعينا فى توجيه الأسئلة التى وجهت فى البرلمان والبلاغ الذى نشره أحرار الإنكليز فى بعض الجرائد والسرور بعزمهم على الحضور إلينا فهو مردود عليهم لأن أولئك الأحرار ليسوا مستعمرين ومبادئهم متفقة مع مصالحنا وهم لا يودون أن يمتد سلطان حكومتهم

(١) نص الخطبة نشر فى جريدة وادى النيل فى ١٩٢١/١/٢٧ ، ص٣ .

إلى غير أمتهم لأن هذا يكلف أفرادها تكاليف باهظة لا قبل لهم بتحملها . ولا يصح فى [١٥٤٩] اعتبارهم لأمة قوية أن تستولى على أمة ضعيفة . ولقد كان لهم مواقف محمودة فى كثير من الظروف فهم الذين نهضوا فى مجلس النواب للدفاع عمن اعتقلوا سنة ١٩١٩ من زعمائكم وصاحوا بحكومتهم قائلين إن هذا ظلم مبين لا يصح نسبته للأمة الانجليزية . وكان للضجة التى أقاموها حول هذا الاعتقال أثر فى الإفراج عن المعتقلين . فعلوا ذلك قبل أن نتعرف بهم ثم تعرفناهم وكنا جميعًا مغتبطين بهذه المعرفة لا فرق بين من انشقوا بعد ذلك ومن استمروا فى إخلاصهم وآخر ما فعلوه ذلك المنشور الذى أذاعوه وزعم المبطلون المتلونون فى مبادئهم إنه لم يشتمل على شىء مما شكرتهم عليه من الدفاع عن حرية بلادنا واستقلالها وتعاموا عما صرح به ذلك المنشور من طلب إلغاء الأحكام العرفية وانتخاب جمعية وطنية للنظر فى المفاوضات وعللوا ذلك بأنه لا يصح إكراه أربعة عشر مليونًا على أن يقبلوا معاهدة أو حكومة لا يرضونها . فهل هذا لا يعد دفاعًا عن الحرية وعن الاستقلال؟ وهل إلغاء الأحكام العرفية وأن يكون للأمة حق البت فى مصيرها ليس دفاعًا عن الحرية ولا عن الاستقلال؟

وأغرب من مكابرتهم فى هذا الأمر ما زعموه من أن توجيه تلك الأسئلة فى البرلمان يوجب من جهة لتدخل الحكومة الإنكليزية فى شئوننا الداخلية ومن جهة تشوه لسمعة المصريين ويتخذه حزب الاستعمار حجة على عدم أهلية مصر لحكم نفسها بنفسها وقال بالقضية الأولى من قولهم وكيل خارجية إنجلترا وبعض المحافظين والاستعماريين ولئن [١٥٥٠] صح هذا القول من فم مستعمر إنجليزى/ دفاعًا عن إنجليز مصر وعن حريتهم فى التصرف بأمورنا فإنه هزء وسخف لا يصح من فم مصرى مغلوب على أمره يعلم حق العلم أن حكومته غير مستقلة فعلاً وأن الحماية متغلغلة فى الإدارة المصرية وجميع فروعها وأنه لا يبرم أمر ولا ينقض إلا بإشارتها فأى استقلال نخشى عليه من التدخل بعد هذا التغلغل ألم يبلغكم فى الأيام الأخيرة ما أكده العارفون[1] من أمر مستر تتنجهام وكيل وزارة الأشغال[2] بخصوص توقيف الأعمال فى خزان مكوارا وكيف انصاعت الوزارة لهذا

---

(١) فى الأصل كما جاء فى الخطبة المنشورة فى الصحف وأكده العارفون من أمر المستر تتنجهام وكيل وزارة الأشغال حصل بمساعدة الحماية على إلغاء قرار مجلس الوزراء ووزير الأشغال بخصوص توقيف الأعمال . . .

(٢) كانت الأشغال والداخلية من أكثر الوزارات التى انبث فيها الموظفون الانجليز بحكم ما تتيحه من سيطرة على البلاد .

الإبطال ولم تجد من العزة أن تعارض فيه مع أنها كانت سعت عقب قرار الإيقاف أن تقام لها حفلات تكريم على هذا الموقف الشريف .

أما ما زعموه من تشويه الأسئلة لسمعة المصريين فإن السائلين لم يتعرضوا فى مجلس النواب لجنسية من ارتكبوا تلك الجرائم ولم يقولوا إن كل الموظفين ارتكبوها ولكنهم ذكروا وقائع معينة مستندة إلى بعض عمال الإدارة فمن أين يأتى تشويه سمعة المصريين عمومًا ومن الذى قال بأن حزب الاستعمار اتخذ هذه الأسئلة حجة على عدم استعداد المصريين لحكم أنفسهم ؟ .

وإذا فرضنا أنهم أقاموا هذه الحجة فأى قيمة لها وهى لا ترتكز على مقدمة حقيقية؟ إن فعل بعض الموظفين لا يصح أن يؤخذ الباقون بجريرته خصوصًا فى حالة مصر لأن الموظف حتى لو كان مصريًا إنما تسأل عن عمله إدارة الحماية لأنها هى التى انتخبته وعينته وهو يؤدى وظيفته تحت مراقبتها ولحسابها .

عجبًا عاجبًا من الوزاريين يستحلون أن يتلمسوا من الإنجليز الوظائف التى يتربعون [١٥٥١] فيها والسلطة التى يتصرفون بها من أرواح إخوانهم ودمائهم وكرامتهم ويعدون كل هذا سائغًا فى قانون الوطنية ولكن الشكوى من ارتكاب الظلم الفاحش فى ذلك كله لمن له القدرة على رفعه جريمة لا تغتفر وخيانة وطنية .

يدعون إلى مقاطعة أولئك الأحرار إذا حضروا كما قوطعت لجنة ملنر لأنهم إنجليز والانجليز خصومنا نعم انهم إنجليز ولكن ليس كل الإنجليز خصومنا بل منهم من يجب أن يكونوا اصدقاءنا وهم الذين تتفق مبادئهم مع مصالحنا مثل أولئك الأحرار . إن لجنة ملنر عينتها الحكومة الإنجليزية بتصديق البرلمان لتأييد الحماية ووضع نظام لحكومة مصر فى دائرة هذه الحماية كما صرح بذلك وزراؤهم فى مجلس النواب واللورد ملنر فى خطابته قبل حضوره [إلى مصر][1] وفى الإعلان الذى أصدرته لجنته فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ بعد حضورها وأعلنته الفيكونت اللنبى فى بلاغ أذاعه قبل قدومها فمقاطعتها كانت لازمة . أما هؤلاء الأحرار فلم يعينوا من حكومتهم ولا من مجلس نوابهم بل انتدبوا

---

(١) أضاف عبد الرحمن فهمى كلمة «إلى مصر» .

أنفسهم للتحقق من أعمال الحماية والمظالم التى عزيت إليها حتى يؤيدوا بما يرونه المطالب التى طلبوها والتى هى متفقة تمام الاتفاق مع مطالبنا فكيف نقاطع قومًا إذا حضروا وهذه حالتهم وتلك غايتهم؟ إنه يجب علينا أن نستقبلهم بكل ترحاب وإنى أتشرف بأن أكون أول المستقبلين لهم . اننا إذا لم نعتمد على مثل أولئك الأحرار [من كل الأمم][1] عمومًا ومن الإنجليز خصوصًا فعلى من نعتمد بعد الله واتحادنا؟

إن الوزاريين أذاعوا بأن لجنة تألفت من اللوردات والنواب وأساتذة الجامعات لتأييد المفاوضات فهل هؤلاء ليسوا إنجليزاً وما هو لونهم؟ إن كانوا أحرارًا فهم أصدقاؤنا وإن [١٥٥٢] كانوا غير أحرار مستعمرين أو محافظين فكيف يؤيد هؤلاء المفاوضات فى مصلحتنا؟ اللهم إن الوزاريين لم يريدوا من إشاعة تأليف هذه اللجنة إلا المقابلة والمفاضلة ليوهموا أن لجنتهم أنفع لمصر من اللجنة التى يعتمد الوفد عليها ولكنهم وقفوا فى تناقض عجيب فإن كانوا [سواء][2] حقيقة فى تأليف لجنة من هذا القبيل فإنهم يكونون سعوا فيما عابوه علينا وزيفونا به . وإن كان هذا ليس بصحيح كما هو الظاهر فهو تباه بما يعتبرونه جريمة .

إن الإنجليز ويشايعهم الوزاريون يريدون أن يجردونا من كل سند ونصير ليفترسوا باستقلالنا وقد رأوا أن العقبة الكؤود فى طريقهم هى قيام المخلصين فى وجههم وفى وجه البعثة الرسمية ومعارضة كل ما تأتى به مما لا يتفق مع هذا الاستقلال فلم يكن منهم إلا أن أجمعوا رأيهم على محاربتهم حتى يسقطوهم ومتى أسقطوهم تمكنوا من تنفيذ المشروع الذى يرونه مهما كان مضرًا بالبلاد وتذرعوا لذلك بوسائل شتى منها استعمال الأحكام العرفية فى إرهاب الناس وحملهم على سحب ثقتهم بأمنائهم وبث الأضاليل والمفتريات فى نفوسهم بواسطة المنشورات التى يلفقونها والتلغرافات التى يرسلونها من لندرة والشروحات التى تعلقها الجرائد الوزارية عليها .

ومن توغلهم فى التضليل والتمويه أنهم فى الوقت الذى صرح فيه رئيس الوزارة الإنجليزية بمجلس النواب بأن الاتفاق تم مع البعثة الرسمية أو سيتم على أن إنجلترا [١٥٥٣] تشترك مع مصر فى حكمها يسعون فى حمل الناس على تأييد هذه الثقة وتقول بعض

(١) أضيفت (من كل الأمم) إلى نص الخطبة .

(٢) فى الأصل سعوا .

جرائدهم اليوم أن هذا التصريح مما يوجب حسن التفاؤل . أى استخفاف بالعقول أشد من هذا الاستخفاف؟ إن كان هذا تفاؤلاً فما هو التشاؤم؟ يريدون بمثل هذه الوسائط إزالة تلك العقبة ولكن الله تأبى حكمته البالغة أن تضيع جهود المخلصين بمثل هذه الوسائل وأن ينطفىء ذلك النور الساطع المنبث فى جميع النفوس وينهار ذلك البناء الشامخ الذى تأسس فوق رؤوس كثير من الضحايا وسوف نكون كلنا يدًا واحدة ضد كل مشروع لا يتفق مع مصلحة البلاد وفى السعى بكل ما فى وسعنا للحصول على أمنيتنا من الاستقلال التام .

خطبة سعد زغلول باشا
فى الأزهر الشريف[1]

وفى يوم الجمعة الموافق ٢ سبتمبر سنة ١٩٢١ أدى سعد باشا فريضة الجمعة بالجامع الأزهر الشريف . فاستقبله المصلون جميعًا بمظاهر الترحيب وهتفوا بحياته كثيرًا عقب الصلاة ثم طلبوا إليه إلقاء كلمة فى الحالة السياسية وألحوا فى طلبهم حتى اضطر أخيرًا إلى إلقاء الخطاب الآتى :ـ

[١٥٥٤] ٢ سبتمبر سنة ١٩٢١

سادتى . إخوانى . أبنائى

لم أتشرف اليوم بالحضور إليكم لأخطب فيكم بل لأصلى معكم وأشكركم على إيفاد الوفد الذى شرفنى بالأمس لتبليغ تحياتكم ولأشنف مسامعى بخطبكم وأنتفع بحكم أقوالكم التى طال انقطاعى عن سماعها[2] لكم منى على ما أبدى وفدكم وأبديتم نحوى خالص الشكر وعظيم الامتنان[3] . ولقد مازج سرورى لشهود وفدكم أمس شىء من الحزن عندما رأيت جنودًا تحوط بدارى وتحاول أن تحول بالقوة القاهرة بين وفدكم والدخول فيها وكأنهم يظنون أنهم بمثل هذه الوسيلة يتوصلون أن يمنعوا شعوركم من أن يتصل بنفسى وقلوبكم من أن تمتلىء بالإخلاص لمن جعلتهم عنوان أمانيها ورمز

---

(١) نص الخطبة منشور فى جريدة وادى النيل بتاريخ ١٩٢٨/٩/٦ ، ص٢،١ .

(٢) كان وفد من طلاب الأزهر قد قصد بيت الأمة فى اليوم السابق غير أن البوليس قبض على عدد منهم .

(٣) طالب المصلين إمام الجامع بالدعاء لزغلول مع السلطان فى نهاية الصلاة وهو ما فعله الرجل على مضض تبع ذلك أن ألقى بعضهم أشعارًا فى مديح سعد وطلبوا منه إلقاء خطبة فيهم .

استقلالها ولكنهم لم يكونوا إلا واهمين فى ظنهم وما وقع منهم لا يزيد قلوبكم إلا إخلاصًا ولا يزيد حبكم لمن وثقتم به إلا نماءً . وإنى معتقد كل الاعتقاد أنه كلما وقعت هذه الأعمال عليكم واتصل علمكم بوقوع مثلها على غيركم شعرتم بأنها موجهة لمساعدة خصومكم فلا يزيدكم وقوعها إلا نفورًا منهم وميلاً إلى زعمائكم .

إن أعداءنا كانوا يحتقروننا ويعتبروننا كمية مهملة فلما قمتم فى سنة ١٩١٩ تلك القومة التى اهتزت جوانب الأرض لها وغضبتم تلك الغضبة الكبرى وأعلمتموهم أن فى [١٥٥٥] السويداء رجالاً يأبون الضيم ويفضلون الموت الشريف على الحياة الذليلة ابتدأوا يحترمونكم وأتوا يبحثون عن استرضائكم فأظهرتم لهم اتحادكم وتمسككم باستقلالكم فلم يسعهم إلا احترامكم والدخول فى المفاوضة مع زعمائكم الذين أوليتموهم ثقتكم فلم يروا من هؤلاء إلا تشددًا فى حقكم ومحافظة على عهدكم فلجأوا إلى الحيلة يستعملونها وحاولوا تقسيم وحدتهم وتفريق كلمتهم فنجحوا مع الأسف الشديد وانحاز إليهم بعض من نزل الملل بنفوسهم وألم الهزال بهممهم فظاهروهم على قصدهم وعاونوهم فى سعيهم ولكن الأمة بحمد الله لم تتأثر بصنعهم ولم يمل إليهم إلا القليل رغم الوسائل التى يستعملونها وهى كثيرة فمنها القوة الغاشمة أزهقوا الأرواح . أسالوا الدماء . سجنوا الأبرياء . اعتقلوا . أبعدوا . أهانوا . هددوا . ليرهبوكم وليفضوكم من حول زعمائكم وعناوين استقلالكم . فعلوا كل هذا ولكنهم لم ينجحوا فى سعيهم بل أحبط الله أعمالهم . استأجروا الكتاب . اشتروا الجرائد . وزعوا المنشورات . اختلقوا الأكاذيب . رمونا بأبشع التهم وأفظعها . حشوا كل ما كتبوا بأنواع الوقاحة والبذاءة ولكن كل ذلك لم يفد إلا تصغيرهم ولم يكسبهم إلا احتقارًا فى اعتباركم . أما نحن فبقينا متشرفين باحترامكم لم يلحقنا شىء مما كتبوا .

ولما علموا أننا عاملون على فضح أعمالهم وهتك أستارهم تألبوا علينا وأخذوا يحملون الناس على أن يقطعوا صلتهم بنا ويسحبوا منا ثقتهم كأن الثقة كرة فى يدهم يلعبون بها كيف شاءوا يرمونها حيث أرادوا مع أنها كما تعلمون حالة تقوم بقلب الإنسان [١٥٥٦] نحو من رآه جامعًا للصفات التى يعتبرها كفيلة بالسير نحو الغاية التى يقصدها . أليس كذلك؟ (نعم .نعم) ليست الثقة بعمل اختيارى بل تلقى فى الضمير بحيث لو أراد صاحبه أن يضعف منها لما قدر على ذلك ما دامت الأسباب التى ولدتها موجودة فيه .

بناء على ذلك لا يمكن لوسائل الإكراه والتهديد أن تنتزع ثقة من قلب إنسان . والثقة التى شرفتنى الأمة بها لا يمكن أن تنعدم كما قلت لوفدكم بالأمس إلا فى واحدة من حالتين . إحداهما أن تعدل الأمة نفسها عن طلب حريتها واستقلالها وترض بالحماية وإنى أعيذها من هذا الخبال . والثانية أن يكون موضع ثقة الأمة قد خالف مبدأها وبدل أن يسعى للإستقلال الذى وضعت أمانة السعى له فى عنقه سعى فى غيره وعمل لسواه وفى هذه الحالة لا يصح أن يكون جزاؤه سحب الثقة منه فقط بل يجب أن تحكم الأمة عليه بالإعدام ويكون حكمها من أعدل الأحكام وإنى أبيح دمى إذا رأيتم منى انحرافًا عن قصدكم أو تسامحًا فى حقوقكم أو خروجًا عن حدود المأمورية التى عاهدتكم علىَ القيام بها وما عدلت ولن أعدل عنها ما دام فىّ عرق ينبض أو نفس يتردد .

وإنى أحارب كل شخص يسير ضد هذه الخطة ويضع العقبات فى طريقنا مهما كانت رابطته معنا وحاله من الصداقة لنا . ولقد قاطعت كثيرًا من أصدقائى لا لأسباب شخصية بل غيرة على القضية العامة وحرصًا على التمسك بحقوق الأمة . فكل من رأيت فيه تهاونًا فى السعى وتواكلاً فى العمل أو تسامحًا فى الحق وأعيتنى الحيلة فى إصلاح شأنه قطعت ما بينى وبينه من صلة ولو كانت أقوى الصلات وأمتنها أفعل ذلك [١٥٥٧] غير آسف لأن حقوق الأمة لا تقبل مجاملة الصديق ولا مسايرة الصاحب . والكتب التى قرأتم بعضها فى الجرائد وستقرأون بعضًا آخر منها تشهد بأنى كنت دائمًا محافظًا على أمانتكم . وأن الخلاف الذى استحكم بينى وبين بعض زملائى لم يكن لشخصيات كما زعموا بل لأسباب جوهرية تتعلق بالمبدأ الأسمى . قالوا إننى أتشبث بالمفاوضة والرئاسة حبًا فى العلو والفخار نعم تشبثت بذلك وكان هذا التشبث من حقى بل من واجبى لأن الأمة وكلتنى عنها وألقت علىّ مسئولية كبرى فى المفاوضات فلم يكن لى بعد أن وضعتنى فى هذا الموضع أن أتنازل عن الرئاسة لغيرى وأن أدع الرئاسة فى المفاوضات لمن اختبرته ودلنى اختبارى على ضعف شديد فيه وتهاون فى حقوق الأمة فيكون العمل لغيرى والمسئولية علىّ . ولقد أبدت الأمة عند استشارتها فى مشروع ملنر ثقتها بالوفد وأظهرت شدة رغبتها فى أن يكون هو المفاوض دون سواه وتنفيذاً لهذه الرغبة قبلنا الدخول فى المفاوضة حتى إذا وجدنا من ورائها خيرًا جلبناه لأمتنا وإلا عدنا من حيث ذهبنا محافظين على حقوق البلاد .

وما كان لى بعد أن تشرفت بأسمى منزلة فى الأمة أن أطمح لغيرها وأن أجد فى رئاسة المفاوضات ما أتشرف به . وإنى أعلم أكثر من كل واحد أن مركز المفاوض حرج وموقف الرئيس فى المفاوضات من أدق المواقف وأصعبها فما طلبته تلذذًا بما حوله من [١٥٥٨] النعيم بل قيامًا بواجب وطنى حملتنى الأمة إياه . ومن التناقض الكلى أن تعتبرنى الأمة وكيلاً عنها ثم يكون منها من يرى منعى عن مباشرة أهم عمل متعلق بمصيرها . ومن غير المفهوم أن يكون من الأمة من يفضل أن تكون الرئاسة فى المفاوضة للاستقلال لمن عينته الحماية دون من وكلته الأمة . لأن البعثة الرسمية إنما عينتها الحماية ولا قوة لها إلا بالحماية ولو لم تكن الحماية صاحبة السلطة فى بلادنا لما بقى رئيس البعثة فى سنده[1] دقيقة واحدة بعد أن أعلنت الأمة عدم الثقة به .

كيف يتصور أن شخصًا يعتمد على قوة خصمه يمكنه أن ينال من ذلك الخصم حقه؟ . إن الوزارة لو كانت تسعى للاستقلال حقيقة فمن المحال أن تستخف بالأمة التى تطلبه لها وأن تعمل على خنق حريتها ومس كرامتها . إننا قبل أن نصدق أن الوزارة العدلية ـ وأعمالها ما تعلمون ـ تسعى للاستقلال التام يجب علينا أن نخرج عقولنا من رؤوسنا .

لقد ارتفعت الأصوات من كل جانب بالشكوى من عمال الحماية وحملهم الناس على الثقة بالوزارة بالوسائل المختلفة من الإكراه والاحتيال فلم يتحرك ساكن ولم تنفتح أذن لهذه الأصوات عندنا ولكن لما أخذ الأحرار يسألون حكومتهم عنها فى مجلس نوابهم ارتعدت فرائص الوزاريين وأسقط فى أيديهم وراحوا يولولون ويعولون قائلين إن الوفد المصرى ارتكب أكبر الجرائم لأنه سلك طريقًا توجب تدخل الإنجليز فى أمورنا الداخلية كأننا مستقلون بها وكأن الحماية لا سلطة لها علينا وكأن كل ما نعمله بإرادتنا وكأن القوم لا يبصرون .

[١٥٥٩] ألم يعلموا أن أمورنا كلها بيد السلطة العسكرية . ألم يأتهم نبأ الأحكام الصادرة بالإعدام على بعض الوطنيين ولا تفهم الأمة من أمر المحكوم عليهم ومن تهمتهم شيئًا . ألم يعلموا أن حوادث الإسكندرية جرت فيها تحقيقات ولا تفهم الحكومة المصرية من أمرها شيئًا اللهم إلا من طريق الحكومة الإنجليزية . ما هذا التضليل؟ إننا لا نريد أن

---

(١) حذفت هذه الكلمة فى أصل المذكرات وكتب بدلاً منها [مركزه] .

نمكن الإنجليز من أرضنا بل بالعكس نريد أن نخرجهم من ديارنا وهذه مهمتنا التى أخذنا على عهدتنا القيام بها وإنما الأحرار الذين نتساعد بهم على كشف النقاب عن أعمال الحماية هم قوم اتفقت مبادئهم مع مصالحنا فلزمنا أن نتساعد بهم وما يضرنا أن نستعين بمناوأتهم لحكومتهم على رفع ظلمها عنا فإن نجح سعينا وارتفع هذا الظلم وصلنا إلى بغيتنا وإلا فأى ضرر علينا من اخبارهم بالأمر ومن حضورهم بصفة كونهم أحرارًا عندنا ليتحققوا بأنفسهم مما اتصل بعلمهم من أحوالنا ولكن عمال الحماية لا يريدون أن تنكشف أحوالهم حتى ينفردوا بالأمر ويستقلوا بظلمنا تمهيدًا لحملنا على قبول ما نكره من المشروعات التى تجرى المفاوضات لتقريرها .

أيصح أن يعتبر ارتكاب الجريمة سابقًا فى قانون الوطنية والشكاية منها محرمة فيه وجريمة لا تغتفر . ليقل الوزاريون كيف شاءوا فما لقولهم من قيمة وما هو إلا دفاع المذنبين الذين بعد ارتكاب الذنب يسعون جهدهم فى إخفاء أثر الجريمة وتضليل العدالة عن الاهتداء إلى مرتكبيها .

[١٥٦٠] إن عمال الحماية مع شدة خوفهم من تلك الأسئلة البرلمانية وانزعاجهم من عزم بعض الأحرار على زيارتنا لم يكفوا عن حمل الناس على الثقة بالوزارة بل زادوا حملهم على سحب الثقة منا ولهم وسائل فى هذا الحمل كثيرة منها وضع الأسماء فى التلغرافات من غير علم أصحابها اعتمادًا على أنهم لا يحتجون على وضعها خوفًا أو تورطًا . ومنها التهديد ومنها المفاوضة على مصالح أرباب الإمضاءات .

ومنها استرحامهم بادعاء الموظفين تعليق بقائهم فى وظائفهم على الحصول على الإمضاء وغير ذلك من الوسائل المخجلة والمفسدة للأخلاق التى عندنا كثير من الأدلة على ثبوتها[١]

سادتى : أخشى أن أكون أطلت القول عليكم وأمللتكم (أبدًا . أبدًا)

وعلى كل حال فإنى تعبت فأسديكم فائق شكرى على حسن إصغائكم وأرجو الله أن يديم هذه الروح العالية فيكم حتى ننال بفضلها الحرية الكاملة والاستقلال التام .

(١) وصف المستر سكوت scott القائم بأعمال المندوب السامى هذه الخطبة بالعنف الشديد ، وكانت من الأسباب التى أدت إلى التفكير فى إعادة نفى سعد إلى الخارج .

F,O.407/190 No. 78- scott to Curzon, September 13, 1921.

زيارة بعض أعضاء البرلمان البريطانى لمصر[١]

[١٥٦١] بذلت بعض المساعى لحمل[٢] بعض أعضاء البرلمان الذين حملوا على وزارة عدلى والوفد الرسمى فى البرلمان البريطانى على زيارتهم لمصر بعد انتهاء الدورة البرلمانية فلبوا الدعوة وأخذوا فى اوائل سبتمبر سنة ١٩٢١ يستعدون لهذه الزيارة . وهذه هى أسماء هؤلاء الأعضاء :ـ

المستر هرى بارنس والمستر جاك ملز والمستر جون لوسن والمستر و . لن والمستر ج . ا . سوان . والأستاذ سيجال .

وقد سافروا فعلا من لندن فى ١٣ سبتمبر قاصدين الديار المصرية وقد صرحوا قبل سفرهم بأن قدومهم الى مصر ليس بقصد التدخل فى شئونها الداخلية بل بقصد درس الحالة فيها درسًا تبنى عليه نتائج خاصة بالسياسة التى يجب اتباعها لإنماء عاطفة صداقة حقيقية بين إنكلترا ومصر . وصرحوا كذلك بأنهم بصفتهم انصارًا للديموقراطية التى يريدونها كذلك للبلدان الأخرى يوافقون على المبادىء الآتية :ـ

أولا :ـ ان للشعب المصرى الحق فى تقرير مصيره والتمتع بالاستقلال التام وأن أية معاهدة تشتمل على ضمانات للمصالح المعقولة التى لإنكلترا وللجاليات الأجنبية يجب ألا تمس هذا الحق على أى وجه من الوجوه .

ثانيا :ـ ان المندوبين الذين يفاوضون فى عقد معاهدة باسم الشعب المصرى يجب أن يختارهم النواب المنتخبون من الشعب المصرى

ثالثا :ـ أنه لأجل ضمان حرية انتخاب هؤلاء النواب يجب الغاء الاحكام العرفية ووسائل الإكراه الأخرى فى الحال .

[١٥٦٢] وفى يوم ١٩ سبتمبر وصلت الباخرة التى تقل أعضاء البرلمان (وهم المستر سوان والمستر لوسن والمستر بن والمستر ميلز والدكتور سيجال وهوليس من أعضاء البرلمان ولكنه جاء بصفته سكرتيراً للجنة) [٣] .

(١) جاءت هذه الزيارة بناء على دعوة من سعد باشا وجهت اليهم ، ليقف فيها هؤلاء النواب على حال البلاد ، وشعور الأمة تجاه مفاوضات عدلى باشا .
عبد الرحمن الرافعى فى أعقاب الثورة المصرية ١٩٢١ ـ ١٩٢٤ ، ص٢١

(٢) هذا التوصيف (لحمل) أقرب أن يكون القائلون به من خصوم سعد وليسوا من أنصار الوفد .

(٣) حذف عبد الرحمن فهمى هذه الفقرة كاملة من المذكرات وكتب فوقها «الذين ذكرناهم إلى الاسكندرية» .

وقد انتدب سعد زغلول باشا ثلاثة من أنصاره[١] لاستقبالهم ولقد استقبلهم الشعب السكندرى[٢] بالحفاوة الزائدة وكان يهتف لهم ولمصر وسعد والاستقلال التام .

وبمجرد وصولهم الى فندق سفواى أرسلوا إلى سعد باشا البرقية الآتية[٣] :ـ

تلغراف الأربعة لسعد باشا[٤]

[١٥٦٣] «صاحب المعالى سعد زغلول باشا

نشكر معاليكم من صميم أفئدتنا على انتدابكم من يمثلكم للقائنا والترحيب بمقدمنا لبلادكم القديمة الشهيرة . وإن ما أظهره الاسكندريون[٥] من الحفاوة بنا قد ترك فى نفوسنا أجل أثر لا سيما ما سمعناه من الهتاف الصادق من جميع الطبقات والنداء باللاستقلال التام والهتاف بحماسة باسم معاليكم»

أعضاء البرلمان[٦]

لن . سيجال . سوان . ملز

فرد عليهم سعد باشا بالبرقية الآتية :ـ

رد سعد باشا على تلغرافهم[٧]

[١٥٦٤] «إن الإسكندرية لم تفعل فى تحيتها لكم غير أن عبرت عن شعور البلاد بأسرها وستجدون الاستقبال نفسه فى كل مكان تمرون فيه لأننا كلنا متحدون فى طلب الاستقلال التام متحدون فى الاعتراف بالجميل للشهود العُدُول بحركتنا السلمية الذين

---

(١) وهم سينوت بك حنا ، عاطف بك بركات وصادق بك حنين .

(٢) حول مظاهر الحفاوة بأعضاء اللجنة ، انظر جريدة المنبر فى ٢١ سبتمبر ١٩٢١ ، عدد ١٦ .

(٣) من المعلوم أن أعضاء اللجنة فور وصولهم إلى الاسكندرية أصدروا بلاغًا يشرحون فيه أسباب مجيئهم إلى مصر ؛ والذى لخصوه فى توطيد دعائم الصداقة الحقيقية بين الشعبين ، وليس الغرض هو التدخل فى شئون البلاد الداخلية ، للاطلاع على نص البلاغ كاملا انظر المنبر فى ٢١ سبتمبر ١٩٢١ .

(٤) حذف هذا العنوان فى أصل المذكرات .

(٥) وكان سعد باشا قد أرسل من قبل خطابا إلى أحمد يحيى باشا يشكره فيه على ما بذله كرئيس للجنة الاحتفال بوصول بعثه سوان وكذلك يشكر الشعب السكندرى على ذلك ، للاطلاع على نص البرقيه انظر المنبر ١٩٢١/٩/٢١ .

(٦) حذف توقيعات النواب فى أصل المذكرات .

(٧) حذف هذا العنوان فى أصل المذكرات .

يدافعون بمالهم من الصفة عن قضيتنا المقدسة . ليحيى الأحرار . ولتحى مصر حرة صديقة للشعوب الحرة»

سعد زغلول

٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢١ [١]

وصول الأعضاء الأربعة الى القاهرة

[١٥٦٥] وفى ٢١ سبتمبر وصل أعضاء البرلمان الأربعة إلى القاهرة[٢] فغصت الشوارع المقررة لاجتياز سياراتهم منها بالجماهير الحاشدة من الطلبة ونقابات العمال والكشافة وغيرها من مختلف الطبقات .

ولقد هتف الناس لهم وللوفد ورئيسه هتافًا عاليًا بالعربية والانجليزية على طول الطريق من المحطة الى بيت الأمة وقد بقى الأعضاء فى منزل سعد باشا مدة كبيرة ثم ركبوا سياراتهم الى فندق شبرد حيث ينزلون مدة وجودهم فى القاهرة[٣] .

خطاب مفتوح من الدكتور حافظ عفيفى بك [٤] إلى نواب حزب العمال

كان الأعضاء المنشقون معارضين لسعد باشا بشدة فى دعوة نواب حزب العمال إلى زيارة مصر كما أنهم كانوا غير مرتاحين للأسئلة وللضجة التى أثاروها حول المفاوضات الرسمية ووفد عدلى باشا ولقد ظهر رأيهم هذا بجلاء فيما كتبوه قبلا وفيما أثاره أنصارهم وأنصار الوزارة فى الصحف .

فلما قدم الأعضاء المشار اليهم إلى مصر كان اكثر الناس مجابهة لهم ومعارضة الدكتور حافظ عفيفى بك اذ أنه وجه اليهم خطابًا مفتوحًا نشر بجريدة الاجبشيان غازيت

---

(١) حذف تاريخ التلغراف من أصل المذكرات .

(٢) كان فى استقبال الاعضاء بالمحطة كل من سعد زغلول باشا وإبراهيم سعيد باشا وفتح الله بركات باشا وواصف غالى بك ومصطفى النحاس بك والاستاذ ويصا واصف .

الاخبار ١٩٢١/٩/٢٣ - ص٢ .

(٣) يقول القائم بأعمال المندوب السامى فى القاهرة أن زيارة وفد مجلس العموم إلى مصر قد دعمت موقف سعد زغلول وأن كثيرًا من الأعيان الذين كانوا قد انحازوا للحكومة العدلية قد غيروا مواقفهم فى هذه المناسبة .

(٤) نص الخطاب الأخبار ، ١٩٢١/٩/٢٢ . المعروف أن الدكتور حافظ عفيفى كان قد تلقى تعليمه فى إنجلترا وله فيها أصدقاء عديدون .

بتاريخ ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢١ . وقد آثرنا إثباته بترجمته هنا لما حواه من الفائدة . وهذا نصه[١] :ـ

مهمة اللجنة البرلمانية المصرية

[١٥٦٦] «لقد كان سرورى عظيما بتأليف اللجنة البرلمانية المصرية[٢] . سررت كثيرًا لتأليف هذه اللجنة ولو أنها صغيرة العدد وأغلبية أعضائها من حزب العمال الذى لا يزال ضعيف الصوت فى مجلس العموم وخصوصًا فى المسائل الخارجية . سررت لأنى أرى من واجبنا نحن المصريين أن نسعى دائمًا إلى نشر برنامجنا السياسى فى كل مكان وخصوصًا فى إنجلترا وإلى وجوب أن نعتمد على أشخاص مقتنعين تمام الاقتناع بأحقية مطالبنا ويمكنهم أن يدافعوا عنها أمام مواطنيهم من أعضاء مجلس العموم الذين لم يسلموا لنا للآن بأحقية هذه المطالب .

«وعلى ذلك فقد فهمت وفهم جميع زملائى أعضاء الوفد أن مهمة هذه اللجنة هى الدفاع عن حق مصر فى تقرير مصيرها وقد قامت الأدلة الدامغة على أن مصر تريد الاستقلال التام فكانت مهمة هؤلاء الأعضاء المحترمين هى الدفاع عن استقلالنا فى إنجلترا وخصوصا داخل مجلس العموم .

عدم قيام اللجنة بمهمتها

«وليسمح لى حضرات الضيوف أن أسألهم ولو أنى كنت أفضل ألا أضايقهم بهذا السؤال لولا مصلحة بلادى : هل لا يعترفون معى أنهم لم يتمكنوا من أن يقوموا بهذه المهمة فى الماضى كما كانوا يؤملون ونؤمل معهم؟ [١٥٦٧] لقد مرت أزمات شديدة على الوفد المصرى أثناء مفاوضته مع اللورد ملنر فهل رفعوا أصواتهم فى مجلس العموم بإقناع الحكومة بضرورة التساهل فيما كانت اللجنة الانجليزية تتشدد فيه؟ هل تحركوا يوم رفض

---

(١) يلاحظ أن عبد الرحمن فهمى هنا قد أفسح مساحات واسعة للرأى المعادى للوفد على عكس الحال فى الاجزاء الأولى من مذكراته قبل محاكمته وسجنه

(٢) مستر سوان وزملاؤه كانوا يشكلون فى مجلس العموم البريطانى ما يسمى «باللجنة المصرية» لمتابعة القضية المصرية والدفاع عن حقوق المصريين وهى لجنة كانت قد شُكلت ، ولو بنواب آخرين قبل الحرب العالمية الأولى .

اللورد ملنر بتاتًا المناقشة مع الوفد فى أمر التحفظات التى طلبتها البلاد فاضطر الوفد أن يرجع من لندن بعد أن قطعت المفاوضات بينه وبين لجنة ملنر؟

«أسألهم هنا وأنا أعرف مركز عضو البرلمان الذى يمثل أقلية والذى يجب عليه أن يراعى ظروفًا كثيرة قبل أن يقدم على عمل قد لا يأتى بالنتيجة التى يرجوها .

«إنى أعرف هذا ولكنى أرى من الوجهة العملية أن حضرات النواب لم يتمكنوا من تقديم مساعدة تذكر لزغلول باشا حينما كان يتفاوض فى لندرة .

متى تحركت اللجنة ؟

وسكت أعضاء اللجنة البرلمانية المصرية بعد عودة الوفد سكوتًا طويلا حتى شجر الخلاف بين زغلول باشا وعدلى باشا فرأيناهم يتدخلون فى الموضوع بحماسة لنصرة فريق على فريق وعلى ذلك فقد حولوا بأنفسهم المهمة الأولى التى رأوا من واجبهم توليها وهى الدفاع عن استقلال مصر فى إنجلترا إلى مهمة هى الاشتغال بسياسة الأحزاب المصرية ونصرة فريق على فريق .

لا نقبل تدخل أحد فى شئوننا

«وكرامتنا كأمة تشعر بشخصية قوية تأبى علينا أن نقبل تدخل الأجنبى ـ مهما كان صديقا ـ فى أمورنا الداخلية

«ولقد أعجبنى ما قرأته أخيرًا عن اللورد نورثكليف على أثر تلغراف المستر لويد جورج الذى أرسله إلى أمريكا ونورثكليف فى البحر فإنه لما وصل هذا الأخير إلى أمريكا [١٥٦٨] وتلقفه محررو الجرائد الأمريكية ليبدى رأيه فيما عمله لويد جورج ضده قال لهم إنى استنكر أن أتكلم فى مسائلنا الداخلية واختلافاتنا الحزبية على أرض أجنبية . فأى إنجليزى لم يصفق لنورثكليف[١] على هذه الكلمات وأنتم أعرف بما بينه وبين رئيس الوزارة من الحزازات والخلافات .

(١) نورثكليف من أشهر الصحفيين البريطانيين وكان منذ عام ١٩١٧ ممثلاً لبلاده فى الولايات المتحدة الامريكية .

«بل لقد انتظر الصحافيون الفرنسيون فنزيلوس[1] على أثر رجوعه من اليونان مهزومًا شر هزيمة على يد حكومة حاربته بكل الوسائل فرفض أن يحادثهم وأبى أن يبوح بكلمة واحدة ضد حكومة ناهضته حتى فى أن ينتخب عضوًا فى مجلس نواب بلاده وهو من أكبر ساستها . ويؤكد كثير من رجال السياسة أنه من أكفأ ساسة العالم . فهل قرأتم لفنزيلوس شيئا من المطاعن على أى رجل من رجال اليونان الذين يتولون أمر الحكم فيها الآن ؟

«نحن نريد هنا أن نكون كذلك وأن نغسل ملابسنا القذرة فى مصر وداخل بيوتنا لا أن نغسلها فى إنجلترا وخصوصًا فى قاعة مداولات مجلس العموم .

وهذه إرادة الأمة المصرية ونحن نرجو منكم أن تحترموا هذه الإرادة ـ انتم دعاة الحكم ـ بإرادة الأمم

الأسئلة فى البرلمان

«وإنى لا أريد أن أتعرض هنا للوقائع التى سألتم بشأنها وزير الخارجية البريطانية لأنى لا أريد أن أتعرض لأحد . ولا أريد أن أتهم أحدًا ولكنى لا أكتمكم حتى ولو سلمت لكم بفائدة هذه الأسئلة لمصر انكم لو علمتم حقيقة الأحوال هنا لامتنعتم عن الإشارة إلى أغلب هذه الأسئلة بكلمة واحدة . ولكنكم وقعتم فى خطأ وقع فيه زغلول [١٥٦٩] باشا نفسه هنا إذ لم تكن لديه الوسائل الكافية للتأكد من صحة الشكاوى التى كانت تقدم إليه بكثرة يوميا وهو يجهل تمامًا شخصية الشاكين ولكن لنسدل الغطاء على هذا الموضوع فإنه خاص بالماضى ونحن نريد أن نشتغل بالمستقبل .

* * *

«ولقد دعاكم زغلول باشا للحضور إلى مصر فعارض الكثيرون هنا بحسن نية هذه الدعوة لأنه لم يعلن الغرض منها وقد فهم الجميع مما قاله سعد زغلول باشا وأنصاره هنا أن حضوركم هو جزء من السياسة التى بدأتموها فى إنجلترا بأسئلة مجلس النواب ولكنكم مع هذا حضرتم فصرتم ضيوفنا جميعا وصار من واجبنا بعد حصول الأمر الواقع أن نناقشكم فى مهمتكم بروح المودة والإخلاص

---

(١) فنزيلوس : رئيس وزراء اليونان

برنامج النواب

«لقد أعلنتم قبيل سفركم من لندن برنامجا سياسيًا قررتم فيه المبادىء الآتية : ـ

«أولا : ـ حق الشعب المصرى فى البت فى مصيره وفى التمتع بالاستقلال التام وأن أية معاهدة تبرم يجب أن ينص فيها على الضمانات لمصالح إنجلترا المعقولة والجاليات الأجنبية .

«ثانيا : ـ أن المندوبين الذين يتفاوضون فى معاهدة باسم مصر يختارهم النواب المنتخبون عن الشعب المصرى .

«ثالثا : ـ للتأكد من حرية انتخاب هؤلاء الممثلين يجب أن تلغى فى الحال الأحكام العسكرية وكل اجراءات القمع الجبرى .

«اسمحوا أن أناقشكم مناقشة مختصرة فى هذا البرنامج : ـ

الضمانات المعقولة

[١٥٧٠] «أما عن المبدأ الأول فهو لا يختلف كثيرًا عما فاه به ويفوه به رجال الحكومة الإنجليزية انفسهم من محافظين وأحرار فكلهم مجمعون على أنهم لا يعارضون فى استقلال مصر بشرط إعطاء الضمانات المعقولة لتأمين انجلترا خاصة والأجانب عامة على مصالحهم .

«وكثيرًا ما كرر اللورد ملنر هذا التصريح بصيغ تكاد تتفق مع هذه الصيغة ولا تنقص أو تزيد عنها حرفًا وكل المشكلة هى تحديد «هذه الضمانات المعقولة» .

«واسمحوا لى أن أقول لكم إن الفقرة الأولى من هذا المبدأ الخاصة بحق الشعب المصرى فى تقرير مصيره تتناقض تناقضًا بينًا مع الفقرة الثانية وهى إعطاء الضمانات فلو تركنا احرارًا لنقرر مصيرنا بيدنا لما قبلنا إعطاء ضمانات مهما قيل فيها فهى مقيدة «لاستقلالنا التام» الذى وافقتم عليه فلماذا حكمتم علينا «انتم رجال الديموقراطية ورافعو علم حرية الشعوب فى تقرير مصيرها» لماذا حكمتم علينا بوجوب تقديم «الضمانات» فاعتنقتم بذلك مبادىء السياسيين المستعمرين واصحاب الأموال ونزلتم عن مبادئكم الحرة الجميلة ـ على أن مسألة الضمانات وتحديدها هى عقدة العقد وبرنامجكم لم يحل لنا هذه العقدة .

المفاوضون

«اما عن المبدأين الثانى والثالث من مبادئكم فإن كنتم تقصدون بهما أنه يجب أن تتمتع مصر بالحكم النيابى قبل المفاوضة وأن الوزارة التى ستتفاوض بنفسها أو بانتداب اشخاص معها يجب أن تكون وزارة دستورية حائزة لثقة اغلبية الهيئة المنتخبة الممثلة للشعب المصرى فإننا نقركم بدون تحفظ على هذا المبدأ .

[١٥٧١] ولكن يجب أن تعرفوا جيدًا أن الذين يعارضون فى هذا هم مواطنوكم الإنجليز الذين لا يعتبرون الحكم النيابى حقًا لنا بل يعتبرونه ميزة من ميزات اتفاقنا معهم ينتظرون عنها عوضًا أى أنه يجب ان يكون نتيجة للاتفاق لا مقدمة له ولو حملتم الحكومة الإنجليزية على قبول رأيكم فى هذا الموضوع لحملناكم فوق أعناقنا .

«أما إذا كان رأيكم فى هذا الموضوع هو أن ننتخب هيئة نيابية لتنتخب مفوضين عنها من غير الوزارة فلم يسمع أحد قديما ولا حديثا من أول اكتشاف النظام النيابى للآن يمثل هذا الرأى إذ لا يسأل أحد أمام الهيئات النيابية إلا الوزارات المسئولة ومثل هذه المفاوضات هى من اختصاص هذه الهيئات التنفيذية دون سواها فى كل بلاد العالم . وتعلمون أن صديقكم أوجرادى حين كان يتفاوض فى العام الماضى باسم إنجلترا مع مندوبى البلشفيك فى كوبنهاجن لم يكن منتدبًا من مجلس العموم أو مجلس اللوردات وانما كان منتدبًا من الوزارة الانجليزية .

«وحقوق الشعوب فى مثل هذه المفاوضات محفوظة بمقتضى حقها فى رفض الاتفاقات وفى اسقاط الوزارات التى تأتى بمثل هذه الاتفاقات وفى بلادكم الحرة يتمتع الشعب البريطانى بالحق الأول من هذه الحقوق .

«على أن الحكومة الانجليزية قد تعهدت لنا بأنه لن يبرم اتفاق باسم مصر إلا إذا صدقت عليه هيئة نيابية منتخبة انتخابًا حرًا تمثل الشعب المصرى أحسن تمثيل . وأنتم لم تشيروا فى برنامجكم إلى هذا الحق الذى هو أضمن بكثير لمصلحة الأمة من حق انتخاب مفوضيها الذين أشرتم إليهم باهتمام كبير فى برنامجكم . على أن الكثيرين من [١٥٧٢] ذوى الرأى هنا قد يرون أن وجود أشخاص ذوى نفوذ كبير فى هيأة المفوضين قد يؤثر على حرية الأمة وممثليها عند عرض المشروع . وخير للبلاد أن يكون أصحاب هذا النفوذ فى صف المعارضين وهذا رأى يجب أن يُهتم به ولو أنى لا أوافق عليه .

«ولقد لفت أنظار جميع الذين قرأوا برنامجكم شيء ظاهر هو عدم اعترافكم بالأمر الواقع وهو وجود مفوضين مصريين من أكفأ رجال مصر يتفاوضون الآن فى لندره مع الحكومة الإنجليزية باسم الحكومة المصرية وهم مؤيدون فى هذه المفاوضة بفريق عظيم من الرجال المسئولين فى هذه البلاد بشرطين قبلهما المفوضون :

«أولا : ـ أن المفاوضة ستجرى طبقا لبرنامج سياسى قبلته كل البلاد وأيده زغلول باشا واعترف أنه يقبل اتفاقا على أساساته .

«ثانيا : ـ أن تبدى الأمة رأيها فى هذا الاتفاق بواسطة هيأة تمثلها وتنتخب انتخابًا حرًا .

«فهل تريدون إعادة النظر فى أمر هؤلاء المفوضين وإرجاعهم لاستبدالهم بغيرهم إذا ثبت لكم أنهم لا يمثلون الأمة ؟ وكيف تستطيعون التأكد من هذا ؟ أبإجراء انتخابات جديدة أم بأخذ رأى الهيئات النيابية الحالية أو أية طريقة تتبعونها لتكونوا رأيًا قاطعًا فى هذا الموضوع الخطير ؟

زغلول باشا والمفاوضة

«يخيل لى وللكثيرين انكم تقصدون بهذا البرنامج أنكم قررتم حتى قبل حضوركم أن زغلول باشا يجب أن يكون مفوضًا وإنى أول من تمنى ذلك من وقت أن فتح باب المفاوضات ولقد سعيت فى سبيل الوصول إلى هذا جهد طاقتى لاعتقادى بالفائدة [١٥٧٣] الكبرى التى تنشأ من اشتراكه فى المفاوضات فاسمحوا لى أن أسرد لكم باختصار العقبات التى حالت دون ذلك ولكم أن تقدروا بعد ذلك من المسئول عن أسباب الفشل؟

«أول عقبة صادفناها هى أن زغلول باشا رفض بتاتًا أن يؤلف وزارة فقد عرض عليه أمر تشكيل الوزارة التى تقوم بالمفاوضات مرتين فى لندرة فى العام الماضى وبنى رفضه على نظريات سياسية ضعيفة والحقيقة أنه لم يرد تحمل المسئولية التى يتحملها رئيس الوزارة فى الظروف التى نحن فيها . وخشى أن يؤثر هذا القبول فى شهرته التى يريد أن يحتفظ بها على أنى أعتقد أن الشهرة يجب أن تكون فى يد الرجل السياسى وسيلة لا غاية وهو مع رفضه تأليف الوزارة يريد أن يتدخل بنفوذه فى تأليفها كما يريد أن يسقط

بهذا النفوذ أيّة وزارة لا تعمل بإرادته المطلقة فهو يريد بذلك أن يكون سلطة غير شرعية تملى أوامرها على الوزراء دون أن تتحمل مسئولية أعمالهم وهذا يشبه فى كثير من الوجوه سلطة «لجنة الاتحاد والترقى»[1] ونحن نعرف جيدًا ما جره هذا النظام غير الدستورى على تركيا من المصائب والمحن .

«فكان من المحتم بعد ذلك أن يتحمل شخص آخر مسئولية تأليف الوزارة وأن يدعى زغلول باشا وحده أو مع بعض زملائه للاشتراك فى المفاوضات وهذا ما حصل . فلقد تألفت وزارة برياسة عدلى باشا وهو رجل حكيم ومحبوب وقد دعا زغلول باشا للاشتراك معه فقدم الشروط الأساسية الآتية : ـ

«أولا : ـ أن تتفق الوزارة معه على برنامج مفصل للمفاوضات والغرض منها . وأن يقر عظمة السلطان بطريقة ما هذا البرنامج . [١٥٧٤]

«ثانيًا : ـ أن تكون رياسة المفاوضات له .

«ثالثا : ـ أن تكون أغلبية المفاوضين لزملائه .

«رابعا : ـ أن تلغى الأحكام العرفية فى الحال .

«قبلت الوزارة الشرط الأول والثالث وقالت أنها تسعى فى الرابع لانه معلق على قبول انجلترا فكانت الوزارة واثقة تقريبا من نجاحها فى سعيها لو حصل الاتفاق مع زغلول باشا نهائيا ولكنها رفضت الشرط الثانى الخاص بتولى زغلول باشا رياسة المفاوضات

«سعينا مع زغلول باشا لإقناعه بقبول الدخول فى المفاوضات مكتفيًا بهذه الضمانة الكبرى وهى أن تكون أغلبية المفاوضين من أصدقائه وكانت له الحرية التامة فى انتخابهم وخصوصًا أننا لم ندرك للآن أن لرياسة المفاوضات ميزات سياسية ولكنه صمم على ضرورة توليه رياسة المفاوضات ورفض ما اقترحناه عليه .

---

(١) وهى اللجنة التى حكمت تركيا بشكل مباشر بعد الانقلاب الذى قامت به ضد السلطان عبد الحميد الثانى ١٩٠٨ .

«بعد ذلك عرضنا عليه أن يشترك فى المفاوضات بعضُ أصدقائه ويبقى هو محتفظا برأيه وبنفوذه الكامل لإبداء رأيه عن نتيجتها فلم يقبل .

«عرض عليه زملاء آخرون أن يترك الوزارة تتفاوض تحت مسئوليتها ويحافظ هو ووفده والأمة تؤيدهم بالرأى على نتيجة المفاوضات وأن يبقى الوفد محايدًا فى أثنائها فلم يقبل .

زغلول باشا والوزارة

[١٥٧٥] «بل لم يقبل أثناء هذه المداولات مع الوزارة أن يلتزم خطة ودية ولا محايدة بل كان يطعن عليها تلميحًا وتصريحًا وصمم على وجوب إسقاطها وتولى غيرها الحكم وذهب فى هذه الخطة إلى تعيين أسم من يرشحه لرياسة الوزارة التى تحل محلها .

* * *

«فانتهى الأمر بعد فشل كل هذه المساعى بأن تركته أغلبية زملائه من أعضاء الوفد الذين عملوا معه طول هذه المدة وكلهم من خاصة أصدقائه

انقسام البلاد

«انقسمت البلاد بعد ذلك الى مذاهب شتى وفرق متعددة فهذا متشيع لسعد وهذا متشيع لعدلى وذاك ساخط على الاثنين ولا يرجو فائدة من مفاوضات يعتقد أنها سوف لا تؤدى إلى نتيجة مرضية وكل فرقة من هذه الفرق منقسمة إلى آراء متعددة وتخلل كل هذا بعض أعمال عنف كنا فى غنى عنها .

«ولست ارى فائدة للبحث فى أسباب هذا الشقاق الظاهرة انما أعتقد أنه لو كان حصل اتفاق بأى شكل من الأشكال بين الوزارة وزغلول باشا لما حصل كل هذا ولكُنا الآن على أتم اتحاد فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى الاتحاد

الانقسام ظاهرى
والاتحاد على الغرض

[١٥٧٦] على أنى أؤكد لكم وأنا مقتنع تمام الاقتناع بصحة ما أقول أن هذا الانقسام مهما صحبه من حدة فى المناقشات بل ومن أعمال العنف فإنه خلاف ظاهرى ترجع أسبابه

إلى خلاف فى برنامج سياسى فالكل مجمع على برنامج سياسى واحد أنتم تعرفونه جيدا وتعرفه الحكومة الإنجليزية أيضا . لذلك فإن الأمل فى زوال الخلاف كبير وقريب وسيظهر فى شهر اكتوبر القادم فإما نجاح عدلى باشا فى مفاوضاته والحصول على مشروع يحقق استقلالنا تمامًا فتجمع الأمة على قبوله وإما فشل هذه المفاوضات بتشبث الإنجليز بضمانات لا تتفق مع استقلالنا فنقطع المفاوضات ونعود جميعا إلى رأى واحد هو الاستمرار على مجهوداتنا للحصول على هذا الاستقلال

عمل اللجنة فى مصر

«اسألكم بعد كل هذا عن عملكم فى مصر فقد سبق حضوركم إشاعات كثيرة تدور كلها حول مهمتكم وكلها مجمعة على أنكم حاضرون هنا لنصرة زغلول باشا[1] . ويرى بعض الذين اعتادوا أن ينظروا للأشياء من وجهها المظلم أنكم بحضوركم ـ أردتم هذا أم لم تريدوه ـ ستزيدون الانقسام الموجود الآن وستنفخون فى النار التى أوشكت أن تطفأ وسينتهز المتحمسون من أنصار زغلول باشا هذه الفرصة لتجديد عهد المظاهرات التى تعبنا منها قاصدين بذلك أن يظهروا لأى حد تؤيدهم الأمة غير ناظرين إلى قانون التجمهر الذى يقضى بمنع الظاهرات [2] وهو قانون قديم صدر فى سنة ١٩١٤ .

«ومما يزيد فى شيوع هذه الهواجس أن الجرائد الزغلولية تنشر يوميا أخبار اللجان التى تتألف من الزغلوليين لإعداد مظاهرات الاحتفال بكم كما يعدون لكم ترتيب زيارات للأقاليم . [١٥٧٧]

«وماذا يستفيدون من مظاهرات سوف لا يشترك فيها إلا طبقات غير مسئولة ومهما قيل فى عددها فإن عدد المصريين الذين لا يتظاهرون لكم سيكون اكبر من هؤلاء المتظاهرين مهما كان عددهم فهل ستوافقون على إقامة مظاهرات ربما قمعتها الحكومة بالقوة أم ستعملون على احترام القانون حتى الظالم إلى أن يلغى هذا القانون فترفضوا هذه المظاهرات وهو ما نأمله فيكم .

(١) وقد مالت بعض الآراء لتأييد ذلك ، حيث ذكر العقاد أن سعد باشا اهتم بإظهار حالة البلاد على حقيقتها ليفسد كل مؤامرة سياسية ـ من وجهة نظره ـ تؤدى إلى حل القضية المصرية بالتزييف والتضليل ، وكانت من إحدى وسائل سعد باشا هى نشر الدعاية فى إنجلترا والسعى لاستقدام لجنة من نواب حزب العمال والأحرار الانجليز لزيارة مصر . انظر ، عباس محمود العقاد : سعد زغلول سيرة وتحية ، مطبعة حجازى ، القاهرة ١٩٣٦ ، ص٣٧١ .

(٢) يقصد : المظاهرات .

«زاد فى انتشار هذه الإشاعات أيضا أن برنامجكم[1] الذى أعلن قبل حضوركم كان يمكنكم أن تدافعوا عنه فى مكان المعارضة فيه وفى المدينة التى تمنع من تنفيذه وهى لندرة فماذا تستفيدون من هذه الزيارة وماذا تستنتجون من أبحاثكم إذا كانت مسألة إجراء الانتخابات لم تتقرر ؟ وهل تريدون ان تستقوا معلوماتكم من مصدر واحد ومن أنصار مذهب واحد أو أنكم ستحاولون الوقوف على جميع آراء ذوى الرأى من كل الأحزاب والفرق السياسية .

الكلمة الختامية

«لقد خاطبتكم بأصرح عبارة وعرضت عليكم كل ما قيل ويقال بشأن زيارتكم وعرضت عليكم أسباب الخلاف السطحى الموجود الآن فى هذه البلاد وكتبت كل ذلك ولست عدو زغلول باشا فإنى لم أختلف معه قط لا فى البرنامج ولا فى الخطة السياسية إلا فى هذه المسألة الأخيرة وهى رفضه الاشتراك فى المفاوضات بالشروط التى عرضت عليه ورغبته بعد ذلك فى إسقاط الوزارة . [١٥٧٨]

«انكم تحملتم بزيارتكم لنا مسئوليات كبرى أنتم أدرى بها وقد قمت بواجبى نحو بلادى إذ وجهت أنظاركم إلى هذه المسائل الكثيرة التى عرضتها عليكم ونحن فى انتظار

(١) وقد نقل رويتر هذا البرنامج على النحو التالى :-
لندن فى ١٢ سبتمبر ١٩٢١
صرح أعضاء البرلمان الذين يبارحون لندرة غدًا أنهم غير ذاهبين إلى مصر للتدخل فى شئونها الداخلية بل ليقفوا بأنفسهم على حقيقة الحال هنالك ويبنوا عليها رأيهم فيما يتعلق بالسياسة التى يجب أن تتبع لتوطيد دعائم المودة الحقيقية ما بين انجلترا ومصر ، وقد صرحوا أيضا بأنهم لإيمانهم بالديموقراطية لسائر البلاد كإيمانهم بها لبلادهم يتمسكون بالمبادىء الثلاثة الآتية :-
١- ان للشعب المصرى الحق فى تقرير مصيره فى الاستقلال التام وأن أى معاهدة تشتمل على الضمانات اللازمة للمصالح المعقولة التى لبريطانيا العظمى وغيرها من الدول الاجنبية يجب أن لا تمس هذا الحق بأى حال من الأحوال .
٢- ان المندوبين الذين يعهد اليهم بالمفاوضة عن مصر لعقد معاهدة يجب أن ينتخبهم نواب منتخبون عن الشعب المصرى .
٣- انه للوصول إلى انتخاب هؤلاء النواب يجب الغاء الأحكام العرفية وجميع القوانين الاستثنائية فى الحال . المنبر فى ١٤ سبتمبر١٩٢١ ، عدد ١٠ .
ومن الملاحظ أن هذه التصريحات تكاد تطابق نص البلاغ الذى أصدره أعضاء اللجنة فور وصولهم إلى الإسكندرية كما سبق الاشارة ، انظر المنبر فى ١٩٢١/٩/٢١ .

ما ستعملون متمنيًا لكم على كل حال طيب الإقامة بيننا والنجاح فى أن تتغلبوا على معارضة مواطنيكم الذين يعارضون فيما ترجون لنا من الاستقلال التام»

دكتور

حافظ عفيفى

زيارة أعضاء البرلمان لطنطا

[١٥٧٩] أراد سعد باشا زغلول أن يزور مدينة طنطا ويشرك معه فى هذه الزيارة أعضاء البرلمان الإنجليزى .

ولكن السلطتين المحلية والإنجليزية اتفقتا على منع تلك الزيارة . ولما رأى سعد باشا أن السلطة مصممة على منعها بالقوة القاهرة . لم يجد بدًا من العدول عنها ثم كانت الفكرة أن يذهب أعضاء البرلمان الى المدينة وحدهم إذ أن طنطا كانت قد استعدت استعدادها عظيمًا لاستقبالهم ولكن رؤى أيضا العدول عن الزيارة أصلا .

واليك نص المكاتبات التى تبودلت بين سعد باشا ووكيل وزارة الداخلية فى هذا الشأن كما نشرتهاؤ ادارة المطبوعات وها هى : ـ

بلاغ من إدارة المطبوعات

[١٥٨٠] «قررت السلطة العسكرية عدم التصريح لمعالى سعد باشا زغلول زيارة طنطا فى الميعاد الذى كان معينا لذلك فى ٢٣ سبتمبر الجارى محافظة على الأمن العام»

وقد تبودلت بين معالى سعد باشا وحضرة صاحب السعادة وكيل الداخلية الكتب الآتية :

«حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا

«أتشرف بأن أخبر معاليكم بأنى كلفت من السلطة المختصة [١] بأن أبلغكم بأن

(١) المقصود بها السلطة العسكرية .

زيارتكم لمدينة طنطا غدًا مع حضرات أعضاء البرلمان الانجليزى فى الظروف الحاضرة[١] يترتب عليها اخلال بالنظام واضطراب للأمن العام ولذلك فإنى اعلنكم مع الأسف بأن هذه الزيارة لا يمكن التصريح بها وأرجو معاليكم العدول عنها .

«وتفضلوا بقبول احترامى» ،

وكيل الداخلية

٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢١ أحمد على

«فرد الباشا عليه بما يأتى :

«مصر فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢١

«حضرة صاحب السعادة وكيل الداخلية

«أتشرف بأن أخبركم أنى مستعد لعدم زيارة طنطا إذا كنت أعرف تلك السلطة المختصة التى كلفت سعادتكم بابلاغى هذا المنع ولا أعترف بأن هذه الزيارة تقتضى [١٥٨١] تصريحا خاصًا من أية سلطة كانت لأنى أعرف أنى لست ممنوعًا من زيارة أى مكان فى القطر المصرى حتى التمس تصريحا خاصًا بها ولا أعترف بأن هذه الزيارة تخل بالنظام أو توجب اضطراب الأمن العام ما دام البوليس لا يتدخل فيها . وما دام يسير على النظام الذى سار عليه بوليس مصر أمس وربما تربت[٢] على هذا المنع إخراج صدور الناس وإخراجهم من حالة السكينة التى هم متلبسون بها الآن . وعلى كل حال فإنى أتخلى عن كل مسئولية تنجم عن هذا المنع .

«وفى انتظار معرفة هذه السلطة التى منعت . أقدم لكم احترامى

سعد زغلول

---

(١) فالمعلوم أنه من الظواهر الاليمة لانقسام الأمة ، والتى ظهرت بشكل جلى مع تأليف الوفد الرسمى ، وسادت المظاهرات العنيفة سواء فى القاهرة أو الاسكندرية أو فى العديد من المدن الأخرى والتى أتخذت طابع العداء لكل من خالف سعدا فى رأيه ، والنداء بسقوطهم ، مما ترتب عليه الحرص الشديد من جانب الحكومة المصرية فيما يخص الأمن العام والنظام .

عبد الرحمن الرافعى : المصدر السابق ، ص١٦

(٢) الصحيح : ترتب

«بناء على ذلك ورد جواب هذا نصه :

«حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا

«ردًا على إفادة معاليكم التى تستفهمون بها عن السلطة المختصة المنوه عنها فى خطابى المؤرخ اليوم أتشرف باخبار معاليكم بأنها السلطة العسكرية» .

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتى

وكيل الداخلية

٢٢ سبتمبر ١٩٢١ أحمد على

«وبناء على ما تقدم قرر معالى سعد باشا الامتناع عن الذهاب إلى طنطا ولكن الاحتفال على ما عرفنا لم يغير ولم ينقص منه شىء لأن حضرات أعضاء الوفد يسافرون فى صباح اليوم إلى طنطا لإتمام الاحتفال كما كان مقررًا من قبل والمعروف حتى كتابة هذه السطور أن النواب الانجليز يرافقونهم إلى عاصمة مديرية الغربية فى قطار الساعة ٩,١٥ صباحًا [١]

اجتماع هليوبوليس وخطبة سعد باشا[٢]

وفى ٥ اكتوبر سنة ١٩٢١

[١٥٨٢] أقامت نقابة عمال السكة الحديدية الكهربائية وواحات عين شمس[٣] حفلة بلونابارك تكريما لأعضاء حزب العمال الانجليزى . وقد خطب فيها سعد باشا زغلول الخطبة الآتية :ـ

سيداتى سادتى . ضيوفنا الكرام

انى أبلغكم سلام اخوانكم الوطنيين سلام إخوانكم الذين هم ساكنون على الخطوط من القاهرة إلى بور سعيد ومن بور سعيد إلى المنصورة ومن المنصورة إلى طنطا

(١) تم حذف هذه الفقرة كاملة فى أصل المذكرات .

(٢) وقد نشرت خطبة سعد باشا هذه بجريدة المنبر ، ولكن بصورة مختصرة إلى حد ما .
المنبر ، عدد ٣١ ، فى ٧ أكتوبر ١٩٢١

(٣) انتشرت خلال ثورة ١٩١٩ تأليف النقابات الأهلية حتى أن النجارين وعمال التنجيد أصبحت لهم نقابات وكان منها نقابة عمال السكة الحديد الكهربائية .
أنظر د . يونان لبيب رزق : نقابة لكل مصرى . الأهرام ديوان الحياة المعاصرة فى ٢٠ مايو ١٩٩٩ .

ومن طنطا إلى مصر[١] . كل هؤلاء يسلمون عليكم ويحيون فيكم الشعور الوطنى . لقد زرتهم ووجدتهم شاكرين شعوركم الحى متمسكين بمبادئكم كلهم ينادى بالاستقلال التام . وقد رأى ضيوفنا معنا هذا فى كل هذه الجهات . رأى ضيوفنا سكان تلك الجهات أجمعين بقلب واحد ينبض بحركة واحدة بطلب واحد . طلب الاستقلال التام . رأوا فوق ذلك أن كلهم يعرف معنى الاستقلال التام فإن أصغر فلاح منهم كان يقول إن معنى الاستقلال التام أننا نحكم أنفسنا بأنفسنا ولا يمكن أن يكون لأجنبى يد علينا وهذا تعريف كاف جداً للاستقلال ولا نطلب أزيد منه ما دام كل واحد منا يعرف له هذا المعنى : هو أن نحكم أنفسنا بأنفسنا . ما دام هذا المعنى موجوداً فهذا كفاية . لا نريد أن نكون فلاسفة ولا أن يكون كل منا عالما فيلسوفًا فإن أهالى البلاد المستقلة التى هى أرقى منا لم تكن فلاسفة ولم يكن كل من فيها يعرف معنى الاستقلال بمثل ما يعرفه أهل بلادنا . نحن لا نريد أن نكون علماء ولكن نريد أن نكون وطنيين . بمعنى أن نحب بلادنا وألا يحكمنا الأجنبى وأن نكرمه بصفته ضيفًا لا حاكمًا علينا . [١٥٨٣]

ولكن هناك بعض الجاليات الأوربية سئلوا من ضيوفنا فقالوا إن ٨٠ فى المائة من المصريين لا يعرفون شيئا (صياح كذب) كذب وبهتان . انهم لا يعرفون شيئا (صوت أوضح أوضح كل شىء) فقال سعد باشا «اسمع أحسن لك» الانكليز الذين هنا أغلبهم موظفون ولهم مرتبات ضخمة ومنفعتهم الشخصية تحملهم على أن يقولوا إننا لسنا أهلا للاستقلال لأنهم لو قالوا إننا أهل له لحملوا «شنطتهم وتنهم ماشيين»

يقولون اننا جهلاء ولا نعرف الاستقلال التام ولكن هم الجهلاء فإننا نريد ألا نحكم بأجنبى . سلوا كل مصرى طالب وفلاح وعامل ومهندس وشيخ وقسيس و و . . . فلا تجدوه إلا قائلا لا أرضى بحكم الإنجليز ولا بحكم أى أجنبى قائلا إنى أحب بلادى ولا أرضى أن يحكمها الأجنبى .

يقولون انكم تابعون لى ولكنى أؤكد وأؤكد انى تابع لأمتى فى كره حكم الأجنبى عليها . إنى أعرف مقدار حبكم لى واحترامكم إياى . ولكن أؤكد لكم انكم لو شعرتم بأنى أحب الحكم الأجنبى لبلادى لنبذتمونى أو لأعدمتمونى الحياة . فقد كرهتم الذين شعرتم انهم يحبون الحكم الأجنبى . فكيف يتسنى لتلك الجالية أن تقول إن أغلبية

(١) يقصد بها مدينة القاهرة .

الأمة لا تعرف شيئا أى أنها لا تميز بين الاحتلال والاستقلال . هذا ظلم وغير مطابق للحقيقة . ولقد تأكد لضيوفنا الكرام أنه ليس من رجل واحد فى مصر حتى عدلى باشا يقول بالاحتلال . حتى عدلى بينه وبين نفسه لا يقول بالاحتلال الكل يود الاستقلال ويبغض الحماية . ولهذا نهضنا ولهذا كان علينا أن نبذل جهدنا حتى نبطل الحماية نهائيًا وحتى ننال الاستقلال التام . [١٥٨٤]

إنى أستغرب وتستغربون معى لما يقوله الذين على أبصارهم غشاوة وفى قلوبهم مرض . يريدون أن يسوئوا عملنا وينسبوا الينا كل نقيصة لأنهم فهموا أنهم أخطأوا وضلوا الطريق فى حق بلادهم ولذلك يزدادون كل يوم تماديًا فى الخطأ حتى لا يقال انهم كانوا مخطئين . ينسبون إلينا أننا أتينا بهؤلاء الضيوف وانه لولا مجيئهم لما قالت لهم الجالية الإنجليزية إن مصر غير صالحة للاستقلال . وأن مجيئهم جعلهم يقولون إن ٨٠ فى المائة من الأمة لا يعرفون معنى الاستقلال . هل سبق أن قالت الجالية البريطانية أننا نستحق الاستقلال ثم عدلت اليوم ؟

لقد اتفقت الصحف هنا وفى إنكلترا على أن يبتلعونا ويدعون أننا لسنا أهلا للاستقلال .

قالت إحدى الجرائد الوزارية أن مجىء الأعضاء الأحرار ضار بالقضية المصرية . كلام تبجح . كلام أناس أصيبوا بمس من الشيطان فى عقولهم لأن الجالية الإنكليزية تقول ذلك من قبل مجيئهم ثم إذا كان مجيئهم حملهم على أن ينسبوا لنا اننا جئنا بهم فما الذى حمل الجالية الإيطالية أن تقول ذلك ؟ قالت الجالية الإيطالية عقب حوادث الإسكندرية المعروفة اننا لا نصلح للاستقلال وأنه لا بد من وجود حامية بريطانية فى مصر لحماية الأجانب . فهل قالت ذلك لأنه كانت هنا بعثة انكليزية حينذاك ؟

نحن نفهم أن لنا حق فى الحياة كحق كل إنسان ونفهم أننا نريد أن نعيش عيشة المستقلين لا عيشة المغلوبين على أمرهم للحماية . وهذا كاف . ولكن الجرائد الوزارية شريكة الاستعمار والحمد لله انكم لا تقرأونها [١] . [١٥٨٥]

---

(١) كان سعد بذلك القول يحرض المصريين على عدم قراءة الجرائد الموالية للحكومة .

(ثم وصف المقابلة الفخمة التى قوبل بها لا سيما فى المنصورة فقال :)

استقبال فوق العادة وخصوصا فى المنصورة[١] . فإنى ما رأيت فى حياتى أبهى وأزهى واكمل واجمل وأجمع لجميع الطبقات منه . ما رأيت احتفالا اشترك فيه الكل مثل هذا الاحتفال . كان احتفال المنصورة أبهى وأزهى ما رأيته فى حياتى . ومع ذلك وجد الوزاريون[٢] طريقة يقولون بها ان الناس هتفوا لعدلى باشا فيه ـ فهل فيكم من يهتف لعدلى باشا «صياح لا أبدًا» موش كده . بكره بقى سأقرأ أنا الصحف الوزارية مش أنتم . أقرأ الجرائد الوزارية أنا وأقول لكم فى اجتماع آخر حتى تعرفوا قالوا إيه الجماعة اللى ما بتقرؤهش . دول قالوا إنهم دعونى فى وجه قبلى لزيارة واجبت الدعوة ولكن حدث عارض عائلى فاضطررنا الى أن نعلن هذا العارض ونرجو أن يزول بل إن الحالة تحسنت «صياح الحمد لله» ولذلك سأسافر إلى الوجه القبلى وننظر كيف نستقبل هناك .

فى أسيوط نشر المدير منشورًا قال فيه «اللى يهتف أو يتظاهر يستاهل ما يجرى عليه» ولكننا نعرف وطنية أهل أسيوط فليحيى سينوت بك حنا[٣] هتاف ليحيى سينوت بك حنا . زغاريد من السيدات الحاضرات نشر مدير أسيوط هذا المنشور ولكنه قال «اللى يتظاهر يستاهل ما يجرى عليه . وقال يحاكم جنائيا» ولم يقل غير ذلك فهذه المرة ليس فيها «ضرب نار» ولا نعلم ماذا سيعمل مديرا قنا والمنيا «ربنا يحمينا من هؤلاء الجماعة»

سنسافر إجابة لدعوة مواطنينا وليس هناك قوة فى العالم تمنعنا عن إجابتها . ولكنهم [١٥٨٦] إن منعونا سجلوا عليهم ذلك كما فعلوا فى طنطا انظروا كيف طغوا وبغوا إلى حد أنهم (ثم ضحك سعد باشا) يكتبون عرائض بأن الأهالى يتشكرون لمنعنا عن زيارة طنطا (ضحك من الحاضرين) مش شئ بارد ؟ طيب يا سيدى يا عمدة بتشكر الحكومة على إيه علشان منعتنا عن زيارة طنطا وزيارة الجامع الأحمدى وقراءة الفاتحة هناك (لنجاح قضيتنا على

---

(١) لقد قام سعد باشا بزيارة مدينة بور سعيد يوم ٢٧ سبتمبر فى قطار خاص بصحبة أعضاء بعثة سوان ، وفى اليوم التالى سافروا إلى المنصورة ، تنفيذًا للبرنامج الخاص بزيارة هؤلاء النواب لمعظم أنحاء البلاد بهدف دراسة الحالة العامة للقطر المصرى والوقوف على شعور الأمة وموقفها من المفاوضات الدائرة فى لندن بين الحكومة المصرية والبريطانية ، وقد ذكرت المصادر أن الهتاف قد اختلط ، فقد كان البعض يهتف لسعد وضيوفه ، والبعض الآخر يهتف ضدهم ، راجع أحمد شفيق : المصدر السابق ، ص٣٧٥

(٢) إشارة إلى الوزراء المشكلين لحكومة عدلى باشا يكن .

(٣) للاطلاع على المعلومات الخاصة بسينوت بك حنا انظر : الجزء الأول من المذكرات ــ ص٦٢ .

ايه ؟ [١] ايه المناسبة ؟ أليست الحكومة بعمل كهذا تظهر الناس الموقعين على مثل هذه العرائض بمظهر السخافة؟ لا تصدقوا أن الناس الذين أسماؤهم فى تلك العرائض يعلمون ما فيها . المديرون معذورون . فإنهم لأجل المحافظة على مناصبهم يعملوا عرائض كهذه عليها ألف اسم .

الحكومة مشتغلة بهدم وفد زغلول ولكن الوفد المصرى رمز أمانيكم . وأمانيكم فى قلوبكم وقلوبكم لا تطلب إلا الاستقلال التام .

انظروا إلى أى حد نسوا أنفسهم واشتغلوا بهدم وفد زغلول حتى إن اللصوص هجموا عليهم أنفسهم . وزير الحربية سرقوا منه ٣٠٠ جنيه . سكرتير مجلس الوزراء ١٢٠٠ جنيه فالأمن مضطرب ولكن معلهش حبل الأمن مضطرب فى البلاد معلهش . هذه هى الوزارة التى يريدون منا أن ننتظر منها انها ستأتى بالاستقلال التام . يقولون وهذه عبارة ذكرتها أمس يقولون إن حضور النواب لمشاهدة أحوالنا والتأكد من أننا أهل للاستقلال التام يضر بالمفاوضات [٢] ولكن هذه الحركات مفيدة للقضية المصرية لو كان عدلى وشركاؤه مخلصين . انها تقويهم فى طلب الاستقلال التام لأنهم سيقولون للانجليز اننا لا نستطيع [١٥٨٧] التفريط قيد شعرة واحدة وهذه الأمة قائمة قاعدة كما يشهد هؤلاء النواب بطلب الاستقلال التام هذا كان يجب أن يكون شعور طالب الاستقلال الصحيح لا الاستقلال الذى لا شك فيه . أما إذا كان العكس فإن هذا العمل وهذه الحماسة يشوش عليهم الأمر ويحمل على فشل المفاوضات فشلاً تامًا .

هكذا ترون أعمال الوزاريين وأنصح بعدم قراءة الصحف الوزارية وأنا من اليوم سوف لا أقرأها وسنسير فى طريقنا ونديم اتحادنا وتضامننا على طلب الاستقلال التام . لا نلوى يمينًا ولا يسارًا فإن الله معنا والله مع المتقين .

---

(١) تم حذف هذه العبارة فى أصل المذكرات

(٢) يعزف سعد زغلول هنا على نغمة الاستقلال التام فى محاولة منه لاستمالة المزيد من المؤيدين والأنصار حوله للتقليل من شأن المفاوضات الرسمية بين الحكومة المصرية والبريطانية .

سفر النواب البريطانيين

[١٥٨٨] وفى صباح ٧ أكتوبر سنة ١٩٢١ سافر النواب الانجليز من مصر قاصدين بلادهم لقرب موعد افتتاح الدورة البرلمانية الجديدة وقد ودعوا فى سفرهم وداعًا فخمًا وهتف الناس لهم كثيراً على طول الطريق وفى المحطات التى وقف فيها القطار حتى مدينة الإسكندرية وقد لازمهم فى القطار حضرات واصف بك غالى وسينوت بك حنا وعاطف بك بركات مندوبين من لدن سعد باشا .

وقبيل سفرهم من القاهرة أقامت لهم لجنة الدفاع عن الحرية السياسية[١] التى يرأسها فتح الله بركات باشا حفلة وداع[٢] فاخرة دعى اليها مئات من وجهاء القطر وأعيانه والمحامين والأطباء والقضاة والتجار وغيرهم . وقد خطب فى هذه الحفلة سعادة فتح الله بركات باشا[٣] فالأستاذ رياض الجمل فالأستاذ نجيب الغرابلى [٤] وقد ألقى قصيدة ما كاد يفرغ منها حتى نهض سعد باشا هاتفا بحياته .

ثم وقف المستر لن [٥] والقى خطبة الوداع وقد قال فيها انه سيخدم القضية المصرية بكل ما فى استطاعته هو وزملائه .

ومما يذكر هنا أن الاستاذ رياض الجمل عندما قال فى سياق خطبته مخاطبًا النواب الانجليز «قولوا لأهلكم ولشعبكم ان زغلول فى مصر لا يسيّر الأمة ولكن الأمة هى التى تسيره ولو رأت فيه اعوجاجًا لقومته بألسنتها وأقلامها قال سعد باشا متممًا «وبأقدامها» وعندئذ نهض الجميع عن كراسيهم وأخذوا يهتفون بملء قلوبهم ويصفقون تصفيقًا شديدًا .

---

(١) حيث أعدت لجنة الدفاع عن الحرية السياسية وليمة تكريم للنواب البريطانيين الأحرار ، وكان يتصدر مائدة الشرف فتح الله بركات باشا رئيس الاحتفال ، وعن يمينه مظلوم باشا رئيس الجمعية التشريعية وعلى يساره سعد زغلول باشا وكيلها المنتخب ورئيس الوفد المصرى ويليهما من الجهتين النواب الأحرار ، ويتخللهم أعضاء الوفد المصرى وبعض ممن يحسنون الإنجليزية من المصريين ، المنبر ، عدد ٣٢ ، فى ٨ أكتوبر١٩٢١ .

(٢) بلغ عدد الذين دعوا إلى حفلة الوداع بفندق شبرد يوم ٢٩ سبتمبر نحو ثلاثمائة مدعو من أعيان القاهرة والأقاليم ، أحمد شفيق : المصدر السابق ، ٣٧٥ .

(٣) لمزيد من التفاصيل حول خطب وقصائد والكلمات التى ألقاها كل من فتح الله باشا بركات ، رياض الجمل ، محمد نجيب والمستر لن راجع ، المنبر ، عدد ٣٢ ، فى ٨ أكتوبر١٩٢١ .

(٤) وهما محاميان .

(٥) المستر لن ، عضو بحزب العمال الانجليزى المستقل ، ونائب بالبرلمان الإنجليزى .

تقرير[١] اللورد اللنبى
من سنة ١٩١٤ إلى ١٩٢٠

[١٥٨٩] وفى ٨ أكـتـوبر روت التلغرافـات ان اللورد اللنبى قـدم إلى حكومـة بلادة تقـريرًا عن أحوال مصر من سنة ٩١٤ إلى سنة ٩٢٠ ونحن نجتزئ منه المقتطفات الهامة الآتية : ـ

المقتطفات الهامة من التقرير

لمـا نشبت الحرب فى سنة ١٩١٤ [٢]وجهت السلطات المختصة اهتمامها إلى التأثيرات التى يحتمل أن تصيب مصر فيما لو قررت تركيا الانضمام إلى دول الوسط ضد الحلفا [٣] . وكانت النتيجة التى وصلت اليها انه إذا بقيت السيادة التركية الوهمية انقسم مركز المصريين من حيث ولائهم وتعاونهم وكان التأثير عظيما فى الموظفين المصريين بالحكومة كما كان من المستحيل ضمانة النظام فى داخل البلاد وضمانة ثباتها المالى .

موقف الوزراء المصريين

وقد اشتغلت خواطر الوزراء أنفسهم اشتغالا عظيما بما يحتمل أن يكون لذلك من التأثير فى مركزهم وبالتبعات التى تنشأ من محاربة تركيا . وكان الرأى العام فى مصر يتوقع أن يعقب قطع العلاقة مع تركيا زيادة الارتباط ببريطانيا بشكل من الأشكال وليس من المستطاع عمليًا أن يسع هذا التقرير سرد جميع الإعتبارات التى أفضت فعلاً إلى إعلان بريطانيا العظمى حمايتها على مصر [٤] فقد أبلغت الدول أنه عين مندوب سام يمثل بريطانيا فى مصر وتفضل وزير الخارجية بإبلاغ مندوبى الدول بأن يبلغوه فى المستقبل جميع مخاطباتهم الرسمية وتأيدت الحماية بمعاهدات الصلح واعترفت بها بلجيكا وفرنسا واليونان والبرتغال والصرب والولايات المتحدة .

---

(١) رفع الفيكونت اللنبى التقرير إلى وزير الخارجية البريطانية المركيز كرزون ، وقد عرض عبد الرحمن فهمى بعض المقتطفات الهامة منه ، بينما قامت جريدة الأخبار بنشره عن طريق الريفورم الفرنسية التى عثرت على الأصل الإنجليزى ونقلته إلى الفرنسية بعد أن ترجمته إلى العربية ، ويقع التقرير فى ١٥٠ صفحة من القطع الكبير ، وقسم الجزء الخاص بمصر إلى ٩ فصول .

انظر ـ الأخبار فى ٢٦ / ١٠ / ١٩٢١ العدد ٥٠٩ .

(٢) فالمعلوم أن الحرب العالمية الأولى بدأت فى أغسطس ١٩١٤ واستمر سعيرها حتى نوفمبر ١٩١٨ .

(٣) ضمت دول الوسط كل من : ألمانيا ، النمسا ، المجر .

وضمت دول الحلفاء كل من : روسيا ، فرنسا ، صربيا ، إنجلترا ، اليابان ، الولايات المتحدة ، إيطاليا .

(٤) فرضت بريطانيا العظمى الحماية على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ .

عهد السلطان حسين[1]

[١٥٩٠] قال السيرونجت باشا [2] ان عهد السلطان حسين امتاز باستتباب الأمن والرقى فطرد العدو من أبواب مصر ونجحت الأحوال الزراعية وبدأت اصلاحات نافعة . وكانت وفاة السلطان حسين خسارة عظيمة على مصر أحدثت أسفا شديدًا فى القلوب بإنجلترا

رأى السلطان حسين بالعرش

وقد أعرب السلطان حسين قبل وفاته بسنتين عن تخوفه من أن حكومة جلالة الملك قد ترغب بعد وفاته فى إعادة وارث الخديوى السابق واهتم السلطان حسين لمصلحة الأمن فى البلاد بأن يوضع نظام لتوارث العرش[3] فى أقرب وقت وكانت رغباته الخاصة أن يكون على الترتيب الآتى :

(١) أن يتولى العرش بعده إما ابنه الوحيد الأمير كمال الدين وإما أخوه السلطان أحمد فؤاد أو (٢) أن يتولاه الأمير يوسف كمال إذا لم يكن للأمير كمال الدين والأمير فؤاد أبناء ذكور .

وقد أريد بترشيح الأمير كمال فى الدرجة الثانية أن يكون استعدادًا للمفاجآت إذا مات الأولان بدون أن يكون لهما أبناء ذكور .

وقبل وفاة السلطان حسين بسبعة أيام أرسل الأمير كمال الدين خطابًا إلى والده رفض فيه حق الارتقاء للعرش بواسطة الاتفاق بين حكومة جلالة الملك والحكومة المصرية فبناء على رغبات المغفور له السلطان حسين ارتقى الأمير فؤاد العرش سلطانًا على مصر .

---

(١) تبع إعلان الحماية على مصر عدد من الاجراءات الشكلية التى هدفت بريطانيا من ورائها تأكيد سيطرتها على القطر المصرى من جهة ، وعلى إضفاء الصفة الشرعية للجالس على العرش من جهة أخرى خاصة بعد سلخ مصر من أحضان الدولة العثمانية وارتمائها فى أحضان بريطانيا العظمى ، فكان منها تغيير لقب الجالس على العرش من خديوى إلى سلطان ، وكان السلطان حسين كامل أول سلطان على القطر المصرى .

(٢) ونجت ، وهو السير ريجنلد ونجت الذى كان سردارا للجيش المصرى وحاكم عام السودان ، وقد تولى مهام منصبه كمندوب سام لبريطانيا فى مصر أواخر ديسمبر ١٩١٦ .

(٣) للاطلاع على قواعد توارث العرش قبل تولية السلطان حسين كامل منذ محمد على حتى عهد الخديو اسماعيل ، انظر : أحمد عبد الرحيم مصطفى . علاقات مصر بتركيا فى عهد الخديو اسماعيل ١٨٦٣- ١٨٧٩ ، دار المعارف ١٩٦٧ .

عهد السلطان فؤاد

وتركت مسألة نظام وراثة العرش على أن يبت فيها فى المستقبل بالاتفاق بين حكومة جلالة الملك وعظمته .

[١٥٩١] وقد أعلن حادث سعيد فى ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ وهو أن عظمة السلطان فؤاد رزق مولوداً فكانت الفرصة مناسبة للبدء نهائيا فى وضع نظام وراثة العرش ففى ١١ ابريل ارسل خطاب إلى السلطان بناء على تعليمات حكومة جلالة الملك بالاعتراف بالأمير فاروق وذريته من الذكور الأكبر ، فالأكبر وإذا لم يتيسر ذلك لمن يولد لعظمته من الأبناء الذكور ولنسلهم من الذكور الأكبر فالأكبر حسب ترتيبهم ورثة لعظمته وتكون رتبة السلطنة المصرية فيهم شرعًا .

من اسماعيل إلى فؤاد

حصل الخديوى إسماعيل باشا فى سنة ١٨٧٣ على فرمان من سلطان تركيا نص فيه على أن يكون حق ارتقاء العرش من ذلك الحين للأول فالأول من أبنائه الذكور . وقد زال التقييد بهذا الفرمان بانفصال مصر عن تركيا ولكن نظام التوراث الذى وضع الآن إنما هو تنفيذٌ لفكرة لها سابقة تاريخية وقد أيدها السلطان فؤاد بتصريحه بعزمه على أن يتبع منهج أخيه الأكبر [١] الذى كانت مصلحة البلاد أول غرض له . ولكن مركز السلطان ليس سهلاً لأسباب أذكرها .

الحركة الوطنية

لقد قويت الحركة الوطنية لإلغاء الحماية بعد عقد الهدنة وشارك عظمته وزراءه فى الارتياب الذى الصق بالمصريين الذين خدموا تحت الحماية والذين كانت الثقة بهم أقل مما ينبغى للبواعث الوطنية .

وقد تمكن عظمة السلطان بفضل السكينة التى تمتعت بها مصر فى الشطر الأخير [١٥٩٢] من السنة التى نتكلم فيها من السفر إلى أنحاء البلاد ولما كان من الواضح أن الأهالى مسرورون من اهتمام عظمته بشئونهم فقد رحبت به جموع كبيرة من الأمة فى زيارته لدمنهور والمنصورة والمنوفية حيث احتشدوا للإحتفال بعظمته .

(١) السلطان حسين كامل .

تبادل الوزارات

استقال محمد سعيد باشا[١] عند وصول اللورد ملنر وكان يُتوقع خلق مشاكل داخلية شديدة واستقال يوسف وهبة باشا[٢] لأنه أبلغ بعبارات غير حسنة تقدير حكومة جلالة الملك لخدماته الجليلة التى قدمها فى ظروف دقيقة صعبة بصفة خاصة

وزارة نسيم باشا[٣]

ولما دعى توفيق نسيم باشا الى تأليف الوزارة كانت الأحوال لا تجعل مركز الوزير مما يجذب الأنظار . وكان بين الأشكال العديدة التى وَجَد الوطنيون المصريون فيها ما يعبر عن شعورهم إلقاء القنابل على الوزراء بقصد إرهابهم على ما يظهر لتأييد مطالب الوطنيين المتطرفين . وقد نجا وهبة باشا وسرى باشا[٤] بأعجوبة من الاعتداء عليهما .

وكان الجميع يعلمون (الحقيقة الواقعة وهى) [٥] أنه كانت هناك وسائل مماثلة للإرهاب مدخرة لكل وزير يجرأ على تولى الوزارة تحت الحماية .

وقد صرح نسيم باشا عند توليه الوزارة بأنه يرحب بالانتقاد العام على شرط أن يكون عادلا ويرمى إلى الإصلاح . وقال إن حرية الصحافة لازمة وأن الرقابة تطبق بعقل وحذق وأنها دور لا يلبث أن ينتهى . أما حوادث الاعتداء التى تنطوى على الإجرام فلا [١٥٩٣] تفيد القضية الوطنية بأى حال من الأحوال ولكنه شعر هو وزملاؤه بأنهم مرغمون على تلبية الواجب وخدمة بلادهم وهذا هو الغرض الوحيد الذى حملهم على قبول الوزارة .

أعرب نسيم باشا عن ارتياحه لسفر زغلول باشا إلى لندن . وقد قام نسيم باشا بأعمال جليلة فقد كان نائبا عموميًا للمحاكم الاهلية ولكنه لم يشغل وزارة من الوزارات

---

(١) فى ١٥ نوفمبر ١٩١٩ .

(٢) كان يوسف باشا وهبه قد تولى مهام منصبه كرئيس للوزراء ووزيرًا للمالية ، فى وزارته الأولى التى بدأت من ٢٠ نوفمبر ١٩١٩ ، واستمرت حتى ٢١ مايو ١٩٢٠ بتقديم استقالته إلى السلطان فؤاد التى قبلها . انظر يونان لبيب رزق (د) : تاريخ الوزارات المصرية من ١٨٧٨-١٩٥٣ ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، وحدة الوثائق والبحوث التاريخية ، ١٩٧٥ ، ص٢١٦ ، للتعرف على فحوى الاستقالة يمكن الرجوع إلى الجزء الثالث من المذكرات ، ص٦٥ .

(٣) وزارة محمد توفيق نسيم باشا الأولى من ٢١ مايو ١٩٢٠ إلى ١٦ مارس ١٩٢١

(٤) للاطلاع على حوادث الاعتداء على إسماعيل سرى باشا وزير الإشغال والحربية المذكور يمكن الرجوع إلى الجزء الثانى من المذكرات ص٣٣٤-٣٣٥ .

(٥) تم حذف هذه العبارة فى أصل المذكرات

قبل أن يشغل وزارة الأوقاف التى لم يكن فيها معروفا للجمهور على أن إدراته لشئون البلاد المنطوية على الولاء والنشاط والمثال الأعلى للأمانة الذى بلغته إدارته قد بررت اختياره لتولى الوزارة .

الوفد المصرى فى لندره (١)

وتلخص الحالة فى بداية السنة بأن زغلول باشا وزملاءه كانوا فى باريس وأعلنوا استعدادهم للمفاوضة مع لجنة اللورد ملنر فى أى وقت إذا استطاعت اللجنة أن تصرح بأن الحكومة البريطانية خولت لها المفاوضة معه ومع زملائه بصفتهم الهيئة الممثلة للأمة وقالوا إن الغرض من المفاوضات هو الوصول إلى اتفاق بمنح مصر الاستقلال التام وفى الوقت نفسه يصون المصالح البريطانية . وكانت حكومة جلالة الملك مستعدة لفتح المفاوضات مع زغلول باشا بصفته ممثلا لمصر وقد تمت المقابلة على هذه القاعدة فى لندن بفضل مساعى عدلى باشا الطيبة على الأكثر فابتدأت المباحثات فى أوائل شهر يونيو وقد حضرها عدلى باشا ثم رشدى باشا فيما بعد وكان من الجلى فى البداية أن المباحثات كانت ذات صفة اختبارية لنعرف بها هل يمكن الوصول إلى اتفاق معين يضمن مصالح البريطانيين والأجانب ويرضى أمانى المصريين ويمكن قبوله أمام جمعية [١٥٩٤] وطنية مصرية أو لا ؟

سير المفاوضات وقواعد ملنر (٢)

سارت المفاوضات سيرًا مرضيًا إلى أواسط اغسطس فاتفق الفريقان إذ ذاك على شىء كثير من النقط الجوهرية ثم تأجلت المفاوضات أسابيع قليلة (٣) لكى يتمكن الفريقان من درس بعض مسائل معينة كانت تتطلب بحثا جديدًا من الوجهة السياسية والفنية . وقد وضعت قبل تأجيل المفاوضة مذكرة تتضمن نتيجة المباحثات وتحدد الخطة اللازمة لتسوية المسألة المصرية تسوية تضمن أعظم مصالح بريطانيا ومصر . وكان أعضاء لجنة اللورد ملنر مستعدين لأن يوصوا حكومة جلالة الملك بأن تسير على الخطة

(١) انظر الجزء الثالث من المذكرات ، ص٧٤ .

(٢) حول سير المفاوضات وقواعد ملنر ، انظر الجزء الثالث من المذكرات ص ٨٨ ـ ١٠٥

(٣) وكان ذلك فى ١٥ أغسطس ، وقد قضى الوفد المصرى تلك الفترة فى باريس حتى ٢١ أكتوبر ، انظر الجزء الثالث من المذكرات ص ١٠٦ ، ١٢١ .

المبينة إذا اعتقدوا بأن زغلول باشا وزملاءه مستعدون كذلك للدفاع عنها ويستخدمون كل ما لديهم من نفوذ للحصول على موافقة الجمعية الوطنية المصرية على المعاهدة المنوية .

وقد نشرت الاقتراحات فى صحف لندن فى يوم ٢٤ أغسطس وفى الصحف المصرية بعد ذلك بأيام قليلة ولا جدال فى أن الشروط قوبلت أولا فى مصر بالحماسة

ولم يكن الاستغراب قليلا لأن المطالب الوطنية قوبلت بمثل هذا العطف فى لندن . وفى الواقع كانت التغييرات المقترحة بعيدة المدى بحيث أثارت شيئا من عدم التصديق عند الرأى العام وولدت مخاوف كثيرة فيما يتعلق بالنتائج التى تصيب البلاد من جراء انتقالها من نظام وضع منذ أربعين عامًا إلى حكم ذى صيغة تجريبية مالم يوضع بعناية عظيمة وحزم .

[١٥٩٥] وقالت الصحف التى تنطق بلسان حال زغلول باشا أنها تحتفظ بحكمها حتى يصل المندوبون الأربعة [١] مع نص الاقتراحات الكامل وقد وصل المندوبون فى ٧ سبتمبر[٢] فاستقبلهم عدد كبير من الأصدقاء والأتباع وعقد المندوبون اجتماعات غير رسمية لسماع تفسيراتهم وكان فى بعض هذه الاجتماعات أغلبية كبرى تؤيد قبول المشروع . ووضع فى اجتماعات أخرى لا سيما الاجتماع الذى عقده الأعضاء الأحياء من الجمعية التشريعية تحفظات معينة . وعلى ذلك تبين ان الاقتراحات صادفت بالاجمال قبول البلاد على رغم معارضة بعض الدوائر لا سيما الجمعيات المصرية بأوربا وبعض الأمراء من العائلة السلطانية وجريدة الأهالى التى يعتقد بصفة عامة أنها تعبر عن رأى محمد سعيد باشا وقد نشر الحزب الوطنى كذلك انتقادات طويلة نصح فيها البلاد برفض المشروع رفضًا تامًا .

(١) وهم محمد محمود باشا ، عبد اللطيف بك المكباتى ، لطفى بك السيد وعلى بك ماهر .

(٢) وصلوا فى ٧ سبتمبر إلى ميناء الاسكندرية وقد استقبلهم الشعب السكندرى بكل حفاوة وتكريم ، وفى الثامن من سبتمبر سافروا إلى القاهرة ، واجتمعوا بأعضاء لجنة الوفد المركزية ، لمزيد من التفاصيل حول الاجتماعات لدراسة مشروع الاتفاق ، انظر الجزء الثالث من المذكرات ، ص١١٤-١١٦ .

قضايا المؤامرات

دبرت مؤامرة واسعة النطاق لقلب الحكومة بوسائل منها طبع المنشورات والتحريض على قتل السلطان ووزرائه . وقد أظهرت الدلائل أن مركز المؤامرة كان جمعية تسمى جمعية الانتقام بزعامة عبد الرحمن بك فهمى سكرتير اللجنة المركزية التى سافر زغلول باشا وزملاؤه تحت رعايتها إلى لندن للبحث فى الوسائل الابتدائية لتسوية سياسية عامة مع حكومة جلالة الملك . ومما يلفت الأنظار أنه فى حين وقعت فى خلال الأشهر الستة التى سبقت المحاكمة [١] ست حوادث من حوادث القاء القنابل على الوزراء[٢] واثنى عشرة حادثة من حوادث محاولة اغتيال الضباط العسكريين البريطانيين لأسباب سياسية فإنه لم تقع حادثة من هذه الحوادث منذ إلقاء القبض على عبد الرحمن بك فهمى[٣]

(١) حول محاكمة عبد الرحمن فهمى انظر الملفات من ٣٠ إلى ٤٢ ؛ المحفوظة بدار الوثائق القومية .

(٢) ومن أمثلة تلك الحوادث محاولات الاعتداء على حسين درويش باشا وزير الأوقاف فى ٩ مايو ١٩٢٠ ، كذلك الاعتداء على محمد توفيق نسيم باشا رئيس مجلس الوزراء فى ١٢ يونية ١٩٢٠ ، انظر الجزء الثالث من المذكرات ، ص٦٣ ، ٧٦ .

(٣) وكان ذلك فى أول يوليو عام ١٩٢٠ .

رحلة سعد باشا إلى بلاد الصعيد

[١٥٩٦] حضرت إلى سعد باشا وفود كثيرة من أقاليم الوجه القبلى ترجو منه زيارتها وانهالت عليه كذلك برقيات كثيرة يطلب فيها موقعوها زيارة سعد باشا لبلادهم .

فلهذا السبب ولأجل نشر دعوة الوفد فى تلك الأقاليم القصية رأى سعد باشا أن يقوم برحلات إلى مديريات الوجه القبلى عن طريق النيل[١] .

وفى ١١ اكتوبر سنة ١٩٢١ ركب سعد باشا الباخرة من الجيزة ومعه حضرات أحمد يحيى باشا وفتح الله بركات باشا ومحمد صدقى باشا والسيد حسين القصبى والدكتور حسن كامل بك والدكتور محجوب ثابت وواصف بك غالى ومصطفى بك النحاس والشيخ مصطفى القاياتى ومحمد بك بدر .

وكان فى استقبال سعد وأصحابه وتوديعهم كثيرون من أهالى الجيزة وطلبتها . وزين شارع البحر بالأعلام .

وفى ١٣ اكتوبر وصلت الباخرة إلى مغاغة فاستقبلها الناس على الشاطىء بالتحية والهتاف وطلبوا إلى سعد باشا زيارتهم فوعدهم بذلك عند أوبته ثم واصلت الباخرة سيرها إلى أسيوط .

وقبيل وصول الباخرة إليها هدمت بعض الزينات التى أقامها الأهالى احتفالا بزيارة سعد باشا لبلدهم وساعد فى هدم هذه الزينات رجال البوليس[٢] . وعند وصول الباخرة إلى الشاطىء فى ١٤ اكتوبر تحرش الأهالى ببعضهم وتحرش البوليس بالجمهور . إذ اندس فى جماهير المستقبلين بعض الأهالى من المؤيدين لعدلى باشا وأخذوا يهتفون

(١) قام سعد زغلول بجولة فى أنحاء الصعيد وبرفقته بعض أخصائه وأحبائه ومؤيديه ، مستقلين الباخرة النيلية «نوبيا» وقد بدأت الباخرة سيرها من الجيزة صباح الثلاثاء ١١ أكتوبر ١٩٢١ ، ومن الملفت للنظر أن هذه الزيارة أستقبلت فى طريقها بمظاهر الانقسام ، انظر الفصلين الثالث عشر والرابع عشر من مذكرات فخرى عبد النور ، ثورة ١٩١٩ ، دور سعد زغلول والوفد فى الحركة الوطنية . تحقيق د . يونان لبيب رزق ، ص٢١١ ، ٢٨١ .

(٢) وقد أورد أحمد شفيق أنه بمجرد وصول الباخرة حصل خلاف بين المنادين بحياة عدلى باشا والهاتفين بحياة سعد باشا ، كان من نتيجته أن هدم العدليون قوس النصر وجميع معالم الزينة ثم أطلقت بعض الأعيرة النارية ، وقد أرجعت بعض المصادر إلى أن مصدر الأعيرة النارية هم السعديون ، وقد اعتبرها كاتب الحوليات فتنة صغيرة ، انظر ص٣٨٩ من الحوليات وكذا الأخبار ، عدد ٥٠٠ ، فى ١٦ أكتوبر ١٩٢١ .

بحياته فأدى ذلك إلى حدوث قتال بين بعض الأهالى والبعض الآخر فانحاز البوليس إلى فريق عدلى باشا طبعًا وأسفرت هذه الحادثة عن إصابة الكثيرين من الفريقين[١] وعند الساعة السادسة أرسل مراقب الأمن العام إلى سعد باشا الكتاب الآتى : ـ

رحلة سعد باشا إلى أسيوط

[١٥٩٧] «حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا

أتشرف بأن أخبر معاليكم مع الأسف الشديد أن الحالة هنا أصبحت فى اضطراب شديد بسبب الحادثة المؤلمة التى وقعت اليوم وأصيب فيها كثيرون ويخشى على الأمن العام إذا نزلتم معاليكم إلى البر[٢] ولذا أرجوكم العدول عن هذه الزيارة لحين صدور أوامر من الوزارة التى أبلغتها الحالة وتكرموا بإفادتى .

«وتفضلوا بقبول فائق احترامى»

مراقب الأمن العام

محمد بدر الدين

أسيوط فى ١٤ اكتوبر سنة ١٩٢١ الساعة ٦ مساء

رد معالى سعد باشا

فرد عليه سعد باشا بالخطاب الآتى :ـ

«حضرة صاحب العزة مراقب الأمن العام

«ردًا لخطاب عزتكم بتاريخ اليوم أتشرف بأن أخبركم بأن الحادثة المؤلمة التى وقعت اليوم ارتكبها رجال تهاون البوليس فى دخولهم مسلحين وفى إيواء بعض المنتمين للوزارة لهم إذ هم الذين تحرشوا بالمحتفلين العزل وضربوهم وأغرقوا بعضهم وأطلقوا

(١) وقد قدر البعض عدد ضحايا الحوادث التى نجمت عن الشجار بقتيل وثلاثين جريحا ، وغرق ثلاثة فى النيل ، عبد الرحمن الرافعى ، المصدر السابق ، ص٢٢ ، الأخبار ـ العدد السابق .

(٢) وقد ترتب على تلك الحادثة منع سعد باشا من النزول إلى أسيوط ، مما اعتبرها البعض مظهرًا أليمًا للحرب الداخلية ، عبد الرحمن الرافعى : المصدر (السابق) ، ص٢٢ .

عليهم النيران كما أطلقها البوليس أيضًا وهدموا الزينة وإنى متأكد أن البوليس لو عامل هؤلاء كما عامل غيرهم لما وقع شىء يؤسف عليه ولا يمكن أن يقع إذا كان البوليس قائمًا بواجباته لأن أولئك الرجال قليل عددهم وليسوا من المدينة بل هم أغراب عنها واستحضروا خصيصًا لتلك الغاية السيئة[1] وكان من السهل ولا يزال من السهل منعهم عند دخولهم أو القبض عليهم بعد ارتكاب ما ارتكبوا من الآثام ولقد أفرغ أهل المدينة [١٥٩٨] وسعهم فى إعداد معدات الاستقبال وهم مجتمعون فى الشوارع وفى مكان الاستقبال منتظرين . والامتناع عن زيارتهم يحرج صدورهم وقد يترتب عليه ما لا تحمد عواقبه ولهذا أتأسف لعدم إمكان إجابة رجائكم وأرى من الضرورى الاستمرار فى إجابة دعوتهم ملقيا كل مسئولية على المكلفين بحفظ الأمن فى هذه المدينة .

«واقبلوا تحياتى»

سعد زغلول

الباخرة نوبيا بأسيوط فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢١

وفى الساعة السابعة طُلب[2] من سعد باشا أن ينتظر فى الباخرة ريثما يحضر الحكمدار وبعد برهة حضر الحكمدار وطلب منه شفهيًا عدم النزول إلى المدينة فرفض حتى يصله أمر كتابى . وبعد بضعة دقائق جاء الأمر الكتابى وهو :ـ

«حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا

(أتشرف بأن أخبر معاليكم بوصول كتابكم وأن الحالة المؤلمة التى وقعت اليوم تحققها النيابة ولاشك أن العدالة ستأخذ مجراها فيها وإنى لا أدخل فيمن هو المسئول

(١) وهذا ما أكده أحمد شفيق فى حولياته عن أثر هذه الرحلة الخارجى ، بأننا ظهرنا أمام العالم الأوروبى بصورة سيئة ، حيث ظهر أن رجال الحكومة المصرية يستعينون بالسفاكين والمجرمين لنصرة فريق ضد فريق ، مما يظهر القطر المصرى بصورة لا تؤهله لحكم نفسه بنفسه عن طريق رجاله المسئولين ، خاصة وأن هذه الحوادث واكبت المفاوضات التى كانت جارية آنذاك بين الوفد الرسمى والحكومة الانجليزية بلندن مما كان لها أسوأ الأثر فى سير المفاوضات ، أحمد شفيق : المصدر السابق ، ص٤٠٢-٤٠٣ .

(٢) حيث طلب محمود سامى بك قومندان الأورطة الثامنة من سعد باشا عدم النزول إلى البر حتى يحضر حكمدار البوليس ، المنبر ، عدد ٣٩ فى ١٥ أكتوبر ١٩٢١ ، وقد ذكر فخرى عبد النور فى مذكراته أن محمود سامى بك رجا سعد خوفًا على حياته واتقاء لوقوع معركة دامية بين الشعب المؤيد للرئيس ، وبين الشراذم التى جمعها خصومه من «العدليين» للتحرش به بإيعاز من الوزارة وإفساد الاستقبال عليه .
انظر مذكرات فخرى عبد النور ، ص٢١٣ .

فيها تاركًا كشف الحقيقة للتحقيقات القضائية وإنى أؤكد لمعاليكم أن الخطر كبير والهياج شديد . فإذا نزلتم معاليكم إلى البر ربما يحصل ما لا تحمد عقباه ولولا أنى متأكد من سوء الحالة هنا لما اضطررت لرجاء معاليكم العدول عن هذه الزيارة التى كانت سببًا لحدوث ما وقع اليوم رغمًا عما اتخذه البوليس من الاحتياطات لمنع ما يخل بالأمن ولذا أرجو معاليكم للمرة الثانية العدول عن هذه الزيارة لحين صدور تعليمات الوزارة .

[١٥٩٩] وقد أصدرت الأوامر اللازمة للبوليس بمنع هذه الزيارة إذا صممتم معاليكم على عدم إجابة رجائى .

«وتفضلوا بقبول مزيد احتراماتى»

مراقب الأمن العام

محمد بدر الدين

أسيوط فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢١ الساعة ٧,٣٠ مساء

وعلى ذلك بقى سعد باشا فى الباخرة ولكنه وجه كلمة لأهل أسيوط حملها إليهم حضرة مصطفى بك النحاس[(١)] وهذا نصها :ـ

«بنى وطنى الأعزاء

سالت الدماء فرحمة الله على القتلى وسلامه على الجرحى ولعنته على السفاكين الذين خضبوا فى هذا اليوم أرضكم بدم الأبرياء . لقد كدر نداؤكم صفو الوزاريين واعتبروا سبة شخصية لهم أن تدعوا للحرية وتهتفوا للاستقلال فانتقموا لهذه السبة انتقامًا خسيسًا دنيئًا شائنًا . اننا لا نريد ولا ينبغى لنا أن نكون شركاءهم فى المجزرة التى دبروها فى الخفاء من زمن طويل وأفضل أن اتهم بالجبن أو أن تتهم أسيوط التى أنا ضيفها بمنعى عن أن أضع قدمى فى أرضها على أن تتلوث يدى بجناية ـ وأضحى كل اعتبار حتى لا أخاطر بقطرة من دم مصرى ، فليتخبط الوزاريون فى دسائسهم . وفى مناوراتهم الدنيئة ولينغمسوا فى الدماء التى أسالوها مفتخرين بانتصارهم على بنى وطنهم الأبرياء العزل

(١) وقد نزل مصطفى بك النحاس وبصحبته أعضاء الوفد ومعهم أعضاء لجنة الاحتفال إلى السرادق الذى أقامته اللجنة لاستقبال أعضاء الوفد ، وكان الاحتفال برئاسة عبد الرحمن النميس باشا ، وقد علقت صورة سعد باشا ، وقد تجاوز عدد الحاضرين الثمانية آلاف ، المنبر ، عدد٣٩ ، فى ١٥ أكتوبر .

الذين لا ذنب لهم سوى تعبيرهم عن غرضهم الأسمى ، ألا إن دولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة . ولايدل غضب الوزاريين الآثم إلا على اضطرابهم وشدة تخبطهم في تدابيرهم . إذا كان الشعب معهم ومع الحماية فما الذى يخشونه من زيارتنا؟ ولماذا [١٦٠٠] يسعون فى منع إتمامها بالقوة الغاشمة!! انهم إنما يخشون أن يسمعوا الصوت القوى لذلك الشعب النبيل يرتفع بالهتاف لممثليه الحقيقيين . انهم إنما يخشون ذلك الصوت لأنه فى الهتاف للاستقلال والحرية يحكم بإجرامهم . إن الحرية آتية لا ريب فيها والاستقلال آت لا ريب فيه . وحينئذ نعيد لقدومهما رغم بطش الأقوياء وعمل السفاكين .

«إنى أشكر من كل قلبى بلسان زملائى وإخوانى ولسانى سكان مديرية أسيوط عمومًا وأهل هذه المدينة خصوصًا على هذه الحفاوة التى اتحفونا بها إذ لم نر من وقت دخولنا فيها إلى غاية وصولنا إلى هذه المدينة إلا كل مظاهر الترحيب وكل جمال الوطنية الصادقة واشكر الكل فوق ذلك على الحكمة والرزانة وسعة الصدر التى قابلتم[1] بها عمل أولئك السفاكين الذين استأجرهم البعض لهذه الغاية المشينة وسوف يحق الله الحق ويأخذ بدم الأبرياء» .

سعد زغلول

ثم تُلى على الباخرة صورة الاحتجاج التالية :[2] «أهالى أسيوط المجتمعون الليلة بالسرادق الذى أعدوه لاستقبال معالى سعد باشا ورجال الوفد المصرى البالغ عددهم نحو الثمانية الآلاف من علماء وقساوسة وأعيان وتجار ومزارعين ومحامين وأطباء ومهندسين ومدرسين وطلبة وعمال يحتجون بكل قوة على التصرفات المخزية التى لجأت إليها السلطات المحلية بتهيئة أسباب الاعتداءات الشنيعة لنفر قليل من المأجورين اسالوا الدماء البريئة وحاولوا بما جنوه تشويه سمعتنا فى واجب الضيافة وباهمال تداركها [١٦٠١] وقت حدوثها ومع سبق لفت نظرها إليها كما نحتج على تذرعها بأوهى الأسباب وأبعدها

---

(١) تم حذف هذه الكلمة فى أصل المذكرات وكتب فوقها «قابلوا» .

(٢) أعد هذا الإحتجاج بواسطة اللجنة التى ألفت لاستقبال سعد زغلول والتى كان من بين أعضائها عبد الرحمن باشا النميس عمدة أسيوط والأستاذ محمود بسيونى المحامى (ورئيس مجلس الشيوخ فيما بعد) والأستاذ ديمترى بشارة عضو المجلس المحلى وغيرهم .

ـ انظر : مذكرات فخرى عبدالنور ـ ثورة ١٩١٩ـ ص٢١٢ .

عن الحقيقة لحرماننا من التمتع بزيارة معالى سعد زغلول باشا ومصادرة حرية مديرية بأسرها اجتمع ممثلوها اليوم بعاصمتها لتكريم رغبتهم الأكيدة فى الاستقلال فى شخص سعد زغلول باشا ونؤكد أن هذه التصرفات لا تزيدنا إلا تمسكًا باستقلالنا التام لمصر والسودان ورمزه والعامل على تحقيقه والسخط على عمال الحماية ونلقى مسئولية هذه الحادثة المؤلمة على كاهل المكلفين بالمراقبة والمحافظة على الأمن فى هذه المدينة ونبدى حزننا الشديد على تلك الضحايا البريئة ونرفع لأهليهم تعزيتنا القلبية ونستنزل لعنة الله على من دبرها . ونبدى لمعالى رئيسنا مزيد أسفنا ونؤكد له دوام ثقتنا به والتفافنا حوله .

الإمضاءات

خطاب مدير أسيوط لسعد باشا

وفى يوم ١٥ أكتوبر سنة ١٩٢١ وجه مدير أسيوط لسعد باشا الخطاب الآتى :

«حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا

بعد التحية : طلبت منا الوزارة الآن أن نستعلم من معاليكم عما نويتم عليه بشأن رحلتكم بعد كل ما حصل أمس فأرجو التكرم بالإفادة وتفضلوا بقبول احتراماتى»

فرد عليه سعد باشا بما يلى :ـ

«ردًا على خطاب سعادتكم بتاريخ اليوم أخبركم بأن ما حصل أمس كان بتدبير خاص ولا أرى للوزارة حقًا فى توجيه هذا الاستفهام إلىّ . وأرجو قبول تحياتى» .

سعد زغلول

بلاغ رسمى

[١٦٠٢] وفى يوم ١٥ أكتوبر أذاعت إدارة المطبوعات البلاغ الآتى : ـ

«ورد تلغراف من مديرية أسيوط أنه حصل عند وصول وابور معالى سعد زغلول باشا شجار شديد بين فريقين من الأهالى . وقد أطلقت بعض عيارات نارية فأصيب بها أربعة أشخاص منهم ثلاثة من الخفراء الرسميين وبلغ مجموع الإصابات ٣١ إصابة وقد تولى رئيس النيابة التحقيق وسيسافر من مصر صاحب السعادة النائب العمومى ليلاً إلى أسيوط .

«وبعد كتابة ما تقدم وردت إشارة تليفونية بوفاة أحد المصابين فى هذا الشجار.»[١]

وعند ظهر يوم ١٥ أكتوبر أقلعت الباخرة من أسيوط إلى طما[٢] فوصلت إليها فى الساعة الخامسة والربع وصرفت الليل هناك.

وفى صباح يوم ١٦ أكتوبر أقلعت الباخرة من طما قاصدة سوهاج فاستعدت مديرية جرجا لهذه الزيارة وصرفت اهتمامها فى جمع الزقل والنبابيت من الأهالى حتى جمعت منها ما يربو على ثلثمائة.

ولقد خشى سعد وأصحابه من تكرار تلك الحادثة المؤلمة التى وقعت بأسيوط فى جرجا ولذلك أرسل مصطفى بك النحاس سكرتير الوفد الكتابين الآتيين إلى كل من مدير جرجا[٣] ومراقب الأمن العام يخطرهما فيهما بعدول الوفد عن الزيارة. وهما :-

رحلة سعد باشا إلى جرجا

خطاب مصطفى النحاس بك إلى مدير جرجا

[١٦٠٣] «حضرة صاحب العزة مدير جرجا بسوهاج

«علمنا بعد قيامنا من أسيوط انكم أخبرتم مراقب الأمن العام بأنه سيحدث عندكم عند قدومنا أكثر مما حصل فى أسيوط وأن مأمورى المراكز جمعوا المتشردين والمشبوهين وأرسلوهم إلى سوهاج لأجل إحداث شغب بها عند وصولنا. وانكم تنقلتم

(١) وقد أبلغت وزارة الداخلية صحيفة الأخبار هذا البلاغ الرسمى يوم ١٥ أكتوبر فى منتصف الساعة الأولى بعد الظهر، فقامت الصحيفة بنشره فى اليوم التالى بنفس نص العبارات الواردة هنا، انظر الأخبار، عدد٥٠٠، فى ١٦ أكتوبر ١٩٢١.

(٢) طما: وهى من القرى القديمة وكانت أكبر قرية واقعة على النيل فى قسم أنيوبوليت ومن المرجح أن يوفيس هو الاسم الرومانى لبلدة طما، ووردت فى قوانين ابن مماتى، وفى تحفة الأرشاد، وفى التحفة: من الأعمال الأسيوطية، وفى دفاتر الروزنامه باسم«طما الطين» وفى تاريخ ١٢٣١هـ «طما الحائط» وفى سنه ١٢٥٩هـ«طما» بغير مضاف وفى سنه ١٨٤٤م أنشىء قسم طما، وجعلت طما قاعدة له، ثم ألغى ثم أعيد فى سنة ١٨٧٥م ثم ألغى ثم أعيد فى سنة ١٩٢٣ باسم مركز طما.

- محمد رمزى: القاموس الجغرافى، قسم ثان، ص٤، ص١٣٥، ص١٣٦.

(٣) وهو عبد العزيز يحيى، وقد أشار فخرى عبد النور فى مذكراته أن عبد العزيز يحيى لم يكتف بالسعى للفتك بسعد ورجاله بل أوعز إلى مأمور مركز سوهاج بأن يُعد بعض الأشقياء لإحراق السرادق الذى استحضرته لجنة الاحتفال التى أعدت للمأدبة التى عزمت على إقامتها لمئات من أعيان المديرية، انظر مذكراته ص٢١٨.

فى المراكز وعقدتم بها عدة اجتماعات وحرضتم الناس فيها على معارضة زيارتنا بالقوة وحشدتم فى سوهاج أغلب عساكر المديرية وأغلب خفرائها فى زى الأهالى . كل ذلك لمقاومة نزول معالى رئيس الوفد المصرى .

«وتلقاء هذه الأعمال رأينا عدم النزول الآن بسوهاج منعًا للفتنة وحقنًا للدماء ونلقى عليكم مسئولية هذه التدابير التى هى أشد الوسائل خطرًا على البلاد» .

١٦ أكتوبر سنة ١٩٢١ سكرتير الوفد المصرى

مصطفى النحاس

خطاب النحاس بك إلى مراقب الأمن العام

«حضرة صاحب العزة مراقب الأمن العام بسوهاج

علمنا أنكم كنتم بأسيوط عند وقوع الحادثة المؤلمة بها وأن لكم دخلاً فيها لأنكم ساعدتم المشاغبين على قصدهم بمنع معالى رئيس الوفد المصرى من زيارة المدينة وأن مدير جرجا أخبركم بأنه سيحدث فى سوهاج أشد مما حدث فى أسيوط فتوجهتم إلى سوهاج ومع ذلك فعوضًا عن أن تتلافوا الأمر جمعتم بعض الأعيان فى بيت المدير عندما طلبوا منه حسم الأمر . وانه بناء على ذلك استعد الأهالى للدفاع عن أنفسهم بمقاومة القوة بالقوة . [١٦٠]

«تلقاء هذه الحالة رأينا حقنًا للدماء عدم النزول بسوهاج الآن ملقين عليكم وعلى المدير تبعة هذه التدبيرات المضرة بالحرية وبالأمن العام .

١٦ أكتوبر سنة ١٩٢١ سكرتير الوفد المصرى

مصطفى النحاس

وفى نفس اليوم أرسل مدير جرجا الخطاب الآتى إلى سعد باشا : ـ

كتاب مدير جرجا لسعد باشا

حضرة صاحب المعالى سعد باشا زغلول

أتشرف بأن أخبر معاليكم أن الحالة هنا فى هياج شديد بسبب زيارة معاليكم

لمديرية جرجا ويخشى على الأمن العام إذا تمت هذه الزيارة . وبما أننى مسئول عن الأمن العام فى دائرة المديرية فأرجو معاليكم محافظة على السلام أن تتكرموا بالعدول عن هذه الزيارة وبإفادتى .

وتفضلوا بقبول عظيم احترامى ،

١٦ أكتوبر سنة ١٩٢١ مدير جرجا

عبد العزيز يحيى

رد سعد باشا

سوهاج فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٢١

«حضرة صاحب العزة مدير جرجا

«ردًا لخطاب عزتكم الذى تخبروننى فيه بأنكم أصدرتم الأوامر للبوليس بمنع نزول أحد من الوابور لأنه إذا نزلنا تحصل حتمًا حوادث نخبركم بأننا علمنا ممن رأيناهم من حضرات أعضاء لجنة الاحتفال وتأكدت من غيرهم[1] بأن نزولنا لا يمكن أن يترتب عليه [١٦٠٥] أى حادث إذا لم تتدخل الإدارة فيه وأن هذه الحوادث تدبر بواسطتها منعًا لنزولنا وقد أيد هذا تأكيدكم بحصولها حتمًا إذا نزلنا .

«وما رأينا من مظاهر الترحيب والإجلال فى جميع البلاد التى مررنا بها من مصر إلى هنا يدل دلالة قاطعة على أن الأهالى لا يضمرون لنا سوءًا بل بالعكس هم مجمعون على شدة الميل لنا وليس شىء أحب إلى قلوبهم من الاجتماع بنا . وحوالينا الآن ونحن نكتب هذه السطور وفى البر والبحر جموع حاشدة من جميع الطبقات أتت من كل الأنحاء لتحيتنا . والهتاف للاستقلال ولوكيل الأمة لتدعونا للنزول بالمدينة ولكنا حيال القوة التى أمرتموها بمنعنا وما علمنا من تحرش الإدارة بنا وبذل كل مجهود لإحداث الشغب عند نزولنا رأينا أن نفوت عليها قصدها ونكتفى بالتحيات القلبية الصادقة التى

(١) يذكر فخرى عبد النور فى مذكراته «وفى المساء حضر إلى الباخرة وفد من المثقفين والأعيان وألحوا على سعد باشا فى زيارة سوهاج»
انظر مذكرات فخرى عبد النور ص٢٢٣ .

وجهتها بلاد المديرية لنا عند مرورنا والتى قابلتنا بها هذه المدينة عند وقوفنا بمرساها الهادىء»

سعد زغلول

خطاب سعد باشا إلى عظمة السلطان(١)

[١٦٠٦] وعقب ذلك رفع سعد باشا الخطاب الآتى إلى عظمة السلطان وهو : ـ

«حضرة صاحب العظمة السلطانية

«دعانى وزملائى كثير من المديريات المختلفة لزيارتها ورأينا من الواجب علينا إجابة دعوتها للاجتماع بأهلها والوقوف منهم على ما يهم بالنسبة لأحوالنا غير أن الإدارة لم تنظر إلى هذا المشروع بعين الرضا واعتبرته مكدرًا لراحتها لا مخلاً بالأمن العام كما تزعم ، ولهذا اجتهدت فى معاكسته والتجأت إلى السلطة العسكرية فى الحصول على منع زيارة طنطا ولما لم تنجح فى الاستعانة بها على منع غيرها أفرغت ما فى وسعها لمضايقة داعينا وحمل الناس بوسائل القهر والإرهاب على عدم الاقتراب منا فلم تفلح فى سعيها لهذا عمدت أخيرًا إلى أخطر الوسائل وأشرها سلبًا للطمأنينة وضررًا بالنظام ذلك أنها أباحت لبعض المنتمين للوزارة أن يستأجر بعض الأشرار ويأويهم بأسلحتهم وعصيهم فى أسيوط لإحداث الشغب عند قدومنا وفعلاً أحدثوه بأن هدموا الزينات التى كانت منصوبة وضربوا المحتفلين وأغرقوا بعضهم وأسالوا دم الآخرين وتأكدنا أن الإشارة التى أعطيت لارتكاب هذا الشغب كانت من أحد المكلفين بحفظ النظام وعوض القبض على المشاغبين السفاكين أمر مراقب الأمن العام بمنعى من النزول إلى المدينة وكتب إلى بذلك ولم أرد معارضته منعًا للفتنة وضنًا بأيام ملككم أن تخضب بالدماء

[١٦٠٧] فبارحنا أسيوط إلى جرجا غير أننا علمنا فى أثناء الطريق من مصادر موثوق بها أن مدير جرجا أخبر مراقب الأمن العام بأنه سيحدث فى سوهاج عند قدومنا اليها أشد مما حدث

---

(١) اعتبرت بعض المصادر أن رفع سعد باشا خطابه هذا للسلطان هو التصرف المناسب فى تلك الظروف التى استباحت فيها الإدارة الإنجليزية ـ المصرية كل ما عندها من أساليب الإباحة السياسية فى محاربة الخصوم ، فقد وجد أن عليه أن يبلغ شكايته فى هذه الحالة إلى السلطان دون الوزارة ودار الحماية ، انظر العقاد المصدر السابق ، ص٣٧١ ، ٣٧٣ .

فى أسيوط وأنه أمر مأمورى المراكز بأن يرسلوا المتشردين والمشبوهين مع الأسلحة إلى سوهاج كما أنه جمع فيها أغلب عساكر بلاد المديرية وأكثر خفرائها فى زى الأهالى وكلف كل عمدة أن يستحضر من ناحيته عدداً من الأنفار بنبابيتهم وتنقل فى المراكز أمس وعقد عدة اجتماعات حث الناس فيها على أن يعارضوا بالقوة زيارتى لمدينة سوهاج ولما رأى ذلك أعيان المديرية ووجهاؤها من الذين دعونى لزيارتهم استعدوا للدفاع عن أنفسهم بمقاومة القوة بالقوة وتكلموا مع المدير بحضور مفتش الداخلية الإنجليزى ومراقب الأمن العام فى تلافى الأمر فلم يصغ إلى قولهم . . تلقاء هذه الحالة رأينا أن نفوت عليهم قصدهم وألا ننزل الآن بسوهاج وأن نرفع الأمر لعظمتكم لتتصرفوا فيه بحكمتكم إذ لا يرضيكم أن تحصر الإدارة همها فى محاربة الشعور العام وأن تشرك معها الأشقياء فى التعدى على الأبرياء والإخلال بالنظام العام وتعريض البلاد بهذه الوسيلة لأعظم الأخطار .

سعد زغلول

الباخرة نوبيا فى يوم الأحد ١٦ أكتوبر سنة ١٩٢١ .

ولقد واصلت الباخرة بعد ذلك سيرها إلى مديرية قنا فاستعد الشعب لاستقبال سعد وأصحابه واحتشدت الجماهير على الشاطىء ولكن المديرية أصدرت أمرها بمنعهم من النزول من الباخرة فلم يجدوا بدًا من الخضوع لذلك وإليك نص الخطابات التى تبودلت فى هذا الشأن : ـ

رحلة سعد باشا إلى قنا

خطاب مراقب الأمن العام

[١٦٠٨] «حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا

«أتشرف بأن أخبر معاليكم أن أهالى مديرية قنا يعارضون فى زيارة معاليكم لها وقد حضرت لنا وفود منهم ووصلنا تلغرافات من بعضهم يلقون علينا مسئولية الإخلال بالأمن إذا تمت هذه الزيارة وبما أن الهياج شديد هنا وفضلاً عن الأحزاب السياسية يوجد خصام قديم مستمر بين بعض العائلات الكبيرة بقنا وبمركز الأقصر ، ويخشى من احتكاك أفراد

هذه العائلات بمناسبة زيارة معاليكم لقنا والأقصر ولذا أرانى مضطرًا أن أخبر معاليكم مع شديد الأسف بهذه الظروف التى علمنا أنها تبلغت لمعاليكم من الأهالى راجيًا أن تتكرموا بالعدول عن النزول بدائرة المديرية محافظة على النظام والأمن العام . وقد أعطيت الأوامر للبوليس بمنع نزول أحد من الوابور بدائرة المديرية .

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتى افندم»

رد النحاس بك

«ردًا لخطابكم الوارد لمعالى الرئيس بتاريخ اليوم أخبركم

«أولاً : ـ أننا متأكدون أنه لم يكن فى مدينة قنا هياج وأنها كلها مستعدة لمقابلته فى غاية الترحاب وغاية من النظام .

««ثانيًا : ـ أن أهالى مديرية قنا لم يعارضوا فى نزولنا بل جميع البلاد التى مررنا بها داخل دائرتها قابلتنا بكل ترحاب وإجلال .

[١٦٠٩] «ثالثًا : ـ لم يعد هناك خصام بين بعض العائلات الكبرى بقنا والأقصر والعائلتان الشهيرتان اللتان كان بينهما خلاف قد تصالحنا وتم الوفاق وقد وردتنا كتابات من فريقيهما بذلك .

«رابعًا : ـ كان كل الوجهاء والأعيان الذين قابلونا ألحوا علينا بنزولنا فى قنا وأكدوا شدة تشوقهم لنا فضلاً عن التلغرافات الكثيرة التى وردتنا بهذا المعنى .

«خامسًا : ـ اننا تأكدنا من تنقلكم فى البلاد من أول سفرنا أن المأمورية التى تقومون بها هى القاء الصعوبات فى سبيل اجتماعنا بمواطنينا واختراع وسائل لتسويفها وإيهام أن فى البلاد حزبين أحدهما يميل للوزارة والحقيقة أن ليس بين الأهالى خصوصًا فى هذه المديرية من يصح أن يقال عنه إنه حزب يميل للوزارة وإنهم كلهم مجمعون على الالتفاف حول رئيسنا والنداء بالاستقلال التام ولهذا فإن ما يقومون به اعتمادًا على القوة لا يجدى أمام الحقيقة شيئًا ولا مسوغ له خصوصًا وأننا فى شك من أن لكم صفة فى إصدار مثل هذه الأوامر الخطيرة على أن للمناقشة فى هذا الموضوع ظروفًا أخرى .

«ولذا نحن امتنعنا عن النزول ليس خضوعًا لهذه الأوامر بل اتقاء للفتنة التى تحدث من اشتباك البوليس ـ الذى تلقاها ولا يقدرها حق قدرها ـ مع الأمة .

«على أنه إذا كان هناك معارضون كما تزعمون فلا يكونون إلا معتدين بمعارضتهم لنزولنا لأننا إذا نزلنا لا نستعمل إلا حقًا شرعيًا لنا فمساعدتكم لهم على معارضتهم مخالفة لواجباتكم التى تقضى عليكم بأن تحفظوا على الناس حريتهم فى استعمال حقوقهم المقدسة لا أن تستعملوا وظيفتكم فى تشجيع من يريدون التحرش بهذا الاعتداء»

مصطفى النحاس

سكرتير الوفد المصرى

كتاب مدير قنا لسعد باشا

[١٦١٠] حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا بقنا

أتشرف بأن أبلغ معاليكم صورة التلغراف الوارد لى من الوزارة الآن : ـ

«تقرر منع زيارة معالى سعد باشا زغلول ومن معه لعواصم المديريات ومدنها وكذلك تقرر أن يمنع من أن يرسو وابوره فى أى جهة يخشى على الأمن العام من رسوه فيها فنرجوكم إخباره بذلك واتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذا المنع وقد أبلغ الأمر لباقى المديريات لتنفيذه

(الإمضاء : وكيل الداخلية)

وتفضلوا معاليكم بقبول احتراماتى

مدير قنا

محمود عبد الرازق

رد سعد باشا إلى مدير قنا

«حضرة صاحب العزة مدير قنا

«ردًا لخطاب عزتكم أتشرف بأن أرجوكم أن تبلغوا وكيل الداخلية أنى محتج على

القرار الذى بلغه إليكم لأنى لا أعرف لوكيل الداخلية ولا لوزيرها بل ولا لمجلس الوزراء نفسه حق إصدار مثل هذا القرار إذ هو يرمى إلى محاصرتى فى الوابور الذى نحن فيه بحيث لا يمكن أن نتمون ولا أن نرسو فى جهة يزعم أى واحد من طرف الحكومة أن الرسو فيها مخل بالأمن العام والمنع من زيارة عواصم المديريات ومدنها عقوبة ليس لأحد غير المحاكم المختصة توقيعها وزيارتى لأية جهة من جهات القطر لم تكدر صفو الراحة بل تقبلها الأهالى بكل فرح وسرور وانى اعتقد أن استقبالنا فى كل البلاد التى [١٦١١١] مررنا بها بغاية الترحاب من أهلها رغم بذل الإدارة جهدها فى معارضتهم هو الذى حمل الوزارة على إصدار ذلك القرار لأنها تريد أن تخفى عدم الثقة بها ولكنها لم تعد خافية على أحد ولم تكدر صفو الراحة فى جهة مررنا بها إلا عند تدخل الإدارة لمعارضتنا فالوزارة تكدر الأمن العام ثم تتخذ من أسباب هذا التكدير الذى هو من فعلها سببًا لاعنات خصومها وهضم حقوقهم .

«وأرجو أن تتفضلوا بقبول فائق احتراماتى»

سعد زغلول

الباخرة نوبيا بقنا فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٢١

استئناف المفاوضات الرسمية[١]

[١٦١٢] استؤنفت المفاوضات الرسمية بين الوفد الرسمى المصرى وبين الحكومة البريطانية فى النصف الأول من شهر أكتوبر سنة ١٩٢١[٢] وقبل أن يشرع المفاوضون المصريون فيها وجه رئيسهم دولة عدلى يكن باشا النداء الآتى للأمة المصرية وهو : ـ

«الى الأمة المصرية الكريمة التى ما زالت تفيض علينا من سابغ ثقتها وتأييدها وتمطرنا من وابل إكرامها وتشجيعها أرفع باسم زملائى واسمى خالص الشكر وجزيل الحمد . وقد كنا ولا نزال عند عهدنا الذى قطعناه لها على أنفسنا . وجدير بمن عقدت الأمة بمساعيهم أمانيها الجسام وأمدتهم بروح منها ونصرتهم بقلبها ولسانها ألا يكون لهم همٌ غير رضاها وألا تقصر همتهم دون العمل على تحقيق استقلالها . وما نحن بحاجة بعد ذلك إلى أن نذكر أمتنا فى الوقت الذى تستأنف فيه المفاوضات بعد انقضاء فصل الاجازات بأنه ليس شىء أشد لأزرنا وأدنى إلى تذليل الصعاب من أمرنا من اجتماع الكلمة واتحاد القلوب ومن أن يولى كل منا وجهه شطر الوطن ويؤثر حبه على كل حب وهوى ويجعل مصلحته فوق كل غاية ومصلحة

«وأرجو الله أن يلهمنا السداد والتوفيق» .

عدلى يكن

وفى ١١ أكتوبر سنة ١٩٢١ قابل عدلى باشا ورشدى باشا اللورد كيرزون لمراجعة المفاوضات السابقة وترتيب المباحثات المقبلة ثم دارت بعد ذلك عدة مقابلات جرت

---

(١) كُتب رقم هذه الصفحة خطأ (١٦٢٢) فى حين أنها تقع بين صفحتى ١٦١١ و ١٦١٣ .

(٢) وذلك بعد فترة إنقطاع دامت من أوائل أغسطس إلى النصف الأول من أكتوبر ١٩٢١ ، حيث ترك كيرزون ساحة المفاوضات فى أوائل أغسطس لقضاء بعض المهام السياسية فى عشرة أيام ، وعهد إلى المستر لانس أحد موظفى الوزارة لاستكمال المفاوضات ، بالإضافة إلى سفر چورج لويد فى أجازة الصيف عدة أسابيع ، ومرة أخرى يترك كيرزون المفاوضات لقضاء اجازة استغرقت ست أسابيع ، وهكذا ظهر المفاوض المصرى بصورة مهينة ، حيث ظل رئيس الوزراء المصرى بلندن لا يستطيع وصل المفاوضة ولا قطعها ، وظل الحال على هذا الوضع حتى استؤنفت المفاوضات ، والحقيقة أن المفاوضات كانت قد أنتهت وقتئذ ، وأن كل ما بقى هو تقديم اللورد كيرزون لمذكرته النهائية التى تشتمل على آرائه فى الاتفاق ، انظر طارق البشرى : سعد يفاوض الاستعمار .« دراسة فى المفاوضات المصرية البريطانية ١٩٢٠ـ ١٩٢٤» ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ، ص٤٩ ، كذلك أحمد شفيق : المصدر السابق ، ص٣٥٠ .

بعض المناقشات . وفى ١٥ أكتوبر عقد اجتماع فى فندق كارلتون ناب فيه المستر لندلس عن وزارة الخارجية البريطانية وقد استغرق هذا الاجتماع وقتًا طويلاً نظرًا لطول المناقشة . [١٦١٣]

وفى ١٧ أكتوبر زار عدلى باشا وزارة الخارجية وبعد ذلك [1] ثم أعضاء الوفد والمستشارون اجتماعًا بعد الظهر وقد دارت بينهم مناقشة طويلة .

وفى ١٨ أكتوبر عقد اجتماع بين المفوضين المصريين والبريطانيين بفندق كارلتون حضره المستر إيموس المستشار القضائى إذ كانت المناقشة تدور حول مسائل قضائية بحتة .

الأسئلة فى البرلمان الإنجليزى

وفى ٢٧ أكتوبر تناول مجلس البرلمان الانجليزى المسألة المصرية فدارت المناقشة الآتية :ـ

سأل السر جو ينسون هكس المستر لويد جورج السؤال الآتى :ـ

١ـ هل وصلت المفاوضات المصرية الى نقطة يحتاج الأمر فيها إلى توقيع المندوبين المصريين فقط لكى يتم كل شىء؟

٢ـ وهل وافقت الحكومة البريطانية فعلاً على جميع مطالب المصريين؟

٣ـ وهل تحتاج مثل هذه الاتفاقات الى تصديق البرلمان قبل إبرامها؟

فأجاب المستر لويد جورج بالسلب على الجزئين الأول والثانى من السؤال أما فيما يختص بالأجزاء الأخيرة فقال المستر لويد جورج «ليكن صديقى المحترم على يقين أنه لن يحدث تغيير فى علاقات إنكلترا بمصر من غير أن يعطى البرلمان فرصة كافية لبحث ذلك التغيير .

وسأل المستر أورسبى چور : هل كان البلاغ الذى ظهر فى جميع صحف لندن تقريبًا فيما يختص بالاتفاقية صادرًا بصفة رسمية من دائرة حكومية أم كان ذلك البلاغ مجرد اختراع من بعض رجال الصحف ؟ [١٦١٤]

---

(١) شطب صاحب المذكرات هذه العبارة وكتب فوقها [فى الصباح ثم].

فأجاب المستر لويد جورج بأن البلاغ لم يكن رسميًا .

وطلب الكولونل توكيدًا صريحًا بألا يصدر قرار يربط بريطانيا العظمى بخطة نهائية حتى يكون للبرلمان فرصة يبدى فيها رغائب الشعب البريطانى

وسأل المستر لوصن هل يكون للأمة المصرية فرصة تمكنها من النظر فى الأمر قبل البث فيه؟

وسأل الكولونيل جريتون هل البيان الذى وصف فيه موقف المفاوضات بجريدة التيمس اليوم دقيقًا فى جوهره؟

فأجاب المستر لويد چورج بأنه يأسف لانشغاله عن قراءة التيمس .

وسأل السر چو ينسون هكس هل إذا لم تتم المفاوضات قبل انفضاض البرلمان وإذا لم يكن الطور الذى وصلت اليه يسمح بعرضها على البرلمان فهل نفهم أنه لا تعقد الاتفاقية إلا بعد انعقاد البرلمان مرة أخرى؟

فأجاب المستر لويد جورج قائلاً : إنى أعتبر المسألة من الخطورة العظيمة للامبراطورية بحيث يجب أن يعطى البرلمان فرصة بحثها .

من علماء مصر إلى الوفد الرسمى المصرى

[١٦١٥] دنت ساعة الفصل فى المفاوضات الرسمية للبت فى مصير مصر ولم يكن فى مصر من يعلم شيئًا عن تطوراتها اللهم إلا ما كانت تأتى به الشركات التلغرافية من أنباء أو ما تنشره الجرائد المصرية نقلاً عن جرائد لندن[١] فكان المصريون جميعًا يترقبون بقلوب وجلة نتيجة تلك المفاوضات وإن كانوا مطمئنين إلى وطنية عدلى باشا وحزمه .

وفى ٢ نوفمبر أرسل أئمة العلماء فى مصر التلغراف الآتى إلى عدلى يكن باشا وهو : ـ

«عدلى يكن باشا كارلتون أوتيل لوندرة

«مصر الآن ترقب عملكم بعين لا تعرف المجاملة ولا المحاباة طالبة من دولتكم تحريرها من كل احتلال عسكرى مهما كان نوعه وعلى أى وجه يقع . ومن كل قيد يغل

(١) حيث كانت أسرار المفاوضات آنذاك طى كتمان شديد ، محمد حسين هيكل (د .) : مذكرات فى السياسة المصرية ، ج١ ، دار المعارف ، ١٩٥١ ، ص١٠٥ .

يد بنيها كما أنها ترفض الحماية بكل معانيها ولا تقبل غير الاستقلال التام الصحيح لمصر والسودان فلتكونوا عند ظنها بكم .

«وليعلم دولتكم واخوانكم انها ترفض بكل شدة كل تساهل يقع فى جانبها أعانكم الله ووفقكم لما فيه نفع البلاد والعباد .»

محمد بخيت : مفتى الديار المصرية سابقًا . عبد الحميد البكرى : شيخ مشايخ السادة الصوفية . يوسف أحمد نصر الدجوى من هيئة كبار العلماء . يوسف شلبى الشبرابخومى : من هيئة كبار العلماء عبد ربه مفتاح . حامد الهوارى . محمود مهران . يوسف سعيد . عبد الكريم شلبى . عبد القادر أحمد من علماء الأزهر .

بعض أعضاء[1] الجمعية التشريعية
يسحبون توكيلهم من سعد زغلول باشا

[١٦١١٦] طال أمد الشقاق وتفاقم شره بين أبناء الأمة المصرية فأعضاء الوفد والهيئات التى لها صفة نيابية يرمون بعضهم بقذائف السباب وشتى الاتهامات والكتاب والأدباء يتجادلون ويتخاصمون حتى أهل البيت الواحد انقسموا على أنفسهم فكانت حالة سيئة صرفت الأمة عن عدوها الأصيل ووجهتها إلى المشاحنات والمنازعات بين الأفراد .

ولقد زاد الطين بلة والحالة سوءاً ذلك التلغراف الذى أرسله فريق كبير من أعضاء الجمعية التشريعية إلى سعد باشا يسحبون توكيلهم [2] منه . ففى الوقت الذى كانت فيه الأمة أحوج ما تكون إلى الاتحاد والتآلف نجد كلمتها قد تفرقت ووحدتها قد تفككت وتطرق اليها الوهن والضعف .

واليك نص هذا التلغراف الذى يؤلم نفس كل غيور على مصلحة وطنه ويدمى قلب كل محب لدوام الاتحاد والتساند بين أفراد الأمة :ـ

«القاهرة ٢ نوفمبر الساعة ٣,٤ دقائق مساء

«نحن أعضاء الجمعية التشريعية نرى تصرفاتكم من بعد عودتكم من أوربا سلسلة أغلاط سياسية ولاشك فى أن هذه الأغلاط راجعة الى انفرادكم بالعمل دون أكثرية زملائكم الذين وكلناكم معهم فى طلب استقلال البلاد . لهذا ولأننا نولى الوفد الرسمى ثقتنا ونرى فى تعضيده المصلحة كل المصلحة للقضية المقدسة مادام المرجع الأخير هو للأمة . نعلنكم مع الأسف بأن مصلحة الأمة قد قضت علينا بسحب وكالتنا منكم .»

[١٦١١٧] إسماعيل اباظة باشا . إبراهيم باشا أبو رحاب . محمد محفوظ باشا . محمود أبو حسين باشا . محمد عثمان أباظة باشا . حسين واصف باشا مرقس سميكة باشا . أمين

(١) تم شطب هذه الكلمة وكتب فوقها [أغلبية] ودلالة هذا الشطب أن صاحب المذكرات لم يعد متعاطفاً مع سعد زغلول مما يدل على أنه قد كتب مذكراته تلك بعد خصومته مع الزعيم منذ عام ١٩٢٦ .
انظر مقدمة الجزء الأول .

(٢) فالمعلوم أن هذا التوكيل كان قد أولاه أعضاء الجمعية التشريعية لسعد باشا فى بدء الحركة الوطنية ، وكان هو الأساس الذى بنى عليه سعد باشا تصدره للمطالبة بحقوق القطر المصرى ، ولكن عندما رأى أعضاء الجمعية اشتداد حركة سعد باشا ورجاله ضد الوفد الرسمى وما صاحبها من توزيع المنشورات ضد الوزارة ورجالها ، رأى هؤلاء الأعضاء أنه من الأنسب سحب توكيلهم من سعد باشا ، أحمد شفيق : المصدر السابق ، ص٤١٥ .

سامى باشا . قلينى فهمى باشا . حسن توفيق باشا . يوسف أصلان قطاوى باشا . خالد لطفى باشا . محمد الشريعى باشا . عبد الرحيم الدمرداش باشا . عمر عبد الآخر بك . عبد الرحمن محمود بك . محمد على سليمان بك . رشوان الزمر بك عبد السلام العلايلى بك . محمد مصطفى خليل بك . زكريا نامق بك . عثمان سليط بك . أمين أبوستيت بك . عبد الفتاح الجمل بك . متولى حزين بك . محمد قطب قرشى بك . محمد المنياوى بك . على المنزلاوى بك . محمد علام بك . بشاره الطحاوى بك . محمد كمال أبو جازية بك .

«نؤيد زملاءنا أعضاء الجمعية التشريعية فى قرارهم هذا .»

على شعراوى باشا . محمد عبد الخالق مدكور باشا . عبد العزيز فهمى بك . محمد على بك . عبد اللطيف المكباتى بك أعضاء الوفد المصرى وأعضاء الجمعية التشريعية .

كلمة الباسل باشا

هال هذا الشقاق الأمة المصرية فقد انغمر قادتها فى لجة [1] التحزب الذى لا يجر على الأمة إلا المصائب والأرزاء [2] ولقد رأى سعادة حمد الباسل باشا فى تلك الحالة السيئة وخصوصًا بعد تلغراف أعضاء الجمعية التشريعية السالف ذكره ما دفعه إلى توجيه الكلمة الآتية :ـ

واجبنا اليوم

[١٦١٨] لا أزال أعيد القول وأكرره بأن تجاوز طريق المنافسة بين السعديين والعدليين إلى طريق المعاكسة أمر كثير المخاطر عقيم النتيجة والواجب على عقلاء الأمة المصرية هو السعى فى تلافى أسبابه قبل تفاقمه . فإننى أرى اليوم تغييراً جديدًا فى الموقف بمجاراة فريق لآخر فى باب المظاهرات التى لا تلبث أن تنتهى بالملاحمات [3] .

ولقد كانت المظاهرات فيما نعلمه لسعد وحده والهتاف فى الطرق باسمه والنداء بسقوط غيره قاصرة على أنصاره فأصبحنا نرى خصومه الآن يقتفون أثرهم ويعملون على

(١) لجة : وتعنى أعماق الماء

(٢) جمع رزية ومعناها : الخرائب والكوارث والمصائب .

(٣) المصادمات .

مثالهم وأخذوا يؤلفون جنوداً لهم مثل جنوده . وما كدنا ننتهى من ذكر حوادث أسيوط وما كان من نتيجة مقابلة المظاهرات بمثلها حتى رأينا جماعة من العدليين فى هذا الأسبوع يتظاهرون هم أيضًا فى بعض طرق القاهرة ويطوفون على دور الصحف السعدية ويشبعونها نداء بالسقوط فى مقابلة ما قامت به المظاهرات السعدية أمام دور الصحف العدلية من قبل . وبما سمعناه من طريق الإشاعة أنه كان على رأسها بعض الرجال ذوى المكانة فهل يليق بأولئك الذين كانوا ولا يزالون ينتقدون على سعد باشا مظاهراته وجنوده ويأخذون ذلك عليه فى كل وقت أن يقدموا على مثل ما ينتقدون؟

إذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهة أساء

والحمد لله قدر ولطف فى هذه المرة فلم تتقابل مظاهرة ضد مظاهرة فتقع المشاجرة وتشتبك الملحمة . ولا نزال نكرر الدعوة لأهل الحزبين بحرمة الوطن أن يكفوا عن هذا الطريق وأمثاله من طرق المعاكسات وألا يقفوا موقف المتصارعين فى المرسح[1] والعدو أمامهم فى (لوجته)[2] بمأمن يتلهى بمنظرهم ويرتاح إلى مصرعهم وتحريض الجرائد الإنجليزية فى هذا الباب يشهد لما نقول . [١٦١٩]

لابد لى أن أقول كلمة فى ختام هذا المقال عما آتاه أصحاب الأغلبية من زملائى فى الجمعية التشريعية من سحب توكيلهم لسعد باشا وهى أن هذا العمل جاء بلا مناسبة تدعو إليه على الإطلاق فإن أغلاط سعد باشا التى بنوا عليها إعلانهم لم تظهر لنا منذ اليوم بل الشكوى منها شائعة بيننا منذ الشهور والأيام وكما أن هذا العمل جاء على غير مناسبة فهو أيضًا من غير فائدة لأن موقف سعد باشا اليوم ليس بموقف المفاوض الذى يحل ويعقد حتى يقضى فيه باسم موكليه ولا فائدة له أيضاً فى تأييد رئيس الوفد الرسمى وتعزيز جانبه بعد أن أشرفت المفاوضات على الانتهاء وقد سبق لكل واحد من هؤلاء الأعضاء وغيرهم من أولى الرأى أن أعلن ثقته بعدلى باشا فلم يبق لهذا الإعلان من وجه يوجه إليه إلا سلوك طريق النكاية والعداء . على أنى أعرف من بقية أعضاء

(١) «المسرح» والمقصود مسرح الأحداث .
(٢) «لوج» بمعنى بنا الطريق تلويجًا عوج ، بطرس البستانى : المصدر السابق ، ص٨٣٠ .
«ولوجته» المقصود بها هنا «مسلكه غير القويم» .

الجمعية التشريعية الذين لم يوقعوا على هذا الإعلان من هم على بينة من هذا الأمر ولكنهم لا يرون هذا الرأى من التشهير والإعلان بل جل سعيهم أن يأخذوا الأمور من طريق الحكمة والتغلب على العواطف فى مصلحة القضية المصرية وليس الغرض الآن أن نسعى فى هدم مركز سعد . فإن مركزه متروك إلى الزمن وإلى نتيجة تصرفاته و إنما [١٦٢٠] الغرض أن نعمل على تشييد خطة صريحة واضحة تأتم بها الأمة ويلتف حولها أولو الرأى ليتلقوا بهدوء ونعقل ما عساه أن يأتى به مشروع المعاهدة من الخير أو الشر .

«وهذا هو الذى يرشدنا العقل إلى اتباعه ويدعونا إلى نبذ ما سواه . والله الموفق لخير العمل»

حمد الباسل

٩ نوفمبر سنة ١٩٢١

ذكرى ١٣ نوفمبر[١]

[١٦٢١] في يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢١ احتفلت الأمة بأسرها بهذه الذكرى المجيدة التى ارتفع فيها صوت المطالبة باستقلال البلاد .

جاء هذا اليوم والبلد منقسم تسوده عوامل التفريق والاختلاف فهنا رئيس الوفد ومعه أنصاره ينكرون وفد عدلى باشا ويشنون الغارة عليه (فيعقدون) [٢] الخطب ويدبجون المقالات والبيانات للإنالة منه ومن مناصريه . وهناك أعضاء الوفد (المختلفون مع) [٣] رئيسهم وأصحابهم (يصبون) [٤] شتى التهم على سعد باشا ومؤيديه . والأمة من وراء الجميع حيرى تجهل مصيرها وما تؤدى اليه هذه المنازعات .

احتفل سعد باشا وأنصاره بهذه الذكرى فى اجتماع عقدوه فى سرادق بالمنيرة . كما احتفل بها فريق كبير جداً من أعضاء الوفد المنشقين والجمعية التشريعية والعلماء وغيرهم من الهيئات والطوائف . وإلى القارىء وصف الاحتفالين

اجتماع المنيرة

ازدحم السرادق الكبير الذى أعده الوفد بالمنيرة بجمهور عظيم جداً من الكبراء والعظماء والعلماء والموظفين والطلبة والعمال وغيرهم من سائر الطبقات . وقد خصص الجناح الأيمن للسيدات وكان عددهم (يربى) على المائتين .

وفى منتصف الساعة الرابعة أقبل سعد باشا فدوى المكان بالتصفيق والهتاف فلما ساد الهدوء القى بعض الطلبة نشيداً وطنيًا ثم وقفت تلميذات جمعية المرأة الجديدة فألقين نشيداً حماسيًا ثم وقف الأستاذ جعفر بك فخرى فألقى خطبة بالنيابة عن الإسكندرية قوبلت باستحسان عظيم ثم ألقى طالب منولوجًا فكاهيًا وأعقبه الأستاذ حامد

---

(١) كانت هذه الاحتفالية الثالثة لذكرى ١٣ نوفمبر ، وقد أظهرت مدى انقسام الأمة على بعضها ، وتمثلت مظاهر الانقسام فى إقامة احتفالين بهذه المناسبة أحدهما أقامه سعد باشا فى سرادق كبير بالمنيرة ، والثانى أقامه الأعضاء المنفصلون وأنصارهم فى فندق الكونتنتال ، أحمد شفيق : المصدر السابق ، ص٤٢٣ ؛ عبد الرحمن الرافعى : المصدر السابق ، ص٢٢ .

(٢) تم شطب هذه الكلمة وكتب فوقها [فيلقون]

(٣) ،، ،، ،، ،، ،، ،، ،، ،، [المنفصلين عن]

(٤) ،، ،، ،، ،، ،، بدلاً منها [يوجهون]

جودة المحامى فألقى خطابًا شرح فيه حوادث أسيوط شرحًا مفصلاً ثم وقف أعضاء نادى النسر الذهبى [1] بملابس الريفيين وبيد كل منهم عود من الذرة الخضراء . وأخذت فرقة النادى فى إلقاء منولوج باللهجة الصعيدية . [١٦٢٢]

خطاب سعد باشا[2]

وبعد ذلك وقف سعد باشا فألقى خطابًا طويلاً [3] هذا هو : ـ

سيداتى . سادتى

ابدأ خطابتى باسم الله الرحمن الرحيم وأشكره على عودة صحتى الى اعتدالها كما أشكر حضرات جميع الذين تفضلوا بالسؤال عنى أثناء انحرافها وأرجو لحضراتهم دوام العافية .

سيداتى . سادتى

ان للإنسانية فى مظاهرها المختلفة بين أفراد وجماعات ومذاهب وديانات أيامًا سعيدة يؤرخ بها كلٌّ مظهر حياته ويعتبرها عيدًا له ويحتفل بها فى كل دورة من الزمان تذكرًا لما وقع بها من الحوادث الخطيرة الشأن التى لم يسبق لها عنده من مثال . كأن هذه الإنسانية محتاجة فى حمل أعباء الحياة بنشاط وقوة الى تذكر ما أحرزت من نصر وما أدركت من نجاح فى أيامها السالفة .

ان العيد الذى نحتفل اليوم به يمتاز عن أمثاله بكونه ليس علامة انتصار حزب على حزب أو فوز طبقة على طبقة من أمة واحدة ولا علامة قهر بلاد لبلاد أخرى بعد مقاساة آلام حرب دموية هائلة لا تلد إلا العداوة والبغضاء ولكنه عيد سلمى هادىء . عيد حرية تعتمد فى انتصارها لا على القوة الغاشمة بل على قوة العقل والعدل والحق وعلى الإرادة المتحدة القائمة بشعب متجانس عزيز شاعر بقوته .

---

(١) واضح أنه نادى تأسس فى إحدى مدن الصعيد .

(٢) يقول التقرير البريطانى أن «الاجتماع الزغلولى» قد استمر سبع ساعات (٣,٣٠ ـ ١٠,٣٠مساء) وبلغ عدد الحاضرين ١٠,٠٠٠ نسمة . وجاء الحاضرون من جميع المديريات . وكان أهم الوفود الوفد السكندرى الذى رأسه يحيى باشا وقدم وثيقة وقعها ٧٠٠ من مواطنى المدينة يدينون فيها الوزارة . وقد تحدث زغلول لثلاث ساعات ونصف وهو واقف بما يرجح الإشاعة بأن مرضه الأخير كان دبلوماسيًا إحتجاجًا على ما جرى فى زيارته للصعيد .

نقلاً عن الدكتور يونان لبيب رزق مذكرات فخرى عبد النور ثورة ١٩١٩ ، ص٣٠٧ .

(٣) استغرق خطاب سعد باشا عدد كبير من الصفحات امتدت على مدى المذكرات من صفحة ١٦٢٢ إلى ١٦٤٩ .

أيها المصريون

[١٦٢٣] علينا أن نشهر يوم ١٣ نوفمبر ونحتفل به بكل إعجاب وفخار إذ لم يمض على الهدنة يومان حتى نهضت مصركم العزيزة أمام من نادوا بأنهم حاربوا للعدل . نهضت تطالبهم بقسطها من هذا العدل . لم تتقدم لهذا الطلب فى ثياب ذلة ولا مسكنة ولم تطلبه حسنة من محسن ، ولا جوداً من كريم . ولكنها تقدمت به وعليها حلة من مجدها السابق . حلة موشاة بالمساعدات والضحايا التى بذلتها فى سبيل القضية المشتركة إذ قدمت مليونًا ومائة ألف شخص لمساعدة المحاربين وقدمت حكومتها ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف جنيه على سبيل الإعانة للحرب وقدم أهلها مبالغ عظيمة اعانة للجرحى وغيرهم ووضعوا تحت تصرف الحلفاء جميع محصولاتها ودوابها وطرق مواصلاتها ونقلها ومواهب أبنائها . تقدمت لمن فازوا بالنصر فى الحرب الكبرى كشريكة لهم فى الحرب وصديقة فى تحمل آلامها وتقدمت إلى الإنجليز غداة انتصارهم بصفة كونها من أكبر عوامل هذا الانتصار فى الشرق وكمدينة لهم بوعود الشرف التى تعهد بها ساستهم وأبطالهم .

نحتفل اليوم بهذا العيد فى بلادنا وسيحتفل به إن شاء الله فى غير بلادنا حيث ترفع أعلام الدول المتحابة احترامًا لمعناه . واكرامًا لمغزاه .

ومهما تكن حالنا من سعادة أو شقاء . من سراء أو ضراء فإن علينا إحياء ذكرى هذا [١٦٢٤] اليوم . وليكن بيننا يوم صدق وإخاء . يوم ثقة ووفاء . يومًا يرجع فيه كل مصرى الى نفسه فيحاسبها على ما قدمت من خير فيستزيد منه . ومن شر فيستغفر له ويأتى إلى ربه فيطلب منه المعونة على تحقيق آماله وإعزاز بلاده . والى وطنه العزيز فيجدد له قسم الصداقة والمحبة والفداء .

سادتى

ما الذى حدث بعد يوم ١٣ نوفمبر الماضى الذى احتفلتم به عندما كنا بباريس وتبادلنا مع الأمة بواسطة اللجنة المركزية عبارات التهانى والتمنيات القلبية؟؟

يجب أن نستعرض من حوادث العام الذى ازمع الرحيل عنا ولو على طريق الإجمال . وكنت أود أن يخلو كلامى مما يمس بمن اشتركوا معنا فى النهضة التى

نحتفل اليوم بعيدها ولا يكون فيه إلا ما يختص بالاعتراف بفضلهم والثناء على عظيم جهادهم . ولكن للتاريخ حكمًا يجب احترامه ، وللحقيقة سلطانًا تلزم طاعته . ولأعمال هؤلاء بعد قيام هذه النهضة ما لا يمكن غض النظر عنه لما له من الدخل الكبير فى صعوباتنا الحاضرة . وواجبى فيكم بصفة كونى وكيلاً عنكم يحتم علىّ أن أقدم لكم حسابًا صادقًا عن وكالتى وأن أصارحكم القول من غير مداجاة ولا مجاملة ، إذ لا مجاملة فى الحقوق العامة ولا هوادة فى حساب وكلائها . خصوصًا وقد كثر القول فى هذه الأيام عن شىء يسمونه صلحًا واتحادًا . فوجب التذكير بهذه الأعمال لتبين للذين يبدون هذه الأقوال عند حسن نية أن الخلاف الذى يدعون لتلافيه ليس مضرًا بالبلاد ضرر الاشتراك بين العاملين الذين اختلفت مبادئهم وتباينت مناحيهم .

[١٦٢٥] تعلمون أننا عدنا إلى باريس بعد انقطاع المفاوضات بين الوفد ولجنة ملنر فى ١١ نوفمبر وأن الذين عرضوا المشروع عليكم لم يعرضوه بالنزاهة التى توجبها عليهم الأمانة والصدق وبذلوا كل جهودهم فى استمالتكم إلى قبوله وفى إظهاره لكم بمظهر مشروع استقلال لا حماية وإننا حرصنا على هذه التحفظات وعرضنا على لجنة ملنر بحثها فأبت النظر فيها وصممت على أن يكون بحثها أثناء المفاوضات الرسمية التى صرحت بضرورة الدخول فيها على أساس مشروعها وأننا قررنا ألا ندخل فيها على هذا الأساس إلا بعد تعديله بهذه التحفظات وأننا صرحنا للجنة ملنر شفهًا وكتابةً بأنه لا يوجد مصرى للأمة أقل ثقة فيه يخالف هذا القرار ، ولقد تلقينا بعد ذلك من كل ناحية من أنحاء البلاد تلغرافات كلها استحسان لهذه الخطة وتشجيع على التمسك بها ولكن الذين حاولوا من أعضاء الوفد سرًا وعلنًا ترويج ذلك المشروع لم يوافقوا على ذلك القرار إلا اضطرارًا لأن الأغلبية كانت ضدهم . وخشية غضب الأمة عليهم إذا جاهروا بخلافه ، ولهذا كانت تلغرافات استحسان هذه الخطة تقع عليهم وقوع الصواعق وتطير لسماعها ألوانهم ، وكانوا يجتهدون هم وعدلى باشا بكل ما فى وسعهم لإقناعنا بقبول الدخول فى المفاوضات على أساس ذلك المشروع . ولكنهم كانوا يرون منى ومن إخوانى المخلصين تشددًا فى التمسك بتلك الخطة ، واصرارًا على التزامها ، ولم يكن مسعاهم هذا ولا خلافهم بخاف أمره خصوصًا على الإنجليز وعلى الأخص اللورد ملنر فإن جرائدهم كانت تتكلم به من

[١٦٢٦] وقت لآخر بلهجة تعطف على المخالفين وتقسو على غيرهم ، وكتب لورد ملنر إلى أحد

أصدقائه يشكو إليه من تشددنا ويرجوه أن يستعمل ماله من الصداقة معى فى إقناعى بقبول مشروعه قائلاً أنه لم ينجح فى اقناعى بصحته كما أن كثيرًا من إخوانى الذين يطلبون مطالبى لم يفلحوا فى سعيهم لهذا الإقناع ، ثم توالت التلغرافات بأخبار هذا الانقسام وبمعاكسة عدلى للوفد فى خطته وبأنه كان كارثة عليه مما أثار الشكوك حول هذا الباشا وحول إخلاصه فرأيت من حسن السياسة منع عدلى من المجاهرة بالميل للإنجليز ومنع الإنجليز من توهم أن فى المصريين من يجرأ على قبول مشروعهم ، رأيت أن أفعل ذلك بالدفاع عنه ضد تلك الإشاعات مقابل أن يتعهد هو بكونه لن يعمل عملاً إلا بالاتفاق مع الوفد . وبناء عليه أرسل هو تلغرافًا بهذا التعهد ، وأرسلت أنا تلغرافًا بنفى تلك الإشاعات عنه ، وهو ما تؤاخذنى الأمة عليه ، ولكن عذرى فيه لها هو ما تقدم ، وهو عذر لم يمح الخطأ كله فهو من الظروف المخففة للوم عليه . ولكن عدلى عاد الى مصر . وما لبث أن أخذ أصحابه واذنابه يبثون فى الناس فكرة استحسان الدخول فى المفاوضة على أساس مشروع ملنر . واستعانوا فى ذلك بالكتابة فى الجرائد ، والأقوال فى المحافل ، والوشوشة فى الآذان . كان هؤلاء يفعلون ذلك فى مصر بينما كان نصراء المشروع من أعضاء الوفد بباريس يسعون لدينا ليل ونهار فى تحسين هذه الفكرة بطرق مختلفة ويتخذون من سياسة الوزارة النسيمية وسوء تأثيرها حجة على هبوط الروح المعنوية فى البلاد وإلى وجوب الاتفاق قبل أن يبلغ ذلك الهبوط مبلغة . ويستكتبون [١٦٢٧] أصدقاءهم وأقرباءهم خطابات لنا ولهم يشكون فيها حال الضعف فى الهمم والهبوط فى العزائم وتدعو إلى قبول مشروع ملنر . ومن هذه الخطابات ما نشرناه ومنها ما لم ننشره . ومن هذا خطاب ورد علىّ من عدلى باشا فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٠ يقول بأن هناك حركة ترمى إلى تحويل الرأى العام إلى وجهة أخرى يخشاها العقلاء ويرون أن الانجليز ربما لا يعطوننا منها حتى أقل من مشروع ملنر . فلم احفل أنا وإخوانى بهذه الكتب وعلمنا بأنها دسائس مدبرة لاستمالتنا الى أن نتفق معهم على أن نؤيد الحماية التى أمنتنا مصر على السعى فى إبطالها . واخيرًا أراد أصحابنا أن نمضى نداءً يعلن الثقة بعدلى ويصرح بأن الوفد لايدخل بنفسه فى المفاوضات إلا بعد تعديل مشروع ملنر بالتحفظات التى أبدتها الأمة ولكن إذا قامت وزارة بيدها تصريح يتضمن الوعد بأن الغاء الحماية يكون أساسًا من الأسس التى تبنى المفاوضة عليها فإن الوفد يؤيدها فى

المفاوضة . ولما كان لا معنى لهذا النداء إلا أن الوفد لايثق بنفسه وإنما يثق بتلك الوزارة التى هى وزارة عدلى وأن يكون مسئولا عن المفاوضات من غير أن يكون له دخل فيها رفضت إمضاء هذا النداء لكونه غير مفهوم ولا قابل للفهم . فلم يسع المنشقين إلا أن عادوا بالطريقة التى تعرفونها . ولم يسعنى الا أن نبهت الأفكار إلى سوء الفكرة التى نبتت فى رؤوسهم بالتلغراف الذى نشرته بعض الصحف هنا . ولكنهم لما عادوا ورأوا من سوء مقابلة الأمة لهم ما رأوا لم يجرأوا أن يؤيدوا فكرتهم بل أصدروا بيانًا أكدوا فيه [١٦٢٨] تمسكهم بقرار الوفد وصرحوا فوق ذلك بأنهم لا يؤيدون أية هيئة تدخل المفاوضة الرسمية إلا إذا كانت متفقة مع الوفد فى مبدئه وخطته . أصدروا هذا البيان ولكنهم لم يعملوا به وسعوا بطرق مختلفة ضد تنفيذه وترويجًا لفكرتهم التى عادوا بها وهى العمل ضد الوفد ورئيسه وترويج فكرة وزارة الثقة ووجدوا من ضعاف العزائم والهازلين والمجردين من الضمائر والطامعين وممن ملوا العمل وقطعوا الأمل ، مَنْ ظاهروهم فى سعيهم وتضامنوا معهم على بيع البلاد بالراحة والهدوء وقضاء الشهوات الدنيئة فى ظل الحماية والاستعباد وساعد ذلك على أن خلقوا جوًا من الملل والاستسلام الدنىء هنالك رأى الانجليز أن الفرصة سانحة لتنفيذ مشروع ملنر الذى علقت جرائدهم على قبوله أهمية كبرى واعتبرت أهمها سقوطه نكبة عظيمة على الإمبراطورية البريطانية فأصدرت الحكومة الإنجليزية بلاغًا اعتبرت فيه الحماية علاقة غير مرضية وأشارت بتعيين مفاوضين رسميين لأخذ رأيهم في مقترحات اللورد ملنر استبدال الحماية إن أمكن بعلاقة أخرى تضمن مصالح الإنجليز وتمكنهم من أن يضمنوا المصالح الأجنبية فى مصر . وقدم جناب اللورد اللنبى هذه الدعوة بتاريخ ٢٦ فبراير إلى عظمة السلطان[١] ، وفى ٥ مارس قدم عدلى باشا إلى الوكالة البريطانية التقرير المشهور الذي أشار فيه إلى شروط المفاوضين وضرورة تقسيم الوزارة إلى قسمين . قسم يباشر المفاوضة فى لندن والآخر يبقى هنا لتوجيه الرأى العام الوجهة التي يريدها القسم الأول . وفى ١٦ منه[٢] سقطت وزارة نسيم وكان من ضمن المساعى التى بذلت لإسقاطها عرائض أخذ المنشقون [١٦٢٩] يستكتبون الناس عليها بأنها لا تصلح للبقاء لأنها وزارة إدارية وأن اللازم أن توجد وزارة سياسية تثق بها البلاد ، وفى ١٧ منه تشكلت الوزارة العدلية .

---

(١) للإطلاع على بلاغ الحكومة الإنجليزية بشأن الحماية والمفاوضات الرسمية ، بتاريخ ٢٦ فبراير سنة ١٩٢١ ، انظر الجزء الثالث من المذكرات ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢) وهى وزارة محمد توفيق نسيم باشا الأولى .

لم يعلنى عدلى باشا بالإجراءات التى سبقت تشكيل وزارته ولا بالظروف التى قبلها فيها ولا بأسماء أعضائها إلا بعد أن قبل تشكيلها خلافًا للتعهد الذى تعهد به وسبقت الإشارة إليه ، ولما بعث إلينا بتشكيلها وبيانها أرسلت اليه فى الحال تلغرافًا بالشروط التى يقبل الوفد الاشتراك معه فى المفاوضة عليها وبعزمى على العودة لمبادلة الآراء فيها وأردت نشر هذا التلغراف على الأمة فأبت المراقبة نشره بأمر الوزارة فاحتججت على هذا المنع واعتبرته أول عمل عدائى من الوزارة ثم عدت إلى مصر ولما علم عدلى والمنشقون عزمى على العودة سعوا غاية جهدهم بطرق مختلفة فى منعى منها ولكنى لم أحفل بنصح من استعانوا بهم على إقناعى بالعدول عنها ، وعدت فى ٤ ابريل وكان من استقبال الأمة لى ما عجزت وأعجز عن القيام بواجب شكرها .

ولشدة امتعاض الأمة من الوزارة السابقة ولما فى أخلاقها من الميل الفطرى إلى التسامح . ولما وجدته فى بيانها من الوعود الخلابة ومن التعهد بالتمشى على إرادة الأمة واشتراك الوفد معها في المفاوضات لذلك كله قابلتها بالارتياح والترحاب . عدنا وشعرت من نفسى أن ليس هناك محل لأن يكون فى صدرى غل أو حقد أو غضب على أحد وأنه يجب علىّ ألا أكون لشخصى بل أكون لأمتى وحدها . ولم أشعر بأن لى كرامة غير كرامة أمتى ولا شخصية غير شخصيتها وأحسست بأنى متفان فيها وهى متفانية فىّ . ورأينا من [١٦٣٠] الواجب علينا أن نحسم كل خلاف وأن نعمل على تأييد الاتحاد فى الأمة وأن نوجه كل مجهوداتنا للسير إلى الغاية التى ننشدها ولهذا فإنه مع علمنا بما كان من المخالفين لنا من زملائنا بعد عودتهم من باريس ومن دس الدسائس ضدنا والطعن سرًا وعلنًا فى حقنا وفى إسناد أشنع القبائح لنا واختلاق افظع الأكاذيب علينا ومع حصولنا من الوفد على قرار بفصل من أخلوا منه بمبدا التضامن بيننا وحنثوا فى إيمانهم التى بذلوها أمامنا . رأينا أن نعتذر لهم عن خطاياهم وأن نسعى لاسترضائهم عنا ففعلنا ذلك بكل سرور وصرحنا فى خطبنا بكل ما يرضيهم مما لم يعد خافيًا على أحد ولكن ماذا حصل بعد ذلك؟ اجتمعنا بهم وتداولنا معهم فى الشروط التى وضعناها للمفاوضة . وعدلنا بعضها طبق ما رأيناه من ميلهم وميل أصدقائنا وذوى الرأى فينا . وبعد أن اتفقنا معهم على هذه

الشروط[1] أعلناها الى الوزارة . ولكن الوزارة لم تقبل فى الحقيقة أى واحد من هذه الشروط كما تبين من محادثة رئيسها المنشورة فى جريدة الأهرام ولكنها تظاهرت بقبول بعضها دون البعض الآخر . ولما أعلننى رشدى باشا رسميًا بأنها لم تقبل الشرط المتعلق بالمرسوم السلطانى ولا المتعلق بالرئاسة . رأيت من واجبى رفض الدخول فى المفاوضة وكان من الطبيعى أن الذين اشتركوا من زملائى فى وضع تلك الشروط التى رفضتها الوزارة أن يتضامنوا فى نتائج رفضها ولكنهم عوض أن يتحدوا معى ضد الوزارة التى رفضتها انشقوا عنى وعن بقية إخوانهم وانحازوا إليها وايدوها بكل ما فى إمكانهم . وكأنهم لم يتفقوا على تلك الشروط إلا ليختلفوا عند رفضها .

[١٦٣١] نعم لم يكونوا مخلصين فى تقريرها لأنهم كانوا يشتغلون مع الوزارة ضدها . فإن الجرائد الوزارية وأذنابها كانوا يجتهدون كل الاجتهاد فى منعنا من مباشرة المفاوضة ، وتبين لنا من هذه المساعى التي شعر كثير من الناس بها أن دعوة الوزارة لنا للاشتراك فى المفاوضة لم تكن إلا فخًا لتصيد به ميل الأمة اليها والترحاب بقدومها . وإلا فما الذى تم فى تلك الوعود التى وعدت الأمة بها .

انها وعدت بإلغاء المراقبة على الصحف فبرت حقيقة بوعدها وألغتها ولكن بعد أن اشترت أغلب الجرائد العربية والإفرنجية وبعد أن بعثت قانون المطبوعات من قبره وعلقت المادة ١٣ منه فوق رقاب بقيتها فكان خطرها أشد من الرقابة نفسها فتمكنت بها من إنذار صحف وإلغاء أخرى ومن تهديد البقية . أما الأحكام العرفية فبقى سيفها معلقًا فوق الرؤوس وطبقوها بأقصى ما يكون من الشدة . ولكونها هى القوة الوحيدة التى تعتمد الوزارة عليها فى بقائها فى مراكزها أبى رئيسها على اللورد اللنبى الغاءها عندما عرض عليه ذلك . ثم بعثت قانون التجمهر وطبّقته بكيفية لم تخطر ببال واضعيه . وقمعت المظاهرات لما هتفت لغيرها وعبرت عن الشعور ضدها وأطلقت يدها فى الموظفين تعاقبهم على ما يبدون من الآراء المخالفة لآرائها من الإنذار وقطع المرتب والإيقاف والنقل إلى مكان سحيق والرفت من الوظيفة ، وفى الأخلاق فعممت التجسس ونشرت

(١) دارت هذه الشروط التى قدمها سعد باشا فى إطار السعى لإلغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر وكذا إلغاء الأحكام العرفية والمراقبة الصحفية وأخيرا أن تكون رئاسة الهيئة المفاوضة من الوفد ، لمزيد من التفاصيل حول موقف عدلى باشا من هذه الشروط ، راجع الجزء الثالث من المذكرات ، ص ٣٢٤ - ٣٢٦ .

[١٦٣٢] الفساد وحكمت الاستبعاد[١] أما التمشى على إرادة الأمة فقد وفت به بأن الفت البعثة الرسمية بمساعدة الحماية رغم إرادة الأمة من أعضاء لم يكن لهم ماضٍ معروف فى الاستقلال ولافيهم صفات تلائمه وسفرتها تحت حماية القوة الأجنبية ، وبالدماء التى أراقتها فى طنطا واسكندرية وأسيوط وجرجا كتمًا للشعور وخنقًا للعاطفة الوطنية .

ان الوزاريين اشتد الخناق بهم وتحرج مركز الوزارة بسخط الأمة عليها ذلك السخط الذى كانت تعبر عنه المظاهرات المتوالية فى عواصم القطر ومدنه التجأوا الى الأراجيف يبثونها في أذهان الأجانب . وإلى المخاوف يلقونها فى قلوبهم حتى كانت جرائدهم تبديها وتكررها فى الوقت الذى لم يكن حدث فيه ما يكدر خاطر أى أجنبى بل كانت المظاهرات التى تمشى فى عرض البلاد وطولها تهتف لهم ويهتفون لها . فى هذه الظروف حدثت حوادث الإسكندرية فسرعان ما رحبت بها الجرائد الوزارية وأخذت تؤكد من قرب ومن بعد أن الوطنيين هم السبب فى تلك المظاهرات وتشير إلى مسئوليتنا عنها والله يشهد أنهم لكاذبون . فلقد كنا أول من استاء لها وفزع لأخبارها واستشأم منها وإذا صح أن يكون المستفيد من الجريمة هو المدان بها يكون هم وحدهم المسئولين عنها .

فقد اتخذ منها الوزاريون سندًا للوزارة يؤيد الوزراء فى مراكزهم وكان المنشقون فى مقدمة الذين يبعثون تلك المخاوف ويومئون[٢] إلى هذه المعانى في بياناتهم وخطاباتهم . وفى الحقيقة ان ساعد الوزارة اشتد من وقت هذه الحوادث واشتدت وطأتها على [١٦٣٣] الوطنيين فأخذت على الحرية كل منافذها ، وعلى الاستقلال كل مظاهره وعاقبت كل هاتف بضرب الرصاص ومنعت من دور التمثيل ومن الاحتفالات ومن كل الاجتماعات العامة كل ما يتجلى فيه هذا الشعور أو ما يحركه فى الصدور .

ما أخبث نيات الوزاريين وما أجرم أعمالهم!! إن تاريخهم لم يكن إلا مجموعًا مؤلفًا من أشنع الجرائم وأفظها وهو يزداد كل يوم ضخامة وفظاعة بما يضاف إليه فى كل حين من الجرائم ضد الحرية والشرف والحياة . انهم فى تقسيم أنفسهم إلى قسمين . قسم

---

(١) الصحيح : وحكمت بالاستبداد.

(٢) بمعنى يشيرون .

يساوم على حقوقنا وقسم يوجهنا بتلك الأعمال القاضية على الحرية والاستقلال إلى ما يريده القسم الأول من الوجهات أشبه بمناسر[١] الأشقياء فى تقسيم أنفسهم إلى فريقين فريق يباشر الجناية وأعمالها التنفيذية ، وفريق يراقب الطريق ويمنع الناس من الصياح خلف السارق والقاتل .

آه مسكينة مصر ، إنك كنت لامحالة ضائعة لولا بصيرة نيرة فى ابنائك وانتباه شديد فى أفكارهم ، وقلوب قوية فى صدورهم ، ما انبل هؤلاء الأبناء وما أعلى شهامتهم وما ابرهم . انهم ضموا إلى احتقار (الخطوة) [٢] ازدراء الظالمين وأكرموا الأجنبى وأحسنوا مجاملته ، أن فيهم شجاعة ، وفى عقولهم مدارك تزن العواطف ، وفى قلوبهم عواطف تشرب بعقولاتهم لينًا ورحمة ، لقد سنحت لى فى هذا العام فرصتان لمطالعة هذه الصفات الجليلة الوراثية والاعجاب بمبلغها من نفوسهم الأولى عند حضور النواب الأحرار[٣] والثانية عند رحلتنا إلى الوجه القبلى .

[١٦٣٤] إن الوزارة ألفت البعثة الرسمية ضد إرادة الأمة ولكنها أرادت أن تتظاهر بأنها[٤] حائزة على ثقتها فاستكتبت بواسطة عمال الحماية عرائض ثقة بها واستعمل هؤلاء العمال كل وسيلة من الإكراه والحيلة لاستكتابها كما استعملوا كل وسيلة لمنع الناس من إبداء الثقة فينا شفها أو كتابة وتوالت وقائع الاختلاس والإكراه وفاضت أنهار الجرائد الصادقة بأخبارها واتصل علمها بالنواب الانجليز من أحرار وعمال فاستاءوا لها وأخذوا يوجهون الأسئلة لحكومتهم في مجلس النواب عنها . وانبرت طائفة منهم للدفاع عنها ونشروا فى الجرائد بلاغًا بالتنديد بالبعثة الرسمية بكونها لاتمثل الأمة وبوجوب انتخاب جمعية وطنية لاختيار المفاوضين وبضرورة الغاء الأحكام العرفية والقوانين الاستثنائية . فلم تكد هذه الأسئلة توجه ولا ذلك البلاغ ينشر حتى قامت قيامة المنشقين والوزاريين ينادون بالويل والثبور وعظائم الأمور وضياع استقلال البلاد بفعلنا وأخذ عمال الحماية يحملون الناس على التحرش بنا وسحب ثقتهم منا فلم أحفل بهذه الصغائر ولا بتلك

---

(١) المقصود بمناسر الأشقياء أى العصابات ، ومفرد مناسر : منسر .

(٢) شطبها وكتب فوقها الخطوب .

(٣) إشارة إلى بعثة سوان وهم من نواب العمال فى البرلمان الإنجليزى .

(٤) هذه الصفحة معنونة فى خطاب سعد باشا «حضور الأحرار» المنبر ، عدد ٦٥ فى ١٥ نوفمبر ١٩٢١ .

الصبيانيات[١] لعلمى أن الأمة ليست هى التى أمضت على تلك العرائض ولا ترضى عن كتابتها . بل لعلمى أن الأمة معى فى الشعور وأنى لم اكن رئيسها فإنى خادمها معبر عن شعورها . لم أحفل بنعيقهم ولم أعر سمعًا لعوائهم ، ومضينا فى سبيلنا فشكرنا الأحرار على صنعهم ودعوناهم لزيارتنا ليشاهدوا بأنفسهم ما اتصل بأسماعهم فحضروا إجابة لدعوتنا ولنداء ضمائرهم الحرة ولكن وزارتنا وزارة الثقة عندما شعرت بعزمهم على زيارتنا [١٦٣٥] اضطربت أعصابها وارتعدت فرائصها لأنها علمت أنهم سيكونون شهود عدل على جورها وعسفها ، فسعت لدى الحكومة البريطانية فى منعهم بحجة أن حضورهم يكدر صفو الأمن فى البلاد ، ولم تخجل مما يترتب على هذه الحجة من إظهار شعبنا بمظهر شعب متوحش أحمق ، قاس القلب ، أهل لأن يهيج ويثور ويسفك الدماء ويزهق الأرواح لا لشىء سوى أن أربعة أو خمسة من الإنجليز - أربعة أو خمسة من الأحرار ذوى القلوب الطيبة والنفوس الكريمة أجابوا نداء ضمائرهم الحية وكلفوا أنفسهم مشقة الحضور إلينا للوقوف على الحقيقة فينا .

أية وزارة فى العالم جديرة بهذا الاسم تجترئ أن تستعين بحكومة أخرى للمحافظة على الأمن فى بلادها لأنها هى عاجزة عن حفظه عندها . أية وزارة أمينة تظهر أمتها بهذا المظهر الشنيع خصوصًا فى الوقت الذى تزعم فيه أنها تسعى لأمتها فى الاستقلال التام .

ولكنا لا نستغرب كل هذا من وزارة اجترأت فى حوادث الاسكندرية أن تستعين بالجيش البريطانى واجترأ رئيسها فى حديثه مع مكاتب الديبا أن يقول تبريرًا لهذه الاستعانة النادرة أنه اذا كانت النار مشتعلة فالأفضل أن يكثر عدد المطافئ فسرعان ما شاطر المستر تشرشل[٢] عدلى باشا فى هذا الرأى وصرح فى خطبة عقب ذلك بضرورة ابقاء الاحتلال ليتمكن من إطفاء الحرائق التى تهدد بالتهابها الأجانب ومصالحهم .

لم تتمكن الوزارة من منع هذه الزيارة فانتظرت أن يحدث عند وصول الزائرين إلى الإسكندرية أو مصر حادث يصلح أن تتخذ منه حجة على صحة سعيها الأول والتخلص [١٦٣٦] من شهود يكشفون الستار عن حقيقة أعمالها فلم يحقق الله ظنها ولم يحدث ذلك الحادث رغم ما تحرش به البوليس من الاعتداء على الناس بفضل رزانة الشعب وحكمته .

(١) أى الأعمال الصبيانية غير المسئولة .

(٢) وزير المستعمرات الانجليزية حينئذ .

فبادرت بمنع زيارتنا وزيارة أولئك الأحرار إلى طنطا ولكن الله عكس القصد من هذا المنع عليها إذ به علم الناس عظيم ما أعد من الاستقبال وضخامة شأنه وجلالة قدره وشدة ولائه على سخط الناس عليها وكان لهذا المنع عندهم أسوأ أثر .

ولخيبة ظنها فيما توقعت . وسوء أثر ما منعت ، نبهت وأرادت أن تستفيد من الدروس التى ألقتها الظروف عليها . ومن حكمة الشعب .

فعندما علمت بعزمنا على السياحة فى الوجه القبلى لم تترك نفسها فى هذه المرة للصدفة تخلق لها الحوادث التي تساعد على بلوغ غايتها وتولت بنفسها خلقها . فابتدأت أن تحول بيننا وبين سكان وادى النيل عند مرورنا بهم وحرمت عليهم الخروج لاستقبالنا وحملت مدير كل مديرية يدعونا أهلها لزيارتهم أن ينشر فى دائرته منشورات بمنع التجمهر والمظاهرات وذهب بعضهم إلى التهديد بقمعها بضرب الرصاص كما استكتبوا بعض أهالى هذه المديريات تلغرافات بوجوب منعنا من الزيارة تلغرافات لم يعهد لها مثيل فى جميع البلاد عمومًا وفى بلادنا خصوصًا . فعلت ذلك لتتخذ لها سندًا لمنعنا [١٦٣٧] من الزيارة ولم تكتف بكل هذا بل جمع أنصارها فى أسيوط تحت نظر رجال الإدارة فيها عصبة من ذوى الشرور والفجور لكى تكدر صفاء الراحة عند قدومنا .

وعندما اقتربنا من المرسى هب هؤلاء من مكانهم واثخنوا فى المحتفلين ضربًا بالعصى ورميًا بالرصاص وتغريقًا فى الماء . وهدموا ما نصب من الزينات وحطموا ما كان منتظرًا لركوبنا من العربات ومدوا أيديهم الأثيمة لجيوب بعض المستقبلين فسلبوا منهم أموالهم . ولما أتموا جريمتهم ذهبوا من حيث أتوا آمنين مطمئنين . وعقب ذلك أمرت الإدارة البوليس بمنعنا من النزول حفظًا للنظام العام . فامتنعنا لا خضوعًا لهذا الأمر لكن خشية اتقاد نار الفتنة التى شعرنا أنهم يريدون إلهاب سعيرها على أن رفقائى نزلوا إلى مكان الاحتفال وقرأ حضرة زميلى مصطفى بك النحاس على الحاضرين كتابًا منى إليهم . ولما رأوا فى نزول رفقائى تفويتًا لقصدهم ، وتخييبًا لأملهم مدوا منعهم فيما بعد ذلك على جميع من كان فى الباخرة إلا مكاتب المورننج بوست الذى كان مصرحًا له فى كل عاصمة ليلتقى بالمفتش الانجليزى ويتفق معه فيما يظهر على ما يراسل به جريدته ولما اقتربنا من الشاطئ فى سوهاج وجرجا ومنعنا من النزول فيها توافدت علينا الجماهير من كل ناحية فى المراكب والزوارق مشاة وركبانا والتفوا بنا فرأينا أن نطل من

السفينة ونلقى عليهم بعض الكلمات التى أحسنوا استماعها وهتفوا للحرية والاستقلال عقب إلقائها هتافًا كان وقرًا [١] فى أسماع الوزاريين فلم يلبثوا حتى حملوا على المستقبلين فى جرجا وفرقوهم وأطلقوا عليهم الرصاص ثم صدر الأمر بعد ذلك بتعميم [١٦٣٨] منع زيارتنا من كل عواصم الوجه القبلى ومدنه . ومن الرسو في أية جهة يخشون على الأمن فيها . وجمعوا جميع ما تحت تصرفهم من خفراء وعساكر وبوليس ووضعوهم فى كل جهة ظنوا أننا ندنو منها وألزموا الأهالى بواسطة هذه القوى المختلفة بالبقاء فى منازلهم وعدم الخروج منها إلى الشاطئ ومن لم يفعل أهانوه بالضرب وغيره ، ولكن هذه الإجراءات على شدتها والقيام بها فى كل الجهات لم تؤثر إلا عكس المقصود منها . فإننا كنا نرى الجماهير من بعيد تتسابق الى الدنو منا . وتتنافس في تحيتنا . ونسمع الأصوات مرتفعة بالهتاف لنا ولاستقلالنا . كما كنا نسمع الشكوى المرة من استبداد الإدارة واعتسافاتها .

وهكذا قامت من أعمالهم حجة عليهم وأى حجة أقطع من ذلك الاعتداء المتكرر على الحرية من تلك الضربات التى توالت على أجسام المستقبلين من تلك الجروح التى فتحت فى أبدانهم ومن التغريق فى الماء ومن ضرب الرصاص وإسالة الدماء وإزهاق الأرواح؟ أى برهان أسطع على إجرامهم من تلك التقارير الرسمية التى قدمها مدير أسيوط ومدير جرجا والمفتش الأول الإنجليزى بوزارة الداخلية وتقرير النائب العمومى حضرة صاحب السعادة مصطفى فتحى باشا؟ ما أشقى عمال الحماية وما أشد إجرامهم؟ انهم لم يكتفوا بإهانة الحرية فى أعز مظاهرها . ولا بتلويث ادارة البلاد بما يسىء سمعتها ولا [١٦٣٩] بتشويه السلطة التى يديرونها ولا بجرح كرامتنا . ولا بإدماء اكبادنا لم يكتفوا بكل ذلك حتى مدوا أيديهم الأثيمة الى العدالة فهتكوا عرضها وأصبحت ـ وهى ملجأ المظلومين ـ لا نصير لها .

حادثة تقع فى وسط النهار . فى جماهير حاشدة . فى مدينة من أهم عواصم القطر ومدنه بعد استلفات عمال الإدارة إليها عدة مرات ويترتب عليها قتل وغرق وجروح وضربات : يتولى تحقيقها النائب العمومى وينتهى من تحقيقاته بأن الفاعل مجهول ، وبأن الإدارة فعلت كل الواجب عليها .

---

(١) الوقر هنا بمعنى الصمم (مختار الصحاح) .

يعنى . أيها الأشقياء ، أهينوا . اضربوا . أسيلوا الدماء . غرقوا . ازهقوا الأرواح . فلا عقاب عليكم إن كنتم عدليين أو مأجورين للعدليين . وإن كانت الضحايا من هذه الأمة الأسيفة . فإن التحقيقات لا تثبت جريمة على عدلى . والوزارة تصفق طربًا لنتيجة التحقيقات إن كانت مبرئة لأتباعها . ويأيتها الأمة اعلمى أن حقوقك مهضومة وأموالك مسلوبة ودماءك مهدورة ولا من يثأر لها ما دامت واثقة بالبعثة الرسمية . هذا ما تنطق به أحوالهم وما تتكلم به أعمالهم ، أنهم منعونا من زيارة عواصم المديريات ومدنها فى الوجه القبلى لغرضين : غرض داخلى وغرض خارجى ـ فأما الأول فهو خنق العاطفة الوطنية وإطفاء نورها . وأما الثانى فهو إضلال الرأى العام حيث يقولون لأسيادهم : يمكنكم أن تتعاقدوا مع عدلى كما تريدون .

ومهما يكن من أمر الاتفاق الذى تجودون به علينا فإنا ضامنون أن تقبله الأمة بدليل أن الوجه القبلى ضد سعد باشا ولم يقبل زيارته فى أية جهة من جهاته ولكن الله عكس [١٦٤٠] قصدهم وخيّب آمالهم فإنهم رغم ما أعدوه من قوة لمنع الناس من استقبالنا ورغم ما دبروه من حوادث سيئة مؤلمة فإن سياحتنا قد أنعشت الشعور الوطنى وجددت انتعاشه ورسخت فى قلوب الأمة كراهة الاستبداد وازدراء الصور التى تحكمنا بواسطتها السلطة الغاصبة وأشعرت الشعب قوته وعزته وحقه وأفسدت على الوزارة ما دبرت من خديعة الرأى العام والسير به إلى الاستسلام وقبول المشروع الذى يوقع فى لندره وقوت بالشعب عزيمة سعد كما قوته وشددت عزيمة الشعب بوكيله .

أنها لم تصب الغرض الداخلى فينا . ولكن هل نجحت فى إصابة الغرض الخارجى من خديعة الإنجليز وغشهم بالنسبة لشعور الأمة الحقيقى . إنى لا أظن ذلك وان كان الإنجليز لا يطلبون أحسن من أن يستسلموا للخديعة والغش إذ يظهر أنهم طلبوا منهم ضمانات . ضمانات أدخل فى باب الجد من القصص الخيالية والتقارير الرسمية عن سياحتنا . وأن الوزارة لم تجد جوابًا على هذا الطلب أصوب من تلغراف اشتمل على امضاء ستة وثلاثين عضوا من أعضاء الجمعية التشريعية رحمها الله . وكيف أخذت هذه الامضاءات وفى أى الظروف توقعت وتحت أى تأثير كتبت . وبمساعدة أى مداخلة بذلت؟ كل ذلك تعرفونه ويعرفه الكثير منا ولا ينبغى لنا أن نصرح علنًا بما يتناجى الناس به سرًا مما لا تشرفنا الحقيقة فيه ولكن مما ينبغى التصريح به ان الذين وضعت [١٦٤١]

أسماؤهم على هذا التلغراف لم يجتمعوا فى مكان واحد ولم يتداولوا فى موضوعه فيما بينهم ولم يعلنوا قبل إرساله قصدهم ومنهم من لم يكن له علم بوضع اسمه بين هذه الأسماء كحضرة قطب بك قرشى .

هذا تزوير معاقب عليه قانونًا ولكن من لنا بمن يكشف لنا الحقيقة عن فاعله ونحن متأكدون من قبل أن التحقيق ينتهى إذا سمح به بأن الفاعل مجهول من هم أولئك الأعضاء؟ هل أمضوا التلغراف عن أنفسهم؟ إن كان الأمر كذلك فلا كلام لنا معهم . لأنه ما قيمة ٣٥ شخصًا بجانب أربعة عشر مليونا . أما إن كانوا كتبوه بالنيابة عن ناخبيهم ففيهم من ليسوا بمنتخبين ومن سحب ناخبوهم الثقة منهم . وفى جميع الأحوال لا نرى قيمة لهذا التلغراف ومصالح البلاد أعلى وأغلى من أن تكون معلقة بورقة يمضيها نفر من هذا القبيل فى الخفاء وبالطرق التى تعلمونها . ليس هؤلاء هم الأمة ولا هؤلاء هم الذين قاموا بتلك النهضة إن الأمة غيرهم وهم غيرها . ان الأمة هى التى عرضت صدورها لرصاص البنادق وأبناءها لإراقة الدماء وقامت للمطالبة بحقها وهؤلاء نيام أو يقظون مرتبة ينالونها أو نيشان يحلون به صدورهم أو مصلحة يقضونها أو جاه يصيبونه أو مال يكسبونه .

أن الوزارة لكى تختم هذا العام على طريقة جديرة بها جعلت خاتم أعمالها فيه تعطيل جريدة الأهالى[1] لمدة ستة شهور ، لماذا عطلتها؟ لأنها فيما تزعم دأبت منذ مدة على نشر أخبار كاذبة ومطاعن باطلة من شأنها تخديش الأذهان وتهويش الأفكار . ولكنها أحجمت عن بيان هذه الأخبار وتلك المطاعن لأنها لا تقدر على بيانها ولأن بيانها لا [١٦٤٢] يتفق مع صالحها . ولكن الناس فهموها وخالفوا رأيها فى كذبها وكان هذا التعطيل فى اعتبارهم من أقوى الأدلة على صحتها . وإلا لفضلت محاكمة هذه الجريدة قضائياً ليثبت كذبها ولكنها لم تفعل وأخذت حقها بيدها فهل تقبل أن يطبق الناس عليها هذا المبدأ . إن قانون المطبوعات وإن كان قانونا استثنائيًا لم يوضع لحماية الجرائم التى يرتكبها

---

(١) حيث أصدر عبدالخالق ثروت زير الداخلية آنذاك ، قرارا فى ٨ نوفمبر ١٩٢١ بوقف الأهالى ستة شهور ، بناء على أنها شنت حملة شديدة على وزارة عدلى يكن والمفاوضات الرسمية ، جنبا إلى جنب سعيها لنسب بعض الأعمال المنافية للصالح العام من قبل بعض الوزاره ، رمزى ميخائيل : المرجع السابق ، ص ٤٥٠ .
كانت الجريدة قد نشرت يوم ٧ نوفمبر مقالا بعنوان «مسئلة الأهالى» جاء فيه هجوم شديد على إبراهيم فتحى باشا وأنه شريك لأحد تجار المواشى . انظر : خليل صابات وآخران : حرية الصحافة فى مصر ١٧٩٨ - ١٩٢٤ ص ٣٦٤ .

الموظفون أثناء وظيفتهم ولكن لحماية النظام العام والنظام العام يقضى بأن كل من علم بوقوع جريمة يجب عليه أن يبلغ عنها . فالجريدة التى تكشف الستار عن جريمة خصوصًا لموظف عمومى لا تكون مخلة بالنظام ، إلا إذا كان هذا النظام عبارة عن مزاج الوزراء .

إن جريدة الأهالى وجهت أسئلة فى موضوعات مختلفة فما كان جواب الوزارة على هذه الأسئلة إلا أن المجرم ليس من يرتكب الجريمة بل هو من يرشد عن الجانى استجلابا لغضب الكافة منه والانتقام من جريمته يجب تعطيل الأهالى حفظًا للنظام إذ يهم النظام أن يعتقد الشعب أن الذين يتولون أموره شرفاء وقد دأبت الأهالى على أن تظهرنا بغير هذا المظهر فاستحقت العقاب بالتعطيل . ولا يسعنى أن أختم هذا الموضوع بدون أن أثنى الثناء الجميل على مديرى ومحررى هذه الجريدة لما فيهم من كفاءة واسعة ومن قدرة بالغة ومن نظر سديد ومهارة فائقة وما أبدوه من وطنية صادقة .

سادتى :

من حسن الحظ أن وزارة عدلى لم يمض عليها لغاية الآن سوى ثمانية أشهر . اذ لو كانت أكثر من ذلك لأعجزنى الآن وأنا فى دور النقاهة من اعتلال صحتى مجردُ تعداد ما [١٦٤٣] اقترفت من الكبائر . ومع ذلك فإنهم لا يخجلون من أن يقولوا أنها تسعى للاستقلال التام . أى استقلال تسعى اليه بعد إفراغها الموسع فى قتل الحرية وإماتة العاطفة الوطنية فى صدور أبناء البلاد؟ انها لكونها وليدة الحماية ورضيعة ثديها وربيبة عنايتها ترى أنها إذا خرجت من الحماية إلى الاستقلال لا يمكنها أن تعيش كما لا يمكن للسمك أن يعيش خارج الماء ولكونها صنيعة الإنجليز وخليقة أيديهم تشتغل ضد مصلحة البلاد .

بعد هذا هل تجدون من حاجة لأن أحدثكم عن قسمها بلندرة وعلى المفاوضات التى يساومون فيها على حقوقنا خفية من غير أن يعلم أحد بمقدمة من مقدماتها ولا نتيجة من نتائجها؟

إن الأخبار التي تردنا عنها متضاربة تضاربًا غاية فى الغرابة فتارة تدل على نجاحها وفوزها وتارة على اصطدامها بصلابة كرزون ومطالب العسكريين ، وأمس تشير الى امضاء الاتفاق واليوم إلى قطع المفاوضات أو تأجيلها . والحقيقة الواضحة هى أنهم يبهمون الأمر علينا ليخدعونا بإبهامهم ولكن لهم أن يقيموا في لندرة ما شاءوا فلا أهمية عندنا

لإقامتهم ما داموا لا يمثلوننا ولا يمثلون إلا أشخاصهم ، انما عليهم أن يعلموا أن الأمة منتبهة تمام الانتباه لأعمالهم حذرة كل الحذر من مناوراتهم وأنها لايمكن أن تقع فى فخاخهم مهما أحكموا نصبها ومهما سندهم الانجليز ومهما أيدتهم القوة الغاشمة ان [١٦٤٤] البلاد لا ترضى ان يكون على أرضها عسكرى انجليزى واحد سواء كان فى مصر أو فى الإسكندرية أو فى القنال فلا يسوغ لهم إذن أن يقولوا إن الإنجليز أرادوا أن يحتلوا داخلية البلاد ولكنا عارضناهم وتوصلنا بمعارضتنا ونباهتنا الى أنهم لا يحتلون الا منطقة القنال ، وهذا انتصار يجب الاحتفال به وإمضاء الاتفاق . ولا أن يقولوا إن الإنجليز تشبثوا باستبقاء الحماية بسبب حوادث الاسكندرية ولكننا توصلنا بفضل مهارتنا ومعارفنا التقليدية إلى تحويل الحماية إلى محالفة دائمة فلنحتفل بهذا الانتصار ولنمض الاتفاق . ولا أن يقولوا إن الإنجليز أصروا على رفض التمثيل السياسى ، ولكنا وصلنا بمرونتنا ودهائنا إلى ألا يكون لهم إلا المراقبة على سياستنا الخارجية ، وهذا فوز مبين فلنحتفل به ونوقع على الاتفاق . لا يسوغ لهم أن يقولوا لنا هذه الأقوال وأشباهها مما تلوكه أفواههم وتتلمظ به شفاهم وليسمعونا فى دورهم كما سمعناهم فى دورنا : ليعلموا أننا لا نقبل عن الاستقلال التام بديلا وللحصول على هذا الاستقلال فإننا جميعًا مستعدون لأقصى الفداء .

سادتى

ربما توهم قوم أنه يسرنا قطع المفاوضات ليعود المفاوضون بخزى الخيبة ، ولكنا نصرح بأن قطعها لا يسرنا لأن فيه ضياعًا لمجهوداتنا وإلزامًا لنا باستئنافها ولأننا نعتبر السرور بهذا القطع سبة كبرى . نريد من كل قلوبنا أن تنتهى بالاستقلال التام ولكنه يستحيل علينا أن نصدق بأن البعثة الرسمية وهى التى تعينت وسافرت فى الظروف التى [١٦٤٥] مر بيانها تجادل بجد عن حقوقنا وتستطيع أن تنال من خصومنا الذين هم سادتها وأولياء نعمتها هذا الاستقلال . ولقد صرحنا بهذا الاعتقاد عقب سفر هذه البعثة ولاعتقادنا واعتقاد الأمة معنا من قبل بهذه الحقيقة فإن انقطاع المفاوضات لايدهشنا ولا يترتب عليه اضطرابات بل الاضطرابات تكون عندما تتحقق الأمة بعداستفراغ جميع الوسائل من إصرار الإنجليز على معارضتها ومعاكسة أمانيها الاستقلالية .

سادتى :

إذا ألقينا نظرة على السنة التي أزمعت الرحيل عنا فما الذى نراه؟

نرى وزارة[١] خلفت فى كراهة الناس وزارة أخرى[٢] بل إن كراهتهم لها أشد وأقوى . وزارة جمعت من حولها نفرًا فيهم الأغرار سريعو التأثر والانخداع كثيرو المطامع وفيهم ذوو خبث ودهاء مهوشون أكثر من كونهم (عديدين) [٣] ومتبجحون أكثر من كونهم متعنتين يدعون أن الحقيقة لا تتكشف لغيرهم وأنها طوع يمينهم يقلبونها كيفما شاءوا فإن زعموا الحماية استقلالاً وجب على الناس تصديقهم ـ لأنهم من المفكرين ـ تخضع الحقائق لسلطانهم ولا تخضع أفكارهم لسلطانها . ومن جهة أخرى ترى أمة بتمامها متحدة فى طلب استقلالها وفى احتقار الأكاذيب والمنشقين ودعاة التردد والهزيمة اتحادًا باهرًا . [١٦٤٦] اتحادًا قاوم بنجاح جميع القوى التى جمعها الخوف والجبن وسلطها عليه . اتحادا ظهر فى أبهى مظاهره يوم عودتنا الى البلاد وأيام زيارة البعثة البريطانية البرلمانية لنا وأثناء رحلتنا فى الوجهين البحري والقبلى وتجلى عند كل مناسبة دعا الحال فيها للاحتجاج ضد الظلم أو الغضب ضد الإهانة كما حصل بمناسبة حوادث الاسكندرية وعند العلم بخطبة تشرشل ولدى سفر البعثة الرسمية وبخصوص تصريح لويد جورج .

نرى من ناحية النزلاء الأجانب المقيمين بيننا واضعين فوق كل اعتبار الامتيازات التى يتمتعون بها عندنا والمصالح المالية التى لا يتهددها شىء . نراهم بسبب ذلك يرفعون عنا اعتباطًا ميلهم إلينا لكى يؤجلوا يوم خلاصنا . ذلك الخلاص الذى يجعلنا متساوين معهم فى الحقوق والواجبات ويؤكد بهذه المساواة اتحادنا بهم . ولكننا نرجوهم أن يعلموا أننا نحفظ لهم فى استقلالنا ما حفظناه دائمًا نحوهم من الشعور الجميل ولطف المجاملة ومن المودة والاحترام وأن يتأكدوا بأن ليس بين المصريين من يتصور مصر مستقلة من غير أن يكون لاشتراكهم دخل فى رقيها وتقدمها . إننا نعرف ما نحن مدينون لهم به ونعترف بعظم مقداره ونصرح بأننا مصممون على أننا نضاعف لهم فى المستقبل دين عرفاننا بالجميل الذى حملتنا إياه الخدم الجليلة التى أدتها لنا بلادهم .

---

(١) إشارة إلى وزارة محمد توفيق نسيم الأولى من مايو ١٩٢٠ إلى مارس ١٩٢١ .

(٢) إشارة إلى وزارة عدلى باشا فى ١٧ مارس ١٩٢١ إلى ٢٤ ديسمبر ١٩٢١ .

(٣) حذفت هذه الكلمة فى أصل المذكرات وكتب فوقها [مفكرين] .

[١٦٤٧] ومن ناحية أخرى نرى بعض أعضاء مجلس النواب الإنجليزى الذين يمثلون أمتهم التمثيل الحقيقى تحملوا مشقات السفر ومخاطره وحضروا الينا ليدرسوا حالتنا ويقفوا على حقيقتها إجابة لرغبتهم الشديدة فى تأسيس علاقات صحيحة ودادية بين شعبهم والأمة المصرية . حضروا رغم معارضة وزارتنا فى حضورهم واستقبلوا أحسن استقبال رغم كل مكابر ودرسوا حالتنا بجد ودقة ونزاهة . ثم كتبوا بعد عودتهم تقريراً خطير الشأن يسرنى أن أقرأ لكم نتائجه الختامية (قرأها مصطفى بك النحاس) ولا شك أنكم توافقونى على أنه لم يجر إلى الآن قلم انجليزى فى مسألتنا المصرية بحقيقة كما جرى بها قلم أولئك الذين سماهم الوزاريون بلا خجل ولا حياء ولا ذمة ولا وفاء : مستعمرين ، كما (تواوفقوننى) [1] على أن ما تضمنه تقريرهم له أثر كبير جدًا فى قضيتنا الحاضرة وعلى أن واضعيه يستحقون من الأمة المصرية جميعها الشكر الجميل .

سادتى :

من كل ما تقدم ينتج :

أولا : أنه ليس فى الأمة انقسام وأنها كلها كتلة واحدة وراء الاستقلال التام وإنما المنشقون يذيعون هذا الانقسام ويؤكدونه تفخيمًا لشأن انشقاقهم وتعظيمًا لقدر انفصالهم عن الوفد ومبالغة فيما لهم من النفوذ بين مواطنيهم على أنه لا يشايعهم من الأمة أحد إلا الوزارة والطامعون فى مساعدتها ومنحها وكل هؤلاء لا تقيم الأمة وزنًا لقربهم منها أو [١٦٤٨] لبعدهم عنها ، لأن ما جمعته القوة فمفرق وما ربطته المطامع فمحلول وما كان أساسه الكذب والضلال فمهدوم .

ثانياً : ان انشقاق المنشقين لم يكن لأسباب شخصية تزول بالمصافاة والمصافحة . ولا بعرضية تنمحى بالتفاهم ولكنه انشقاق لأسباب أصلية ترجع الى الاختلاف فى (المبدأ) والغاية . ان المنشقين يؤيدون الحماية بسعيهم ولو تركوا وشأنهم لتأيد مشروع ملنر وتأيدت به الحماية على البلاد . ولقد تضامنوا مع الوزارة فى عمل ما من شأنه اضعاف الشعور الوطنى وإقعاد النهضة الحاضرة وتمكين خصوم البلاد من الاستيلاء عليها فمن المحال ومن المحال جدًا أن يشترك معهم فى العمل أبناء هذه النهضة وإلا

---

(١) الصحيح توافقونى .

كانوا مقصرين فى واجباتهم نحو الأمانة الكبرى التى حملتهم البلاد إياها ، انه ما من شىء أفسد لعمل وأضمن لخيبته من عدم وجود الثقة بين المشتركين فيه واختلاف المبادئ بينهم . فعلى من خلصت نياتهم من الذين يدعون إلى الاتحاد مع هؤلاء أن يتدبروا فى انهم بهذه الدعوة إنما يدعون إلى فشل القضية العادلة .

إن المنشقين والوزراء وخبثاء النية من أنصارهم لايمكن أن تقبلهم الأمة كزعماء وعاملين فى هذه القضية إذ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . ولكنهم إذا رجعوا اليها فإنها تقبلهم بصفة كونهم أفرادًا منها ويكفيهم أن يتمتعوا فى ظل الاستقلال بالعدالة التى يتأسس عليها حكم البلاد .

[١٦٤٩] ثالثاً : إن عامنا الماضى كان فى الجملة عامًا مباركًا بالنسبة لنهضتنا الحاضرة فقد تقوت فيه وطنيتنا واعتزت بعد الابتلاء روح المقاومة فينا . نعم إننا تألمنا واشتدت الآلام بنا ولكن الآلام من شأنها شحذ العزائم وبعث الهمم وهى المقياس الحقيقى لصفات الأمم . فمقدار قوة الأمة على تحملها تكون عظمتها وفخامة قدرها .

ايها المصريون :

استمروا بكل همة واقدام فى طريقكم ، طريق استقلالكم واحترام حقوقكم وستلاقون فيه عقبات فذللوها بعزماتكم[1] وآلامًا فقاسوها بحسن احتمالكم . وستطلب منكم ضحايا فابذلوها بكرمكم . وسيقع عليكم ضغط شديد فقابلوه بهممكم العالية وعزمكم الصادق . إذ كلما علت الهمم وصدقت العزائم هانت الخطوب ودنت المنى ونجحت المساعى وكان النجاح عظيمًا وكلما كان ثمن الاستقلال غاليًا وضحاياه عزيزة كلما حرصنا عليه بعد نيله وكان علينا بركة وعلى البلاد نعمة وسرورًا .

القـــــرار

وعقب فراغ سعد باشا من إلقاء هذه الخطبة تلى على الحاضرين قرار وافقوا عليه بالاجماع وهذا ملخصه :

المصريون المجتمعون اليوم (١٣ نوفمبر سنة ١٩٢١) لإحياء عيد النهضة الوطنية السلمية :

---

(١) الصحيح : بعزيمتكم .

(١) يجددون للوطن يمين المحبة والاخلاص ويقسمون أن يعيشوا أحرارًا أو يموتوا أحرارًا .

[١٦٥٠] (٢) ويستمطرون الرحمة على الشهداء النبلاء الذين كتبوا بدمائهم سجل استقلالنا . ويهدون السلام للجرحى ولأسرات الضحايا الكريمة .

(٣) ويعلنون إيمانهم القوى فى مستقبل بلادهم وثقتهم التى لا تتزعزع بوكيلهم الأمين معالى سعد باشا زغلول وصحبه المخلصين .

(٤) الاحتجاج على الوزارة أولاً لاستبقائها الوسائل التى تحارب بها عزيمة الأمة فى الاستقلال .

ثانياً : لاستبقاء الأحكام العرفية وإحياء قانون المطبوعات الاستبدادى وتعطيل الجرائد الحرة واعتقال رجال الأدب ونفى الوطنيين المخلصين وبعث القوانين الاستثنائية ضد المظاهرات والاجتماعات العامة ونقل الموظفين الأحرار الى أماكن سحيقة وإنذارهم ورفتهم عقابًا لهم على عقائدهم الوطنية .

ثالثا : لإهانة الحرية السياسية والشخصية بمنع «سعد باشا زغلول وأحرار الانجليز» من زيارة طنطا وبمنعه وزملائه من زيارة مديريات الوجه القبلى .

رابعا : للحصول بالوسائل المختلفة على عرائض ثقة مزيفة وببعثتها [١] الرسمية

خامسًا : ويحتجون على ما وقع فى الإسكندرية ومصر وطنطا وأسيوط وجرجا .

وختم الاحتجاج بما يأتى :

ويؤكدون للجاليات الأجنبية عواطفهم الثابتة فى حسن المجاملة وحسن الضيافة والاحترام . تلك العواطف التى ترى مصر المستقلة من أشرف الأمور لديها أن تؤيدها وتقويها .

ويوجهون للديموقراطيين الانجليز وعلى الأخص لأصدقائنا لن وسوان ولوسن وميلز [١٦٥١] وبارنس الذين قدموا لبلادنا ليساعدونا فى تحقيق أمانينا فى «الاستقلال التام» أسمى

(١) الصحيح : لبعثتها .

عبارات الاحترام والإعجاب لقيامهم بالأخذ بناصرنا بكل شجاعة وإخلاص خدمة للمدنية وتوطيدًا لعلائق الصداقة والمودة اللائقة بشعبين مستقلين كريمين تلك العلائق التى بغيرها لن يوجد اتفاق بين الشعبين المصرى والإنجليزى .

فلتحى مصر ،

حفلة الكونتننتال[1]

[١٦٥٢] واحتفل كثير من أعضاء الوفد المنشقين والكبراء والعظماء وكبار رجال الدين بفندق الكنتننتال بهذه الذكرى المجيدة[2] .

وفى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر اكتمل عدد المدعويين فافتتح الحفلة سعادة محمود باشا ابو حسين قائلا اننى افتتح هذا الاحتفال بذكرى اليوم الذى نهضت فيه الأمة المصرية الكريمة للمطالبة بحقوقها المقدسة فى الحياة ونصيبها التام فى الحرية والاستقلال . وإنى أدعو الله جلت قدرته أن يوفقنا جميعًا إلى ما فيه سعادة الأمة وان يهدينا إلى الصراط السوى ويسدد خطواتنا إلى ما فيه الخير ويحقق أمانينا وينيلنا ما تصبو إليه نفوسنا حتى لا يأتى ذلك اليوم إلا والوطن العزيز رافل فى حلل السعادة تخفق فوقه ألوية الحرية أنه السميع المجيب .

وتلاه فضيلة الشيخ محمد بخيت فتلا دعاءً ابتهل فيه الى الله أن ينصر مصر ويؤلف بين قلوب أهلها ويجمع كلمتهم على خدمة الوطن ويقيهم شر الشحناء والبغضاء ويزيل أسباب الخلاف ويوفقهم إلى فعل الخير وخدمة مصر .

ثم تكلم الأستاذان توفيق دياب والشيخ أحمد بك الشيخ فذكرا لمحة من تاريخ النهضة المصرية الحاضرة والحوادث التي توالت فى السنوات الماضية على هذا القطر . واكبرا يوم ١٣ نوفمبر الذى قصد فيه سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا وعبدالعزيز فهمى بك دار الحماية الانجليزية وأبلغا المندوب السامى مطالب الأمة المصرية . وقد استحلف الأستاذ توفيق دياب المصريين أن يضموا صفوفهم ويوحدوا كلمتهم ويكونوا جميعًا يدا واحدة وقلبًا واحدًا للدفاع عن حقوق الوطن .

---

(١) أشهر فنادق العاصمة وقتئذ وكان يقع فى ميدان الأوبرا .

(٢) اهتم البريطانيون اهتماماً واضحاً بهذا الاجتماع على أنه علامة على مزيد من أسباب الانشقاق فى الحركة الوطنية نقلا عن الدكتور يونان لبيب رزق/ مذكرات فخرى عبدالنور ثورة ١٩١٩ ص ٣٠٧ .

[١٦٥٣] ثم وقف الأستاذ حسين بك هيكل فتكلم فى تاريخ النهضة المصرية بما كان له وقع حسن لدى الحاضرين .

وأنشد الشاعر أحمد أفندى نسيم قصيدة استعاد السامعون كثيرا من أبياتها وصفقوا لها كثيراً .

وتلاه عبدالله بك لملوم بالنيابة عن مشايخ العربان فقال ان العربان يأبون الضيم ولا يقيمون على الذل فهم أساس قوى مكين في حركة الاستقلال .

ثم تلاه أحمد أفندى محفوظ فأنشد قصيدة حماسية كان لها أجمل وقع في النفوس .

ووقف بعد ذلك الأستاذ إبراهيم بك الهلباوى فأتى على ذكر الحوادث من النهضة المصرية الأخيرة وذكر خدمات رشدى باشا وعدلى باشا للقضية المصرية وعدد غلطات الإنجليز قائلا أن ثباتنا واتحادنا وتضامننا وتضافرنا هى التى سددت خطانا وردت كيد أعدائنا عنا وفرجت كربتنا فى مواضع كثيرة . ثم قال أنه يحسن بنا الآن وقد قرب البت فى مصير مصر أن تزيل الأمة من بينها كل خلاف وتتخذ قلبًا وقالبًا على ما فيه خيرها ونفعها . ثم قال أننا نمد أيديبا [(١)] لمصافحة الذين يحتفلون بهذا العيد فى مكان آخرين[(٢)] (سعد باشا وأنصاره) ونقول لهم تعالوا وانضموا إلينا ليكون كلنا قلبًا واحدًا ولسانًا واحدًا فى الدفاع عن حقوقنا وإذا أبوا أن ينضموا إلينا فنحن ننضم إليهم .

وتكلم الأستاذ عبدالوهاب البرعى فطلب من الحاضرين أن يذكروا فى هذا اليوم مصطفى كامل باشا ومحمد بك فريد .

[١٦٥٤] ثم وقف الأستاذ عبدالعزيز فهمى بك[(٣)] فألقى الخطاب الجامع الآتى :

أيها السادة :

ان الحياة سلسلة من الواجبات صيغت حلقاتها من المسئولية والتكاليف . حكم عام يستوى فيه العاقل والأبله والعالم والجاهل على اختلاف فى نوع المسئولية وكنه

(١) الصحيح أيدينا .

(٢) الصحيح آخر .

(٣) كان عبد العزيز فهمى أحد الثلاثة الذين التقوا بالمندوب السامى يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ .

التكاليف وكلما سمت مدارك الفرد لفرط عقل أو فضل علم كان فى معنى الحياة أدخل ، وكانت مسئوليته فيها أعظم والعقلاء وأولو الرأى فى كل شعب عليهم واجب جليل قلما يرقى البسطاء أو ذوو الأهواء إلى تفهم كنهه وتقدير قدره والالتزام به وأدائه حق الأداء . ذلك هو النهوض بمجموع أمتهم واحياؤها حياة صالحة بين الأمم وإحلالها بينها مقامًا محترمًا محمودًا .

مقوم حياة الفرد يختلف عن مقوم حياة الأمة . حياة الفرد لا تقوم إلا بالغذاء ولكن حياة الأمة لا تقوم إلا بالاستقلال فالأمة تطعم الاستقلال كما يطعم الفرد الخبز . لو أن ما ركب فى الإنسان من الطبائع والغرائز كان قاصرًا على شهوة البطن لكنا نحن المصريين أسعد خلق الله بلد طيب عميم الخصب وافر الثمرات غدق الماء صافى السماء هو جنة الدنيا لا سغب[1] ولا لُغوب[2] لكن من الغرائز البشرية قسمًا كبيرًا هو العواطف تتلذذ بما يسر وتتحرج بما يؤذى ولذتها أشد وجرحها ألم . ورقى العواطف كرامة النفس يهون فى سبيل تحقيقها كل عزيز ويحتال المرء على المحافظة عليها بكل الطرق التى يتخيلها موصلة حتى بالمتناقضات . فحينا يلجأ للتواضع وحينًا للكبرياء وطورًا للسلم وتارة للجهل وآونة للبذل والإسراف وأخرى للجمع والتوفير . بل قد يلجأ إلى أكبر الآثام كالقتل حتى يصون هذه العاطفة الطبيعية من الألم . [١٦٥٥]

يجلس الرجل منا إلى أى أجنبى من أية أمة مستقلة فكثيرًا ما يجد نفسه أصح منه جسمًا وأوفر عقلاً وأكثر مالاً وما إلى ذلك من دواعى ميزة الفرد على الفرد ولكنه طول مجلسه يحس بنار ترعى فؤاده قوية اللهب شديدة الضرام . تلك النار موكل بإيقادها ذكرى مزعجة هى ذكرى فقدان الكرامة القومية . أأكون عبدًا مسترقاً وهذا الذى أمامى سيد نفسه؟ .

إن كان من الأمم كما يقال همج يفسدها الاستقلال وليست بقادرة على النهوض بنفسها وحفظ مركزها محترمًا بين الأمم أفما آن الأوان علىّ أنا المصرى للخروج من عداد هذه الأمم؟ رب إن جليسى هذا لا يفضلنى بشىء فلماذا قدر له أن يكون ممتعًا

---

(١) سغب : الجوع .

(٢) لغوب : التعب والإعياء .

دونى بالكرامة التى لا ذنب لى فى خلق عاطفتها بل أنت الذي ركبتها بقدرتك فى فطرتى تركيبًا؟ إنى لأكاد اقسم غير حانث أنه ما من جلسة يجلسها مصرى لأجنبى من بلد مستقل بل ما من نظرة يلقيها مصرى على مثل هذا الأجنبى ألاوهى مقترنة بهذه الذكرى مصحوبة بهذه البلبلة .

لاجرم إذن إن ثابر المصريون من زمن طويل على انتهاز كل فرصة للمطالبة باستقلالهم الذى يحفظ لهم كرامتهم القومية والذى هو غذاؤهم الوحيد كأمة تعيش تحت شمس الله . ولا جرم إن احتفلتم بذكرى هذا اليوم الذى كان يوم الفاتحة العملية العلنية للنهضة الاستقلالية الحاضرة .

أيها السادة

[١٦٥٦] اسمحوا لى أن أصارحكم القول موجزًا عن العلل التى ولدت هذه الحركة وقومتها :

كانت قدر المصريين تغلى طول مدة الاحتلال وكان الإنكليز المتمرسون بفن الاستعمار يخرجون من عبيتهم بحسب الزمان وظروف الأحوال ما يرونه مناسبًا للأغطية يكتمون بها جيشان القدر وفيضانها وهم في كل يوم يزدادون فى شئوننا تغلغلاً حتى أتت الحرب العالمية فضربوا علينا حمايتهم قهرًا . فاشتد الغليان ولكن كان يحبس طغاوته[1] أمران : القوة الجبرية المسلحة وشيوع فكرة أن الحماية ليست إلا ضرورة وقتية من ضرورات الحرب .

اشتد الغليان لأن الحماية طعنة أخرى نجلاء فى كرامتنا وهنا أيها السادة اسمحوا لى أن اقول أن عاطفة الكرامة القومية إذا كانت حساسة عند عامة الناس فهى عند الرؤوس المتوجه أشد إحساسًا إن هذه الرؤوس تعودت عزة الملك وقد تواضع الناس فى كل زمان ومكان على اختصاصها من التجلة والتكريم بما لا يتفق فى العادة لمطلق الأفراد . فلئن كان الاستقلال الذى هو غذاء هذه العاطفة مطلوبا للأفراد فإن الملوك له أشد طلبًا وقلوبهم عليه أكثر تلهفًا ، من أجل هذا لا أكون بعيدًا عن الحق إذا قلت ان المغفور له السلطان حسين قد انتقل لجوار ربه[2] وفى صدره مرارة من الحماية بل لا أبالغ إذا قلت إن هذه المرارة كان لها أثر فى اعتلال صحته .س

(١) طغاوة : جاء السيل بماء كثير .
(٢) فى ٩ أكتوبر ١٩١٧ .

خلفه عظمة مولانا السلطان فؤاد على عرش مصر ولا شك عندى أن نفسه من هذه الحماية ليست أقل تعبًا من نفس المرحوم أخيه .

[١٦٥٧] اسمحوا لى أن أكون صريحا فإنى لا أحجم عن قول الحق . قلت وقلتم وقال غيركم إن عظمة السلطان مدين للإنجليز بمساعدتهم له على تبوؤ العرش وأن هذه المديونية مجاملة تقتضى صدق المودة وحسن الولاء . هذا صحيح وصحيح جدًا . ولقد كان أصح منه ما أسمح لنفسى بأن أقصه عليكم مما اعتبر [١] أنه من حركات قلبه وأحاديث نفسه لنفسه عقب توليه الملك : «أصبحت سلطان هذه الأمة تنحنى أمام عرشى رؤوس جميع أفرادها بفضل المحتذى وبقوة العادة وبحكم القانون . ولكنى أنا وكل فرد من أفراد رعيتى ننحنى أمام عظمة الغير ولا أكاد أنا وأمتى نبت أمرًا من الأمور إلا باشتراك ذلك الغير . رايتى هنا تظلنى أنا ورعيتى ولكن تهفو فوقها راية أخرى تحجب عنا الضياء . وأنا ورعيتى في الخارج نلتمس الظل تحت جناح الآخرين . لنا شخصية ولكن غير فعالة . فنحن مستبعدون من لوح الأمم البارزة الوجود معدومو الأثر فى نواديها . يا لخدش الكرامة وانجراح الاحساس حقًا ان للانجليز على يدًا انهم عملوا بما يقضى به العرف فمكنوا لى فى العرش . ولكنى ابن إسماعيل وحفيد محمد على فعرش مصر تراث أهلى والنيل ماء أبى وجدى . لست دعيًا في بيت الملك ولا دخيلاً بل أنا فيه أصيل ابن أصيل . هل مصافاتى للإنجليز وهى مما يقضى به الذوق وحسن المجاملة تتنافر مع الاستقلال الذى به وحده تتوفر كرامتى وكرامة أمتى وبه وحده أستطيع أن أؤدى واجبي الأول وهو النهوض بأمتى إلى ما هو مقدور لها من الرقي والنجاح؟ كلا . كلا انه لا تنافر . ان مصر المستقلة لا مانع يمنعها من مصافاة الإنجليز بل لا شك أن هذه المصافاة مع الاستقلال خير للطرفين وأحمد أثرًا . لابد لى اذًا مع محافظتى على صداقة الإنجليز من أن أفكر تفكيرًا [١٦٥٨] جديًا فيما يحقق لبلادى استقلالها الذى هو سلم الرقى ووسيلة توفر الكرامة» [٢] .

تلك أيها السادة ما أجزم أنها أحاديث نفسه من يوم توليه العرش . أجزم بذلك لأنه امر طبيعى فى كل الملوك أجزم به لأنى أنا شخصيا تفرست ما يؤكد لى صدق هذه الأحاديث النفسية . كان ذلك فى سنة ١٩١٨ قبل قيام الوفد أيام كانت تجيش الصدور ولا تنطلق الألسنة إلا همسًا .

---

(١) تم حذف هذه الكلمة وكتب فوقها [اجزم] .

(٢) واضح هنا سعى عبدالعزيز فهمى لتملق السلطان فؤاد وكان يستخدم ما شاع حينئذ من عدم ولاء سعد للملك .

ولقد كان إذ ذاك فى خدمة عظمته رجلان من بنى مصر الأكفاء المخلصين : رشدى وعدلى . وكان رشدى بقبوله الوزارة عند ضرب الحماية فى سنة ١٩١٤ قد عرض نفسه لقالة[1] طالما تشدق ويتشدق بها كثير ممن لا يعرفون موارد الأمور ولا مصادرها والله يعلم وبعض الخواص يعلمون كيف ولماذا عرض رشدى باشا نفسه لها ولكن أكثر الناس لا يعلمون . رشحت هذه القالة على زميله فتحملاها معًا صابرين مصابرين موطنى العزم على أن يقوما فى الوقت المناسب لوطنهما بما يطلبه من أمثالهما من الخدمة الصحيحة .

وفى أواخر سنة ١٩١٨ فكر بعض المصريين في السفر لأوربا بأى وسيلة للمطالبة بحقوق مصر فى الاستقلال ولم يتعد تفكيرهم مجرد مبادلة الرأى فى محالهم الخصوصية اذ الأحكام العرفية كانت قائمة على أشدها وطريق السفر موصدة المسالك . استنجدنا برشدى باشا وعدلى باشا وهما يعرفان ميول عظمة السلطان فشجعانا ـ تشجيعا لا شك عندى أن عظمة السلطان كان راضيًا عنه ـ على تأليف وفد لهذا الغرض . بل صمماهما أيضًا بعد استئذانه على السفر معنا . بل كان عظمته يريد السفر بنفسه لولا فكرة حكيمة عنّت فأمسك معتمدًا على رَجُليه الأمينين .

[١٦٥٩] بفضل هذا التشجيع وبفضله وحده استطعنا أن نؤلف الوفد . وأن نجهر به وأن نطلب فى نفس يوم الهدنة وهو يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ مقابلة جناب السير ريجنلد ونجت الذى حدد لمقابلتنا يوم ١٣ نوفمبر[2] . وهنا أذكر أن خير ما قيل لجنابه فى هذه المقابلة عبارة لسعادة شعراوى باشا أشار اليها أحد حضرات الخطباء الذين قبلى وهى قوله مجيبًا على سؤال صدر من جنابه «نحن نريد صداقة مصر لانجلترا صداقة الحر للحر لا صداقة العبد للحر» هذه العبارة التى هى من موجز الكلم وجوامع القول فى مسألتنا قد قرعت بمتانتها وأدبها سمعه قرعة شديدة لدرجة أنه بعد بعض الحديث عاد يعقب عليها باستنكاره عدم رضانا بحماية الإنجليز بعد طول الرضا بالتبعية للأتراك . فأجابه الباشا بعبارة أوقع أثرًا وامتن برهانًا حاصلها فيما قد أذكر :

---

(١) كثرة كلام الناس .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول لقاء ١٣ نوفمبر ١٩١٨ بين المندوب السامى البريطانى السير ريجلند وينجت والزعماء المصريين الثلاثة ، انظر الجزء الأول من المذكرات ص ٤٥ - ٥١ .

«قد أكون عبدًا مكدودًا لرجل من قبيلة الجعليين[1] وقد أكون عبدًا رخيّ العيش عند السير ونجت ولكنى عبد فى الحالتين والعبودية لا أرضاها لنفسى بأى حال» .

ولقد خرجنا من عند السير ريجلند ونجت قاصدين وزارة الداخلية مباشرة فقابلنا رشدى باشا فوجدناه تنفيذًا للاتفاق قد حضّر خطاب الاستئذان من عظمة السلطان فى السفر هو وزميله عدلى وفى استنابة بعض إخوانهما عنهما فى أثناء غيابهما .

ذكرت هذا أيها السادة حتى تعلموا لمن الفضل الأول فى قيام الوفد .

[١٦٦٠] تطورت الحوادث تطورًا غريبًا لم يكن فى حسبان أحد ومهما يكن من تطوراتها فإن اولئك الأبطال الذين هم الدعامات الأولى لنهضتنا لم يقعدوا عن خدمة الوطن الخدمة المشكورة كلما سنحت فرصة مناسبة . ارجعوا لتقرير اللورد ملنر تجدوا أن مولانا السلطان كان من المجمعين على المطالبة بإعطاء مصر التمثيل السياسى فى الخارج وهذا التمثيل كما تعلمون من أهم مظاهر الاستقلال . كذلك هو أجاب طلب وزيره الأول عدلى حين اشترط أنه لا يقبل الوزارة إلا على برنامج خاص هو السعى فى تحقيق استقلال البلاد وفق إرادة الأمة كما أنه عند تعيينه المفاوضين الرسميين قد وافق على بيان مهمتهم المرضى عنه من الجميع .

أما الرجلان رشدى وعدلى فآية فضلهما على البلاد تكررت ومن لغو القول أن أضيع وقتكم فى بيان ما أنتم به عالمون .

ها قد دللتكم بالإيجاز على أصحاب الفضل الأول فى هذه النهضة وما كنا نحن ولا أنتم ممن يغمطون الناس حقهم فإن كان حمدًا وشكرًا فهم أولى به منا .

أقول ذلك أيها السادة تذكارًا لأول يوم بدأت فيه نهضتنا بدءًا عمليًا جهريًا . وإلا فإن لنا ولكم أن نسر ونغتبط ونشكر لكافة أفراد هذه الأمة الكريمة لما قاموا به جميعا من العمل الجليل . كل قد أدى واجبه فكل له قسط من الفضل بمقدار ما بذل من دم أو صحة أو مال .

---

(١) قبيلة سودانية من الشمال ـ وقد اختير هذا المثال بحكم أن السير وينجت ظل بين ١٨٩٩ و١٩١٦ حاكما عامًا على السودان .

والآن يخيل إلى أن الكثير منكم يمسكون قلوبهم بأيديهم اذ هى موزعة بين السرور بذكرى البداية وبين القلق على المآل فى النهاية . أنه لا يعلم الغيب إلا الله . ولكن مهما تكن النتيجة فلا شك عندى أن نهضتنا الحاضرة لها أثرها إن لم تنتجه فى العاجل القريب فلابد أن تحمله لنا ولو بعد حين . فهى نهضة مباركة لنا أن نغتبط بها وتنشرح [١٦٦١] أفئدتنا لأن أقل ما شخصته مجسمًا أمام أعيننا وعلى مرآى العالمين . ان لنا شعورًا حيًا متنبهًا وان حقوقنا لم تعدم المطالب . وكل حق وراءه مطالب لا يضيع .

ولى هنا خطاب اوجهه بكامل الأدب والاحترام لصاحب السلطة الشرعية بالبلاد :

يا صاحب العرش

لك علينا حق ولنا حق . أما حقك علينا فالاخلاص لك والطاعة فيما يرضى الله والوطن . وهذا الحق أديناه ونؤديه لك ما حييت . وأما حقنا فأن تطيل الذكرى وحديث النفس فى حاضر أمتك ومستقبلها وألا تمل من المقارنة بينها وبين غيرها من الأمم ليكون أقوم لك وأشحذ لعزيمتك على مناصرتها والأخذ بيدها إلى ما هى ناهضة إليه . وإنا لمعتقدون كمام[1] الاعتقاد انك مضطلع بهذا عامل فيه . ولكن قلوبنا الملتفة حولك جياشة طلابة للاطمئنان فاسمح لهذا الصوت الضعيف أن يسمعك رنتها والله يعينك ويوفقك لما يرضيه .

ولى خطاب آخر أوجهه لبنى وطنى

أيها الإخوان الأعزاء : إنكم مقبول[2] على مجهول . تعلمون ما فى يومكم وعند الله غدكم . قد يتم الاتفاق المنشود بين الإنجليز وبين وفدكم الرسمى وفى هذه الصورة فإن طريقكم مرسومة تقرون هذا الاتفاق فى جمعيتكم الوطنية . أو لا تقرونه بحسب ما يبدو لكم بعد دراسته .

[١٦٦٢] وقد لا يتم هذا الاتفاق وتنقطع المفاوضات لتشدد الإنجليز وامتناعهم عن التسليم لنا بحقوقنا . وفى هذه الحالة لا تهنوا ولا تضعفوا ليشد كل لإ منكم أزر أخيه ولتتماسكوا وتكونوا جميعا كرجل واحد فى وجه خصمكم مثابرين جميعًا على أداء واجبكم نحو

---

(١) الصحيح تمام .

(٢) الصحيح مقبلون .

وطنكم العزيز . ان لكم حقًا واضحًا ومهما كانت قوة خصمكم من أساطيل ومدافع ورجال فكل ذلك لا يغنى أمام قوة الحق شيئًا وسبيلكم إلى بلوغ هذا الحق سهلة مرسومة مهما تهيبتموها ولكن نصيحتى لكم أن تكونوا دائمًا فى حدود القانون فإن في مباحاته لمتسعًا فسيحًا لعمل العاملين والله ينصركم وهو نعم المولى ونعم المصير .

كلمة المنزلاوى بك

اقتراح وقرار

ثم وقف على بك المنزلاوى فقال :

سادتى وأبناء وطنى الأعزاء .

بعد أن سمعتم كل هؤلاء الخطباء لا أرى محلاً لزيادتكم شيئًا عن أقوالهم البتة فقد وفوا المقام حقه . انما اتقدم اليكم باقتراح كلفنى الكثير من مفكرى الأمة وعقلائها بطرحه بين أيديكم وانتم صفوة الأمة وأعضاء هيئتها النيابية .

هذا الاقتراح أن أناشدكم باسم الوطن حضرات أعضاء الوفد كأصحاب السعادة على شعراوى باشا ومحمد محمود باشا وزملائهما أن يعملوا للقضية المقدسة بالنفس والنفيس باعتبار أنهم قد اطلعوا على خبايا السياسة الانكليزية وخالطوا رجالها وعرفوا نياتهم فهم إذًا أحق واكفأ من يتقدم للرأى العام المصرى بالإرشاد والنصح .

فوافق المجتمعون على ذلك ثم التفت إلى أعضاء الوفد المذكورين وناداهم بقرار الاجماع فاحنوا الرؤوس احترامًا .

ثم تلا المنزلاوى بك التلغراف الآتى فأقره الحاضرون بالاجماع وهذا نصه :

[١٦٦٣] «حضرة صاحب الدولة عدلى يكن باشا كارلتون اوتيل

لوندرة [١]

«إحياء لذكرى ١٣ نوفمبر اجتمع فى فندق الكنتننتال اكثر من الفين من العلماء وأعضاء الجمعية التشريعية ومجالس المديريات والهيئات النيابية الأخرى والأعيان والضباط العظام والمحامين والأطباء والمهندسين والتجار ورجال الأعمال والصحفيين

(١) كان يستخدم التسمية الفرنسية حتى هذا الوقت للعاصمة البريطانية لندن .

والطلبة فتبودلت التهانى وألقيت الخطب والقصائد العديدة وكلها تدور حول نقطة واحدة هى تحقيق آمال البلاد وقد قرر المجتمعون إحاطتكم أنتم وزملاؤكم علمًا بهذا الاحتفال وبأن عقلاء الأمة ومفكريها معجبون بكم معترفون بفضلكم يقدرون ما تجشمتم وما تتجشمون من المشاق فى خدمة وطنكم حق قدره داعين إلى الله أن يتم على البلاد نعمة الاستقلال على أيديكم كما قرروا إبلاغكم أن الأمة من صغيرها لكبيرها لا ترضى بما دون الاستقلال التام لمصر والسودان وانها من ورائكم تؤازركم فى هذه السبيل بكل قواها معتمدة عليكم واثقة كل الوثوق من أنكم لن تفرطوا فى شىء من برنامجكم الذى عاهدتموها عليه حافظة لكم بين جوانحها أعز مقام سواء وصلتم إلى تحقيق آمالها أو حفظتم عليها حقها كاملاً بقطع المفاوضات عند عدم بلوغ الأرب(١) . واذا لم تنجح المفاوضات الحالية فلن تسمح الأمة بإجراء مفاوضات أخرى فى المستقبل الا اذا سحبت الجنود البريطانية من الأراضى المصرية ولم يبق فيها جندى واحد .

[١٦٦٤] «وقد شرفونى بأن أنوب عنهم فى تبليغكم ما تقرر» .

وبعد ذلك نهض جندى بك إبراهيم صاحب جريدة الوطن فارتجل كلمة قصيرة .

وبعدئذ هتف الكل بحياة عظمة السلطان وتأييد الوفد الرسمى .

ودخلوا بعد ذلك إلى القاعة التى أعدت للشاى فأكلوا الحلوى وشربوا الشاى ثم انصرفوا وعلى ذلك انتهت تلك الحفلة .

(١) الهدف .

الوثائق الرسمية للمفاوضات بين
الوفد المصرى والوزارة الإنجليزية
ترجمة مذكرة
بنصوص مشروع اتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر

[١٦٦٥] كانت نتيجة المفاوضات التى دارت بين الوفد الرسمى وبين الحكومة الإنجليزية أن قدم اللورد كرزون لعدلى باشا مشروع الاتفاق الآتى فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢١ وهو المشروع الذى استقر رأيه النهائى عليه وهو:

أولا ـ انتهاء الحماية

١ - فى مقابل إبرام المعاهدة الحالية والتصديق عليها تقبل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى رفع الحماية المعلنة على مصر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ والاعتراف بمصر من ذلك الحين دولة متمتعة بحقوق السيادة Sovereign State تحت إمرة ملوكية دستورية فبمقتضى هذا قد أبرمت وتستمر باقية بين جلالة ملك بريطانيا العظمى وشعبه من جهة وبين حكومة مصر والشعب المصرى من الجهة الأخرى معاهدة دائمة ورابطة سلام ووداد وتحالف .

ثانيا ــ العلاقات الأجنبية

٢ - تتولى الشئون الخارجية لمصر وزارة الخارجية المصرية تحت إدارة وزير معين لذلك[١] .

٣ - يمثل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى في مصر قوميسير عال[٢] يكون له فى جميع الأوقات وبسبب مسئولياته الخاصة مركز استثنائى ويكون له حق التقدم على ممثلى الدول الأخرى .

---

(١) كان قد تم إلغاء نظارة الخارجية المصرية مع إعلان الحماية البريطانية على البلاد عام ١٩١٤ .
(٢) مندوب سامى .

٤ - يمثل الحكومة المصرية فى لوندرة وفى أية عاصمة أخرى ترى الحكومة المصرية أن المصالح المصرية يمكن أن تستدعى هذا التمثيل فيها معتمدون سياسيون يكون لهم لقب ومرتبة وزير[١] .

٥ - بالنظر للتعهدات التى أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها فى مصر وعلى [١٦٦٦] الخصوص فيما يتعلق بالدول الأجنبية يجب أن توجد أوثق الصلات بين وزارة الخارجية المصرية والقوميسير العالى البريطانى الذى يقدم كل المساعدة الممكنة للحكومة المصرية فيما يتعلق بالمعاملات والمفاوضات السياسية .

٦ - لا تدخل الحكومة المصرية في أى اتفاق سياسى مع دولة أجنبية بدون أن تستطلع رأى حكومة جلالة ملك بريطانيا بواسطة القوميسير العالى البريطانى .

٧ - تتمتع الحكومة المصرية بحق تعيين ممثلين قنصليين فى الخارج حسب مقتضيات مصالحها .

٨ - لأجل تولى الشئون السياسية بوجه عام والقيام بالحماية القنصلية للمصالح المصرية فى الأماكن التى لا يوجد فيها ممثلون سياسيون أو قناصل مصريون يضع ممثلو جلالة ملك بريطانيا أنفسهم تحت تصرف الحكومة المصرية ويقدمون لها كل مساعدة فى قدرتهم .

٩ - تستمر حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى على تولى المفاوضة لإلغاء الامتيازات الحالية مع الدول ذوات الامتيازات وتقبل مسئولية حماية المصالح المشروعة للأجانب فى مصر وتتداول حكومة جلالة الملك مع الحكومة المصرية قبل البت فى هذه المفاوضات رسميًا .

ثالثا - النصوص العسكرية

١٠ ـ تتعهد بريطانيا العظمى بمساعدة مصر فى الدفاع عن مصالحها الحيوية وعن سلامة أراضيها .

(١) وزير مفوض .

لأجل القيام بهذه التعهدات ولحماية المواصلات الامبراطورية البريطانية الحماية اللازمة تكون للقوات البريطانية حرية المرور فى مصر ولها أن تستقر فى أى مكان فى مصر ولأية مدة يحددان[1] من وقت لآخر . ويكون لها أيضًا فى كل وقت ما لها الآن من [١٦٦٧] التسهيلات لإحراز واستعمال الثكنات وميادين التمرين والمطارات والترسانات الحربية والمين الحربية[2] .

رابعًا - استخدام الموظفين الأجانب

١١ - بالنظر للمسئوليات الخاصة التى تتحملها بريطانيا العظمى وبالنظر للحالة القائمة فى الجيش المصرى والمصالح العمومية تتعهد الحكومة المصرية بألا تعين ضباطا أو موظفين أجانب فى أية مصلحة منها قبل موافقة القوميسير العالى البريطانى .

خامسا - الإدارة المالية

١٢ - تعين الحكومة المصرية بعد استشارة in tonsultation with حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قوميسيرًا ماليا توكل اليه فى الوقت المناسب الحقوق التي يقوم بها الآن أعضاء صندوق الدين ويكون هذا القوميسير المالى مسئولا بوجه أخص عن دفع المطلوبات الآتية فى مواعيدها :

(١) المبالغ المخصصة لميزانية المحاكم المختلطة ،

(٢) جميع المعاشات والسنويات الأخرى المستحقة للموظفين الأجانب المحالين على المعاش وورثتهم ،

(٣) ميزانيتى القوميسيرين[3] المالى والقضائى والموظفين التابعين لهما .

١٣ - لأجل أن يؤدى القوميسير المالى واجباته كما ينبغى يجب أن يحاط إحاطة تامة بجميع الأمور الداخلية فى دائرة وزارة المالية ويكون له فى كل وقت التمتع بحق الدخول على رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية .

---

(١) والصحيح يحددانها .

(٢) تم حذف هذه الكلمة وكتب بدلا منها [والموانى الحربية] .

(٣) المستشارين .

١٤ - ليس للحكومة المصرية حق عقد قرض خارجى أو تخصيص إيرادات مصلحة عمومية بدون موافقة القوميسير المالى .

سادسًا - الإدارة القضائية

[١٦٦٨] ١٥ - تعين الحكومة المصرية بالاتفاق مع حكومة جلالة ملك بريطانيا قوميسيرًا[١] قضائيا يكلف بسبب التعهدات التى تحملتها بريطانيا العظمى القيام بمراقبة تنفيذ القانون فى جميع المسائل التى تمس الأجانب .

١٦ - لأجل أن يؤدى القوميسير القضائى واجبه كما ينبغى أن يحاط إحاطة تامة بجميع الأمور التى تمس الأجانب وتكون من اختصاص وزارتى الحقانية والداخلية ويكون له فى كل وقت التمتع بحق الدخول على وزيرى الحقانية والداخلية .

سابعا - السودان

١٧ - حيث أن رقى السودان السلمى هو من الضروريات لأمن مصر ولدوام مورد المياه لها تتعهد مصر بأن تستمر فى أن تقدم لحكومة السودان نفس المساعدات الحربية التى كانت تقوم بها فى الماضى أو أن تقدم بدلا من ذلك لحكومة السودان إعانة مالية تحدد قيمتها بالاتفاق بين الحكومتين .

تكون كل القوات المصرية فى السودان تحت أمر الحاكم العام .

وغير ذلك تتعهد بريطانيا العظمى بأن تضمن لمصر نصيبها العادل من مياه النيل ولهذا الغرض قد تقرر ألا تقام أعمال رى جديدة على النيل أو روافده جنوبى وادى حلفا بدون موافقة لجنة مؤلفة من ثلاثة أعضاء يمثل أحدهم مصر والثانى السودان والثالث أوغندا .

ثامنا - قروض الجزية

[١٦٦٩] ١٨ - المبالغ التى تعهد خديويو مصر فى أوقات مختلفة بدفعها للبيوت المالية التى أصدرت القروض التركية المضمونة بالجزية المصرية تستمر الحكومة المصرية على

(١) مستشارا .

تخصيصها كما كان فى الماضى لدفع الفوائد والاستهلاك لقرضى سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ إلى أن يتم استهلاك هذين القرضين .

تستمر الحكومة المصرية أيضًا فى دفع المبالغ التى كان جاريًا دفعها لسداد فوائد قرض سنة ١٨٥٥ المضمون .

عندما يتم استهلاك قروض سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ وسنة ١٨٥٥ تنتهى مسئولية الحكومة المصرية فيما يتعلق بأى تعهد ناشىء عن الجزية التى كانت تدفعها مصر لتركيا سابقًا(١) .

تاسعًا ـ اعتزال الموظفين والتعويض المستحق لهم

١٩ – للحكومة المصرية الحق فى أن تستغنى عن خدمة الموظفين البريطانيين فى أى وقت كان بعد نفاذ هذه المعاهدة بشرط أن يمنح هؤلاء الموظفون تعويضًا ماليًا كما سيأتى بيانه وذلك زيادة على المعاش أو المكافأة التى يستحقونها بمقتضى أحكام استخدامهم .

ويكون للموظفين البريطانيين الحق بنفس هذه الشروط فى الاستعفاء من الخدمة فى أى وقت بعد نفاذ هذه المعاهدة .

تسرى جميع هذه الأحكام على الموظفين الذين لهم الحق فى المعاش والذين ليس لهم الحق فى المعاش وأيضًا على موظفى البلديات ومجالس المديريات والهيئات المحلية الأخرى .

[١٦٧٠] ٢٠ – الموظفون المرفوتون أو المحالون على المعاش طبقا لنص المادة السابقة تعطى لهم زيادة على التعويض إعانة إياب لبلادهم تكون كافية لسد نفقات ترحيل الموظف نفسه وعائلته ومتاعه المنزلى إلى لوندره .

٢١ – تدفع التعويضات والمعاشات بالجنيهات المصرية بإعتبار سعر ثابت قدره ٩٧,٥ قرشا للجنيه الانجليزى .

---

(١) كانت الدولة العثمانية قد رهنت الجزية التي كانت تتقاضاها من مصر لصالح بعض دائنيها .

٢٢ - يوضع جدول عن التعويضات :

(١) للموظفين الدائمين .

(٢) للموظفين المؤقتين .

بمعرفة رئيس جمعية خبراء حسابات التأمين . Society of Actuaries

عاشرا ـ حماية الأقليات

٢٣ - تتعهد مصر بأن النصوص الوارد ذكرها فيما بعد تعتبر قوانين أساسية وألا يتضارب معها أو يؤثر عليها أى قانون أو لائحة أو عمل رسمى وألا ينقض مفعولها قانون أو لائحة أو عمل رسمى .

٢٤ - تتعهد مصر بأن تضمن لجميع سكان مصر الحماية التامة الكاملة لأرواحهم وحريتهم من غير تمييز بسبب مولدهم أو تبعيتهم الدولية أو لغتهم أو جنسهم أو دينهم . يكون لجميع سكان مصر الحق فى أن يقوموا بحرية تامة علانية أو غير علانية بشعائر أية ملة أو دين أو عقيدة ما دامت هذه الشعائر لاتنافى النظام العام أو الآداب العمومية .

٢٥ - جميع الحائزين للرعوية المصرية يكونون متساوين أمام القانون ويكون لكل منهم التمتع بما يتمتع به الآخرون من الحقوق المدنية والسياسية من غير تبين بسبب [١٦٧١] الجنس أو اللغة أو الدين اختلاف الأديان والعقائد والمذاهب لا يؤثر على أى شخص حائز للرعوية المصرية فى المسائل الخاصة بالتمتع بالحقوق المدنية والسياسية مثل الدخول فى الخدمات العمومية والتوظف والحصول على ألقاب الشرف أو مزاولة المهن أو الصناعات .

لا يسوغ فرض أى قيد على أى شخص متمتع بالرعوية المصرية في حرية استعماله لأية لغة فى معاملاته الخصوصية أو التجارية أو فى الدين أو فى الصحف أو فى المطبوعات من أى نوع كانت أو فى الاجتماعات العمومية .

٢٦ - الأشخاص الحائزون للرعوية المصرية التابعون للأقليات القومية أو الدينية أو اللغوية يكون لهم الحق فى القانون وفى الواقع في نفس المعاملة والضمانات التى يتمتع بها غيرهم من الحائزين للرعوية المصرية وعلى الخصوص يكون لهم حق مساو لحق

الآخرين فى أن ينشئوا أو يديروا أو يراقبوا على نفقتهم معاهده خيرية أو دينية أو اجتماعية ومدارس أو غيرها من دور التربية ويكون لهم الحق فى أن يستعملوا فيها لغتهم الخاصة وأن يقوموا بشعائر دينهم بحرية فيها .

رد الوفد الرسمى على مشروع كرزون

فلما اطلع الوفد الرسمى المصرى برئاسة عدلى باشا على مشروع كرزون لم يجد فيه ما يحقق أمانى البلاد[1] . وعلى ذلك بعث اليه بالرد الآتى فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢١ وهو :

[١٦٧٢] ترجمة رد الوفد المصرى الرسمى على مشروع الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر

«اطلع الوفد الرسمى المصرى على المشروع الذى سلمه اللورد كرزون إلى رئيس الوفد بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢١ .

ولقد رأى أن هذا المشروع تضمن فيما يتعلق بأكثر المسائل التى تناولتها مناقشاتها والمذكرات التي تبادلناها منذ أربعة شهور نفس النصوص والصيغ التى عرضت علينا عند بدء المفاوضات ولم نقبلها حينذاك .

«فعن المسألة العسكرية وهى ذات أهمية كبرى استبقى المشروع الحل الذى قاومناه أشد مقاومة ، ولم يقتصر على ذلك بل توسع فى مرماه بما جعله أشد وطأة . على أن حماية المواصلات الامبراطورية ، وهى التى قيل فى مفاوضات العام الماضى أنها العلة الوحيدة لوجود قوة عسكرية فى القطر المصرى لاتبرر هذا الحل .

«ففى حين أنه كان يكفى تعيين نقطة في منطقة القنال تنحصر فيها طرق ووسائل المواصلات الامبراطورية وكذلك القوة التى تتولى حمايتها نص المشروع على تخويل بريطانيا العظمى الحق فى إبقاء قوات عسكرية فى كل زمان وفى أى مكان بالأراضى المصرية ووضع أيضًا تحت تصرفها كل ما لدى القطر من وسائل المواصلات وطرقها ، [١٦٧٣]

---

(١) أجمعت الآراء على أن المفاوضات كانت مرهقة للغاية ، وقد استطاع عدلى باشا أن يظهر خلالها الكثير من ضبط النفس وقوة الحجة ، غير أن كرزون كان قد بنى مقترحاته وملاحظاته كلها على شئ واحد ، هو أنه لا يثق بمصر ولا بالمصريين ـ محمد شفيق غربال ـ تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، جـ ١ ، بحث فى العلاقات المصرية البريطانية من الاحتلال إلى عقد معاهدة التحالف ١٨٨٢ ـ ١٩٣٦ ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٩٠ ؛ محمد حسين هيكل(د .) المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

وهذا إنما هو الاحتلال بذاته ، الاحتلال الذى يهدم كل معنى للاستقلال بل يذهب إلى حد القضاء على السيادة الداخلية ، على أن الاحتلال العسكرى فى الماضى ، ولو لم تكن له إلا صفة مؤقتة ، قد كفى لأن يثبّت لبريطانيا العظمى المراقبة المطلقة على الإدارة كلها وإن لم يكن هناك أى نص فى معاهده أو تقرير لأية سلطة .

«أما مسألة العلاقات الخارجية ، وهى المسألة الوحيدة التى عدلت فيها الصيغة الأولى التى كانت وضعتها وزارة الخارجية البريطانية وذلك بقبول مبدأ التمثيل ، فإن المشروع قد أحاط الحق الذي اعترف لنابه بقيود كثيرة أصبح معها بمثابة حق وهمى إذ لايتصور أن تتوفر لدى وزير الخارجية الحرية التى يقتضيها القيام بأعباء منصبه وتحمل مسئوليته إذا كان ملزمًا بنص صريح بأن يبقى على اتصال وثيق بالمندوب السامى . فإن ذلك معناه أن يكون خاضعًا فى الواقع لمراقبته مباشرة فى إدارة الأمور الخارجية وعدا ذلك فإن الالتزام بالحصول على موافقة بريطانيا العظمى على جميع الاتفاقات السياسية ، حتى ما لا يتناقض منها مع روح التحالف ، فيه إخلال خطير بمبدأ السيادة الخارجية . وأخيرًا فإن استيفاء لقب المندوب السامى ، وهو لقب لم تجر العادة بمنحه إلى الممثلين السياسيين لدى البلاد المستقلة ، لهو أوضح فى الدلالة علي طبيعة النظام السياسى المقترح بمصر .

[١٦٧٤] «ومن جهة أخرى فان تأجيل مسألة الامتيازات دعانا إلي الاعتقاد بأنه لم تبق حاجة إلى النص عليها فى المعاهدة وأن المفاوضة بشأنها فى المستقبل تكون موكولة إلى مصر صاحبة الشأن الأول مع معاونتها فى ذلك سياسيا من جانب حليفتها . ولكن المسألة منظور إليها اليوم كأنها تعنى على الأخص بريطانيا العظمى التى تتولى من الآن حماية المصالح الأجنبية وتريد أن تباشر وحدها عند الاقتضاء المفاوضات بشأن إلغاء الامتيازات .

«أما فيما يتعلق بالمندوبين (القوميسيرين) المالى والقضائى وبتداخلهما في إدارة الشئون الداخلية كلها باسم حماية المصالح الأجنبية تداخلا قد يصل فى بعض الأحوال فيما يختص بالمندوب (القوميسير) المالى إلى شل سلطة الحكومة والبرلمان فإننا لا نريد هنا أن نكرر ما سبق لنا ابداؤه من الاعتراضات فى مذكراتنا .

وعلى أنه يتحتم علينا القول بأن المناقشات التى تلت تأجيل مسألة الامتيازات بعثت فى نفوسنا الشعور بأن الاتفاق فيما يتعلق بحماية المصالح الأجنبية سيقوم على قواعد أكثر ملاءمة للسيادة المصرية .

«أما مسألة السودان التى لم يكن قد تناولها البحث فلابد لنا فيها من توجيه النظر إلى أن النصوص الخاصة بها لا يمكن التسليم بها من جانبنا . فإن هذه النصوص لا تكفل لمصر التمتع بما لها على تلك البلاد من حق السيادة الذى لانزاع فيه وحق السيطرة على مياه النيل .

* * *

«إن الملاحظات المتقدمة لا تجعل ثمة حاجة إلى مناقشة المشروع تفصيلا إذ فيها ما يكفى للدلالة على روحه ومرماه وغير هذا فقد التزم المشروع تكرار ذكر تعهدات [١٦٧٥] بريطانيا العظمى و«المسئوليات الخصوصية» الواقعة على المندوب السامى وكذلك الفرض الجديد ـ وهو قصد صيانة المصالح الحيوية لمصر ـ الذى اتخذ سببا لوجود القوة العسكرية وبهذا تتم للمشروع صيغة الوصاية الفعلية .

«إنا لما قبلنا المهمة التى عهد بها إلينا عظمة السلطان كنا نأمل الوصول إلى إبرام معاهدة تحالف مؤيدة لاستقلال مصر تأييدًا حقيقيًا وكفيلة فى الوقت نفسه بصيانة المصالح البريطانية وعندئذ فإن مصر حليفة بريطانيا العظمى كانت تعد من واجبات كرامتها الوفاء بإخلاص بما تقطعه على نفسها من العهود . ولكن التحالف بين أمتين لايمكن أن يتحقق إلا على شريطة ألا يقضى على أحداهما بالخضوع الدائم .

«وإن روح المسالمة التى سادت مناقشاتنا كانت تسمح لنا بالتفاؤل بنجاح المفاوضات . ولكن المشروع الذى أمامنا لم يحقق هذا الأمل فهو بحالته لا يجعل محلا للأمل فى الوصول إلى اتفاق يحقق أمانى مصر الوطنية .

لوندرة فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢١ .

قطع المفاوضات رسميا [١]

[١٦٧٦] وكان موعد المقابلة الحاسمة بين عدلى باشا واللورد كرزون فى الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢١ بوزارة الخارجية البريطانية وهى المقابلة التى يعرض فيها اللورد كرزون على عدلى باشا نتيجة رأى الوزارة الانجليزية ازاء رد عدلى باشا على مشروع كرزون . وفى الموعد المعين ذهب عدلى باشا واجتمع باللورد كرزون مدة عشرين دقيقة دار فيها الحديث الآتى :-

اللورد كيرزون :- «انى أبلغت الوزارة رد الوفد وقد أسفوا جميعًا لهذه النتيجة وكنت أشدهم أسفًا إذ كنت صادق الرغبة فى الوصول إلى اتفاق . ولقد ادركت مركز الوفد ووجهة نظره وما يحول بينه وبين قبول المشروع . ولكن الوزارة بعد البحث ترى أنه لا يسعها أن تتنازل عن القيود التى وضعت فى المشروع . وكنت اعتقد دائمًا أنه إذا تعذر وضع اتفاق نهائى جاز أن ننتهى إلى ترتيب حالة مؤقتة على قواعد المشروع حتى إذا أخرجت إلى حيز الواقع وطبقت بضع سنين واستطاعت مصر فى أثنائها ان تثبت كفايتها وقدرتها على إدارة شئونها وتنظيم جيشها واستتب الأمن واستقام النظام أمكن البحث فى وضع اتفاق نهائى ورفع القيود التى قد يعتبر الآن أنها لابد منها ولا غنى عنها ، وسيعين على هذا أن يكون الإنجليز والأجانب معًا مطمئنين الى الحالة الجديدة .وإنما يتحقق الاطمئنان اذا لم تعرض مناسبة لتدخل الجيش واذا قام المصريون قيامًا حسنًا بما يقتضيه ذلك النظام الجديد . وتذكر أنى لمحت إلى هذه الفكرة اذ وضعت فى مذكرتى الثانية عن المسألة العسكرية اشارة الى جواز اعادة النظر فى هذه المسألة بعد زمن معين» .

عدلى باشا :- «ليس فى وسعى أن أقبل هذه الفكرة ولو استطعت لما اقرتنى البلاد [١٦٧٧] على ذلك لأن التوقيت الذى تشيرون اليه لا ضابط له اذ يمكنكم أن تقولوا أن التجربة لم تصح فتستمر الحالة على ما كانت عليه ولا يخفى عليكم أن المصريين لن يصادقوا على الاحتلال أو إشراف دولة أجنبية على شئونهم ولو كان ذلك مؤقتًا وإلى أجل وقد يمكنكم أن تنفذوا ما لا يقرونه من النظامات ولكن لا تتوقعوا منهم قبولا بها . وعلى أى حال

---

(١) مالت العديد من الآراء إلى أن عدلى باشا قد أقبل على قطع المفاوضات عندما أيقن أنه لن يستطيع الحصول على تسوية مشرفة .

عبد الخالق لاشين :سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ، دار العودة بيروت ، مكتبة مدبولى ، ط١ ، ١٩٧٥ ، ص٣٤٠ ، محمد حسين هيكل(د .) : مذكرات فى السياسة المصرية جـ١ ، دار المعارف ١٩٥١ ، ص١٠٥ .

فلست أرى ما يمنعكم من تنفيذ الأحكام التى يتضمن مشروعكم الاعتراف بها للمصريين وذلك الى أن يتم الاتفاق على ما اختلفنا فيه من المسائل .»

اللورد كرزون : «ولكن كيف يمكننا أن ننفذ مشروعًا كهذا يتضمن تمثيلا خارجيًا ونظامًا نيابيًا كاملاً من غير معاونة رجال ذوى نفوذ مثلك .»؟

عدلى باشا : ـ «ان لى بروجرامًا [1]معروفًا ولم أقبل الوزارة إلا للسعى فى تحقيقه فلا يسعنى أن أعود الى مصر وأعلن للملأ أنى لم أنجح ولكنى باقٍ لتنفيذ جزء من المشروع الذى لم أقبل به» .

وعلى ذلك قطعت المفاوضة . وكان أعضاء الوفد الرسمى منتظرين عوة[2] عدلى باشا فى فندق كارلتون . فلما انتهت المقابلة أقبل عدلى باشا على اخوانه هادئًا مطمئنًا فلم يتبين لهم شىء من هيئته . ثم القى عدلى باشا بكل سكون وهدوء وأنفة هذه الكلمة «قطعنا المفاوضة» ثم قال «وسنسافر غدًا» .

وهكذا انتهى دور المفاوضات الرسمية بين الوفد الرسمى المصرى والحكومة البريطانية .

وعقب ذلك أذاعت وزارة الخارجية الانجليزية بلاغًا رسميًا بقطع المفاوضات وكذلك فعل الوفد الرسمى المصرى وهذا هو نص البلاغين : ـ

بلاغ رسمى من وزارة الخارجية

[١٦٧٨] «قابل اللورد كرزون عدلى باشا آخر مقابلة اليوم صباحًا وسيعود عدلى باشا وزملاؤه فى الوفد المصرى إلى القاهرة ليرفعوا إلى السلطان تقريرًا عن مشروع الاتفاق الذى وضعته حكومة جلالة الملك وعن رد الوفد عليه . وقد أرسل المشروع والرد بالبريد إلى مصر لتقديمهما إلى السلطان مع مذكرة تفسيرية من اللورد اللنبى» .

«ومتى رفع التقرير إلى السلطان تنشر الوثائق الثلاث فى البلدين فى وقت واحد ويجب فى غضون ذلك عدم تصديق ما ينشر قبل الأوان عن بعض النصوص فى هذه الوثائق» .

١٩ نوفمبر سنة ١٩٢١

(١) برنامجًا

(٢) الصحيح عودة .

بلاغ من الوفد الرسمى المصرى

[١٦٧٩] «سلم اللورد كرزون إلى الوفد الرسمى المصرى مشروع معاهدة وضعتها الوزارة البريطانية وقد أجاب الوفد عليها بمذكرة صرح فيها بأن هذا المشروع لا يسمح بالوصول إلى اتفاق .

«وعلى ذلك قرر الوفد العودة الى مصر وسيغادر لوندرة غدًا صباحًا .

«وقد قابل دولة الرئيس اليوم اللورد كرزون لآخر مرة مودعًا .

لندن فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢١

مغادرة الوفد الرسمى المصرى لندن

[١٦٨٠] وفى الساعة الحادية عشرة من صباح ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢١ سافر عدلى باشا يكن وسائر أعضاء الوفد الرسمى من محطة فيكتوريا قاصدين باريس وكان فى توديعهم على المحطة كثيرون من الأصدقاء ومندوب من قبل اللورد كرزون وبعض اعضاء لجنة اللورد ملنر .

هذا وقد أبى عدلى باشا أن يصرح بكلمة واحدة عن الحالة وحذا حذوه فى هذا الأمر جميع أعضاء الوفد .

وبعد مبارحة الوفد لندن أذاع البلاغ الرسمى الآتى : ـ

«غادر الوفد الرسمى المصرى مدينة لوندرا هذا الصباح وقد سبق أن أرسل الى مصر بطريق البريد نص مشروع المعاهدة الذى وضعته الحكومة البريطانيةورد الوفد عليه وستنشر هاتان الوثيقتان بعد .

«هذا وقد أعلنت وزارة الخارجية البريطانية من جهتها أنها بعثت بهاتين الوثيقتين بواسطة جناب المارشال اللنبى ومعهما مذكرة ايضاحية لم يطلع الوفد عليها .»

«باريس فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢١ .

موقف الأمة بعد قطع المفاوضات

[١٦٨١] جاءت الأنباء التلغرافية[١] إلى مصر بقطع المفاوضات الرسمية بين الوفد الرسمى المصرى والحكومة الإنكليزية مجردة من التفصيلات إذ لم تكن المذكرتان اللتان نشرناهما قبلا قد نشرتا بعد . فلم تبتئس الأمة ولم تحزن بل أكبرت عمل عدلى باشا وحزمه لأنها عليمة بنوايا الإنجليز ومطامعهم

ولقد أخذت الهيئات والطوائف والأفراد تنشر فى الصحف عظيم تقديرها لعدلى باشا وكبير ثقتها به ولكن سعد استمر فى خصومته بعدلى وقابلته الأمة عند عودته بمظاهرات الإهانة والتحقير[٢] .

وكان أسبق الناس فى إعلان التأييد والثقة بعدلى باشا أعضاء الوفد المنشقون [٣] فقد نشروا فى الصحف الصادرة بتاريخ ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢١ البلاغ الآتى : -

بلاغ أعضاء الوفد المنشقين

[١٦٨٢] «قضى الأمر وقطعت المفاوضات الرسمية . وبذلك انتهى دور المفاوضات بين مصر وبين بريطانيا العظمى وانسدل الستار على فصل من فصول المأساة الكبرى التى تلعبها الأطماع البريطانية على وادى النيل .

«قطعت المفاوضات الرسمية فذهب قطعها بالفائدة المباشرة المنتظرة من الجهود العظيمة التى قامت بها الأمة فى حركتها الأخيرة للاستقلال . واهدرت الضحايا الثمينة التى ضحت بها فى هذا السبيل . وتلك كارثة وطنية إذا حق للأمة أن تأسف لها كل الأسف فقد وجب عليها أن تقبل بجد على الدخول بتعقل وبتفان فى ميدان مجهودات جديدة وتضحيات جديدة تتفق مع الحالة الجديدة التى خلفتها الظروف الحديثة لمتابعة سعيها لاستقلالها وخلاصها من عار الحكم الأجنبى . لقد قطع المفاوضات الرسمية

---

(١) فقد ذكرت لندن أن الدوائر الرسمية تلازم الكتمان الشديد عن قطع المفاوضات الإنجليزية المصرية ، انظر التلغرافات الواردة إلى الأخبار ، عدد ٥٣٢ ، فى ٢٢ نوفمبر ١٩٢١ ، كذلك ، المقطم ، عدد ٩٩٤٢ ، فى ٢٢ نوفمبر ١٩٢١

(٢) كتب صاحب المذكرات هذا التعليق فى الهامش .

(٣) يستمر صاحب المذكرات فى استخدام عبارة أعضاء الوفد المنشقين ، فى حين تستخدم الصحف اليومية عبارة اعضاء الوفد المصرى ، انظر الأخبار ، عدد ٥٣١ ، فى ٢١ نوفمبر ١٩٢١ .

عدلى باشا يكن ضنًا بكرامة أمته أن تقبل ما دون الاستقلال ووفاء بعهده ألا يقدم لها شيئا غير الاستقلال فجزاه الله عن أمته خير الجزاء على ما أظهر من أصالة الرأى وشدة العارضة وحسن الوفاء . فليهنأ بهذه الدرجة الرفيعة التى يتبوأها الآن من ثقة الشعب .

«قطعت المفاوضات وكان لابد لعدلى باشا من قطعها لأن الحكومة البريطانية طلبت منه ضمانات تمس جوهر الاستقلال بل تودى به تمامًا . فلئن كان فى قطع المفاوضات مسئولية على الوزير فان قبول أى مشروع يمس جوهر الاستقلال أشد مسئولية وأعظم ضررًا . على أن العهد الذى قطعه عدلى باشا على نفسه للبلاد هو أنه إذا لم يحصل على تحقيق برنامجه قطع المفاوضات بلا تردد وبالتبعية استقال من الوزارة التى لم يقبل مسندها إلا للسعى فى تحقيق تلك الغاية . [١٦٨٣]

«ولهذه المناسبة لم يبق بعدُ خطر من التصريح بأن محاربة سعد باشا لعدلى باشا ودفعه الناس إلى المظاهرات ضده وما نتج عن هذه المظاهرات من الحوادث وبالجملة تعمد سعد باشا سلوك الطرق التى توصل إلى هذه الكارثة الوطنية ارضاء لشهوته وشفاء لحقده . كل ذلك قد اتخذه الإنجليز ذريعة للتراجع مسافة بعيدة عن استعدادهم الذى ظهر فى العام الماضى اذ الأمة متحدة الكلمة متماسكة الصفوف فليهنأ سعد باشا الآن بقطع المفاوضات . وليهنأ بسقوط الوزارة التى يحاربها وليهنأ بما نال منها . وإن كان فى الواقع لم ينل إلا من وطنه إذ كانت خطته من العوامل الفعالة لحدوث هذه الكارثة فى حين أن أقل تدبر كان يكفى للاقتناع بأن البريطانيين وهم أمهر الساسة فى الانتفاع بالظروف سينتفعون من الضعف الذى سيشف عنه هذا الخلاف وسيتخذونه ذريعة للمبالغة فيما يطلبون إلى مصر من الضمانات كما قد حصل . بالفعل فإنه لا يشك أحد فى أن استعداد الانجليز لمفاوضتنا فى أمر استقلالنا لم يكن أمرًا اختياريًا صرفًا بل اضطرهم إليه اتحاد كلمتنا وعجزهم تلقاء هذا الاتحاد المتين عن حكم بلادنا على غير ما نختار .

«عبثا يحاول سعد باشا أن ينكر هذا الخلاف الذى أضعف قوتنا بأن ينادى صباح مساء بألا خلاف فى البلاد ليتملص من المسئولية التى تقع عليه من جرائه . فإن هذا الخلاف الذى أثاره فى مصر وتولى إذاعته فى إنجلترا كان أظهر من أن يخفى وأجل من أن يستهان بنتائجه . [١٦٨٤]

«ومن التضليل فى السياسة أن سعد باشا بعدما ظهر من نيات الانجليز يوهم أن حبل المفاوضات لا يزال متصلا ويلقى فى نفوس الناس جواز فتح باب مفاوضات جديدة على يديه . كلا إن الانجليز بقطعهم المفاوضات يستطيعون كل شىء إلا إرجاع ثقة المصريين فى أن إنجلترا لا تطلب إلا ضمانات غير(مناسبة)[1] منافية للاستقلال .

«وكأننا بسعد باشا وقد نال غرضه الذى جاء خصيصًا له من أوربا يتهيأ الآن للرحيل من مصر ليقيم فى باريس ناصبًا شخصه رمزًا للاستقلال ظانا أن أتباعه سيكتفون عن الاستقلال بأن يروا رمزه . وبذلك يبقى بطلا لهذا الاستقلال الذى ما فتىء يهدم فى أسبابه بالمعاول .

«الواجب على الأمة أن تستقبل قطع المفاوضات برزانة الوقور الأبى وأن تتدبر فى الأسباب التى جرت إلى هذا الفشل فتتلافاها وأن ترجع إلى اتحادها وتقوى روابط الإخاء فيها وتسير نحو غرضها متضامنة طارحة وراء ظهرها كل عوامل الخلاف التى لا تنتج إلا الضعف . ولقد جربت الأمة أن السعى للاستقلال يؤتى ثمراته بالطرائق المشروعة فإن فيها متسعا ومقنعًا . ومهما يكن من هذه الصدمة التى تصدم اليوم آمال الأمة فإنها لا تفلُّ من عزيمتها ولا تقلل من حدتها فى التقدم إلى غرضها فلقد تعاهدت أمام العالم انها لا ترضى العيش إلا فى ظل الاستقلال .

[١٦٨٥] «لئن كانت مصيبتنا بهذا الفشل عظيمة فإن الإنجليز لا يستطيعون أن ينعموا بالأ بمصيبتنا [2] . أنهم لابد لهم من صداقتنا ولقد علموا أن المصريين لا تكسب صداقتهم بالحديد والنار»

علی شعروای . عبد العزيز فهمى . محمد محمود . عبد اللطيف المكباتى . أحمد لطفى السيد . محمد على .

دكتور حافظ عفيفى

٢١ نوفمبر سنة ١٩٢١

(١) تم حذف هذه الكلمة فى أصل المذكرات

(٢) أضيفت كلمة «بمصيبتنا» الاخبار العدد السابق .

(نداء للأمة من جمعية مصر المستقلة[١]

وكذلك نشرت جمعية مصر المستقلة النداء الآتى للأمة وهو يفيض بآيات الولاء والتأييد لعدلى باشا وهو : ـ)

رأى سعد باشا زغلول

أما رأى سعد باشا بعد قطع المفاوضات فيظهر للقارىء جليًا فى خطبته التى القاها ببيت الأمة فى ٢٤ نوفمبر[٢] سنة ١٩٢١ فى وفد من طلبة الحقوق . ولم تكن المذكرتان الرسميتان المشار اليهما قد نشرتا بعد كما قدمنا ـ وهذه هى الخطبة : ـ

---

(١) تم حذف هذا العنوان وما تلاه من كتابه فى اصل المذكرات لعدم وجود نص النداء ، وقد راعينا على ضرورة الالتزام ببقائه مع نشر النداء فى الهامش .

«جاء الحق وزهق الباطل . أقام حضرة صاحب الدولة عدلى يكن باشا أسطع برهان على أمانته ووفائه . فقد تولى المفاوضات الرسمية بعد أن قطع على نفسه عهدًا وثيقا أن لا يرضى لمصر ما دون الاستقلال الصحيح فى الداخل والخارج . فلما أن تبينت له مراوغات الانكليز قطع المفاوضات ورأس مصر عال وكرامتها موفورة وحقها ثابت»

«قطع المفاوضات فأقام الدليل الحاسم ، لاعلى أمانته فحسب ، بل وعلى بطلان قول القائلين انه سيقبل مشروعا لا يحقق الاستقلال التام ثم يحاول تأييده أمام جمعية وطنية يصطنعها أعوانه من رجال الإدارة . أبطل هذه الدعوى الكاذبة فلم يصدق عليه قول القائلين إنه سيقبل ما يمن عليه الإنكليز من «منح» دون أن يستطيع معارضتهم فى شىء لأنه مدين لهم بمنصبه وكما يقولون ، ولانه يفاوضهم مفاوضة التابع للمتبوع . نعم أبطل هذه المزاعم وأبطل تلك الفرية التى رماه بها مندوبهم فى «لندن» وهى أن عدلى باشا قبل فعلا مشروعا هو فتات من مائدة اللورد كرزون»

«الآن سطع النور الذى حاولوا أن يطفئوه بأفواههم . واتضح الحق الذى عملوا جهدهم على إخفائه .ظهر أن عدلى لم يكن يصدق عليه قول زعيمهم «إن جورج الخامس يتفاوض مع جورج الخامس» فقد ثبت ثبوتا قاطعا . أن رئيس الحكومة المصرية كان يعمل بحرية لا يحدها أى اعتبار»

«قطع عدلى باشا المفاوضة فاحتفظ بكرامة الأمة بعد أن ثبت لديه سوء نية الانكليز والآن وقد برزت نياتهم واضحة ملموسة ، فإننا لن نلدغ من جحر أكثر من مرتين . وأصبح واجبنا أن نكون على حذر فلا يستدرجنا الإنكليز إلى مفاوضات أخرى من غير مبرر جديد . ولا مبرر لأية مفاوضة بعد اليوم إلا أمر واحد : هو اعترافهم أولا بحقوقنا كاملة وجلاء جنودهم عن الديار

«إذن فسلامة قضيتنا فى يقظتنا بعد اليوم . وسلامتها فى اتحادنا واستئناف جهادنا المشروع من جديد» وليس يثنينا عن الدعوة إلى الاتحاد سوء ما قابل به سعد باشا نداءنا السابق . ونحن على دعوتنا السامية دائبون . فإن صالح الوطن فى هذه الساعة الرهيبة نصب أعيننا ويجب أن يكون نصب أعين الجميع . والتاريخ شاهد والله رقيب .»

«ولا جدال فى أن العلاج الوحيد فى ذلك الظرف الحرج وفى تلك الساعة الرهيبة هو عودة الاتحاد سيرته الأولى . وعقد الخناصر على الوقوف صفا فى وجه الخصم القوى الذى أخافه ذلك الاتحاد وأطمعه» .

حوليات مصر السياسية تمهيد جـ ٢ ص . ص ٤٣٧ . ٤٣٩ .

(٢) ورد بجريدة المقطم أن اجتماع سعد باشا بطلبة مدرسة الحقوق السلطانية كان بعد ظهر الأربعاء ، الموافق ٢٣ نوفمبر ١٩٢١ـ المقطم عدد ٩٩٤٥ ـ ١٩٢١/١١/٢٥ .

(رأى سعد باشا بعد قطع المفاوضات)[1]
(خطبة ببيت الأمة فى بعض الوفود)[2]

أبنائى الأعزاء

ما أبركم وما أجمل تواضعكم تقولون أتيتم الى لا لأن تجددوا ثقتكم بى ولكن لكى تستمدوا منى نور الوطنية . تواضع ما أجله وأسماه وكرم ما أعظم قدره ومعناه أنى أعرف لكم جميل حضوركم وأشكركم كل الشكر عليه . شعرتم بأنى فى هذه الأيام ضعيف فجئتم لتقووا ضعفى وتشدوا عزمى . والحقيقة أنى أشعر بشىء من الضعف لا بالنسبة لوطنيتى ولكن بالنسبة لصحتى وإنى أقول لكم قولاً أكيدًا بأن رؤيتكم تبعث فى قوة من الصحة ولولا أنى أراكم دائمًا لكنت فى عالم الفناء (هتاف ليحى الرئيس) .

انى كلما رأيتكم شعرت بأن الأمة المصرية أمة قوية أمة لا تغلب أمة يجب أن تتبوأ مكانها تحت الشمس ويجب أن تسترد مجدها السالف .

انكم أمناء العدالة فى المستقبل وسوف يكون بأيديكم حكم أمتكم وإنى على يقين بأنكم لا تجرون فى حكم بلادكم على مثال أولئك الذين هتكوا عرض العدالة . وأنكم عندما تتولون العدالة ستعاملون خصومكم بما تعاملون به أولياءكم علمًا منكم أن العدل أساس الملك (هتاف ليحى العدل) [3] كلمة قديمة وهى كلمة صادقة . العدل أساس الملك والظلم أساس الخراب . انظروا كيف تحتقرون فى أنفسكم الذين استخفوا [١٦٨٧] بالعدالة ممن تولوا أمرها لا تفعلوا مع خصومكم ما يفعلونه معنا فإن أمتنا لم ترتفع إلا بالعدالة فإن نحن أهناها فقد أهنا أنفسنا وخربنا بأيدينا ديارنا فأوصيكم وصية أب شفيق عليكم بأن تكونوا للعدالة دائما ركنًا[4] لا خصمًا

أبنائى

أشعر بأنكم تحبون أن تسمعوا منى كلمة فى الأحوال الحاضرة . تعرفون أنى اشتغل الآن مع اخوان كلهم مخلصون مجدون عاملون متضامنون فى العمل لصالح قضية بلادنا

(١) حذفت هذه العبارة فى أصل المذكرات .
(٢) » » » » » » ».
(٣) » » » » » » ».
(٤) المقصود بها سندا .

وأهنيكم على أن من بينهم استاذكم وليم مكرم عبيد[1] كما اهنيء نفسى بالاشتراك معه وهو من وقت وصوله إلى لندن يشتغل ليل نهار فى صالح مصر حتى أشفقت على صحته . وأؤكد لكم أن جميع الأعمال التى تروق لكم منى انما هى نتيجة اشتراك جميع اخوانى معى بل ربما كان الفضل فيما يعجبكم منها لهم دونى فاهتفوا معى لهم .

(هتاف ليحى الأعضاء المخلصون . ليحى أستاذنا مكرم)

رأى اخوانى ورأيت أن البعثة الرسمية تألفت رغم إرادة الأمة بنفوذ الحماية من رجال ليس لهم مواقف فى الاستقلال وكثير منهم لهم مواقف فى الحماية وسافرت تحت حماية القوة الأجنبية واستعملت كل وسائل الإكراه والاحتيال للحصول على الثقة بها وبذل إخوانهم هنا كل جهد فى إرهاق الشعب وخنق حريته . لهذا كنا معتقدين تمام الاعتقاد بأن هذه البعثة يستحيل أن تدافع دفاعًا جديًا عن حقوقنا كما يستحيل أن تتحصل على استقلالنا التام . ولم يكن من حالها أولاً وآخرًا إلا تحقيق اعتقادنا لأنها لما وصلت إلى لندن فى ١١ يوليو لم يستطع رئيسها أن يحدث الصحافيين حتى عن طبيعة مأموريته إلا بعد أن يقابل كرزون ولما قابله لم يتكلم بشىء إما لأنه لم يستطع استئذانه [١٦٨٨] فى الكلام أو أنه استأذنه فلم يأذن له واستمرت على هذا السكوت مدة تزيد على أربعة أشهر حتى انتهت ولم يصدر منها بلاغ عما قبلت أو رفضت حتى بعد ما سموه انقطاع المفاوضات لم تستطع أن تقول شيئا عن مجرياتها وكل ما أمكن أن يبوح به هو أن الوزارة البريطانية وضعت مشروعًا وهى أجابت عليه بأنه لا يوصل إلى اتفاق وأنها أرسلت هاتين الوثيقتين إلى مصر وأن وزارة الخارجية ارفقت بهما مذكرة ايضاحية لم تطلع عليها . هذا كل ما أمكن للبعثة أن تبوح به بالنسبة للمفاوضات ولكن أبواقها فى مصر ولندرة كانت تصيح دائما بأنها رفعت رأس مصر ودافعت عن حقوقها دفاعًا كريما ووقفت مواقف تشرف المصريين وتشرفها ويتبع ذلك تفصيل أخبار الولائم لا الزيارات مما قرأتموه فى جرائدهم .

---

(١) وليم مكرم عبيد (١٨٨٩ـ ١٩٦١) من مواليد قنا عمل أبوه فى المقاولات ونجح فى شراء الاراضى الزراعية حتى إنه ورث ١٥٠ فدانا عنه تعلم فى الجامعة الامريكية بأسيوط ثم مدرسة التوفيقية وأكمل تعليمه فى اكسفورد حيث نال اجازة القانون ١٩٠٨ـ عاد إلى مصر وعمل بوزارة الحقانية (١٩١٣ـ ١٩١٨) لكنه استقال بسبب اختلافه مع المستشار القضائى وليم برونيات انضم للوفد وأطلق عليه لقب «ابن سعد زغلول» وأصبح سكرتيرا للوفد بعد وفاة زغلول .

مشروع وضعته الوزارة الانجليزية وجواب عليه حررته البعثة الرسمية فهل هذا كل ما حصل؟ إن كان الأمر كذلك يمكننا أن نقول انه لم يكن هناك مفاوضات أصلاً . ويمكن أن نؤكد ما نقول بأن البعثة لم تصرح بأنها لم تطلع على المذكرة الإيضاحية يعنى أنه لم يكن هناك أخذ ولا عطاء أى لم تكن هناك مفاوضات . إن كان الأمر كذلك فلماذا الفوا البعثة من أربعين شخصا تقريبًا وزراء . مستشارون . سكرتاريون إلى آخرهم ولماذا أقاموا كل هذه المدة .

إن كانت المفاوضات انقطعت حقيقة فلماذا لم يصرحوا بانقطاعها ولماذا لم يبينوا [١٦٨٩] أسباب هذا الانقطاع ولماذا لم يصرحوا بالمسائل التى حصل الاتفاق عليها والمسائل التى حصل الخلاف فيها ولماذا تواصى الفريقان بالكتمان كما صرح به اسماعيل صدقى باشا لمندوب المورنن[١] بوست ووردت به تلغرافات اليوم .

كل هذه المعميات[٢] تجعلنا نعتقد أن فى الأمر ما يجب أن نحذر منه ونخشاه وأن أمامنا أمرًا مجهولاً يوجب الارتياب ولهذا رأينا أن نتريث لا نفعل شيئا ولا نشير بشىء حتى تنكشف حقيقة هذه المعميات ونقف على مضمون تلك الوثائق حينذاك يمكننا أن نختط لنا سبيلا نيرًا .

إن الوزاريين سارعوا إلى شكر عدلى باشا ووطنيته وإلى دعوة الأمة إلى الاشتراك معهم فى هذا الشكر ونحن مستعدون لأن نسديه أطيب الثناء إذا تأكدنا أنه وإخوانه كانوا حقيقة يدافعون بجد وإخلاص عن حقوقنا وأنهم رفضوا بشمم وإباء الموافقة على تعيين مستشار فى المالية والحقانية واستبقاء قوة من جيش الاحتلال فى أرض مصر جميعها ومراقبة الحكومة الإنجليزية لعلاقتنا الخارجية لأن ما روته الجرائد الانجليزية عما قبلته البعثة الرسمية تخالف ذلك ويحصر الخلاف فى مسألة واحدة وهى مسألة الجهة التى تقيم القوة العسكرية فيها . البعثة تطلب حصرها فى جهة القنال أما كرزون فيحتم وجودها فى هذه الجهة وفى غيرها كمصر والإسكندرية ولأن اتفاق الجرائد الانجليزية تقريبا بلا فرق بين جرائد المحافظين والأحرار على مدح عدلى باشا والإعجاب بتعقله وكمال

(١) المورننج Morning Post

(٢) جمع : معميه والمقصود بها : الغوامض .

اعتداله لا يتفق أصلاً مع ذلك الدفاع ولو كانت هذه الجرائد تشعر بشىء منه لاشتد قدحها فيه بدل مدحها له كما هى عادتها فى الطعن على كل من يخالف سياسة حكومتها . هل يمكن لمصرى أن يصدق بأن هذه الجرائد تصرح بأن عدم الاتفاق مع عدلى باشا ضياع لفرصة ثمينة ويكون عدلى باشا متشبثا بحقوق مصر مدافعا عنها بشمم وإباء . انهم يتظاهرون الآن بأنهم غلاة فى الوطنية وقرروا فى اجتماع الكونتننتال أن المفاوضات إذا قطعت مع عدلى لا يمكن استئنافها إلا بعد جلاء العساكر الانجليزية من مصر يعنى أن وجود هذه العساكر فى مصر مقبول إذا انتهت به المفاوضات مع عدلى ولكن لا يكون مقبولاً إذا انقطعت وحصل استئنافها . أليس فى مثل هذا القرار دليل على أن القوم غير جادين فى أعمالهم وانهم إن كانوا سليمى النية لا يدركون معى ما يقررون ولكنهم أرادوا بهذا القرار تهديد الإنجليز ولم يعلموا أن الإنجليز يعلمون من شأن الأمة ما أرادوا أن يتجاهلوه . يعلمون أنها لا تقبل وجود عسكرى إنجليزى واحد على أرضها سواء كان المفاوض عدلى أو سعد أو غيرهما . ولكن الوزاريين لم يقترحوا هذا القرار بل أتى لهم من لندن فأمضوه وهم لا يعلمون . [١٦٩٠]

إنهم يدعون إلى الاتحاد ولكنهم مناوئون[١] فى دعواهم إن كانوا يريدون اتحاداً فلماذا عقدوا احتفال الكونتننتال بعد أن أعلنت الأمة عزمها على عقد الاحتفال بالمنيرة[٢] إن كانوا يريدون صلحًا فلماذا لم يردوا المظالم الى أهلها ولم يطلقوا الحرية من عقالها ولماذا لم يفرجوا عن المسجونين ولم يبيحوا للمنفيين العودة الى بلادهم وللجرائد التى عطلت بالعودة إلى الظهور؟ ولماذا لم يكفوا عن الأكاذيب يبثونها والأضاليل ينشرونها؟ ولماذا لم يلقوا بمعاول الهدم التى لا يزالون يعملون بها فى جسم اتحاد الأمة؟

[١٦٩١] إن الذين منهم تلوثت أيديهم بدماء إخوانهم وأشركوا الأشقياء فى تكدير صفائهم والذين ظاهروا الخصوم على الاستهانة بحقوق أمتهم لا يمكن أن يرجعوا إلى صفوف قادتها إذ لا أمان لهم . ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وإنما نقبل توبتهم على أن يكونوا

(١) وردت مراؤون ، المقطم ، عدد ٩٩٤٥ ، فى ٢٥ نوفمبر ١٩٢١ .
(٢) حيث يوجد بيت الأمة .

أفرادًا يتمتعون كما قلت فى خطبة المنيرة بالعدالة التى يتأسس عليها حكم البلاد لأن الوطن غفور رحيم .

اقتراح عملى لعلى بك ماهر[١]

أما على بك ماهر عضو الوفد المصرى فقد كان ـ مذ[٢] بدأ الخلاف ـ منعزلاً فى ناحية أخرى فلم يكن متفقًا مع سعد باشا وصحبه فى الرأى كما أنه لم يشأ أن ينضم للأعضاء السبعة المنشقين فيجاريهم فى خطتهم .

فلما قطعت المفاوضات الرسمية أبدى حضرته اقتراحًا عمليًا ناجعًا[٣] للم الشمل وتوحيد الكلمة وجمع الصفوف حتى تظهر الأمة كلها جبهة واحدة متحدة فتصمد أمام خصمها الأصيل الجبار

وهذا هو نص اقتراحه الذى لم يجد لسوء الحظ من يستجيب له أو يصغى إليه :ـ

فى سبيل الاتحاد

اقتراح عملى ـ لجنة تحكيم لعلى بك ماهر[٤]

«سواء قطعت المفاوضة أو أوقفت وسواء استقالت الوزارة أو بقيت فى مركزها وسواء فازت البلاد باستقلالها أو سارت فى جهادها . مصر فى حاجة إلى توحيد كلمة أبنائها فى حاجة إلى كل مجهوداتهم . [١٦٩٢]

«لا سبيل للفوز فى الجهاد ولا سبيل للنجاح فى الاستقلال إلا بالاتحاد الذى أساسه الثقة والنظام فلا يتولى العمل إلا هيئة واحدة تشير وتستشير وتمثل وتغير .

«بهذا الاتحاد أفلحت الثورة وبهذا الاتحاد يتم فلاحها .

والكلام النظرى لا يفيد والأمر بالاتحاد لا يثمر لأن هناك شكايات يجب أن تحل وغلطات يجب أن تسوى ولا تتكرر والخلافات السياسية دقيقة كالخلافات الشخصية لا

---

(١) على ماهر (نوفمبر ١٨٨٢ـ اغسطس ١٩٦٠) من أسرة من كبار الملاك ـ عمه عبد الرحمن فهمى ـ انضم للوفد عام ١٩١٩ ولكنه انشق عنه وانضم للسلطان فؤاد ـ أصبح عميدا لمدرسة الحقوق ١٩٢٣ ورئيسا للجنة وضع دستور ١٩٢٣ وانتخب كمستقل عام ١٩٢٤ تولى عدد من الوزارات حتى أصبح رئيسا للوزراء ١٩٣٥ وتولى رئاسة الوزارة أكثر من مرة بعد ذلك .

(٢) صحتها منذ .

(٣) بمعنى : كاملا او قاطعا .

(٤) شطب صاحب المذكرات هذا العنوان

يسهل حلها بالمناقشات العلنية فى الجرائد وانى لا أشك لحظة فى أن مصر التى ذاقت مرارة الشقاق لا تتردد فى العودة إلى وحدتها .

«إنما الواجب يقضى بتعجيل ذلك اليوم بإيجاد حل عملى سريع يحول دون اتساع الثغرة التى حدثت .

«وما دام عقد جمعية وطنية تفصل فى أوجه النزاع بصفة إلزامية للطرفين غير ميسور فلا أظن أنه يوجد حل عملى سريع أولى من تكوين لجنة للتحكيم يشترك فيها الفريقان [١٦٩٣] فينتدب كل فريق لحضورها عدداً من رجاله ومتى اجتمع نواب الفريقين يضمون لهم عدداً من الوطنيين ذوى النفوذ والمكانة فى البلاد وتكون مأمورية اللجنة معالجة المشاكل الحالية بقصد أكيد لإيجاد حل مشترك لها حتى يتخلص الطرفان من النزاع الداخلى ويتعاونان فى سياسة مشتركة .

«ويمكن تحويل هذه اللجنة فى المستقبل إلى مؤتمر وطنى صغير العدد لمواصلة المباحثات بصفة دورية فى الأمور الوطنية الهامة اتقاء لكل ما يمكن أن يهدد وحدة الأمة من جديد .

«ولا شىء يمنع من أن يمثل فى هذا المؤتمر سائر الأحزاب للاشتراك فى المناقشات الخاصة بالسياسة العملية العامة .

«ولا ريب أن الواجب الوطنى فى هذه الساعة التاريخية يقضى على كل مصرى يرى ضرورة التحكيم المشار إليه أن يجتمع بمواطنيه للنظر فى خير الوسائل للوصول إلى هذا الحل سواء كان بإقناع الفريق الذى ينتمى إليه أو بإبداء ملاحظاته عليه .

«فإذا تكونت هيئة لابراز هذه الفكرة بصفة ابتدائية تكون مهمتها قاصرة على إقناع الفريقين بقبول مبدأ التحكيم .

«ولى الأمل فى أن معالى الرئيس سعد زغلول باشا يرحب بهذه الفكرة حتى لا تتشتت الآراء فى الخطة التى تتبع عند ظهور الوثائق الخاصة بالمفاوضات الرسمية وحتى تتوجه كل مجهودات البلاد إلى خدمة القضية العامة والله ولى التوفيق» .

على ماهر

أول ديسمبر سنة ١٩٢١

تبليغ اللورد اللنبى
إلى عظمة السلطان
(ترجمة تبليغ اللنبى
من نائب جلالة الملك
إلى حضرة صاحب العظمة سلطان مصر فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٢١)[1]

[١٦٩٤]

عرف القارىء أن الحكومة الإنجليزية أرسلت لمعتمدها فى مصر الوثائق الرسمية للمفاوضة مشفوعة بمذكرة ايضاحية . وفى يوم ٣ ديسمبر تشرف اللورد اللنبى بمقابلة عظمة السلطان وقدم اليه التبليغ الآتى : ـ

«يا صاحب العظمة

«أنه بموجب التعليمات التى وصلتنى من حكومة جلالة الملك لى الشرف أن أرفع إلى مقام عظمتكم البيان الآتى المتضمن آراء حكومة جلالته فيما يتعلق بالمفاوضات التى جرت حديثا مع الوفد المرسل من قبل عظمتكم تحت رياسة صاحب الدولة عدلى باشا . إن حكومة جلالته قدمت إلى عدلى باشا مشروع اتفاق لعقد معاهدة بين الإمبراطورية ومصر كانت حكومة جلالته على استعداد لأن توصى جلالة الملك ومجلس النواب بقبوله ولكنها علمت بمزيد الأسف أن ذلك المشروع لم يحز قبولا لديه . ومما زاد أسفها أنها تعتبر اقتراحاتها هذه سخية فى جوهرها وواسعة النطاق فى نتائجها فإنها لا يمكنها أن تبقى محلاً لأى أمل فى اعادة النظر فى المبدأ الذى بنيت عليه تلك الاقتراحات . لذلك كان من المستحسن أن تحيط حكومة جلالته علم عظمتكم إحاطة وافية بالاعتبارات الرئيسية التى استرشدت بها وبالروح التى صدرت عنها تلك الاقتراحات .

«إن هناك حقيقة جلية سادت العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر مدة أربعين سنة ويجب أن تبقى هذه الحقيقة سائدة . هذه العلاقات على الدوام هى التوافق التام بين مصالح بريطانيا العظمى فى مصر وبين مصالح مصر نفسها . إن استقلال الأمة المصرية وسيادتها كلاهما عظيم الأهمية للامبراطورية البريطانية . إن مصر واقعة على

(١) شطب صاحب المذكرات هذا العنوان ، وقد ورد بالأخبار بنفس تلك الكلمات فى ٥ ديسمبر ١٩٢١ عدد ٥٤٣ .

[١٦٩٥] خط المواصلات الرئيسى بين بريطانيا العظمى وممتلكات جلالة الملك فى الشرق وجميع الأراضى المصرية هى فى الواقع ضرورية لهذه المواصلات لأن مصير مصر لا يمكن فصله عن سلامة منطقة قناة[1] السويس . لذلك فإن حفظ مصر سالمة من تسلط أية دولة عظيمة أخرى عليها هو فى الدرجة الأولى من الأهمية للهند واستراليا ونيوزلاند ولجميع مستعمرات وولايات جلالته فى الشرق ويؤثر فى سعادة وسلامة نحو ثلاثمائة وخمسين مليونا من رعايا جلالته . ثم إن نجاح مصر[2] فى هذه الناحية ليس لأن كلا من بريطانيا العظمى ومصر هى أفضل عميلة للأخرى فقط بل لأن كل خطر جسيم على مصلحة مصر التجارية أو المالية يدعو إلى مداخلة الدول الأخرى فيها ويهدد استقلالها . هذه كانت البواعث الرئيسية للعلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر وهى لا تزال الآن على ما كانت عليه من القوة فى الماضى .

«قد اعترف الجميع بما أصاب هذا الائتلاف من النجاح بوجه عام أثناء العهد السابق للحرب العظمى . ولما بدأت بريطانيا العظمى تهتم بمصر اهتمامًا فعليًا كان المصريون فريسة الاحتلال المالى والفوضى الإدارية وكانوا تحت رحمة أى قادم ولم يكن فى طاقتهم مقاومة ضروب الوسائل القتالة للاستغلال الأجنبى تلك الوسائل التى تسلب[3] من نفوس الأمة كرامتها وتمحو قواها الحيوية فإذا كانت الأمة المصرية الآن أمة نشيطة ذات كرامة فإنها مدينة بهذه النهضة على الخصوص لمعونة بريطانيا العظمى ومشورتها . إن المصريين سلموا من المداخلة الأجنبية وأعينوا على إنشاء نظام إدارى [١٦٩٦] واف وقد تدرب عدد كبير منهم على إدارة الأمور والحكم واطرد نمو مقدرتهم ونجحت ماليتهم نجاحًا فوق المنتظر وقد قامت سعادة جميع الطبقات على أسس ثابتة . وفى هذا التقدم السريع لم يكن هناك ظل للاستقلال . ان بريطانيا العظمى لم تطلب لنفسها ربحًا ماليًا أو امتيازًا تجاريًا والأمة المصرية قد جنت كل ثمار مشورة بريطانيا العظمى ومساعدتها لها .

---

(١) فى أصل الترجمة وردت : قتال .

(٢) « « « « [ثم إن نجاح مصر يهم هذه البلاد ليس لأن . .]

(٣) « « « « : تستأصل ، انظر جريدة الأخبار العدد السابق .

«إن شبوب نار الحرب بين الدول الأوربية العظمى سنة ١٩١٤ زاد بالضرورة عرى الائتلاف توثيقا بين الامبراطورية البريطانية ومصر . ولما انضمت الدولة العثمانية إلى جانب المانيا فى الحرب لم يكن أثر ذلك قاصرًا على تهديد المواصلات البريطانية وحدها بل كان مهددًا لها ولاستقلال مصر على السواء تهديدًا عاجلاً . فكان إعلان الحماية على مصر اعترافًا بهذه الحقيقة وهى أنه لا يمكن دفع الخطر عن الإمبراطورية البريطانية ومصر معًا إلا بعمل مشترك تحت قيادة واحدة . كان اتساع نطاق الحرب بدخول تركيا فيها السبب فى قتل وتشويه آلاف من رعايا جلالة الملك من الهند واستراليا ونيوزيلاند ومن رجال بريطانيا العظمى أيضا وقبورهم فى غاليبولى[1] وفلسطين والعراق شاهدة على الجهد العظيم الذى كابدته شعوب الامبراطورية البريطانية بسبب دخول تركيا . قد اجتازت مصر هذه المحنة دون أن يمسها ضرر بفضل جهود من بعثت بهم تلك الشعوب من الجنود . فكانت خسائر مصر طفيفة ولم يزد دينها . وثروتها الآن أنظم مما كانت قبل الحرب فى حين أن الكساد الاقتصادى قد اشتدت وطأته على اكثر البلدان الأخرى . فليس من الحكمة أن الشعب المصرى يتغاضى عن هذه الحقائق أو [١٦٩٧] ينس لمن هو مدين بذلك كله . ولولا القوة التى أبدتها الامبراطورية البريطانية فى الحرب لأصبحت مصر ميدان حرب بين القوات المتحاربة ولوطئت هذه القوات حقوق مصر بأقدامها وأفنت ثروتها . ولولا نصر الحلفاء (لم تكن)[2] لأن فى مصر أمة تطالب بحقوق السيادة الوطنية بدلاً عن حماية أجنبية . فالحرية التى تتمتع بها مصر الآن وما تتطلع اليه من حرية أوسع انما هى مدينة بهما للسياسة البريطانية والقوة البريطانية .

«إن حكومة جلالة الملك مقتنعة بأن الاتفاق التام فى المصالح بين بريطانيا العظمى ومصر الذى جعل إئتلافها نافعًا لكلتيهما فى الماضى هو دعامة العلاقة التى يجب على كلتيهما استمرار المحافظة عليها . وعلى الإمبراطورية البريطانية الآن كما كان فى الماضى (وذلك يحتم عليها)[3] أن تحمل على عاتقها فى آخر الأمر مسئولية الدفاع عن أراضى عظمتكم ضد أى تهديد خارجى . وكذلك عليها تقديم المعونة التى قد

(١) Galliboli مدينة ساحلية تقع شمال غرب تركيا على الدردنيل وتعد نقطة استراتيجية فى الدفاع عن استنبول وقد وجه اليها الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى .

(٢) تم حذف هذه الكلمة فى أصل المذكرات وكتب فوقها [لما كانت] .

(٣) وضع صاحب المذكرات هذه الجملة بين السطور إضافة منه .

تطلبها فى أى وقت حكومة عظمتكم لحفظ سلطتكم فى البلاد . ثم إن حكومة جلالة الملك تطلب فوق ذلك أن يكون لها دون غيرها الحق فى تقديم ما قد تحتاج حكومة عظمتكم من المشورة فى إدارة البلاد وتدبير ماليتها وترقية نظامها القضائى ومواصلة علاقاتها مع الحكومات الأجنبية على أن حكومة جلالته لا ترمى من وراء هذه المطالب الى منع مصر من تمتعها بكامل حقوقها فى حكومة ذاتية وطنية بل هى ترمى بذلك إلى التمسك بها قبل الدول الاجنبية الأخرى . وهذه المطالب قوامها تلك الحقيقة وهى أن [١٦٩٨] استقلال مصر واستتباب النظام فيها وسعادتها ركن أساسى لسلامة الإمبراطورية البريطانية وحكومة جلالة الملك تأسف على أن مندوبى عظمتكم لم يتقدموا أثناء المفاوضات تقدمًا يذكر فى سبيل الاعتراف بما للامبراطورية البريطانية دون غيرها[1] من الأسباب الصحيحة للتمسك بما لها من الحقوق والمسئوليات .

فشروط المعاهدة التى تعتبرها حكومة جلالة الملك ضرورية لحفظ هذه الحقوق وكفالة هذه المسئوليات قد أدرجت فى مواد المشروع الذى سيرفعه إلى عظمتكم صاحب الدولة عدلى باشا وأهم هذه الشروط هو ما يتعلق بالجنود البريطانية فإن حكومة جلالة الملك قد عنيت أتم عناية ببحث الأدلة التى قدمها الوفد المصرى فى هذا الشأن ولكنها لم تستطع أن تقبلها لأن حالة العالم الحاضرة ومجرى الأحوال فى مصر منذ عقد الهدنة لا يسمحان بأى تعديل كان فى توزيع القوات البريطانية فى الوقت الحاضر . ومن الواجب إعادة القول بأن مصر هى جزء من مواصلات الامبراطورية البريطانية . ولم يكد يمضى جيل على مصر منذ أنقذت من الفوضى . وهناك علامات على أنه لا يبعد على المتطرفين فى الحركة الوطنية أن يزجوا بمصر ثانية فى الهوة التى لم يطل العهد على انقاذها منها . وقد زاد اهتمام حكومة جلالة الملك بهذا الشأن لما رأته من عدم رغبة وفد عظمتكم فى الاعتراف بأن الإمبراطورية البريطانية يجب أن يكون عندها ضمان قوى ضد أى تهديد مثل هذا لمصالحها وإلى أن يحين الوقت الذى يكون فيه سلوك مصر مدعاة إلى الثقة بالضمانات التى تعطيها يكون من الواجب على الامبراطورية البريطانية نفسها أن تستبقى ما تراه كافيا من الضمانات وأول هذه الضمانات ورأسها هو وجود جنود

(١) وردت «دون سواها» ، الأخبار ، عدد ٥٤٣ ، فى ٥ ديسمبر ١٩٢١ .

بريطانية فى مصر وحكومة جلالة الملك لا يمكنها أن تتخلى عن هذا الضمان ولا أن تنقص منه .

[١٦٩٩] «على أنها تعيد القول وتؤكده بأن مطالبها فى هذا الصدد لا يقصد بها استمرار حماية لا فعلا ولا حكما بل بالعكس إن أمنيتها القلبية الخالصة هى أن تتمتع مصر بحقوق وطنية ويكون لها بين الأمم مقام دولة متمتعة بحق السيادة على أن تكون مرتبطة ارتباطا وثيقًا بالامبراطورية البريطانية بمعاهدة تكفل للفريقين مصالحهما وأغراضهما المشتركة . ولهذه الغاية التى جعلتها حكومة جلالته نصب عينها اقترحت رفع الحماية فورًا والاعتراف بمصر «دولة متمتعة بحقوق السيادة تحت إمرة حكومة[1] ملوكية دستورية» والاستعاضة عن العلاقات القائمة الآن بين الامبراطورية البريطانية ومصر «بمعاهدة دائمة ورابطة سلام ووداد وتحالف» وكانت حكومة جلالته تأمل أن مصر بإعادة وزارة الخارجية ترسل ممثليها فى الحال إلى الممالك الأجنبية . كما أنها كانت على استعداد لتعضيد مصر فى انضمامها إلى جمعية الأمم اذا طلبت ذلك وبذلك كان يتحقق لمصر فى الحال ما للدول المتمتعة بحقوق السيادة من السلطة والميزات

«ولكن رفض حكومة عظمتكم الحاضرة لهذه الاقتراحات[2] لا تؤثر فى مبدأ السياسة البريطانية ولكنها بالضرورة تقلل من التدابير التى يمكن تنفيذها الآن . ولذلك فإن حكومة جلالة الملك لا ترغب[3] أن تبدى بوضوح حالة موقفها الآن .

[١٧٠٠] «ففيما يتعلق بالحاضر لا يمكن لحكومة جلالته تنفيذ اقتراحاتها بدون رضاء الأمة المصرية واشتراكها ولكن حكومة جلالته تحافظ على الرغبة التى كانت لديها على الدوام وهى العمل على إنماء مواهب المصريين بزيادة عدد الموظفين منهم فى كل فرع ولا سيما فى الفروع الإدارية العالية التى كثر فيها عدد الموظفين الأوربيين . وحكومة جلالته مستعدة لأن تواصل بمشاورة حكومة عظمتكم المفاوضات مع الدول الأجنبية لأجل إلغاء الامتيازات لكى يكون الموقف الدولى جليًا عندما يحين وقت إصدار التشريع

---

(١) اضيفت هذه الكلمة للنص بين السطور .

(٢) فى أصل البلاغ : ولكن رفض حكومة عظمتكم الحاضرة لهذه الاقتراحات أوجد حالة جديدة . وهذه الحالة لا تؤثر .

(٣) فى الأصل «ترغب» .

انظر جريدة الأخبار : المصدر السابق .

المصرى الذى سيحل محل تلك الامتيازات . وكذلك ترجو حكومة جلالته أن السلطة التى يباشرها الآن القائد العام تحت القانون العسكرى تباشرها الحكومة المصرية وحدها بمقتضى القوانين المدنية المصرية وهى تسر برفع الأحكام العسكرية حالما يصدر «قانون التضمينات» (Actof Indemnitr) ويعمل به فى كل المحاكم المدنية الجنائية فى مصر . وهو قانون لابد منه لحماية الحكومة المصرية وحماية السلطة البريطانية فى مصر .

«وأما من جهة المستقبل فإن حكومة جلالة الملك ترغب أن توضح بعبارة جلية السياسة التى تنوى اتباعها . فقد علمت أن المشروع الذى قدمته إلى وفد عظمتكم قد رفض بحجة أن الضمانات التي تضمنها المشروع لصيانة المصالح البريطانية والأجنبية تقضى على التمتع بالحكومة الذاتية تمتعا صحيحًا وهى تأسف غاية الأسف على أن استبقاء الجنود البريطانية فى مصر واشتراك الموظفين البريطانيين مع وزارتى الحقانية والمالية يساء فهم المراد منهما إلى هذا الحد .

[١٧٠١] إذا كان الشعب المصرى يستسلم إلى أمانيه الوطنية مهما كانت هذه الأمانى صحيحة ومشروعة فى ذاتها دون أن يكترث اكتراثا كافيا بالحقائق التى تستحكم فى الحياة الدولية فإن تقدمه فى سبيل تحقيق مطمحه الأسمى لا يصيبه التأخير فقط بل يتعرض للخطر تعرضًا تامًا إذ ليس من فائدة ترجى من وراء التصغير من شأن ما على الأمة من الواجبات وتعظيم ما لها من الحقوق وإن الزعماء المتطرفين الذين يدعون الى هذا لا يعملون على نهوض مصر بل يهددون رقيها . وهم بما كان لهم من الأثر فى مجرى الحوادث قد تحدوا مرة بعد مرة الدول الأجنبية فى مصالحها وأثاروا مخاوفها . وكذلك عملوا فى الأسابيع الأخيرة على التأثير على مصير المفاوضات بنداءات مهيجة استثاروا بها جهل العامة وشهواتهم . وإن حكومة جلالة الملك لا تعتبرأنها تخدم مصلحة مصر بتساهلها إزاء تهييج من هذا القبيل ولن يمكنوا[1] مصر تسير فى سبيل الترقى إلا متى أظهر قادتها المسئولون من الحزم والعزيمة ما يكفل قمع مثل هذا التهييج . فإن العالم تألم الآن فى جهات عديدة من الاندفاع فى نوع من الوطنية المتعصبة المضطربة وحكومة جلالة الملك تقاوم هذا النوع من الوطنية بكل شدة سواء فى مصر أو فى

(١) وردت (يُمكن) .

غيرها . وإن أولئك الذين يستسلمون لتلك النزعات إنما يعملون على جعل القيود الأجنبية التى يطلبون الخلاص منها أشد لزومًا وبذلك يطيلون أجلها .

«وإذا كان[١] الأمر كذلك فإن حكومة جلالة الملك مراعاة لمصلحة مصر ومصلحتها الخاصة أيضًا تستمر بلا تردد على مواصلة غرضها كمرشدة لمصر وأمينة على مصالحها . [١٧٠٢] ولا يكفيها أن تعلم أن فى استطاعتها العودة إلى مصر إذا تبين أن مصر بعد أن تركت لنفسها بغير معونة قد عادت الى عهد التبذير والاضطراب الذى لازمها فى القرن الماضى . فرغبة حكومة جلالة الملك أن تستكمل العمل الذى بدئ به فى عهد اللورد كرومر[٢] لا أن تبدأه من جديد . وهى لا تنوى أن تبقى مصر تحت وصايتها بل بالعكس ترغب فى تقوية عناصر التعمير فى الوطنية المصرية وتوسيع مجال العمل أمامها وتقريب الوقت الذي يمكن فيه تحقيق الروح الوطنى تحقيقا تامًا . ولكنها ترى من الواجب أن تصر على الاحتفاظ بالحقوق والسلطة الفعالة لأجل صيانة مصالح مصر ومصالحها الخاصة على السواء وذلك إلى أن يظهر الشعب المصرى أنه قادر على صيانة بلاده من الاضطراب الداخلى وما يترتب عليه حتما من تداخل الدول الأجنبية .

«وسبيل التقدم الوحيد للشعب المصرى يقوم على تآزره مع الإمبراطورية البريطانية لاعلى تنافرهما وحكومة جلالته لرغبتها فى هذا التآزر مستعدة فيما يتعلق بها إلى البحث فى أية طريقة قد تعرض عليها لأجل تنفيذ اقتراحاتها فى جوهرها وذلك فى أى وقت تريده حكومة عظمتكم . على أنها مع هذا لا يسعها تعديل المبدأ الذى بنيت عليه تلك الاقتراحات ولا إضعاف الضمانات الجوهرية التى تشتمل عليها . وهذه الاقتراحات من مقتضاها أن يكون مستقبل مصر فى أيدى الشعب المصرى بنفسه فكلما زاد اعتراف [١٧٠٣] شعبكم بوحدة المصالح البريطانية ومصالحه كلما[٣] قلت الحاجة إلى هذه الضمانات . وقادة مصر المسئولون هم الذين عليهم فى هذا العهد الثانى من اشتراكهم مع بريطانيا

---

(١) أضاف صاحب المذكرات (كان) ، الأخبار ، العدد السابق .

(٢) اللورد كرومر : المعتمد البريطانى فى مصر (١٨٨٣ - ١٩٠٧) ويعتبره الانجليز مؤسس مصر الحديثة وواضع أنظمتها ـ له كتاب شهير تحت عنوان Modern Egypt استعرض فيه الأوضاع المصرية خلال فترة وجوده في البلاد .

(٣) وردت هذه الكلمة بالأخبار ، وقد شطبها صاحب المذكرات .

العظمى أن يثبتوا ذلك[1] بقبولهم النظام الوطنى المعروض عليهم الآن وبالتزام جانب الحكمة فى العمل به .

«إن المصالح الحيوية للإمبراطورية البريطانية فى بلادهم يمكن أن توكل لعنايتهم بالتدريج» .

(١) أضيفت هذه الكلمة بين السطرين .

وصول الوفد الرسمى إلى مصر

[١٧٠٤] وصلت الباخرة التى تقل دولة عدلى يكن باشا وأعضاء الوفد الرسمى إلى ميناء الإسكندرية فى يوم ٦ ديسمبر سنة ١٩٢١ وقد سافروا فى نفس اليوم إلى القاهرة .

ولقد استقبلتهم الأمة فى المدينتين[١] وعلى طول الطريق استقبالاً حماسياً رائعاً تجلى فيه الشعور الوطنى بأظهر معانيه مما دل على أن الأمة تقدر العاملين المخلصين من أبنائها حق قدرهم فلا تغمط المحسن حقه ولا تغفر للمسئ إساءته .

وفى الساعة الرابعة مساء ذهب عدلى باشا إلى فندق الكنتننتال حيث حضر حفلة الشاى الفخمة التى اعدت لتكريمه فجلس وحوله الوزراء واعضاء الوفد الرسمى ومستشاروه وبعض الكبراء والعظماء من صفوة الأمة .

وبعد أن فرغ الخطباء من خطبهم وقصائدهم[٣] وقف عدلى باشا وألقى الكلمة الآتية :-

«أيها السادة

« إنى عاجز عن أن أوفيكم حقكم من الشكر على إكرامكم لى أنا وزملائى واحتفائكم بقدومنا

«وقد كنت أود أن يكون جوابى لكم فى هذا الاحتفال تقديم مشروع معاهدة يرضى آمال البلاد ويحقق استقلالها ولكننا سعينا ولم نوفق مع الأسف .

«إن هذه الفرصة لأسوأ الأوقات للقول[٤] فأكتفى الآن بأن أعلن أنى أنا وزملائى مدينون للأمة بالثقة التى وضعتها فينا وأعلنتها فى كل مناسبة أثناء المفاوضات . ومهما يكن من نتيجة المفاوضات فإنى لا أزال عظيم الرجاء فى أن الأمة تصل بنفسها إلى السعادة المرجوة بالثبات والاتحاد» .

---

(١) للاطلاع على مظاهر الاحتفال بوصول الوفد الرسمى ، انظر الأخبار عدد ٥٤٥ فى ١٩٢١/١٢/٧ .

(٢) كتب صاحب المذكرات كلمة (بالعكس) فى الهامش الأيسر دلالة على إعتراضه على ذلك .

(٣) ألقى عبدالعزيز فهمى بك خطبة ، تبعها إلقاء قصيدة من قبل الشيخ محمد عبدالمطلب ، وأخرى للشاعر أحمد نسيم . الأخبار عدد ٥٤٦ فى ١٩٢١/١٢/٨ .

(٤) صحة هذه الجملة على النحو التالى [إن هذه الفرصة لا تسمح بالإفاضة فى القول] . الأخبار العدد السابق .

الدعوة إلى الاتحاد
بعد التبليغ البريطانى

[١٧٠٥] ظهر نيات الإنجليز عند قطع المفاوضات الرسمية وتجلت بوضوح أكثر فى ذلك التبليغ الذى رفعه اللورد اللنبى إلى عظمة السلطان فكان ذلك دافعاً المصريين على اختلاف ميولهم وآرائهم إلى وجوب السعى وراء الاتحاد والوئام وطرح المنازعات الداخلية لتكوين جبهة قوية ضد الغاصب المحتل

ولقد بدأ بالدعوة إلى هذا الاتحاد سعادة حمد الباسل باشا وتلاه سعد زغلول باشا وكانت المواثيق الرسمية للمفاوضة قد نشرت مع التبليغ البريطانى .

وهذان هما النداءان على الترتيب :-

نداء إلى أمتنا الكريمة

[١٧٠٦] «اليوم وقد برح الخفاء وظهرت نيات الإنجليز نحونا فالواجب على الأمة أن تكون يداً واحدة تعمل بكل الوسائل المشروعة حتى تنزع حقها من يد الغاصب

«أراد الإنجليز أن ينتفعوا من خلافنا العرضى وقسمونا إلى متطرفين ومعتدلين ووجهوا الآن تهديدهم إلى من سموهم متطرفين فأنا إزاء هذا التهديد أصرح أننى أعمل بالتضامن مع كل متطرف يعمل لمصلحة مصر طارحًا الشقاق والخلاف ظهريًا . وإنى أرجو من صاحب المعالى سعد باشا وصاحب الدولة عدلى باشا وإخوانى أعضاء الوفد أن يتقدموا جميعا إلى العمل باتحاد وتضامن . والذى هو أكبر وطنية فيهم من يبدأ بمد يده إلى الاتحاد .

«ظن الانجليز أنهم بهذا التهديد سيجدون جماعة منا يتسمون بالمعتدلين حتى تنتفع انجلترا من هذه التفرقة وتقضى علينا فريقًا بعد فريق ولكننا سنبرهن لهم إنا جميعا متطرفون بالطرق المشروعة فى مصلحة الوطن ليس فينا معتدل

« فإلى الأمام ايتها الأمة الكريمة والى التضامن أيها المصريون

«ولتحيى مصر حرة مستقلة - وليحى التضامن»

حمد الباسل

٦ديسمبر سنة ١٩٢١

نداء للأمة من سعد باشا زغلول

[١٧٠٧] «بنى وطنى

خدعونا بعد الاحتلال بوعد الجلاء . وبعد الحماية بعهد الحرية والاستقلال . واليوم قاموا يجاهرون بخلف وعودهم ونكث عهودهم . ويصرحون بأن مصر لازمة لهم . وصالحها يقتضى مع صالحهم اخضاعها لحكمهم بل ضمها لأملاكهم

«تصريح ما أشد عنفه وما أسوأ وقعه . تصريح قطع كل أمل فى وفائهم .ولكن سيكون له أكبر فضل فى تقوية اتحادنا وإظهار هذا الاتحاد للناس جميعا فى أبهى مظاهره .

«نعم أمام هذا التصريح الفاضح . أمام هذا الخطب الفادح وفى هذا الوقت الرهيب نفزع إلى اتحادنا فنقويه وإلى صفوفنا فنجمعها . وإلى قوانا فنوجهها جميعا إلى دفع ذلك الخطر العظيم . ننزع الشهوات الدنيئة من نفوسنا . ونستل[1] الأحقاد الممقوته من صدورنا . ونتجرد عن الهوى وتكون الكلمة السواء بيننا ألا يطيب عيش لنا حتى ينطلق الوطن السجين ويتمتع باستقلاله التام ولانعتبر خصماً لنا إلا الذين أرادوا امتلاكنا . ونحصر همنا فى دفع بلائهم وإحباط أعمالهم .

«أيها المصريون

« إن الوطن يطلب منكم أن تخصصوا ما أودعه الله فى رءوسكم من حزم وحكمة . وفى قلوبكم من عزم وهمة . وفى إرادتكم من ثبات وقوة . وفى نفوسكم من صبر على الشدائد ومثابرة فى العمل . يطلب منكم أن تخصصوا كل هذه المواهب التى قواها فى نفوسكم وقعُ المصائب لخدمته واعلاء كلمته

[١٧٠٨] «إن فى قلوبكم إيمانا قويًا بحسن مصيركم ولاقاهر لايمان القلوب . وفى نفوسكم انقياداً لشعوركم الوطنى . والانقياد لهذا الشعور يوحد الجهود المختلفة ويدفع بها إلى وجهة واحدة .

«إننا متأكدون أن حقكم سيعلو على باطل خصومكم . وإنكم ستفوزون باستقلال

---

(١) بمعنى تنزع .

بلادكم وسيكون فوزكم فوزًا كريمًا . ومادام هذا المصير مصيركم فكل تعب فى سبيله راحة . وكل ألم لذة وكل فداء رخيص .

«إنكم أنبل الوارثين لأقدم مدنية فى العالم وقد حلفتم أن تعيشوا أحرارًا أو تموتوا كرامًا فلا تدعوا التاريخ يقول يومًا فيكم : أقسموا ولم يبروا بالقسم . فلنثق إذًا بقلوب كلها اطمئنان ونفوس ملئها استبشار وشعارنا الاستقلال التام أو الموت الزؤام ،

سعد زغلول

رئيس الوفد المصرى

٧ ديسمبر سنة ١٩٢١

التقرير المرفوع إلى حضرة صاحب العظمة السلطانية
من الوفد الرسمى المصرى
عن اطوار المفاوضات الرسمية

[١٧٠٩] وعقب وصول عدلى باشا إلى مصر أى فى يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٢١ رفع إلى عظمة السلطان التقرير المفصل الآتى عن تطور المفاوضات الرسمية :-

ياصاحب العظمة :

«أتشرف بأن أرفع إلى عظمتكم بيان ماجرى فى المفاوضات التى دارت بين وزارة الخارجية وبين الوفد الذى ألف بمقتضى الأمر الكريم الصادر بتاريخ ١٩ مايو سنة ١٩٢١ .

«أبحرنا من الإسكندرية أول يوليو فوصلنا إلى لوندره فى الحادى عشر من ذلك الشهر وقد أرسل لى اللورد كيرزون يوم وصولنا بدعوتى لمقابلته وعلمت أنه هو الذى سيتفاوض مع الوفد الرسمى المصرى من جانب الحكومة الإنجليزية يعاونه بعض كبار موظفى وزارته ، فقصدت اليه فى اليوم التالى وكان لى معه حديث تمهيدى لتحديد اجراءات المفاوضة وقد أفضى لى فى ذلك الحديث بأنه يقدر صعوبة المسألة ولكنه شديد الرغبة فى الوصول إلى اتفاق يرضى البلدين . ورجا أن يتذرع كلانا بالأناة والصبر فى الخلاف وألا تمنعنا شدته فى أمر من أن نتركه حينا ونعالج غيره من الأمور . وإذ كنا قد اتفقنا معه على أن تكون المناقشة مطلقة من كل قيد وأن يد لى كل فريق فيها بما يراه . كان لنا أن نتوقع أن تظهر ساحة الخلف[١] بين وجهتى نظرنا ونظر الحكومة الإنجليزية واسعة فى أول الأمر على الأقل . نعم إن الدعوة التى وجهتها الحكومة الانجليزية إلى عظمتكم قريبة فى صيغتها العامة من أساس برنامجنا الذى تضمن جوابنا [١٧١٠] على تلك الدعوة ولكنه قد يسهل الاتفاق على مبدأ ويختلف على تفصيل ذلك المبدأ والتفريع اليه . أما وجهة النظر المصرية فكانت سهلة واضحة إذ هى تنحصر فى طلب الاستقلال والغاء الحماية ويترتب على ذلك أن تكون مصر متمتعة بكل الحقوق التى

---

(١) يقصد : الخلافات .

تتمتع بها الدول المستقلة ذات السيادة التامة . غير أنه لما كان الشعور العام فى مصر قد درج من أول الحركة المصرية على التسليم بتقديم الضمانات الواجبة لمصالح انجلترا ومصالح الأجانب على العموم لم يكن لنا يد من أن نطلب من اللورد كرزون بادئ الرأى أن يحدد تلك الضمانات لنتعرف مبلغ اتفاقها مع معنى الاستقلال ، فإن كانت لاتنافيه قبلناها ، أو كانت تنافيه وتجعله إسما على غير مسمى لم نتردد فى رفضها . أما الاعتراف باستقلال مصر وإلغاء الحماية الإنجليزية فلم يكونا مثار خلاف بيننا وبين الحكومة الإنجليزية . إذ أن مفهوم المناقشة إنه إذا وصلنا إلى اتفاق بشأن تلك الضمانات كانت نتيجة ذلك الاتفاق وضع معاهدة تقرر استقلال مصر وإلغاء الحماية دوليا وتثبت تلك الضمانات .

«لم تكن مسألة الضمانات أمرًا جديدًا أو موضوعًا بكرًا فقد جرت بشأنها أحاديث فى العام الماضى ووضعت لجنة اللورد ملنر عنها مشروعًا ابدى عليه المصريون بعض التحفظات واعلنت الحكومة الإنجليزية فى دعوتها أنها لم تعلن قرارها بشأنه ، وذكر لنا اللورد كيرزن فى جلستنا الأولى أنها لم ترتبط بما فيه وأنها لاترتبط بغير الدعوة التى وجهت إلى عظمتكم بواسطة المارشال اللنبى فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٢١ فهو إذا لم تلتق إرادة الفريقين على أساس الحلول التى عرضت فيه فلا نزاع فى أنه حصر وجوه الاستشكال ومواقع الصعوبة فى المسألة المصرية . وقد جرت المناقشة فى الجلسات [١٧١١] التى حضرها الوفد مجتما[1] فى ١٣ و١٤ و١٩ و٢٠ و٢٩ يوليو فى مسائل القوة العسكرية الإنجليزية فى مصر وتمثيل مصر السياسى والموظفين الإنجليز فى وزارتى المالية والحقانية والامتيازات باعتبار أنها المسائل التى ترتبط بمعنى الضمانة والتأمين .

«أما مسألة القوة العسكرية التى كانت فى مشروع اللورد ملنر وسيلة لتحقيق غاية هى حماية المواصلات الامبراطورية فقد أصبحت فى نظر الحكومة البريطانية وسيلة لتحقيق غايات مختلفة .

«اولاها – الدفاع عن سلامة المواصلات الامبراطورية فى حالتى السلم والحرب

«الثانية– مساعدة مصر فى الدفاع عن سلامة الحدود المصرية من أى اعتداء خارجى إذا دعت اليها الحالة ،

(١) يقصد : مجتمعًا

« الثالثة – حماية المصالح الأجنبية ،

«الرابعة– مساعدة الحكومة المصرية فى قمع الفتن الخطيرة وحفظ النظام إذا دعت الحاجة إلى ذلك وأصبح لهذه القوة أن ترابط فى أى مكان من مصر ولأى زمان .

«ولقد يظهر من تعدد هذه الغايات وامتدادها إلى أهم مظاهر الحياة السياسية أن القوة العسكرية أصبحت بنفسها غاية لا وسيلة . وقد قيل لنا إن الحكومة الانجليزية لم تشاطر لجنة اللورد ملنر الرأى فى هذه المسألة . وكانت حوادث الإسكندرية حجتها الكبرى فى هذا المذهب الذى كان جديداً علينا .

[١٧١٢] «وأما التمثيل السياسى فقد وجدت الحكومة الانجليزية أن لجنة اللورد ملنر تجاوزت مدى مايحسن التسليم به لمصر وعندها أنه يحق لمصر أن تكون لها وزارة خارجية ووزير خارجية على أن يكون هذا الوزير فى أوثق اتصال وألصق علاقة مع مندوب انجلترا السامى وأن يكون تمثيلها السياسى موكولاً إلى ممثلى إنجلترا وانما يجوز لها أن تعين قناصل للأعمال التجارية وانه ليس لها أن تعقد أى معاهدة من غير موافقة إنجلترا .

«أما الموظفان الإنجليزيان للمالية والحقانية فقد اتخذت الوزارة الانجليزية بشأنهما الرأى الذى ورد به المشروع الأخير وهو من كل الوجوه أشد مما ذهبت إليه لجنة اللورد ملنر .

«وأما الامتيازات فقد كانت وزارة الخارجية سائرة فى طريق المفاوضة رأسا مع الدول على أساس ينقصه التعريف والتحديد .

«يتبين من هنا أن الموقف الذى اتخذته الوزارة الانجليزية بشأن المسائل التى تدور حولها الضمانات الواجبة لمصالح إنجلترا ومصالح الأجانب يختلف فى جملته وتفصيله عن المذهب الذى تعهدنا بالسعى فى تحقيقه . وقد قضينا الجلسات الخمس الأولى نمحص هذه المسائل ونرد النتائج إلى أسبابها والمعلولات إلى عللها الحقيقية وشفعنا المناقشة الشفهية بمذكرات أرسلت بتاريخ ٢٦و٢٨ يوليو جلونا فيها مابين آراء الوزارة الإنجليزية والاستقلال .

«ونعتقد أننا فى نهاية هذا الدور ظفرنا بإقناع اللورد كيرزن بمذهبنا فى علاقات مصر الخارجية وتمثيلها السياسى ثم انه لما كان الأساس الصحيح فى نظرنا للمفاوضة مع

[١٧١٣] الدول فى إلغاء الامتيازات لايتعين إلا بعد الفراغ من وضع المعاهدة بيننا وبين إنكلترا وكنا نخشى أن هذه المفاوضات يطول أمدها ولانريد أن يعلق نفاذ المعاهدة على انتهائها فقد رأينا أن خير مايتحقق به ذلك النفاذ ويتفى به التعليق هو أن تبقى الآن الامتيازات وأن تجرى المفاوضات بيننا وبين إنجلترا على أساس بقائها . وقد وجهنا البحث إلى هذه الغاية فأفسح اللورد كيرزن صدره لهذا الرأى ثم تلقاه بقبول حسن ، ولكننا لم نمارس فى هذا الدور تفصيل ذلك الرأى وترتيب النتائج عليه . وفوق ذلك فقد تقدم الكلام فى الموظفين المالى والقضائى ، اللذين أصبحا يسميان مندوبين ، شوطا يسيًرا . غير أن بعد مابين مذهبنا ومذهبهم فى المسألة العسكرية كان يقضى علينا قبل أن نخطو خطوة جديدة بأن نعالجها معالجة شديدة . وقد كان لى مع اللورد كيرزن حديث فى ذلك الشأن تلته مذكرة جديدة منه عن تلك القوات . وليس بين مذكرته الأولى فى هذا الموضوع وهذه المذكرة الجديدة اختلاف جدى فى تعريف أغراض القوة وأحكام وجودها . وكل مازادته الثانية على الأولى أن عدد تلك القوات والأماكن التى ترابط فيها أصبحا محلا لإعادة النظر ، وقد اقترحت المذكرة الجديدة أن تكون هذه المادة من المعاهدة قابلة للتعديل باتفاق الطرفين بعد عشر سنين ، ويراعى فى ذلك التعديل ماسوف يجد من الظروف وعلى الأخص قدرة الحكومة المصرية على احتمال قدر اكبر من المسئولية عن تنفيذ الأغراض التى نيط بتلك القوة القيام عليها . وقد دعانا اللورد كيرزن إلى استئناف

[١٧١٤] اجتماعاتنا إذا نحن قبلنا هذه المقترحات أساسًا لها . فتبينا أن الاتفاق على هذه المسألة عزيز المنال اذ كنا قد أبدينا حججنا فى هذا الصدد وأعدناها اكثر من مرة ولكننا لم نكن نعرف بعد مدى ماتقبله الحكومة الإنجليزية فى غيرها من المسائل إذ لم تكن المقترحات التى عرضت علينا إلا اقتراحات أولى لاتلبث أن تتكيف بفعل المناقشة والتفاهم إلى صيغ وحلول أخرى ، غير أننا كنا نخشى من جهه أن يعتبر اللورد أن قبولنا الاستمرار فى معالجة المسائل الآخرى بعد ذلك الكتاب ، منا بمقترحاته فى المسألة العسكرية ونؤمل من جهة أخرى أن نجلو وجه المسألة المصرية ونتعرف حقيقة مذهب الحكومة الانجليزية إذا نحن استزدنا من المناقشة فيها وكنا بين أن نجتزئ من المناقشة بذلك القدر الناقص ونقفل راجعين قانطين من الوصول إلى حل قبل أن نتبين حقيقة مقاصد الحكومة الإنجليزية أو أن نأخذ بما اتفقنا عليه فى الجلسة الأولى من أنه

لايمنعنا اتساع مسافة الخلف بين مذهبينا فى مسألة من أن نعالج غيرها من المسائل ، فرجحنا الرأى الأخير - على أننا أردنا أن ننفى كل شبهة تستفاد من استئنافنا المناقشة فرددنا على اللورد كيرزن برسالة كاشفناه فيها مرة أخرى بحقيقةرأينا ورأى الأمة فى اقتراحاته بشأن المسألة العسكرية وأبدينا استعدادنا للمناقشة فى المسائل الأخرى ليكون البحث كاملاً شاملاً لوجود القضية المصرية وليسمح بقياس مسافة الخلف بيننا وبينهم .

«وعلى أثر ذلك سارت المناقشات فيما عدا مسألتى القوة العسكرية والتمثيل السياسى سيرًا معتدلاً . أما هاتان المسألتان فقد بقيتا معلقتين حتى نفرغ من المسائل [١٧١٥] الأخرى وبقى كل منا محتفظا برأيه إلى حين يجئ دورهما وقد بدأنا هذه المفاوضة التفصيلية مجتمعين ثم توليتها وحدى أو مع زميل لى وامتدت من ١٧ أغسطس إلى ٢٦ عقدت فيها خمس جلسات قطعنا فيها شوطًا بعيدًا فى تقريب مابين وجهتى نظرنا ونظرهم فى المسائل التى تعرضنا لها .

«أما مسألة الامتيازات فقد أصبح من المسلم به تأجيل البحث فيها فانقطع بذلك الكلام فيما ارتبط بها من أحكام مشروع لجنة ملنر[١] التى بنيت على تقدير أن الغاء الامتيازات جزء من المعاهدة لايتجزأ وشرط لازم لنفاذها وانقطع أيضا ، تبعًا لذلك ، الكلام فيما يتعلق بهذه الأحكام من التحفظات المصرية كذلك بقى صندوق الدين باختصاصه الحالى باعتباره نظامًا دوليًا ينطبق عليه ماذكرناه عن الامتيازات من طول الزمن اللازم للمفاوضة فى تغييره . وقد ترتب على هذه الحالة وعلى ماحصلنا عليه من التأكيدات المتعددة بأن الحكومة الإنجليزية ليست راغبة فى التدخل فى الإدارة المصرية أن الحديث فى الوسائل التى يراد بها حماية المصالح الأجنبية لم يعد يتخذ صورة المندوبين المالى والقضائى بل أصبح من المنتظر ألا تكون تلك الوسائل ذات خطر على الاستقلال .

وقد عرضت وزارة الخارجية للمناقشة شئونا شتى منها مسألة قنال السويس وكانوا قد طلبوا أن تنظر الحكومة المصرية فى تأمين الشركة على مد امتيازها ، ومسألة أسلاك

(١) للاطلاع على مشروع ملنر الذى قدمه فى ٥ أغسطس ١٩٢٠ إلى عدلى باشا لعرضه على الوفد ، أنظر الجزء الثالث من المذكرات ص ١٠٠ - ١٠٥ .

التلغراف البحرية ومحطات التلغراف اللاسلكى والترخيص من الآن للحكومة الإنجليزية وللشركات التى توصى بها تلك الحكومة بإنشاء ماترى إنشاءه منها واشترط موافقة المندوب السامى على إنشاء الأسلاك والمحطات فى الحالات الأخرى ، ومسألة [١٧١٦] تعهدات مصر فيما يتعلق بالخراج الذى تدفعه مصر سدادًا لدائنى تركيا ومنها تعويض الموظفين الذين تخرجهم الحكومة المصرية من خدمتها على أثر تنفيذ المعاهدة أو يخرجون من تلقاء أنفسهم . وقد كانت هذه المسائل محلا لأبحاث مستفيضة ومذكرات وافية[١] قررنا فيها وجهة نظرنا ويظهر أن ردودنا على المسألتين الأوليين حملتهم على الاقتناع بالعدول عن مطالبهم بشأنهما .

«اعترضنا هنا فصل الاجازة وهو الفصل الذى توقف فيه جلسات البرلمان وينقطع رجال السياسة عن العمل مدة تتراوح بين الثلاثة والخمسة أسابيع وقد مضى الأمر هذا العام على سننه المعروف فلم يكن بد من التربص بعملنا حتى تنقضى هذه الفترة وقد غادرنا لندرة فى هذا الفصل وجعلنا نستعد لإتمام مابدأناه من تضييق مسافة الخلف فى المسائل التى كانت تشغلنا فى هذا الدور فلما عدنا فى نهاية الأسبوع الأول من اكتوبر استأنفنا أحاديثنا وعقدنا ثلاث جلسات بين الحادى عشر والسابع عشر من أكتوبر .

«لم يبق شئ من أغراضنا خافيا أو مجهولا وقد أصبحت المسألة ناضجة لأن تنتقل المناقشة من المبادئ إلى النصوص لذلك ذكر لنا اللورد كيرزن منذ عودتنا فى أكتوبر أنه بعد انتهاء المناقشة سيحصر ما انعقد عليه الاتفاق وما ثار عليه الخلاف فما استطاع تذليله من هذا فعل ومالم يستطع عرضه على الوزارة البريطانية داعيا[٢] جهده إلى التوفيق عاملاً على ذلك .

[١٧١٧] وفى اليوم الثانى من نوفمبر بعد الفراغ من هذه المناقشات اجتمعت بالمستر لويد جورج[٣] وكان قد سبق لى به اجتماع قبل سفرنا للأجازة وعدنى فيه بأنه سوف يهتم

---

(١) راجع المذكرة التى قدمها اللورد ملنر ، وكذا مشروع المعاهدة الذى قدمه الوفد للجنة ملنر/ فى الجزء الثالث من المذكرات : ص ٨٨ وما بعدها .

(٢) حذف صاحب المذكرات هذه الكلمة وكتب فوقها [باذلاً] .

(٣) لويد جورج (١٨٦٣ - ١٩٤٥) رئيس وزراء بريطانيا [١٩١٦ - ١٩٢٢] خلال الفترة الحرجة لأواخر الحرب العالمية الأولى والفترة التى أعقبتها .

شخصيا بمسألتنا بعد عودته من الاجازة - فقصصت عليه نبأ ماجرى من المفاوضات واحطته علما بموقفنا فى مختلف المسائل وقد ذكر لى أنه أجل المناقشة فى المسألة المصرية فى الوزارة حتى يتحدث معى فى شأنها وأنه شديد الرغبة فى صداقة الأمة المصرية ثم وعد بإرسال المشروع بمجرد الفراغ من وضعه ـ فلبثنا ننتظر مايستقر عليه رأى الحكومة الانجليزية وتنتهى إليه رغبتهم فى الاتفاق .

«فى اليوم العاشر من نوفمبر سلمنى اللورد كرزن مشروع الحكومة الانجليزية وقد رددنا عليه بالإيجاز معلنين فى ختام ذلك الرد أن المشروع لايجعل محلا للأمل فى الوصول إلى اتفاق وقد رأينا لذلك انه لاوجه للبحث فى الطريقة التى يكون بها الاعتراف باستقلال مصر دوليًا كما لم نر وجهًا لإعادة البحث والمناقشة فى أبواب المشروع الأخرى وإن عظمتكم لتجدون فى المذكرات التى تبادلناها مع وزارة الخارجية وفى محاضر الجلسات التى أثبتنا فيها مذكراتنا الشفهية تفصيل ماكان منا ومنهم : وهذه المذكرات والمحاضر تغنينا عن نقد المشروع وتفصيل الرد عليه . إذ الواقع أن هذا المشروع غاب عنه كل أثر للتطور الذى جرى فى المفاوضات فهو لم يتحول عن الاقتراحات الأولى التى عرضت فى شهر يوليو إلا فى مسألة التمثيل السياسى وقد قبله المشروع ولكنه أحاطه بقيود لاشت من أثره ومعناه بل لم يقتصر الأمر فيه على إيراد الاقتراحات الأولى نفسها فإن المادة المتعلقة بالمسألة العسكرية فضلا عن أنها لم تعد تذكر مسألة التوقيت عدلت بيان الأغراض التى ينبغى من أجلها وجود القوة العسكرية فاستبدلت من حماية المصالح الأجنبية والمساعدة فى قمع الفتن إذا دعت الحالة [١٧١٨] لذلك الدفاع عن المصالح الحيوية لمصر وهى عبارة أبعد مرمى وأوسع مدلولاً لايكاد يمتنع معها أى قدر من التداخل فى شئون الإدارة المصرية .

«على أن فداحة الاقتراح الإنجليزى الذى عرض علينا فى يوليو كانت تجعلنا نعتقد انه اقتراح ابتدائى لايلبث أن يتغير تحت فعل رغبة التفاهم خصوصًا وقد استمر المفاوضون الإنجليز فى المفاوضة بعد أن لم نترك لهم محلا للشك فى أننا لايسعنا قبوله أو دعوة الأمة إلى قبوله وقد جاء المشروع فى هذا الصدد مختلفا جد الاختلاف عما اقترحته لجنة لورد ملنر وانه وإن كان حقا أن الحكومة الانجليزية تحفظت فى دعوتها للحكومة المصرية فلم تذكر أنها وافقت على اقتراحات تلك اللجنة فإنه كان لنا أيضا

بحق أن نذكر أن الحكومة الإنجليزية تركت اقتراحات لجنة اللورد ملنر تنشر ويستشار فيها وهو أمر لم يجر له مثال فى هذا النوع من المفاوضات . ويصعب جداً بعد ذلك على من يحكم بدون هوى أو تحيز أن يقدر أن الحكومة الإنجليزية تفكر جديا فى إرضاء المصريين والوصول معهم إلى اتفاق على أساس أقل مما عرض عليهم فى العام الماضى وهو مالم يقبلوه إلا معدلاً بتحفظاتهم . نعم إن اللجنة لم تربط الحكومة الإنجليزية وان هذه لم تربط ولكن نشر مشروع اللجنة رسميا فى مثل هذه المسائل يغنى عن التعهد الصريح بألاتنزل الحكومة دونه هذا إذا لم تدفعها رغبة الاتفاق إلى قبول مافوقه .

[١٧١٩] «لاتنكر أن حوادث اسكندرية وقعت بعد ذلك وكنا أول الآسفين لها غير أنه مهما يكن من خطورة تلك الحوادث ومن تهويل بعض الأجانب فيها واضطرابهم بسببها فقد بينا وجه الحق فيها وأظهرنا أنها لم تنشأ عن تعصب أو كراهة للأجانب وأنها عرضية لم تكن لتحدث فى غير الدور التاريخى الذى حدثت فيه وكما اقتنع الأجانب هنا بأنهم يعيشون مع المصريين فى أمن ودعة فقد كنا نرجو أن نقنع الحكومة الانجليزية بأن المصالح الإنجليزية والإجنبية على السواء غير مهددة فلا ينبنى على تلك الحوادث أو على مايشبهها حكم دائم أو نظام ثابت .

«ولم نكن على العموم توقعنا مشروعًا يرضينا لأول وهلة بل مشروعًا يترك محلاً للأخذ والرد وإنما يترك إلى جانب ذلك أملا فى أننا لانزال به حتى نصل منه إلى أساس صالح للاتفاق .

«والذى لانزاع فيه أن هذا المشروع يصدر عن شئ كثير من الحذر و الحرص من جانب الحكومة الانجليزية ومع أن قدرًا من الحذر والحرص معقول ومقبول فإن الغلو فيها ناف للثقة التى يجب أن تكون أساسًا لمحالفة بين بلدين مناف لها .

«وقد أشرنا إلى المحالفة بين البلدين وكانت أحاديث العام الماضى قد جرت بأنها خير مايبرم بين البلدين من العلاقات وجاءت دعوة الحكومة الإنجليزية إلى إنشاء علاقة مرضية بين البلدين مؤيدة لذلك الرأى . ثم جاءت المادة الأولى من المشروع تذكر المحالفة بالنص الصريح ولكننا قلبنا المشروع كله فلم نجد فى ثناياه غير تلك

[١٧٢٠] الإشارة المجملة وكان حقا ألا تلتقى المحالفة وماتذهب إليه إنجلترا من أنها مسئولة عن

مصر فى مشروع واحد فإن لكل من الوجهتين معنى وحكما لايتفقان وقد أدرك واضع المشروع ذلك فجعل المساعدة التى تبذلها مصر لانجلترا والتى هى أهم مظاهر المحالفة من الجانب المصرى نتيجة لازمة عن المسئولية التى تقبلها إنجلترا متطوعة بها منفردة فيها بدلاً من أن تكون أحد العوضين فى عقد له طرفان .

«أخذنا على أنفسنا أن نسعى للاعتراف بمصر دولة مستقلة فى الداخل وفى الخارج ولإلغاء الحماية الغاء صريحًا ولكننا ألغينا المشروع الذى تمخضت عنه مفاوضات طويلة عسيرة لايحقق الغاية التى جئنا للمفاوضة من أجلها - فكان حقا علينا أن نرى المفاوضات غير منتجة وألا نسترسل فيها لأكثر من ذلك .

«بعد عودتنا إلى مصر اطلعنا على المذكرة التفسيرية التى أرسلتها الحكومة الإنجليزية إلى عظمتكم بيانًا لخطتها فى المفاوضات ومرامى سياستها فى مصر ولسنا فى حاجة لأن نقول ان هذه المذكرة أيدت مافهمناه من المشروع وقد كان محور المفاوضة تأمين المصالح الإنجليزية والأجنبية وكنا مستعدين لأن نقدم مايلزم لذلك من الضمانات إذ لاننكر أن الاتفاق على هذه الضمانات مدعاة لحسن التفاهم وصدق التعاون بين البلدين ولكن مانفهمه نحن فى هذه الضمانات أنها تترك استقلال مصر قائما سليما وتقوم إلى جانبه لحماية تلك المصالح فقط دون افتيات على حرية مصر غير أن المذكرة تبنى على تلك المصالح حقوقا تتعدى مجرد المحافظة عليها إلى تقرير مشروعية وضع يد إنجلترا على مصر فلم يكن لهذه المذكرة إذن أن تجعلنا نغير رأينا فى المشروع أو نتحول عن الخطة التى سلكناها . [١٧٧٢]

«ولا يفوتنى قبل أن أختم هذه الكلمة أن أشير إلى الصدمة العنيفة التى باغتتنا بمرض صديقى رشدى باشا[1] وهو أشد مايكون انهماكا فى العمل وزهدًا فى دواعى الراحة وماخلفه ذلك الحادث فى نفوسنا من الحزن العميق وقد كنا وإياه على اتفاق تام فى كل مافعلناه قبل أن يصيبه ذلك المرض وعلمنا منه أنه موافق على ماجرى بعده .

---

(١) حسين رشدى (١٨٣٦ - ١٩٢٨) - مفتش فى وزارة المعارف ثم قاضى - وزيرا للحقانية ١٩٠٨ - ١٩١٠ ثم للخارجية حتى ١٩١٢ أصبح رئيس للوزراء بعد إعلان خلع عباس الثانى (ديسمبر ١٩١٤) - ساند الوفد عند قيامه واستقال بعد أن رفضت الحكومة البريطانية سفر الوفد إلى باريس .

«كذلك لايفوتنى أن أشير إلى العون الجليل الذى لقيته أنا وزملائى اعضاء الوفد من المستشارين الفنيين ورجال السكرتارية .

«وإن من دواعى الفخر والسرور لنا ما أظهرته الأمة المصرية من الحكمة واليقظة أثناء سير المفاوضات ومن التجمل والتجلد عند انقطاعها وإن ذلك لجدير بأن يتغلب على الظنون والمخاوف التى لاتزال تساور الوزارة الإنجليزية على مصير البلاد إذا ترك أمرها بيدها .

«وقد يخفف عنا أن الرأى العام الإنجليزى ، بمقدار ما تنطق بلسانه صحافته الكبرى وتعبر عنه الأوساط السياسية المختلفة التى غشيناها ، أحسن ظنا بمصر إذا حققت آمالها ، وأجيبت مطالبها . وأنه لايعتبر إرضاء مصر تهاونا أو تفريطا بل عدلا وحسن سياسة .

«وعلى أى حال فليس لنا أن نيأس من روح الله أو من صحة عزيمة الأمة على المطالبة باستقلالها ولنا بعد ذلك فى عظمتكم خير من يرعى هذه الأمة ويسهر على مصالحها .

«والله اسأل أن يكلأ عظمتكم بعين رعايته وأن يوفقكم إلى مافيه خير البلاد وإنى لا أزال لعظمتكم العبد المطيع والخادم المخلص الأمين» ،

عدلى يكن

القاهرة فى ٩ ربيع الثانى سنة ١٣٤٠ ، ٨ ديسمبر سنة ١٩٢١

استقالة الوزارة العدلية

[١٧٢٢] رأى عدلى باشا بعد عودته انه لم يصل إلى الغرض الذى ألف من أجله وزارته وهو حل المسألة المصرية بطريق المفاوضة مع الحكومة الإنجليزية ولذلك قدم استقالته إلى عظمة السلطان فى نفس[١] اليوم الذى قدم فيه تقريره السابق وهاهى نص الاستقالة[٢]

«ياصاحب العظمة[٣]

لما أولتنى عظمتكم عالى ثقتها ودعتنى إلى تشكيل وزارة[٤] يكون أخص أعمالها أن تتولى المفاوضة لوضع اتفاق مع الحكومة البريطانية تشرفت بأن أعرض على عظمتكم[٥] بتقريرى المؤرخ ١٧ مارس سنة ١٩٢١[٦] برنامجنا الوزارى وزدته تفصيلاً عندما شكل الوفد الرسمى .

«وبما أن المفاوضات التى باشرها الوفد الذى رأسته فى لندرة منذ بضعة أشهر لم تسفر عن تحقيق ذلك البرنامج فإنى أتشرف بأن أرفع لعظمتكم استقالة الوزارة وأرجو أن تتكرم عظمتكم بقبولها وقبول جليل شكرى وعظيم اكبارى للتعطف السامى الذى تفضلتم على به .

«وإنى لا أزال لعظمتكم العبد المطيع والخادم المخلص الأمين» ،

تحريراً بالقاهرة فى ٩ ربيع الثانى سنة ١٣٤٠ عدلى يكن

٨ ديسمبر سنة ١٩٢١[٧]

---

(١) كتب صاحب المذكرات هذه العبارة فى اعلى هامش الصفحة ، ورأينا وضعها هنا بعد أن قام عبد الرحمن فهمى بحذف هذه العبارة فى بداية الحديث عن الاستقالة «وهذه هى صورة كتاب الاستقالة المرفوعة من دولة عدلى باشا يكن فى ٨ ديسمبر ١٩٢١ .

(٢) قدم عدلى باشا استقالته فى ٨ ديسمبر ولم يرد عليها السلطان بالقبول إلا يوم ٢٤ ديسمبر ، لذلك لم تنشر رسميا إلا بتاريخ ٢٦ ديسمبر ـ الأخبار ، عدد ٥٦١ ، ١٩٢١/١٢/٢٦ .

(٣) وردت يا صاحب العظمة السلطانية ، الأخبار ، العدد السابق .

(٤) وتلك بأمر صادر فى ١٦ مارس ١٩٢١ ، أنظر الجزء الثالث من المذكرات ، ص ٢٥١ .

(٥) جاءت (فعرضت على عظمتكم) ، انظر محمد على علوبة : المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

(٦) ورد هذا التقرير المشار إليه والذى تضمن البرنامج الوزارى ، فى ١٧ مارس ١٩٢١ . ورد بالجزء الثالث من المذكرات ، انظر الصفحات من ٢٥١ إلى ٢٥٣ .

(٧) وفى تعليق علوبة على هذه الاستقالة نجد أنه أخذ جانب عدلى باشا حيث ذكر أنه استقال فوراً بعد أن قطع المفاوضات وتعذر تنفيذ برنامجه ، ومن ثم ذكر أنه لم يكن بالرجل الذى تطمع نفسه إلى البقاء فى وزارة دون أن يكون له غرض وطنى يخدم به بلاده ، ولم يكن إذن بالرجل الذى يستحق المطاعن التى وجهها سعد إليه ، انظر علوبة ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

نداء للأمة من أعضاء الوفد المنشقين

ولقد دفعت استقالة عدلى باشا أعضاء الوفد المنشقين إلى إصدار نداء للأمة حثوا فى آخره على أن يرفض كل مرشح للوزارة الجديدة قبول هذا المنصب وهذا نصه :-

«طالبت الأمة باستقلالها التام وأوفدت وفدها إلى مؤتمر السلام معتمدة فى بلوغ آمالها بعد الله على حقها الطبيعى فى الحرية وعلى العدل الإنسانى الذى يأبى أن تضام[1] أمة متمدينة فى أعز مقومات حياتها ويقذف بها فى هاوية الذل والاستعباد .

[١٧٢٣] وخاب أملنا فى عدل الأقوياء وأوصدت فى وجوهنا أبواب مؤتمر السلام وأخذ الحلفاء يتقهقرون شيئا فشيئا عما سموه «تقرير المصير» واتخذوا العهود التى قطعوها على أنفسهم هزوًا فالجأتنا ضرورات الحياة إلى أن نجارى بريطانيا العظمى فى النظر فيما تدعيه من الضمانات غير الماسة بالاستقلال على أنه ليس الأقوياء هم الذين يحتاجون إلى أخذ ضمانات ممن هم أقل منهم قوة بل كان المعقول أن مصر هى التى تطلب من بريطانيا ضمانات على احترام التزاماتها فى المعاهدة المطلوبة .

«وعلى هذا قبلت مصر الدخول فى المفاوضات ولكنهم من مفاوضة إلى مفاوضة ومن خطوة إلى خطوة أخذ الانجليز يبالغون فى هذه الضمانات وانتهى الأمر بأن أصدروا مشروع الحكومة البريطانية فإذا استقلالنا الذى صدر به المشروع ليس إلا احتلالاً قانونيا فوق حماية من أثقل أنواع الحمايات واذا ببلادنا كل شبر من أرضها طريق للبريطانيين تطؤه أقدامهم عندما يشاءون . وبالجملة فإذا نحن بهذه المعاهدة أسوأ حالاً منا فى كل زمان عهدناه من قبل . ثم فسر هذا المشروع بمذكرة إلى عظمة السلطان يتحدى فيها [١٧٢٤] البريطانيون بقوتهم ويجرون فيها وراء أطماعهم من غير التفات إلى ما إذا كان تحقيق هذه الأطماع يهدد شخصية أمة طالما ادعوا صداقتهم لها وطالما اعترفوا بخدماتها لهم فى الحرب الكبرى .

«رفضت حكومة عظمة السلطان هذا المشروع بإباء وقطعت المفاوضات وأقرتها الأمة على عملها هذا واستقالت وزارة الثقة[2] من مناصبها ورجعنا من كل جهودنا

---

(١) بمعنى تظلم .

(٢) إشارة إلى وزارة عدلى يكن باشا الأولى من ١٦ مارس ١٩٢١ إلى ٢٤ ديسمبر ١٩٢١ .

السابقة ومن البيانات البريطانية والمشروعات البريطانية إلى حالنا الأولى من قبل المفاوضات . بل زاد على ذلك أن الحكومة البريطانية تهددنا بأنه إذا لم توافق الأمة على عقد استرقاقها بيدها بقيت على ماهى عليه تتخبط فى ظلمات المجهول من المستقبل ونفذ فيها بالكره مالم تقبله بالطوع . والواقع أنهم قد راموا منا ما لاينال وكلفوا أنفسهم شططا . فإن فناء الأمة المصرية اقرب احتمالاً من أن ترضى بغير الاستقلال .

«ها نحن أولا ، فى مفترق الطرق وفى دور حاسم من جهادنا لنيل استقلالنا . فيجب علينا أن نلم شعثنا ونقوى اتحادنا ونحكم عرى تضامننا فلايكون من أنفسنا عون علينا ومحبط لسعينا ومهدر ضحايانا ومضيع لآمالنا . لايكون منا وزارة ترضى بحكم الأمة قسرًا وعلى غير ما تختار إن وزارة تدخل بعد رفض هذا المشروع وعلى حدود مذكرته التفسيرية إنما هى وزارة مخيبة آمال الأمة فى مستقبلها وعاملة على تنفيذ الحماية بالقوة المسلحة . نقول ذلك ونحن على ثقة من أنه لايوجد مصرى ذو كرامة يرضى بتأليف وزارة فى هذا الظرف أى يرضى أن يبيت خنجره فى صدر أمته ولن يفتر أحد بما عسى أن يرضاه الإنجليز من وضع برنامج براق أيًا كان فلقد جربنا وعودهم ثم جربنا رضاهم بالبرامج الوزارية فما جنينا من وراء ذلك إلا نتيجة واحدة وهى خيبة الرجاء فى صدقهم معنا . وكأنهم عدلوا على استدراجنا وانزالنا عن مطلبنا الأسمى إلى درك الذل [١٧٢٥] والهوان . كل ذلك من غير مبالاة بالوعود التى وعدوها منذ دخلوا بلادنا إلى الآن .

«فباسم الوطن نناشد كل مرشح للوزارة أن يرفضها بتاتا لنترك للانكليز مسئولية حكم البلاد على قاعدة «حق الأقوى» أو على قاعدة إذلال الضعفاء من بنى آدم . نتركهم يخنقون حريتنا بغير واسطتنا ومن غير أن نقدم لهم الحبال التى يخنقوننا بها .

«إن مصلحة الوطن توجب فى هذه الظروف الصعبة على كل فرد وعلى كل جماعة أن يلتزموا فى سلوكهم حدود القوانين وألا يثقلوا على البلاد حملها الذى ينقض ظهرها بالتفريط فى رعاية المنافع الأجنبية التى فى بلادنا كما كانوا يرعونها من قبل بل أشد رعاية من ذى قبل . فإن حسن المستقبل رهن بحسن سلوكنا فى هذه المحنة التى نحن فيها وفى هذه الضراء التى نعانيها والتى فيها يطلب الوطن إلى بنيه أقوى الجهود وأغلى الضحايا» ،

عبد العزيز فهمى . محمد محمود . أحمد لطفى السيد . جورج خياط . عبداللطيف المكباتى . محمد على . حافظ عفيفى ،

٩ ديسمبر سنة ١٩٢١

السياسة العملية

اتحاد الأمة واتحاد وفدها

التضحية واجبة من الجانبين ـ الشعب مطالب بأن يقول كلمته

[١٧٢٦] «ولقد حفزت هذه الحال السيئة كل الكبراء من الغيورين على مصالح الأمة إلى الدعوة للاتحاد . ولقد أراد على بك ماهر عضو الوفد أن يكون الاتحاد عملياً فوجه للأمة الدعوة الآتية بالعنوان السابق وهى :-

«مزق الإنجليز شملنا ولعبوا بنا لعب الصولجان بالكرة حتى جاءت مذكرتهم الايضاحية الأخيرة فصدمتنا صدمة عنيفة دفعتنا إلى حافة الهاوية .

«فالواجب الساعة قبل اليوم واليوم قبل الغد على المصريين جميعاً أن يتعرفوا المركز الدقيق الذى نحن فيه ومابيننا وبين الموقعة الفاصلة التى تهدد حريتنا وشرفنا الوطنى إلا القليل فإن لم نتدارك الأمر ونعمل على الخلاص زلت بنا القدم وتحملنا المسئولية العظمى أمام الأجيال المقبلة .

«دعونا من أيام خلت إلى تكوين لجنة تحكيم تتحول إلى مؤتمر وطنى فكادت تكون دعوتنا صرخة فى واد لأن الكثيرين أساءوا فهم قصدنا واهتموا باللفظ دون الجوهر فالتحكيم والمصالحة والشورى عندنا سواء وماكان الغرض إلا وجود لجنة توفيق يرضاها الطرفان لتعمل حتى تتكون منهما هيئة واحدة تعمل لبناء الوحدة على أساس وطيد متين ونحن فى أشد الحاجة إلى هيئة واحدة يكون عملها خاليا من كل لون حزبى تستمد الرأى من الأمة وتتكلم باسم الأمة تعمل للأمة وحدها وتقود الأمة كلها حتى يمكن أن يقال بحق أن لنا هيئة تمثل الأمة تمثيلا صحيحاً .

[١٧٢٧] «إن الثقة شئ والتمثيل شئ آخر فإن الزعيم الكبير سعد باشا زغلول يملك ثقة الأغلبية العظمى فى الأمة - وإن شئت فقل الأمة بأسرها - لكنه لايمكنه أن يمثل الأمة وحده. ولن تقبل أمة - تصبو نفسها إلى الدستور والحرية والاستقلال - أن تضع مستقبلها بيد رجل فرد مهما عظمت مواهبه فإن حكم الفرد قد ثبت فساده ومضى زمانه. إنما يمثل الأمة مجموع أبنائها الذين يحصلون على ثقتها أو ثقة فريق منها فيتضامنون فى خدمتها ويتعاقبون فى العمل لرفعتها على التوالى والاستمرار وإلا بقيت الأمة بلا ممثل فى فترات طويلة ما دام ظهور الأبطال فى نظر الجمهور لايكون إلا من وراء الحوادث التاريخية الكبار.

«ولقد كان الوفد المصرى - قبل أن يتفرق رجاله- يمثل الأمة أحسن تمثيل ممكن فكان رمزًا صحيحًا لوحدتها وعنوانا طيبا لأمانيها واسمه كان محبوبًا جدًا فى البلاد من أقصاها إلى أقصاها فليبق الوفد وليبق اسمه الذى ألفه الناس. إنما يحسن أن يدخل فيه عنصر جديد من ذوى الكفاءة والإخلاص يساعد على تجديد روح الوحدة فيه.

«أما إذا تكونت اليوم هيئات أو أحزاب مختلفة فإن سعيها لغاية واحدة لاتجردها من الصفة الحزبية فالمنافسة لا تمنع والجرى على سياسة عملية مشتركة لايتيسر.

«ويكون من السهل على اليد الإنجليزية أن تحفر فى الخفاء وتوسع الهوة بين كل هيئة وأخرى والماضى القريب قد أثبت لنا ذلك بوضوح وألقى علينا دروسًا قاسية. ولا عيب فى أن يخطئ المرء إنما العيب فى ألا يستفيد من تجاربه وتجارب غيره فى أنحاء [١٧٢٨] العالم فما وجدت فى أوربا وزارات الائتلاف فى هذه الأزمات عبثا وما كان النصر للحلفاء إلا بعد توحيد القيادة. وقد تنبه الشعب فى بلادنا لذلك عند سفر الوفد المصرى فى سنة ١٩١٩ فرأى أن يعدل الحزب الوطنى عن إرسال وفده[١] فأذعن الحزب واستحق شكر الرأى العام واعجابه.

---

(١) يعتبر الأمير عمر طوسون أول من فكر فى تأليف وفد للمطالبة بحقوق مصر فى مؤتمر الصلح وعرضها على سعد زغلول فى ٩ أكتوبر ١٩١٨ أثناء حضورهم الحفل الذى أقامه رشدى باشا احتفالا بعيد جلوس السلطان (الملك) فؤاد. فأقرها سعد ووافق عليها ووعد بأن يفاتح أصدقاءه بالقاهرة فى تنفيذها وفى يوم الهدنة ١١ نوفمبر سافر الأمير إلى القاهرة والتقى بسعد، وعلم منه أنه على موعد هو وزميلاه على شعراوى وعبدالعزيز فهمى لمقابلة السير ونجت يوم ١٣ نوفمبر وظهر له أن سعد أراد أن ينفذ الفكرة التى فاتحه فيها ولكن بعيدًا عنه، فاجتمع الأمير

«نشأ الشقاق بين الزعماء فتسرب إلى صفوف الأمة وإذا عاد الوفاق بين الزعماء عاد فى صفوف الأمة . فهل يرضى الزعماء أن يكونوا عقبة فى سبيل الاتحاد الصحيح وهل يرضون أن تنمو العواطف الشخصية على حساب العواطف الوطنية .

«انا لانشك لحظة فى أن كل فريق إذا نظر إلى الأمر نظرة مؤرخ وخلا بنفسه بعيدًا عن الجو السياسى الذى تطوف فى سمائه بقايا غبار المشاحنات الداخلية وبقايا الروح الحزبية والمنافسة العدائية أمكنه أن يرى الأشياء بمقياسها الحقيقى وأن يزن الأمور بميزانها الصحيح وربما صغر فى عينيه ماكان من طلباته - شروط الصلح - يبدو جسما ذا وزن فيضميه بلا أسف ولاتردد علما بأن التمسك به وعدم تضحيته فى سبيل الوفاق ربما جر إلى خسران قضيتنا وفقدان كرامة الأمة وكرامة الزعماء قبلها لاسيما وأن عليهم وحدهم تقع التبعة .

«وهل يحتمل أن يتردد الزعماء فى نسيان اعتداء أو الصفح عن خطإ[1] وهم عينهم الذين عرضوا أنفسهم من قبل فى أحرج المواقف لأعظم الأخطار وهم الذين جددوا أخيرًا عهدهم للبلاد مقسمين بأنهم يبذلون أوراحهم [2] فى سبيل وطنهم؟ [١٧٢٩]

«وإذا كان هناك خطأ قد أضر بقضيتنا فإن يوم الحساب لم يأت بعد والوطن لايطلب من أبنائه فى هذه الساعة العصيبة إلا أن ينقذوه .

«الخلاف وقع فى الوسائل وظهر فى التفاصيل وهذا يمكن تلافيه دائما فى هيئة شورية تقود البلاد إلى الدستور والحرية والاستقلال الجميع مخلصون متفانون فى سبيل مبدأهم والمبدأ واحد فلا معنى إذن للانقسام لا سيما وأن العصمة لم تكن وقفا لفريق دون الآخر . واننا أسدلنا على الماضى ستارًا . والصلح مع مافيه من عيوب - إذا كانت فى الصلح عيوب - أولى من شقاق مستمر يلقى مصر فى الهاوية .

= بدار محمد سعيد باشا بقصر الدوبارة ، مع إسماعيل صدقى باشا وحسن صبرى بك ، ومحمد عبدالخالق مدكور باشا وعلى المنزلاوى بك ، والأستاذ زكى على وآخرين من الحزب الوطنى وغيرهم وتشاوروا فيما بينهم فى تأليف هيئة تسعى لتحقيق أمانى البلاد فى الاستقلال ، فأكد الحاضرون على ضرورة أن يكون سعد معهم للحفاظ على وحدة البلاد - حوليات مصر السياسية - تمهيد الجزء الأول ص ١٥٠ - عبدالرحمن الرافعى - ثورة ١٩١٩ تاريخ مصر القومى من ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١ ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(١) صحتها : خطأ .

(٢) صحتها : أرواحهم .

«ليت شعرى ماكنا نصنع لو كانت مصر اليوم مستقلة ودعتنا فى برلمانها فكلفتنا القيام معًا بعمل معين هل كنا نرفض بحجة ان بين بعضنا والبعض الآخر خلافًا؟ بل ماكنا نصنع لو أعلنت الحكومة أن الوطن فى خطر فوجب السير كتفا لكتف تحت قيادة رجل نصبته الحوادث . هل كنا نرفض بحجة نزاع قائم بينه وبيننا أو هل كان هذا الرجل العظيم يرفض الاستعانة بزملائه الخبيرين ذوى التجارب الذين وقفوا معه بشجاعة فى وقت الخطر؟ وماذا يكون جزاؤنا؟ وهل مصر الآن ليست كبلد غزاه العدو فاحتشد الجمع لرد الغارة فماذا ينتظر الزعماء؟

«وإذا كان بعض أعضاء الوفد يرون من الغضاضة أن يعملوا مع بقية زملائهم فى دائرة الوفد ـ وهو ما نأسف له كل الأسف ونستبعده ـ ويفضلون خدمة القضية على انفراد وبمعزل حتى لايكونوا عقبة فى سبيل اتحاد الوفد واتحاد الأمة فليفعلوا فإن هذا وقت تقديم المثل الصالح لشباننا والأسوة الحسنة لأبنائنا .

«كيف لاتذلل الصعاب ـ أياً كان نوعها ـ وكل منا يكاد يلمس بيده تلك الحقيقة البارزة وهى أن بقاء الشقاق من مصلحة الإنجليز وأن الوطن فى خطر وأن النجاة فى الاتحاد . [١٧٣٠]

«وبما أننا أعلنا جميعا ألاخصم لنا اليوم غير الإنجليز فلا معنى إذن لأن يعامل كل فريق منا الآخر معاملة الخصم الذى ينتظر منه «التسليم» فالصلح على هذه القاعدة يكون بمثابة هدم للفريق الآخر والانتصار عليه يكون انتصارًا شخصيًا انتصارًا حزبيًا انتصارًا وقتيًا لافخر فيه ولكن الانتصار الصحيح هو انتصار الأمة فى قضيتها العادلة .

«إن التضحية واجبة من الجانبين وأنا أرجو أن يضع كل فريق نفسه موضع مناظريه ليرى إن كان مايطلبه إليهم ميسورًا يتفق مع الشعور بالكرامة الشخصية .

«وإذا كان الزعماء يعتمدون على الشعب الذى منه يستمدون قوتهم وأسباب نجاحهم فإنهم سينزلون على حكم الشعب وإرادته فقد قام بواجبه وتلك مجهوداته وضحاياه التى هى تمثال اخلاصه . وان اعتماد الزعماء على قوة الشعب هو الذى يخشاه الإنجليز أما الاعتماد على غير قوة الشعب فهذا ما يستفيد منه الإنجليز ويحسنون الاستفادة منه فلنحتفظ جميعا بتلك القوة مرشدين لها مسترشدين بها فإن بها وحدها نصل إلى الغاية .

«ولايفوتنا فى هذا المقام أن نلفت الهيئات العاملة والجمعيات والنقابات وماشاكلها من قوى الشعب المنظمة فى أنحاء البلاد التى حملت الثورة على أكتافها فكانت تجتمع وترسل الوفود إلى زعماء الأمة مظهرة أمانيها بطريقة ملموسة . نلفت تلك الهيئات إلى خطورة الموقف حتى تقوم بواجبها فى سبيل الوئام فلاينفع اليوم تأوه أو ندم فليس ذلك من شيم الشعب الحى الناهض . وإن الشعب القوى فى مثل هذه الساعة التاريخية هو الذى يعلن إرادته ويقول كلمته . إن كلمة الشعب أمر »

على ماهر

١٤ديسمبر سنة ١٩٢١

دعوة سعد باشا إلى عقد اجتماع عام

[١٧٣١] دعا سعد زغلول باشا جمهورًا كبيرًا من الأعيان والأدباء لعقد اجتماع فى يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢١ للنظر فى الحالة الحاضرة ولم يختص بهذه الدعوة أصحابه وأصدقاءه بل جعلها عامة لخصومه ومؤيديه .

ولقد كانت الأمة كلها فى هذا الوقت ساخطة صاخبة على مشروع كرزون الذى قدم لعدلى باشا فامتلأت صفحات الجرائد بالاحتجاج عليه ونقده وانتهزت فرصة ذكرى إعلان الحماية على مصر فقامت هيئاتها وجماعاتها بإرسال تلغرافات الاحتجاج إلى الحكومة الإنجليزية(١) فكان فى عمل الأمة هذا ما يبشر باتحادها وتناسى الأحقاد التى سببتها المفاوضات الرسمية .

ولقد آلم اتجاه الأمة الجديد هذا السلطة العسكرية وخشيت أن يتم بدعوة سعد باشا اتحاد الأمة فيحبط عملها ويفشل مسعاها فيما جاهدت له من بذر بذور الشقاق بين صفوف الشعب المصرى . ولذلك أصدرت أمرها بمنع هذا الاجتماع . فرد سعد باشا على ذلك بتوجيه النداء الآتى للأمة :-

---

(١) حيث وردت العديد من الاحتجاجات على الحماية بمناسبة ذكرى إعلانها ، وكذا على مشروع اللورد كرزون والمذكرة الإيضاحية للورد اللنبى - إلى الصحف فى شكل تلغرافات من جهات عديدة .
محكمة خط جهينة ، وجمعية الاتحاد النسائى بأسيوط . . . الخ . وقد كتب أمين الرافعى مقالا رائعا تحت عنوان : الذكرى المؤلمة والاحتجاج علي الحماية الباطلة ، انظر الأخبار ، عدد ٥٥٤ ، فى ١٨ ديسمبر ١٩٢١ ، وقد واصلت الجريدة فى اليوم التالى نشر الاحتجاجات مثل احتجاج الحزب الوطنى المرسل إلى المستر لويد جورج ، وكذا احتجاج محامى أسيوط ، وقد نشرت أيضًا الإضرابات (العديدة التى قام بها طلبة ومحامون تعبيرًا عن عواطفهم وشعورهم) ، وإلى جانب ذلك جرت عدة مظاهرات فى أحياء القاهرة بمناسبة هذه الذكرى المؤلمة ، انظر الأخبار ، عدد ٥٥٥ ، فى ١٩ ديسمبر ١٩٢١ .

«لقد اتحد شعوركم ، واتفقت ميولكم ، واجتمعتكم[١] على السعى بقدم ثابته نحو غاية واحدة هى استقلال بلادكم . واستنكرتم كل ما من شأنه أن يعدل بكم عن طريق حقكم ، كمشروع كرزون وتبليغ جناب اللورد اللنبى لعظمة السلطان . ولهذا دعوتكم لاجتماع وطنى يوم الجمعة القادم للنظر معكم فى الحالة الحاضرة واختيار أحسن الوسائل لبلوغ هذه الغاية السامية . ولكن عزّ على السلطة العسكرية أن ترى فى هذا الاجتماع اتحادكم . فأمرت بمنعه بحجة المحافظة على الأمن العام كأن اتفاقكم من [١٧٣٢] شأنه إقلاق الراحة وتكدير الصفاء : فلم يسعنى ازاء هذا الأمر القاهر إلا الاعتذار لحضراتكم عن فض هذا الاجتماع .

«إن هذا المنع فاتحة السياسة الجديدة التى يريد الإنجليز الجرى عليها فى اخضاعنا لما يريدون : سياسة الحجر على الحرية والاستبداد التام . وإنى لست إلا معبراً عنكم اذا قلت مَرْحبًا بها . أننا مستعدون للقائها بكل جنان ثابت وعزم شديد .

وكأن الله ابتلانا بها لتقوية إيماننا وتقرير اتحادنا ومضاعفة جهودنا وهم كلما تشددوا فيها قويت قلوبنا واشتدت عزائمنا . وكانوا أشبه بالمحراث الذى كلما أوغل فى الأرض ومزق طبقاتها وقلب ترابها أنبتت نباتًا حسنًا وأتى نباتها بأبرك الثمرات . »

سعد زغلول

رئيس الوفد المصرى

٢١ ديسمبر سنة ١٩٢١

(١) يقصد : واجتمعتم .

احتجاج أعضاء الوفد المنشقين[١]

[١٧٣٣] دأبت السلطة العسكرية على استعمال القسوة والشدة فى معاملة الجمهور ومقابلة الاحتجاجات السلمية الموجهة ضدها التى كان آخرها منع الاجتماع الذى دعا إليه سعد زغلول باشا .

وهذا وغيره ما دفع أعضاء الوفد المنشقين إلى إرسال كتاب الاحتجاج الآتى إلى رئيس الحكومة الإنكليزية وهو :-

«جناب المستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية

«لم تبق تصرفات السلطة البريطانية فى مصر منذ قطع المفاوضات المصرية شيئا من الخفاء فى أن السياسة البريطانية عولت على أن تحقق بالفعل وعيدها المبسوط فى مذكرة اللورد كيرزون فقد اصبحت البلاد لاترى من الحكم إلا أمثلة العسف والإرهاب : إقفال أبواب المدارس وتسريح للمعلمين وضرب[٢] للتلامذة والطلبة لا لشئ غير أنهم يهتفون باستقلال بلادهم ورفض كل حماية أجنبية وحرمان من حرية الاجتماع . ذلك الحق المقدس الذى لايمكن المساس به من غير إنكار لكل حق من الحقوق الانسانية ، كل هذه التصرفات تقوم بها السلطة البريطانية فى مصر تحت اسم الأحكام العرفية ولايمكن لأحد أن يفهم معنى لاستمرار الأحكام العرفية بعد الحرب بثلاث سنين وفى بلد هادئ مطمئن كل مافيه من مظاهر عدم الرضى عن الحماية هو التسليح بسلاح الحق والاتحاد السلمى العام على رفض كل طريقة من طرائق الحكم الأجنبى والتضافر على أننا لا نستطيع العيش الا بالاستقلال .

«لا شك فى أن الجنوح إلى الارهاب لايمكن أن يفسر إلا بفشل السياسة البريطانية [١٧٣٤] التى عولت على أن تتخذ كل قطعة من أرض مصر طريقاً لها . وأن تجعل المصريين تابعين لسلطتها على غير إرادتهم . ربما كان ذلك على عدم مشروعيته سائغًا فى الأزمان الماضية ولكن فى العصر الحاضر . فى «عصر حرية تقرير المصير» واستنكار« اعتبار

---

(١) جاء بالأخبار تحت عنوان ، احتجاج أعضاء الوفد المصرى ، عدد ٥٥٨ ، فى ٢٢ ديسمبر ١٩٢١ .

(٢) وردت جلد ، الأخبار عدد ٥٥٨ فى ٢٢ ديسمبر ١٩٢١ .

الأمم قطيعاً من الأنعام ينتقل من تحت[1] سيادة إلى سيادة أخرى بغير رضاه» فى هذا العصر لايستطيع أحد أن يسمى هذه الطريقة من الحكم إلا طريقة الظلم الصارخ .

«فباسم الأمة المصرية نحتج على هذه السياسة أشد الاحتجاج ونؤكد أن ضروب الإرهاب لن تغير شيئا من تصميم الأمة على متابعة السير لنيل استقلالها وتحقيق آمالها»

عبد العزيز فهمى . محمد محمود . أحمد لطفى السيد . جورج خياط . عبد اللطيف المكباتى . حافظ عفيفى . محمد على

(١) حذفت هذه الكلمة فى أصل المذكرات .

إعتقال سعد زغلول باشا
وأعضاء الوفد المصرى

[١٧٣٥] فى يوم ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١ نبهت السلطة العسكرية على كل من حضرات : سعد زغلول باشا وفتح الله بركات باشا وعاطف بركات بك وصادق بك حنين ومصطفى بك النحاس وسينوت بك حنا جعفر بك فخرى والاستاذين مكرم عبيد وأمين عز العرب بأن يكفوا عن كل عمل سياسى سواء كان بإلقاء الخطب أو بحضور الاجتماعات العامة أو بنشر المقالات فى الصحف وبالتزام منازلهم فى بلادهم وعزبهم .

فزار قبيل الظهر القائمقام تيل بك وكيل حكمدار القاهرة بيت الأمة وسلم إلي سعد زغلول باشا الكتاب الآتى :[١]

«القاهرة فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١

«إلى حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا بالقاهرة

«يا صاحب المعالى

«أتشرف بأن أبلغكم أنى تلقيت من الفيلد مرشال القائد العام تعليمات بأن أبلغ معاليكم الأمر التالى وهو :

«يحظر بهذا على سعد باشا زغلول بموجب الحكم العرفى أن يخطب فى الناس أو أن يشهد اجتماعا عموميا أو أن يستقبل الوفود أو أن يكتب إلى الصحف أو يقوم بعمل من الأعمال السياسية وعليه أن يغادر القاهرة بلا ابطاء ويقيم فى منزله فى الريف تحت مراقبة مدير المديرية .»

«دار الحماية »

اللنبى

«القاهرة فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢١ » .

[١٧٣٦] «وأتشرف بأن أكون خاد[٢] معاليكم الخاضع .»

الأمضاء

ج . ف . كلايتن

برجادير جنرال ومستشار وزارة الداخلية

(١) انظر نص الكتاب ، أحمد شفيق ـ مصدر سابق ص ٥٤٧ .

(٢) صحيحها : خادم .

ثم سلم إلى كل من حضرات المذكورين آنفا الكتاب الآتى :

«القاهرة فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١

«أمرنى الفيلد مرشال القائد العام أن أبلغكم أنكم مأمورون بموجب الحكم العرفى بالسفر بلا إبطاء إلى منزلكم فى الريف وأن تمتنعوا عن كل حركة سياسية وأن أبلغكم أيضا أنكم ستكونون تحت مراقبة مدير المديرية التى تقيمون فيها .

«ولى الشرف يا سيدي أن أكون خادمكم المطيع»

ج .ف . كلايتن

برجادير جنرال ومستشار وزارة الداخلية

وقد استلم كل واحد من حضراتهم كتابه ما عدا الأستاذ جعفر فخرى بك[١]

رد سعد باشا زغلول على البلاغ
برفض طلب السلطة[٢]

ولم يكد سعد زغلول باشا يطلع على البلاغ المرسل إليه حتى بادر فى الحال بإرسال الخطاب الآتى إلى الجنرال كلايتن وهذا نصه بعد الديباجة :

[١٧٣٧] «أتشرف بإخباركم انى استلمت خطابكم بتاريخ اليوم الذى تبلغوننى فيه أمر جناب الفيلد مرشال اللنبى بمنعى من الاشتغال بالسياسة والزامى بالسفر إلى عزبتى بلا تأخير للإقامة بها تحت مراقبة المدير : وهو أمر أحتج عليه بكل قوتى . إنه ليس هناك[٣] ما يبرره وبما أنى موكل من قبل الأمة للسعى فى استقلالها فليس لغيرها سلطة تخلينى من القيام بهذا الواجب المقدس . لهذا سأبقى في مركزى مخلصا لواجبى وللقوة أن تفعل بنا

---

(١) حيث أنه كان غائبا عن القاهرة لذلك لم يستلم كتابه ، أحمد شفيق : حوليات مصر السياسية ، تمهيد ، الجزء الثانى ، ص ٥٤٨ .

(٢) نشر هذا الرد بتاريخ ٢٥ ديسمبر ١٩٢١ أى نفس يوم كتابته .

(٣) تم مقارنة رد سعد باشا على البلاغ العسكرى ولم نجد اختلافا غير أن هذه العبارة جاءت (. . إذ ليس هناك . .) ، الأخبار ، عدد ٥٦٠ ، فى ٢٥ ديسمبر ١٩٢١ .

ما تشاء أفرادا وجماعات فإنا جميعا مستعدون للقاء ما تأتى به بجنان [1] ثابت وضمير هادىء علما بأن كل عنف تستعمله ضد مساعينا المشروعة إنما يساعد البلاد على تحقيق أمانيها فى الاستقلال التام .

«وأرجو أن تقبلوا فائق احترامى»

سعد زغلول

رئيس الوفد المصرى

أمر عسكرى

[١٧٣٨] (وأرادت السلطة الإنجليزية فى نفس الوقت بأن تجعل الوفد عاجزاً عن مواصله اعماله بمصادره أمواله فأصدرت الامر العسكرى الآتى[1] :

بموجب السلطة المخولة لى بصفة كونى فيلد مارشال قائدا عامًا لجيوش جلالة الملك فى القطر المصرى أمر بما هو آت [2] *

غير مرخص لأى بنك أو محل أو شخص لديه أى مبلغ أو نقود أو ودائع أو غير ذلك باسم أو لحساب أو تحت تصرف سعد باشا زغلول أو الجماعة المعروفة باسم الوفد أو أى شخص من أعضائه أو موظفيه أن يدفع أى شئ من تلك المبالغ أو النقود أو أن يقبل أى شيك أو حوالة أو إذن صرف على المبالغ أو النقود المذكورة إلا بإذن كتابى منى ،

اللنبى

فيلد مارشال[3]

---

(١) بمعنى : قلب .

(٢) كتبت هذه الفقرة فى هامش المذكرات .

* [وفى نفس الوقت نشر الأمر العسكرى الآتى وهو :]كتب هذه الفقرة فى اصل المذكرات بعد عبارة (أمر عسكرى) ولكن راعينا حذفها من أجل سلامة النص بعد إضافة فقرة الهامش الجانبى .

(٣) نشر هذا الأمر بتاريخ ٢٥ ديسمبر ، وقد أبلغت الأسماء الآتية إلى المصارف المالية لعدم التعامل معها . سعد زغلول باشا ، سينوت حنا بك ، واصف بطرس غالى ، ويصا واصف بك ، فتح الله باشا بركات ، عاطف بركات بك ، على ماهر بك ، الدكتور حامد محمود ، سلامة ميخائيل بك ، أمين عز العرب أفندى .
انظر جريدة الأخبار . العدد ٥٦٠ - ١٩٢١/١٢/٢٥ .

المظاهرات فى القاهرة [١]

[١٧٣٩] ولم يكد البلاغ يصل إلى سعد زغلول باشا حتى اشتهر خبره فى المدينة كلها لأن جماعة من الناس والطلبة كانوا فى بيت الأمة فى ذاك الوقت فعرفوا الخبر وأذاعوه فقامت عدة مظاهرات فى الحال فى جهات متفرقة من شارع عبد العزيز والعتبة الخضراء والموسكى وباب الخلق وانبرى البوليس لتفريق المظاهرات وأطلق عيارات نارية فى الهواء فى العتبة الخضراء والمبتديان فدار القتال بين رجال البوليس والجمهور فأصيب كثير من الفريقين

(هذا وقد) [٢] تجمع جمهور كبير حول بيت الأمة فتحداهم الجند وفرقهم فحطم الجمهور بعض مصابيح الشوارع وكذلك بعض قطارات عربات الترام

ولقد انهالت على الصحف برقيات الاحتجاج من جميع الطبقات والهيئات[٣] على عمل السلطة الجائر.

(١) كان ذلك بعد ظهر يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٢١، أحمد شفيق : المصدر السابق، ص ٥٥٠ - ٥٥١.

(٢) شطب صاحب المذكرات هذه الكلمة.

(٣) فقد بعث العلماء والتجار والمحامين ببرقيات احتجاج إلى الصحف، انظر على سبيل المثال، الأخبار، العدد السابق.

إعتقال سعد باشا

[١٧٤٠] وفى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢١ أوفدت السلطة العسكرية حوالى الساعة الثامنة والربع صباحًا (بلوكا)[١] من الجنود الإنجليزية حاصرت بيت الأمة وصعد ضابط (البلوك)[٢] إلى المنزل ليبلغ سعد باشا الأمر بالاستعداد لمغادرة البيت ولما هم سعد باشا بارتداء ملابسه وجد حرمه (المصون)[٣] قد استعدت من قبل وأظهرت رغبتها الشديدة فى مصاحبته فعارض الضابط الانكليزى فى ذلك فما كان منها إلا أن طلبت ذلك من المحافظة تليفونيًا فرفضت وعلى ذلك بقيت فى المنزل مكرهة وقد احتجت على هذا المنع بشجاعة نشهد لها بالإعجاب .

وما كاد سعد باشا يلبس ملابسه ويشرب فنجانًا من القهوة حتى صعد الضابط الإنجليزى إليه ثانية يستعجله فنزل معه ووجد عربة معدة له أمام الدار ولما طلب (من)[٤] القوة أن تدله على المكان الذى سيؤخذ إليه قالت أنها تعلم .

ولما انطلقت العربة بسعد أخذت الجماهير تنتشر فى الطرقات ناهبة الأرض نهبًا وهى تصيح (سعد اعتقل) فاضطربت لذلك أحشاء الجو وخيمت الكآبة والحزن على نفوس الجميع إذ أيقنوا بأن الأمر جلل . وعند ذلك قامت مظاهرات (عديدة)[٥] وخصوصًا حول بيت الأمة[٦] .

احتجاج الوفد المصرى

[١٧٤١] وعقب ذلك مباشرة اجتمع أعضاء الوفد وأصدروا الاحتجاج الآتى :-

«نفذت القوة ما شاءت واعتدت على رئيسنا سعد باشا زغلول فأحاطت صباح اليوم بيت الأمة بقوة من الجنود الإنجليزية المسلحة ودخل ضباطها على الرئيس فى غرفة

(١) حذفت هذه الكلمة فى أصل المذكرات وكتب فوقها [طالعة] .
(٢)حذفت ،، ،، ،، ،،.
(٣)حذفت ،، ،، ،، ،،.
(٤)حذفت ،، ،، ،، ،، وكتب فوقها [إلى] .
(٥)حذفت ،، ،، ،، ،، وكتب فوقها [كثيرة] .
(٦) أخذت الجماهير تحطم المصابيح بالشوارع المجاورة لبيت سعد ويلهبون الغاز المنبعث منها ويقتلعون الأشجار المغروسة فى الشوارع - أحمد شفيق - مصدر سابق - ص٥٥٣ .

نومه وأخذوه فى سيارة عسكرية إلى مكان مجهول ولم يراعوا حرمة لمقامه من الأمة ولا لشيخوخته . ولا ما يحدثه عملهم من إزعاج حرمه التى أبوا أن يخبروها بمقره .

«فباسم الأمة يحتج الوفدالمصرى أشد الاحتجاج على هذه التصرفات الاستبدادية والأعمال التى أهينت بها الأمة فى شخص وكيلها . وعلى ما تقدمها وما تلاها من الاعتداء على المصريين وهم عزل من السلاح بسلب حريتهم . وإراقة دمائهم . وإزهاق أرواحهم . وليس لهذه التصرفات نتيجة إلا إذكاء البغض فى قلوب الأمة وإشعال نار الغضب فى صدورها واحتمالها الآلام بقلوب مطمئنة ونفوس مستبشرة فى سبيل تحقيق مطلبها الأسمى وهو التخلص من نير الاستبداد وربقة الأجنبى والفوز بالاستقلال التام .

«فلتحى مصر . وليحى سعد»

واصف بطرس غالى . سينوت حنا . مصطفى النحاس . ويصا واصف . مكرم عبيد .

مصر فى يوم الجمعة ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢١[١]

إعتقال أعضاء الوفد

[١٧٤٢] وفى منتصف الساعة الثانية بعد ظهر هذا اليوم[٢] كان أعضاء الوفد المصرى مجتمعين بمنزل سعادة فتح الله بركات باشا وإذا برسول من عند اللورد اللنبى يطلب لقاءهم فقابلوه ودار بينهم الحوار الآتى الذى كان يتولى ترجمته عاطف بركات بك[٣] : ـ

قال الإنكليزى : ـ «إن اللورد اللنبى لا يريد بكم شرًا ويمكنكم البقاء هنا إذا شئتم أو فى أى بلد كان . وكل ما يرجوه هو أن تمتنعوا من الاشتغال الفعلى بالسياسة»[٤]

فرد عليه عاطف بركات بك قائلاً : ـ «اننا لا نفهم مرادك بعدم الاشتغال الفعلى بالسياسة . فإن كنت تريد أن تمنع ألسنتنا من التكلم فلسنا نملك ذلك وهذا هو المظهر

(١) نص الاحتجاج فى/ الأخبار ـ عدد ٥٦٠ ـ ١٩٢١/١٢/٢٥ .
أحمد شفيق ، حوليات مصر السياسية ، ص٥٦٠ـ ٥٦١ .
(٢) ٢٣ ديسمبر .
(٣) نقيب المعلمين آنذاك .
(٤) جاءت هذه العبارة فى حوليات مصر السياسية على النحو التالى [وكل ما يرجوه منكم هو أن تمتنعوا عن الاشتغال الفعلى بالسياسة] أحمد شفيق ـ مصدر سابق ، ص٥٥٤ .

الأولى للحرية بل أقل مظهر من مظاهرها ونحن بصفتنا أحرارًا فإننا لا نتحول عن استعمال حريتنا»

وقال أعضاء الوفد إنهم موكلون ولا يملكون إلا التصرف بوكالتهم من الأمة .

فانصرف الرسول الإنجليزى وبعد ساعتين من الزمان ذهب وكيل الحكمدار ومعه قوة إنكليزية إلى منزل فتح الله بركات باشا والتقى بأعضاء الوفد وهم حضرات فتح الله بركات وعاطف بك بركات ومصطفى النحاس والأستاذ مكرم عبيد وسينوت بك حنا[١] وطلب إليهم مصاحبته فلبوا الدعوة بوجوه باشة وثغور باسمة وقلوب ثابتة . وكان فتح الله باشا فى هذه الأثناء يصلى فلم يتركه وكيل الحكمدار يتم صلاته بل اضطره بالاستعجال فى الخروج .

وما كادت العربة التى تقلهم تندفع فى طريقها حتى صاح الجمع المحتشد أمام باب المنزل «لتحى الحرية» «ليحى الاستقلال» «ليسقط الظلم»

هذا وقد صرف الجميع ليلتهم فى قصر النيل وأرسلت إليهم حاجاتهم على يد مأمور قسم عابدين[٢]

الحالة فى القاهرة

[١٧٤٣] لم يكد يتنفس صبح يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢١ حتى كان خبر ما (جرى لرئيس الوفد وزملائه قد عم المدينة كلها)[٣] فخرج الناس من منازلهم ليعرفوا ما سيتم بعد رد سعد باشا على الجنرال كلايتن وكانت الأمة جميعها تتوقع اعتقال سعد باشا وصحبه . ولذلك ألف كثير من طلبة المدارس والمعاهد الدينية والأزهر والأهالى المظاهرات وأخذوا يهتفون بما يعبر عن شعورهم وكانت وجهة الجميع بيت الأمة . ولكن الأمر كان قد صدر إلى رجال الجيش أيضًا بتفريق المظاهرات ولذلك لم يتمكن المتظاهرون من الوصول إلى بغيتهم . واصطفت أيضًا فصائل من رجال الجيش وبلوك الخفر فى شوارع

(١) كتبت هذه الفقرة فى هامش المذكرات ووضع إشارة لمكانها بين السطور .

(٢) وقد ذكر اللنبى فى برقيته إلى وزارة الخارجية فى يوم ٢٣ أنهم سوف يذهبون إلى السويس أحمد شفيق ـ المصدر السابق ، ص٥٥٦ـ ٥٥٧ .

(٣) وضعت هذه العبارة بين قوسين وكتب بدلاً منها فى الهامش هذه العبارة [ما دار بين الوفد ورئيسه من جهة والسلطة العسكرية من جهة أخرى قد ذاع فى المدينة كلها] .

الدرب الأحمر والسكة الجديدة والأزهر والمشهد الحسينى لمنع المظاهرات . وقد حصلت مصادمات حول الأزهر أطلقت فيها العيارات النارية .

وفى الساعة الثامنة من صباح هذا اليوم صدر الأمر للحامية الانجليزية بالمحافظة على النظام والأمن العام فاكتفت باستلام أقسام عابدين والموسكى والأزبكية وانسحبت جنود بلوك الخفر من الحراسة إلى أعمال أخرى فى هذه الأقسام .

وصدر الأمر كذلك بأن يرافق الجنود الإنجليزية حين خروجهم فى السيارات الكبرى «اللورى» ملاحظ بوليس وكونستابل من الإنجليز للإرشاد عن الطريق . وقد طاف الجنود الإنجليز فى الشوارع التى كثر فيها الزحام وحدثت بها اتلافات .

هذا وقد أغلق تجار العقادين والسكرية والغورية والفحامين والسكة الجديدة متاجرهم فخيمت السكينة على هذه الأحياء .

[١٧٤٤] ومما يؤسفنا ذكره أن فريقًا من الرعاع انتهزوا فرصة هذا الاضطراب فانقضوا على بعض المخازن وحطموا زجاجها وكذلك انبرى بعضهم إلى بعض أعمدة مصابيح الغاز فأتلفوها بعد أن كسروا زجاج المصابيح كما حصلت اعتداءات كبيرة على (مركبات الترام)[١]

وقد أسفرت هذه المظاهرات عن إصابة الكثيرين وبلغ عدد الذين نقلتهم جمعية الإسعاف ٦٥ شخصًا بين قتيل وجريح أصيبوا فى مظاهرات اليوم والأمس .

وقد قتل إثنان فى مظاهرات ذلك اليوم ومثلهما فى مظاهرات اليوم السابق بطلقات نارية وكانت حال بعض المصابين خطرة .

(١) حيث أشارت الأخبار أن المظاهرات توالت فى القاهرة فى عدة أحياء وأشعل بعض المتظاهرين النار فى القسم الجيولوجى التابع لمصلحة الطبيعيات وفى مخزن وزارة المعارف وحطموا زجاج النوافذ فى مصلحة الأملاك الأميرية ، ولكن رجال المطافىء تداركوا النار فى بدء شبوبها فلم تحدث عنها خسارة تذكر) الأخبار ، عدد ٥٦٠ ، فى ٢٥ ديسمبر ١٩٢١ .

الحالة فى الإسكندرية

وصلت الأنباء إلى الإسكندرية بما جرى بين الوفد والسلطة العسكرية فعمت الدهشة المدينة وبات الناس يتساءلون عما عسى أن يجرى بعد ذلك .

ولما حملت إليهم البرقيات نبأ اعتقال سعد وصحبه أضرب طلبة بعض المدارس وقام جمهور كبير من الشبيبة بمظاهرة بعد صلاة الجمعة وأخذوا يصيحون ويهتفون إلى أن وصلوا إلى شارع فرنسا فتصدى لهم جنود بلوك الخفر وفرقوهم بالعصى وانتهز بعض الرعاع الفرصة فألقوا على البوليس الطوب والأحجار[1]

الحالة فى طنطا

ولما وصل الخبر إلى طنطا بصدور الأمر إلى سعد باشا وزملائه بمبارحة القاهرة قام الطلبة بمظاهرة سلمية فانبرى لهم رجال البوليس والجيش محاولين تفريقهم بالقوة فقال لهم الطلبة أنهم مصممون على القيام بمظاهرة سلمية إظهارًا لشعورهم وأنهم لا ينوون الإعتداء على أحد . وبفضل حسن التفاهم الذى ساد بين الفريقين ترك الطلبة وشأنهم فظلوا يتظاهرون إلى منتصف الساعة العاشرة مساءً . [١٧٤٥]

وفى صباح ٢٣ ديسمبر اصطفت جنود (الأرطة) الرابعة المشاة وكذلك اصطف رجال البوليس فى الشوارع وملتقى الطرقات وحلقت ثلاث طيارات فى جو المدينة . وقام الطلبة بمظاهرات سلمية فحضر إليهم الحكمدار والمأمور ونصحوهما بالتزام الهدوء والسكينة وبفضل حسن التفاهم هذا لم يحدث ما يخل بالنظام ولا ما يكدر صفو الأمن العام .

وقد وصل بعد ذلك إلى طنطا قطار مسلح وبعد بربع[2] ساعة من وصوله[3] وصل قطار آخر به ٣٥٠ جنديًا من الحامية الإنجليزية .

---

(١) وقد ورد فى الصحف أن مدينة الإسكندرية عانت يومى ٢٤ ، ٢٥ديسمبر . بسبب الحوادث العديدة بها ، فقد أضرب جميع الطلاب عن تلقى الدروس ، وأقفلت المحال التجارية أبوابها وعقدت كثير من الاجتماعات الخاصة والعامة وتظاهر الناس فى كل مكان ، إلا أن البوليس استطاع السيطرة على مجرى الأمور ، وأقمع تلك المظاهرات . انظر - جريدة الأخبار - عدد ٥٦٠ - ١٩٢١/١٢/٢٥ .

(٢) الصحيح - ربع .

(٣) كتب هذه العبارة فى الهامش .

المظاهرات فى المنصورة

ولما وصلت الجرائد إلى المنصورة تحمل نبأ اعتقال سعد باشا وأصحابه ألف الناس مواكب المظاهرات السلمية ولم يقع شىء مكدر والحمد لله[١]

سعد وصحبه فى السويس

[١٧٤٦] لما اعتقلت السلطة العسكرية سعد زغلول باشا ذهبت به إلى جهة العباسية ومنها أرسل الى السويس فوصل إلى المعسكر فى نفس اليوم الذى اعتقل فيه ولما شاع الخبر فى تلك الجهة قامت المظاهرات العظيمة وأغلقت جميع المحلات التجارية .

وفى يوم ٢٥ ديسمبر وصل إلى السويس أيضًا قطار خاص يقل حضرات المعتقلين . وعند مرور القطار على مدينة الإسماعيلية احتشدت الجماهير الغفيرة على رصيف المحطة لمشاهدتهم ولكن الشعب لم ير إلا عربة مغلقة من الدرجة الأولى وعليها رجال البوليس الإنجليزى وهم شاهرون سلاحهم وعلى رؤوسهم خوذاتهم فنادى الجمع المحتشد بسقوط الظلم والاستبداد والحماية وهتف بحياة سعد وصحبه الكرام ففرقهم الجنود الإنجليز .

ولقد كتب اللورد اللنبى إلى السيدة الجليلة حرم سعد باشا خطابًا يقول فيه أن سعد باشا يسافر فى وقت قريب بحرًا إلى مكان طيب الهواء والمناخ . فإذا كانت تود مرافقته فإنه ينتظر جوابها لاتخاذ الوسائل اللازمة لراحتها فى السفر . قبل يوم ٢٨ ديسمبر الجارى .

فردت عليه عصمتها برفض السفر وأنها قد استودعت الله زوجها لتواصل هنا عمله .

الحالة فى القاهرة[٢]

إضراب المحامين الأهليين

[١٧٤٧] واجتمع المحامون يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢١ وقرروا الإضراب إلى أجل غير مسمى . وهذا نص قرارهم : ـ

---

(١) وقد أشار أحمد شفيق إلى قيام مظاهرات بالزقازيق وبنى سويف وسواها من المدن ولم يقع فيها ما يخل بالأمن العام ، الحوليات ، تمهيد ، الجزء الثانى ، ص٥٦٠ .

(٢)شطب صاحب المذكرات هذا العنوان .

«اجتمع المحامون اليوم السبت ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢١ الساعة ٧مساءً بدار النقابة وقرروا نظرًا للحالة الحاضرة ولسبب اعتقال معالى سعد باشا زغلول وإخواته ومصادرة الحرية الشخصية والتعدى على الأرواح البريئة بضرب الرصاص فى الشوارع والطرق العامة وداخل بعض المنازل ـ الإضراب العام فى جميع المحاكم لأجل غير مسمى وعلى حضرة نقيب المحامين إبلاغ هذا القرار للجهات المختصة .»

سكرتير النقابة

عبد الحليم البيلى

وعلى ذلك لم تنعقد دوائر محكمتى مصر والاستئناف يوم ٢٥ ديسمبر وكذلك جلسة المجلس الحسبى العالى وما عقد منها تأجل من جراء ذلك الاضراب .

ولما عقدت محكمة النقض والإبرام رفع إليها وكيل النقابة ومعه لفيف من المحامين طلبًا برفع الجلسة للظروف المعلومة فتداولت المحكمة نحو عشر دقائق ثم قال رئيسها أنه قد يوجد متهمون محبوسون بغير حق وقد يكون ما وقع عليهم من الأحكام ظالمًا فالمصلحة العامة تقضى بالبت فى القضايا . ولكن المحكمة من جهة أخرى تقرر أنه لا يمكن الاستغناء عن حضرات المحامين وبما أن النقابة أصدرت قرارًا بالإضراب إلى أجل غير مسمى فالمحكمة تريد أن تعرف رأى المحامين فى هذه الأسباب لأجل أن تبت فى الطلب المقدم إليها . [١٧٤٨]

فرد المحامون بأنهم سيوالون الاجتماع للنظر فى ذلك وعلى ذلك قررت المحكمة قبول الطلب وتأجيل القضايا إلى دور يناير أى شهرًا .

إضراب المدرسين

وكذلك اجتمع المدرسون وقرروا الإضراب احتجاجًا على ما وصلت إليه الحالة الحاضرة . وهذا نص قرارهم :ـ

«نحن مدرسى المدارس العالية والخصوصية والثانوية والابتدائية أميرية وغير أميرية المجتمعين بدار نقابة المعلمين فى مساء يوم الأحد ٢٥ديسمبر سنة١٩٢١ نحتج بكل ما فينا من قوة على وسائل الإرهاب والاعتساف التى يرتكبها الغاصبون .

«أولاً :ـ بإبعاد زعيمنا المفدى ووكيلنا المخلص سعد زغلول باشا .

«ثانيًا :ـ باعتقال صاحب العزة عاطف بك بركات نقيب المعلمين والأستاذ مكرم عبيد العضو بمجلس النقابة .

«ثالثًا :ـ باعتقال بعض أعضاء الوفد المصرى وغيرهم من الرجال العاملين فى القاهرة وغيرها من المدن .

«رابعًا :ـ باستعمال القسوة الشائنة فى معاملة الموظفين والطلبة ومنع المظاهرات السلمية بإراقة الدماء .

«وتقرر بإجماع الآراء : ـ

١ـ «الإضراب عن العمل خمسة أيام مبدئيًا ابتداء من يوم الإثنين ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢١ .

٢ـ العمل على مقاطعة التجارة الإنجليزية .

٣ـ سحب الودائع من المصارف الإنجليزية .

٤ـ إعتبار كل وزارة تقبل العمل فى الظروف الحاضرة خارجة على الأمة .»

الامضاءات

اضراب المحامين الشرعيين

[١٧٤٩] وكذلك قرر المحامون الشرعيون الإضراب إلى أجل غير مسمى وهذا نص القرار : ـ

«قرر مجلس نقابة المحامين الشرعيين المنعقد اليوم فوق العادة بحضور كثير من حضرات المحامين الشرعيين إضراب حضراتهم فى جميع المحاكم الشرعية عن العمل إلى أجل غير مسمى احتجاجًا على مصادرة الحرية الشرعية لحضرة صاحب المعالى سعد باشا زغلول وكيل الأمة ورئيس الوفد المصرى ومن معه من أصحابه كما تقرر تبليغ ذلك إلى حضرة صاحب العظمة السلطان ولرئيس الوزارة الإنكليزية ولحضرات أصحاب الفضيلة رؤساء المحاكم العليا والابتدائية الشرعية وللصحف السيارة العربية وغيرها ولجميع اللجان الفرعية لنقاباتهم .»

نقيب المحامين الشرعيين

عنه/محمد سليمان العبد

اضراب الموظفين

[١٧٥٠] ولقد قرر موظفو معظم وزارات ومصالح الحكومة الإضراب ثلاثة أيام تبتدىء من يوم ٢٤ديسمبر سنة ١٩٢١ نذكر منهم موظفى وزارات : الحقانية والأشغال والحربية والمعارف والزراعة وموظفى مصلحة الصحة ومحكمة الاستئناف الأهلية والترسانة ومصلحة الأملاك وغيرها .

المظاهرات

وتوالت المظاهرات فى القاهرة واصطحبت بأعمال التخريب فكسرت المصابيح واقتلعت بعض الأشجار من جذورها وأضرمت النار فى مخازن وزارة المعارف فأسرع فى إخمادها فاحترق دفتران وبعض الأوراق كما حطم زجاج البناء بالطوب فأصيب أحد الموظفين بإصابة خفيفة .

هذا وقد أغلقت المحلات التجارية فى معظم أنحاء العاصمة .

الحالة فى القاهرة

[١٧٥١] وفى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢١ قامت فى القاهرة عدة مظاهرات فى الأحياء الوطنية أكبرها مظاهرة الدرب الأحمر وقد حاول المتظاهرون دخول القسم وإخراج من فيه ولما لم يفلحوا اشعلوا النار فيه . فلما وصل الخبر إلى المحافظة أرسلت قوة من الجنود البريطانيين فحدث تصادم بين الفريقين أصيب فيه ثمانية من المتظاهرين بإصابات مميتة وجرح أكثر من عشرين وتولت جمعية الإسعاف نقل الموتى والجرحى .

ولقد تعذر الانتقال من جهة لأخرى فى هذا اليوم بسبب إضراب الحوذية وزادت الصعوبة باعتراض فريق منهم لسيارات الأجرة فى شارع محمد على والسيدة زينب واعتدائهم عليها حتى عطلوها وقد خاف أصحاب السيارات من تتابع العدوان على سياراتهم فعطلوها إلى ما بعد العصر .

هذا وقد اتخذت السلطة احتياطات عسكرية بأن جعلت على ناصية كل شارع ثلاثة جنود إنكليز بأسلحتهم .

ويؤخذ من كشف جمعية الإسعاف عن المصابين فى حوادث هذا اليوم أن عدد القتلى ستة والجرحى ٢٢ .

قرار الموظفين بشأن الإضراب

أصدرت الوزارات منشورات متماثلة نبهت فيها الموظفين بأن كل من يغيب منهم لأسباب غير شرعية تخصم ماهيته عن المدة التى يغيبها .

ولكن لجنة مندوبى الموظفين كانت قد أسرعت بإعلان القرار الآتى وهو : ـ

[١٧٥٢] «قررت لجنة مندوبى وزارات الحكومة ومصالحها فى اجتماع اليوم عودة جميع الموظفين إلى أعمالهم صباح يوم الثلاثاء ٢٧ديسمبر سنة ١٩٢١ بعد انتهاء مدة الإضراب المقررة احتجاجًا على بقاء الاحتلال الإنجليزى بأرض مصر للآن واعتقال زعيم الأمة سعد زغلول باشا وصحبه المخلصين وإراقة دماء الأبرياء العزل من السلاح وجلد الطلبة الهاتفين للحرية والاستقلال وعلى تصرفات السياسة الاستعمارية منادين لتحى مصر حرة مستقلة»

٢٦ديسمبر سنة ١٩٢١ — اللجنة

الحالة فى طنطا[1]

ولقد صدر أمر من السلطة العسكرية بإقفال مدينة طنطا من الساعة ٩ ونصف أفرنكى مساء وعدم مرور أحد فى الشوارع ونفذ هذا الأمر من يوم ٢٥ديسمبر . وقد حضر إلى المدينة فى ٢٦ منه قطار خاص يقل بعض الحامية الانجليزية .

ولا تزال المحلات التجارية مقفلة وكذلك أضرب عمال المصالح ماعدا موظفى المديرية .

إضراب محكمة طنطا الأهلية

واجتمع حضرات رئيس وقضاة محكمة طنطا الأهلية بهيئة جمعية عمومية وقرروا الإضراب يوم ٢٦ ، ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢١ وهذا نص القرار : ـ

---

(١) وقد ذكر أن إضرابًا عامًا ساد جميع المصالح وأقفلت كل المحال التجارية وقامت السلطة العسكرية باعتقال مواطنين ، ولم يبق فى طنطا إلا مظاهر الاستياء الشديد ، إحتجاجًا على تصرف السلطة واعتقال سعد باشا زغلول وصحبه ، وقد قاموا بإيفاد وفد من بينهم لتبليغ قرارهم إلى أعتاب السلطان ، الأخبار ، عدد ٥٦١ ، فى ٢٦ ديسمبر١٩٢١ .

«لمناسبة الحالة الحاضرة التى أدت إلى استياء جميع طبقات الأمة قرر رئيس محكمة طنطا الكلية وقضاتها ورئيس النيابة ووكلاؤها الاضراب يومين من اليوم ٢٦ الجارى .»

تصميم عدلى باشا على الاستقالة وقبولها

[١٧٥٣] ذكرنا للقارىء أن عدلى باشا بعد يومين من وصوله إلى مصر من لندن قدم تقريراً إلى عظمة السلطان عن أطوار المفاوضات الرسمية وشفعه بكتاب استقالته . وقد نشرناه كذلك فى حينه . اذ كان عدلى باشا يرى أنه لم يستطع تحقيق برنامجه ولذلك فهو يؤثر الاستقالة من منصبه . ولكن المساعى العالية بذلت لكى يعدل عن عزمه فلم يقبل .

ولقد عرضت رئاسة الوزارة الجديدة على عبد الخالق ثروت باشا[١] فاشترط شروطاً لقبولها وعلى ذلك طلب من عدلى باشا أن يستمر فى منصبه حتى يقر القرار على من يخلفه ولهذا بقى عدلى باشا .

ولكن عقب قطع المفاوضات الرسمية ووصول الوفد الرسمى من لندن ابتدأت تظهر نيات الإنجليز نحو مصر . ثم تطورت الحالة من سيىء إلى أسوأ فانكشفت نوايا إنجلترا ولم يعد خافيًا على أحد ما تريده الحكومة البريطانية لمصر من سوء المصير . وقد ظهر ذلك ظهوراً بينًا فى معاملة السلطة الإنجليزية للمصريين بالقسوة والغلظة وتضييق الخناق عليهم حتى فى أبسط قواعد الحرية والعدل[٢] . واتخاذ الإجراءات الشاذة ضدهم التى انتهت بنفى سعد باشا وزملائه إلى حيث لا يعلم أحد إلا الله هى[٣]

فلما رأى عدلى باشا ما وصلت إليه الحالة خشى أن يكون فى عمل السلطة العسكرية ما يحمله وزرها ولذلك بادر برفع الكتاب الآتى إلى عظمة السلطان فى ٢٣ديسمبر سنة ١٩٢١ ملتمسًا فيه قبول استقالته التى سبق له تقديمها فى ٨ديسمبر وهو :ـ

---

(١) عبد الخالق ثروت (١٨٧٣ـ ١٩٢٨) بعد أن تخرج من مدرسة الحقوق عمل فى الدائرة السنية ثم رئيسًا لإدارة المحاكم الأهلية ثم مديراً لمديرية أسيوط ، ووزيراً للعدل ثم الداخلية ، ورئيسًا للوزراء مرتين (٢٢ـ ١٩٢٣ ، ٢٦ـ١٩٢٧)

(٢) حذفت هذه الكلمة فى أصل المذكرات .

(٣) حذفت هذه العبارة فى أصل المذكرات .

استقالة الوزارة العدلية[١]

كتاب عدلى باشا يكن

[١٧٥٤] يا صاحب العظمة

تشرفت على أثر عودتى من أوربا بعد قطع المفاوضات مع الحكومة البريطانية بأن رفعت إلى عظمتكم استقالة الوزارة .

وقد بقى زملائى يقومون بإنجاز الأعمال العادية إطاعة لأمر عظمتكم ولما كان عدم قبول الاستقالة رسميًا إلى الآن قد يجعل سبيلاً لتحميل الوزارة شيئًا من التبعة عن إجراءات لا علم لها بها ولا دخل لها فيها[٢]

فإنى أتشرف بالتماس صدور أمركم الكريم بقبول تلك الاستقالة وإنى لا أزال لعظمتكم العبد المطيع والخادم المخلص الأمين ،

عدلى يكن

القاهرة فى ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٣٤٠هـ

٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢١م

فجاءه فى اليوم التالى من عظمة السلطان الكتاب الآتى بقبول الاستقالة وهو :ـ

صورة الأمر الكريم بقبول الاستقالة[٣]

[١٧٥٥] «حضرة صاحب الدولة عدلى يكن باشا

«إن كتاب دولتكم المرفوع إلينا بتاريخ ٨ ديسمبر سنة ١٩٢١ المتضمن اضطراركم للاستقالة من مهمتكم كان من أعظم بواعث الأسف لدينا وقد أصدرنا أمرنا هذا

---

(١) شطب صاحب المذكرات هذا العنوان .

(٢) وقد مال البعض إلى أن اصرار عدلى باشا على استقالته كان فور علمه بنفى سعد وبعض أنصاره ، إحتجاجًا على ما فعلته السلطة البريطانية تجاههم ، أنظر ، محمد على علوبة : المصدر السابق ، ص١٩٧ . وفى الغالب انه أراد ألايتحمل مسئولية هذا التصرف البريطانى .

(٣) شطب صاحب المذكرات هذا العنوان

لدولتكم مقررين صدق ولائكم وشاكرين لكم ولحضرات الوزراء زملائكم الخدمات السابقة التى أديتموها أثناء قيامكم بمهمتكم» .

«فؤاد»

٢٥ ربيع الثانى سنة ١٣٤٠هـ

٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢١م

إعلان من اللورد اللنبى

[١٧٥٦] من يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢١ وأعمال الحكومة تسير بغير اشراف وزراء مسئولين وفى ٢٧ منه أعلن المارشال اللنبى الإعلان الآتى :ـ

«قد رخص بموجب هذا لكل وكيل وزارة أو للقائم مقامه بأن يؤدى فى الوزارة التابع لها جميع أعمال الوزير وأن يتولى سلطته فى المسائل الإدارية بما فى ذلك حق تمثيل الوزارة أمام جميع المحاكم وذلك بصفة وقتية لحين تشكيل وزارة جديدة»

٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢١

اللنبى

(فيلد مارشال)

إغلاق ١٣ مدرسة

وفى نفس اليوم اعلنت وزارة المعارف إغلاق ١٣ مدرسة منها سبعة من المدارس الثانوية وستة من مدارس المعلمين والمعلمات الأولية .

وفيه كذلك قامت عدة مظاهرات فى القاهرة قتل فى إحداها اثنان وجرح ستة .

الحالة فى الأقاليم

وكانت الحال كذلك فى جميع أنحاء القطر : مظاهرات سلمية أو مصحوبة بأعمال العنف بعضها كان ينتهى بسلام والبعض الآخر يصاب فيه المتظاهرون والجند بالإصابات المختلفة . وكذلك كانت الهيئات النيابية فيها والجمعيات والأفراد لا ينقطعون عن إصدار الاحتجاجات على أعمال السلطة الإنجليزية كما قرر بعض موظفى المصالح فيها الإضراب مدداً مختلفة مما لا يمكن حصره هنا .

الإحتجاجات

ولقد تقاطرت بيانات وتلغرافات الإحتجاج على الصحف فامتلأت به نُهُرها . وصيغت هذه الإحتجاجات فى شكل عرائض لعظمة السلطان أو تلغرافات لرئيس وزارة إنجلترا أو نداءات للأمة ونحن ننشر للقارىء هنا ما هو جدير بالإثبات[1]

احتجاج العلماء

[١٧٥٧] جناب المستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية

مهلاً يا أولى القوة والسلطة الواسعة التى استعملت فى اغتصاب الحقوق وأوجبت الاستياء العام فإن الله هو القوى العزيز .

كنا بمقتضى ما نعتقده من أنكم أحرار فى بلادكم ألا تعتدوا على حقوق الأمم الضعيفة . ولكنا رأيناكم قد اعتديتم عليها واعتديتم أيضًا على الأشخاص وحريتهم الشخصية بابعادكم معالى سعد باشا وصحبه عن القاهرة ومصادرتكم لأموال الوفد المودعة بالبنوك باسمه المخصصة لنشر دعوة الأمة السلمية . ومنعهم عن الاشتغال بالسياسة والدفاع عن حقوق الأمة التى وكلته عنها فى ذلك . وإنما نعتقد أنكم بذلك[1] أسأتم لأنفسكم أكثر مما أسأتم الينا ولا نخالكم إلا مسئولين أمام جميع الأمم عن كل ما حدث ويحدث فى مصر من القلاقل والاضطرابات وقتل الأنفس البريئة بما استعملتموه وتستعملونه من القوة التى لا مبرر لها إلا حب الاستعمار واستعباد الأحرار . فاعملوا ما شئتم من قوة واستعباد فى أمة ضعيفة لا حول لها ولا قوة إلا بالله . ثم بالتمسك بحقها واتحادها على المطالبة به .

لهذا نحتج ، الاحتجاج الشديد ، على ما ذكره . ونؤكد ، كل التأكيد ، إن القوة مهما عظمت ، لا يمكن أن تحول الأمة المصرية عن اعتقادها الراسخ ويقينها الثابت بحقها المشروع فى الحياة الحرة . فإن القوة ، بما لها من الجبروت ، قد تتغلب وتقوى على [١٧٥٨]

---

(١) كتبت هذه الفقرة فى أصل المذكرات ص١٧٥٠ وتم حذفها لعدم اتصالها بالأحداث التالية ، ثم تكررت فى ص١٧٥٥ ، وقد راعينا أن توضع فى مكانها المناسب بداية من ص١٧٥٧ .

ضعفنا ولكنها لا تتغلب ولا تقوى على تغيير عقيدتنا وشعورنا ـ هذه العقيدة وهذا الشعور اللذان يزيدان رسوخنا ويقويان اتحادنا واستمرارنا فى العمل كل ما ازداد استعمال القوة ضد الحق الواضح المغصوب ،

محمد بخيت
مفتى الديار المصرية سابقًا
عبد الحميد البكرى
شيخ مشايخ السادة الصوفية بالديار المصرية

٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢١

نداء للأمة من بعض[1] أعضاء الوفد المنشقين

[١٧٥٩] لقد ظلمنا الإنجليز باغتصاب حقنا والحيلولة بيننا وبين استقلالنا ثم خدعونا بالمفاوضات التى استمرت أطوارها نحو سنة ونصف فخرجنا منها بصفقة المغبون ثم هم الآن يسيموننا [2] صنوف العسف غير مبالين بأن لأفرادنا حرية شخصية يجب أن يتمتعوا بها . وأن لإحساسنا القومى حرمة يجب رعايتها . وآخر مثل من انتهاك الحرية الشخصية والاستهانة بإحساس الشعب اعتقال سعد باشا زغلول وأصحابه بالأمس . إن هذا التحدى لشعور البلاد لا يمكن أن ينتج إلا نتيجته الطبيعية وهى استنكار الشعب المسلوب استقلاله لهذه المعاملة . وكذلك فعل . ولا يستطيع منصف فى الوجود ان ينكر عليه حقه فى إبداء سخطه من تصرف الغاصبين . إن هؤلاء إذا حالوا بيننا وبين استقلالنا بالقوة الغاشمة لا يستطيعون أن يحولوا بيننا وبين دلائل الحياة لا يستطيعون أن يحولوا بيننا وبين أن يبدى كل فرد وكل مجموع منا رأيه على هذا الشكل الذى يلائمه . هذا حقنا .

أما الذى ليس من حقنا فهو أن يشوه بعض غير المسئولين جمال حركتنا القومية بالخروج عن حدود المشروع والاعتداء على الأملاك العمومية وعلى قاطرات الترامواى . وأدهى من كل ذلك الاعتداء على بعض المحال التجارية الأجنبية كما حصل أمس مما (×)[3] نأسف له عظيم الأسف مهما كانت الخسارة طفيفة . أن أمثال هذا الاعتداء يقوم به أفراد لا خلاق لهم ولكن الذى يدفع ثمنه هو الأمة بأسرها . تدفع ثمنه غاليًا . لأن أمثال هذه [١٧٦٠] الحوادث قد عودتنا التجارب أنها ستفسر ببغض الأمة للأجانب والأمة بريئة من هذه الوصمة .

أمثال هذه الحوادث من شأنها أن تزعزع طمأنينة الأجانب فى حين أن الأمة أرغب ما تكون فى رعاية هذه الطمأنينة وفى حين أن قضية استقلالنا أحوج ما تكون لعطف الأجانب النازلين فى مصر وإقناعهم الرأى العام الأوربى أن ما يطلبه الإنجليز من الضمانات على المصالح الإجنبية لا ضرورة لها ولكنهم يطلبونه ذريعة لبسط نفوذهم

(١) شطب صاحب المذكرات هذه الكلمة .

(٢) وردت هذه الكلمة عند مقارنتها بالنداء المنشور فى حوليات أحمد شفيق (يسوموننا) ، المصدر السابق ، ص٥٧٣ .

(٣) وضع صاحب المذكرات هذه العلامة فى الهامش مما يبدو معه وكأنه لا يقبل مثل هذا العمل .

على مصر . إن هذا الاعتداء قبيح أنه محض اعتداء ثم هو مضر من حيث كونه عقبة يقيمها - مهما كانوا غير مسئولين - فى طريق استقلال بلادهم الذى جهدت له الأمة والذى هى واصلة إليه لا محالة .

أجل إن استقلالنا ليس عنا ببعيد . إن استقلالنا من عمل أيدينا وثمرة جهادنا . إن فشل المفاوضات لم يقفل باب المسألة المصرية فإنه لا يزال مفتوحًا على مصراعيه فلننظم صفوفنا ونقوى اتحادنا لنتقدم إلى غرضنا خطوة أخرى غير التى خطوناها . ومن الخطأ أن يظن أن الضحايا التى ضحى بها الشعب فى سبيل استقلاله قد ذهبت سدى وأن علينا أن نبتدىء من جديد . كلا إنه لم يضع سدى جهد واحد من الجهود التى بذلت للاستقلال قل أو كثر - لا يضيع جهد يدعمه جهد جديد فليس علينا أن نبتدىء ولكن علينا أن نستمر فى سيرنا بخطوات نجددها لثقة من أنفسنا ويثبتها اعتقادنا فى العدل الإلهى الذى إن أمهل فلا يهمل . وليكن كلنا على اتحادنا ساهرًا وكلنا على تضامننا حفيظًا .

[١٧٦١] ولقد رأينا كيف تحكمنا السلطة البريطانية بالحديد والنار ولا يوجد فى العالم سياسة أشد إفلاسًا من سياسة تؤدى إلى حكم أمة متمدنة بهذه الطريقة - ولا شبهة فى أن هذا الإفلاس سيقنع البريطانيين أنفسهم بأننا شعب أعز من أن يظلم وأصعب مراسًا من أن يحكم على غير ما يختار ،

عبد العزيز فهمى . محمد محمود . أحمد لطفى السيد . چورج خياط . عبد اللطيف المكباتى . محمد على . حافظ عفيفى .

٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢١

احتجاج لجنة الوفد المركزية للسيدات

[١٧٦٢] اجتمعت لجنة الوفد المركزية للسيدات يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢١ للنظر فى الحالة الحاضرة وقررت ما هو آت :-

أولاً : - مواصلة جهودها التى ترمى إلى تحقيق الأمانى القومية .

ثانيًا : - ارسال الإحتجاج الآتى إلى المستر لويد جورج والبرلمان الإنجليزى والصحف الإنجليزية : -

«بالنيابة عن نساء مصر نحتج على الاجراءات القاسية التى تستعملها السلطة الإنجليزية بمصر خصوصًا بعد ظهور الوثائق الثلاث التى صرح أكثر الانجليز أنفسهم بعدم صلاحيتها لعقد اتفاق يضمن مصالح البلدين وتبادل الصداقة بينهما وقد ظهرت مبادىء الضغط والإرهاب أولاً بعدم التصريح لاجتماع حدده رئيسنا سعد زغلول باشا للنظر فى الحالة الحاضرة وأخيرًا تقبض السلطة العسكرية على معاليه وباقى أعضاء الوفد المصرى وزملائهم ونفيهم ومصادرة أموالهم بدون مبرر . فلتعلموا أن سياسة القوة الغاشمة لا تثنى عزم نسائنا قبل رجالنا فى السعى بجميع الطرق المشروعة للوصول إلى تحقيق أمانينا الوطنية .

ثالثًا : ارسال احتجاج إلى اللورد اللنبى بهذا المعنى»

عن لجنة الوفد المركزية للسيدات

هدى شعراوى

وهذا نص احتجاجها [1] إلى اللورد اللنبى المشار إليه : ـ

[١٧٦٣] فخامة المندوب السامى الفيلد مارشال اللنبى .

إذا كنتم تعتقدون يا فخامة الفيلد مارشال أنه يمكنكم أن تخفتوا صوت الشعب المصرى بإبعاد وكيل الأمة فإنكم لاشك مخدوعون لأنه بدلاً من أن تسمعوا صوتًا بليغًا واحدًا فسيدوى فى مصر أربعة عشر مليونًا من الأصوات مطالبة بحقها فى الحرية محتجة على الظلم .

وإذا كانت فخامتكم تعتمد على القوة القاهرة لإزهاق الحق فإنها لمخدوعة أيضًا لأن القوة تبلى والحق باق .

وإنا لنحتج وسنحتج دائمًا بكل شدة ضد الإجراءات الاستبدادية والتعسفية التى تتخذها فخامتكم ضدنا تلك الإجراءات التى لن يكون من ورائها إلا إثارة غضب الشعب وغضب الإله المنتقم الجبار .

---

(١) تم مقارنة احتجاج لجنة الوفد للسيدات ولم نجد ثمة اختلافًا ، غير أنه ورد تحت عنوان «خطاب لجنة الوفد المركزية للسيدات إلى فخامة المندوب السامى» ، الأخبار ، عدد ، ٥٦٢ ، فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢١ .

«وأرجو أن تتفضلوا فخامتكم بقبول فائق احترامى»

عن المصريات

رئيسة لجنة الوفد المركزية للسيدات

هدى شعراوى

عريضة العلماء إلى عظمه السلطان

[١٧٦٤] يا صاحب العظمة

إن جميع علماء الأزهر الشريف يضمون أصواتهم إلى أصوات الأمة فى احتجاجاتها ويظهرون استياءهم الشديد من الحالة الحاضرة والضغط على الحرية الشخصية وقتل النفوس البريئة ويلتمسون من صاحب العظمة التوسط والنظر فى هذه الحالة بحكمته المعروفة والله المستعان ،

الإمضاءات

الشيخ محمد أبو الفضل　　شيخ الجامع الأزهر

الشيخ عبد الرحمن قرّاعة　　مفتى الديار المصرية

الشيخ أحمد هارون　　وكيل الجامع الأزهر ومدير عام المعاهد الدينية

محمد صالح سامى　　كاتب أول المشيخة

٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢١

عريضة مستشارى محكمة الاستئناف الأهلية
إلى عظمة السلطان

[١٧٦٥] رفع حضرات رئيس ومستشارى محكمة الاستئناف الأهلية والنائب العمومى لدى المحاكم الأهلية ورئيس ووكلاء نيابة الاستئناف الأهلية إلى عظمة السلطان العريضة الآتية[1] :-

حضرة صاحب العظمة السلطانية

إن ما وقع من وسائل الضغط والشدة من مصادرة للحرية وفتك بالأبرياء تحت الأحكام العرفية منعًا للناس من مجرد إبداء آرائهم ومذاهبهم السياسية إزاء الحالة الحاضرة وعقب نشر الوثائق الثلاث مما يوجب شديد الأسف والاستياء بل ويبعث فى الواقع النفور والكراهية فى نفس الشعب من جراء ذلك بدل تهدئة الخواطر والعمل على إحلال الصفاء والوفاق محل الخلاف والشقاق كما يدفع بعض الغوغاء غير المسئولين إلى اغتنام الفرص وارتكاب ما لا يرضاه العقلاء وما لا تحمد عقباه .

لهذا وجب علينا نحن رئيس ومستشارى محكمة الاستئناف الأهلية والنائب العمومى لدى المحاكم الأهلية ورئيس ووكلاء نيابة الاستئناف الأهلية أن نعلن مزيد أسفنا واستيائنا لما يتخذ من طرق العنف والضغط على الحرية وسفك الدماء بلا مسوغ شرعى اعتمادًا على مجرد السلطة العسكرية وهم عزل من السلاح .

[١٧٦٦] ولهذا نلتمس من سلطاننا المعظم لما نعلمه من وثيق حبه لشعبه وأكيد رغبته فى تحقيق أمانيه والعمل دائمًا على تمتع أمته المخلصة بأسمى حقوق الحرية أن يعمل بسامى حكمته على منع تلك الوسائل وأن يحقق لأمته بثاقب فكره أمانيها ورغائبها لتتمتع بحريتها واستقلالها فتعمل على إسعاد نفسها وتعيش فى ظله السعيد فى رغد وصفاء

الإمضاء وكلهم وطنيون

٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢١

(١) شطب صاحب المذكرات هذه الفقرة .

رفع[1] احتجاج نقابة المحامين إلى عظمة السلطان

[١٧٦٧] حضرة صاحب العظمة السلطانية

دفعت الوطنية الكامنة فى صدور المصريين فريقًا منهم وعلى رأسه سعد باشا زغلول فانبرى من بين الصفوف ونادى بحق بلاده فى الحرية والاستقلال ذلك الحق المقدس الذى لم تستطع إنجلترا إنكاره على مصر .

وما كاد ينطق بكلمات الحرية والاستقلال حتى هبت الأمة بأكملها والتفت حوله ففوضته فى العمل بالطرق المشروعة لتحقيق هذا الغرض الأسمى فلم يبق فى مصر إنسان لم يناد معه بهذه المطالب الحقة .

وقد كان من نتائج سعيه الحميد أن إنكلترا اعترفت للمصريين بحق الاستقلال وأن الحماية غير مرضية وتهيأت الفرصة للحكومة المصرية وعلى رأسها الجالس على عرش مصر فتمسكت بهذا الحق وجعلته أساس بيانها السياسى ولكن سرعان ما وضحت نيات الحكومة الإنجليزية التى عمدت إلى التحايل مرة والقوة مرة أخرى لإخضاعها رغم أنفنا فتبين المصريون بعد المفاوضات وتبادل الآراء مع إنجلترا أن الإنجليز يخادعونهم ويغررون بهم وقد عمدت أخيرًا إلى تنفيذ خططها للقضاء على حريتنا فعملت على إظهارنا بمظهر الانقسام بغية الوصول إلى استعبادنا بقبول مفاوضتها .

أراد الله أن تتنبه الأمة إلى هذا الخطر المحدق بها وتبين غرض الإنجليز نحونا من الوثائق الثلاث التى أبلغت لصاحب العظمة .

[١٧٦٨] أمام هذا الخطر الداهم قام سعد زغلول ونادى بالاتحاد ودعا أعيان المصريين إلى النظر فى الأمر واتقاء الخطر المحيق بالبلاد .

منع الاجتماع وصودرت حرية الشعب فى أبسط مظاهرها .

أمر سعد وصحبه بمبارحة القاهرةوبأن يعطل فكره وقلمه ولسانه .

نهض كالأسد يحتج على هذا التصرف الظالم وأعلن أنه لا يتخلى عن مركزه إلا بإرادة الأمة التى وكلته وكذلك فعل زملاؤه .

قبض عليه وعليهم وأبعدوا إلى مكان مجهول .

---

(١) حذفت هذه الكلمة من اصل المذكرات

ضجت البلاد من هذا الحيف وأبدت استياءها الشديد فترتب على التعذيب وإراقة الدماء البريئة .

ولما كان المحامون هم من حماة القانون وسياج العدالة فلا يسعهم إلا أن يتقدموا لصاحب العظمة السلطانية محتجين . لاشك أن صاحب العظمة يرى أن أبناءه قد وقع عليهم ظلم فادح لا مبرر له ولا مسوغ . لا لذنب ارتكبوه ولا لجريمة اقترفوها سوى أنهم طالبوا ويطالبون بحريتهم وباحترام استقلال بلادهم .

وإنى لا أزال الخادم الأمين المخلص ،

نقيب المحامين

مرقس حنا

٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢١

احتجاج أسرة عبد الرحمن بك فهمى

على نفى سعد باشا وتصرفات الإنجليز[1]

[١٧٦٩] نحن سيدات أسرة عبد الرحمن بك فهمى نحتج بكل قوانا على تصرف السياسة الإنجليزية بنفى ممثل الأمة ووكيلها الأمين معالى سعد زغلول باشا وصحبه المخلصين . فليعلم جماعة الاستعمار أنهم إن أبعدوا رئيس الأمة ورفاقه فذلك لا يزيدنا إلا ثباتًا والتفافًا حول الزعيم المفدى وتمسكًا بحقوقنا المهضومة . فليحى سعد . وليحى الاستقلال التام .

الإمضاءات

شقيقة عبد الرحمن بك فهمى . حرم المرحوم محمد ماهر باشا حرم عبد اللطيف بك المكباتى . حرم الدكتور أحمد بك حلمى . حرم الدكتور محمود بك ماهر . سميرة المكباتى . لطيفة المكباتى . ليلى المكباتى . رفيعة ماهر . هبة حلمى . عليه ماهر . سميرة حلمى . حرم السيد محمد طلبة . حرم السيد رزق مطر . حرم محمد أفندى قدرى . فردوس مصطفى . حرم عبد الرحمن بك على . وتوقيعات باقى الأسرة .

٤ يناير سنة ١٩٢٢

(١) شطب صاحب المذكرات هذه الجملة

تضامن أعضاء الوفد فى العمل
واجتماعهم ببيت الأمة

[١٧٧٠] بعد إعتقال سعد باشا وإخوانه ونفيهم إلى حيث لا يعلم أحد هبت الأمة كلها وخاصة بعض المفكرين والكتاب يطلبون من أعضاء الوفد تناسى أسباب الشقاق فى هذه الساعة الخطيرة التى حزب فيها الأمر واشتد الخطب . ولقد بذل سعادة حمد الباسل باشا فى هذا السبيل مجهوداً عظيماً .

ولقد أراد الله لمصر أخيراً الخير وشاء لها التوفيق فتنازل أعضاء الوفد عن خصوماتهم« الشخصية وأغراضهم الذاتية»[1] فطهروا عواطفهم من تلك الشوائب وأضحوا قلباً واحداً ولساناً واحداً .

وقبيل ظهر يوم ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢١ ذهبوا جميعاً إلى بيت الأمة ذلك البيت الذى ألفت فيه هيئتهم وابتدأ منه جهادهم ولقد قابلهم الشعب الحاشد بمظاهر التكريم وهتف قائلاً ليحى سعد زغلول باشا . ليحى الاتحاد .

ولما استقر بهم المقام دعوا لمقابلة حرم الرئيس ثم خاطبتهم من وراء حجاب بالكلمات الآتية :ـ

كلمة أم المصريين

[١٧٧١] «أرحب بقدومكم واعتبر هذا اليوم عيداً سعيداً لأنه جمع قلوبنا ووحد كلمتنا .

لما اعتقل سعد رأيت أن ألحق به ولكنى أعملت الفكرة فاخترت البقاء اذ رأيت حالة البلاد على ما ترون لأقوم بواجبى نحو قضية الوطن . أؤكد لحضراتكم أن سعداً لم يكن ليفكر فى شىء إلا فى طرق خلاص البلاد من قبضة الإنجليز إننا قد نسينا كل ما وقع فى الماضى . وإنى أطلب من حضراتكم أن تقسموا على أن تتناسوا كل شىء وأن تبقى وحدتكم مقدسة .

إنه ليحزننى جداً ويفت فى قلبى أن يجد الإنجليز أعواناً منا لتنفيذ أغراضهم فينا فاستحلفكم بالله أن تقاوموا ذلك جهد ما فيكم من قوة «استحسان عام» .

(١) حذفت هذه العبارة فى أصل المذكرات

إننا معشر السيدات لا نتوانى لحظة عن القيام بنصيبنا من العمل وأصرح لكم أن السيدات المصريات جميعًا يزدن عنى شجاعة وإقدامًا وتصميمًا على نيل أمانى الأمة وتضحية كل عزيز ونفيس فى هذا السبيل الشريف» .

[١٧٧٢] ثم هتفت حضرتها قائلة «لتحى مصر وليحى الاستقلال التام فردد حضرات الأعضاء هذا الهتاف وقد أثرت كلمات السيدة الجليلة فى نفوسهم تأثيرًا شديدًا لم يستطيعوا معه أن يحبسوا دموعهم فكان المنظر آخاذًا بمشاعر القلوب

وبعد ذلك تقدم (حضرة صاحب العزة)[١] الأستاذ عبد العزيز فهمى بك[٢] فألقى الكلمة الآتية :ـ

كلمة عبد العزيز فهمى بك

«يا سيدتى . إعتقل سعد فأحزننا اعتقاله حزنًا فادحًا ونحن جميعًا نؤكد لحضرتك إننا فداء له . فى هذا البيت بدأت الحركة الوطنية مع سعد . وإن العهد الذى قطعناه على أنفسنا ليحتم علينا وجوبًا أن نستمر على القيام به إلى النهاية . نعم قد وجد فى النفوس شىء ولكنه قد زال الآن بفضل هذه الشدة التى نعانيها . إننا نعترف لسعد ولحرم سعد بالفضل الكبير فى خدمة قضية البلاد وبالجهد العظيم فى إحياء الشعور الوطنى»

وعلى ذلك دوى المكان بالتصفيق وهتف الأستاذ عبد العزيز فهمى بك قائلاً ومكررًا القول ثلاث مرات «ليحى سعد باشا» ثم أعقبه الأستاذ محمد على بك فصاح «لتحى حرم الرئيس» فردد حضرات الأعضاء جميعهم هذين الهتافين بحماسة شديدة ،

وعقب ذلك أصدر الوفد النداء الآتى للأمة :ـ

نداء من الوفد المصرى
إلى جميع أبناء الوطن

[١٧٧٣] اننا ندخل بهذه الآونة فى أشد أدوار المحن . إن السياسة البريطانية قد عولت على حكم بلادنا بالحديد وبالنار من غير أن ترعى حرمة الحرية الشخصية ومن غير أن تأبه بشعور الأمة . ولقد بدأت هذه المأساة باعتقال معالى سعد باشا زغلول رئيس الوفد

(١) حذف صاحب المذكرات هذه الجملة .
(٢) تمت الإشارة إلى عبد العزيز فهمى بك فى الجزء الأول من المذكرات ، راجع ص٤٦ منه .

المصرى ونفيه هو وبعض أصحابه غير مراعية مقام الرئيس ولا مبالية بشعور أمة بأسرها ثم أتبعت ذلك بالإسراف فى تقتيل شبابنا المتظاهرين احتجاجًا على هذا الاعتداء .

ألا فليعلم الإنجليز أننا شعب أصبر على الشدائد من أن تؤخرنا عن غرضنا صنوف الإرهاب وأحزم من أن تخور عزيمتنا أمام نفى الزعماء وتقتيل الأبناء .

وإن نفى رئيس الوفد المصرى الذى تألف للسعى فى الاستقلال التام والذى أجمعت الأمة على الثقة به لا يمكن أن يصيب الغرض المقصود منه ولا يمكن أن يخفت صوت أمة صرخت عاليًا بأنها مستعدة للتضحية بأعز أبنائها للوصول إلى حريتها . إن هذا الظلم الصارخ لا يمكن أن يحول بين أحد منا وبين الواجب عليه .

بهذه المثابة نحن أعضاء الوفد المصرى نعلن أننا قد أجمعنا كلمتنا ووحدنا مجهوداتنا لنسلك بجمعنا سبل عملنا التى انتهجناها منذ ثلاثة أعوام وإننا لنبدأ عملنا هذا بأن نرسل إلى الرئيس الجليل فى منفاه خالص تحياتنا القلبية واحترامنا لشخصه الكريم واعتدادنا بخدماته الجليلة للبلاد ثم نزجى تهانينا لأصحابه الذين صحت عزيمتهم على مشاطرته الإعتقال والنفى ضحية لخلاص مصر . [١٧٧٤]

وإننا فى هذا الظرف العصيب ننادى جميع إخواننا المصريين أن يجعلوا العمل لاستقلال البلاد خالصًا من كل شوائب التفرق والتخاذل وأن يلتزموا الاتحاد الذى هو سبيلنا الوحيد إلى غايتنا والذى جربنا ثمرته بالفعل غير مرة فى أدوار قضيتنا . أن سلامة اتحادنا هى الكفيل الوحيد لبلوغ استقلالنا . فليطرح كل امرىء أسباب الخلاف وليقبل على تنفيذ كل ما يمليه الواجب الوطنى فى هذه الظروف الصعبة مهما كلفه الواجب من التضحية . إن الإنجليز يستطيعون أن ينفوا قادتنا ويسفكوا دماء أبنائنا ولكنهم لا يستطيعون أن يفصموا عرى اتحادنا إلا بأيدينا . انهم عاجزون عن أن يحولوا طويلاً بيننا وبين استقلال بلادنا ما دمنا متحدين . أنهم يخدعون أنفسهم إذ يظنون أنهم قادرون على أن يصرفونا عن مطلبنا الأسمى برصاص بنادقهم وشهر سيوفهم وليعلموا أننا إنما وطنا نفوسنا على تضحية كل شىء لنعيش فى بلادنا أحرارًا .

محمد محمود . عبد العزيز فهمى . حمد الباسل . أحمد لطفى السيد . ويصا واصف . حافظ عفيفى . واصف بطرس غالى . چورج خياط . عبد اللطيف المكباتى . على ماهر . محمد على

(٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢١)(١)

كلمة الباسل باشا للأمة

بعد تضامن الوفد

[١٧٧٥] ولقد سرت الأمة بتآلف الوفد واستبشرت به خيرًا وبهذه المناسبة أصدر سعادة حمد الباسل باشا الكلمة الآتية :ـ

الحمد لله

لم يخب أملى فى إخوان عرفتهم فى الشدائد بصدق وطنيتهم ومروءتهم الكبيرة لأنهم ما لبثوا حتى لبوا داعى ضمائرهم ولبوا داعى الوطن .

أولئك أعضاء الوفد المصرى . أولئك هم أصدقاء سعد باشا . أولئك هم أنصاره .

أقبل بعضهم على بعض بالأمس متصافحين متضامنين لخدمة البلاد بما أوتوا من كفاءة وعلم وإقدام . واليوم نزف هذه البشرى لكافة المصريين أن وفدهم اتحد اتحادًا تامًا متينًا صادقًا مصممًا على بلوغ أمنيتهم مالئًا ذلك الفراغ الذى ظن خصوم مصر أنه لا يملأ . فليقتد المصريون بوفدهم فى الاتحاد . فالاتحاد هو أساس النجاح .

ليحى الاتحاد . ليحى التضامن . وليحى مصر مستقلة .

حمد الباسل

٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢١ (٢)

---

(١) حذف صاحب المذكرات هذا التاريخ .

(٢) حذف صاحب المذكرات هذا التاريخ ، وغير واضح سبب ذلك .

سعد باشا ورفاقه فى عدن

[١٧٧٦] وفى الساعة الحادية عشرة من مساء ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢١ قامت السيارات إلى بور توفيق بسعد زغلول باشا ورفاقه (وأرفق بهم)[١] خادمان.

«وكان فى بورتوفيق لنش معد لتوصيلهم إلى الوابور «فرنز فرديناند» الذى كانت واقفًا فى الميناء وقد حول هذا الوابور الضخم إلى نقالة حربية[٢].

وكان من قواد اللنش أحد البحارة الوطنيين الذى تمكن من الوصول إلى الرئيس وحياه ولما سأله سعد باشا عن وجهة السفر أجابه «إننا سننزل الآن فى عدن»

ولم يزد على ذلك كلمة وانصرف. وفى منتصف الليل تمامًا (الساعة١٢) أقلعت الباخرة من مرساها متجهة جنوبًا قاصدة عدن[٣].

---

(١) حذف صاحب المذكرات هذه الجملة وكتب فوقها [ومعهم].

(٢) حذف كثير من الكلمات فى هذه الفقرة وأحل بدلاً منها لذا راعينا أن نعيد كتابتها فى الهامش مرة ثانية بعد التعديل «وكان فى بور توفيق لنش معد لتوصيلهم إلى الباخرة «فرنز فرديناند» التى كانت واقفه فى الميناء وقد حولت هذه الباخرة الضخمة إلى نقالة حربية».

(٣) وقد ذكرت جريدة الأخبار أن الباخرة أبحرت فى منتصف الليل إلى البحر الأحمر فالمحيط الهندى فجزيرة سيلان، وهى الجهة التى تحققت الأخبار من أوثق المصادر أنها منفاهم جميعًا، عدد ٥٦٦ فى ١٩٢٢/١/١٠.

الكشافات

(أ) كشاف الأعلام .

(ب) كشاف الأماكن والبلاد .

(جـ) كشاف اللجان والمعاهدات والمفاوضات .

(د) كشاف المجالس والهيئات الإدارية والسياسية والنيابية .

(هـ) كشاف الحوادث والمظاهرات .

(و) كشاف الدوريات .

قام بإعداد الكشافات

مسئولة عطية على — آمنة حجازى عبده

ملكة محمد حامد — سلوى فتحى محمد

كشافات الأعلام

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

كشاف الأماكن والبلاد

كشاف اللجان والمعاهدات والمفاوضات

كشاف المجالس والهيئات الإدارية والسياسية والنيابية

كشاف الحوادث والمظاهرات

كشاف الدوريات

الفهرس

الموضوع	الفهرس

الموضوع	الفهرس

الموضوع	الفهرس

الموضوع	الفهرس

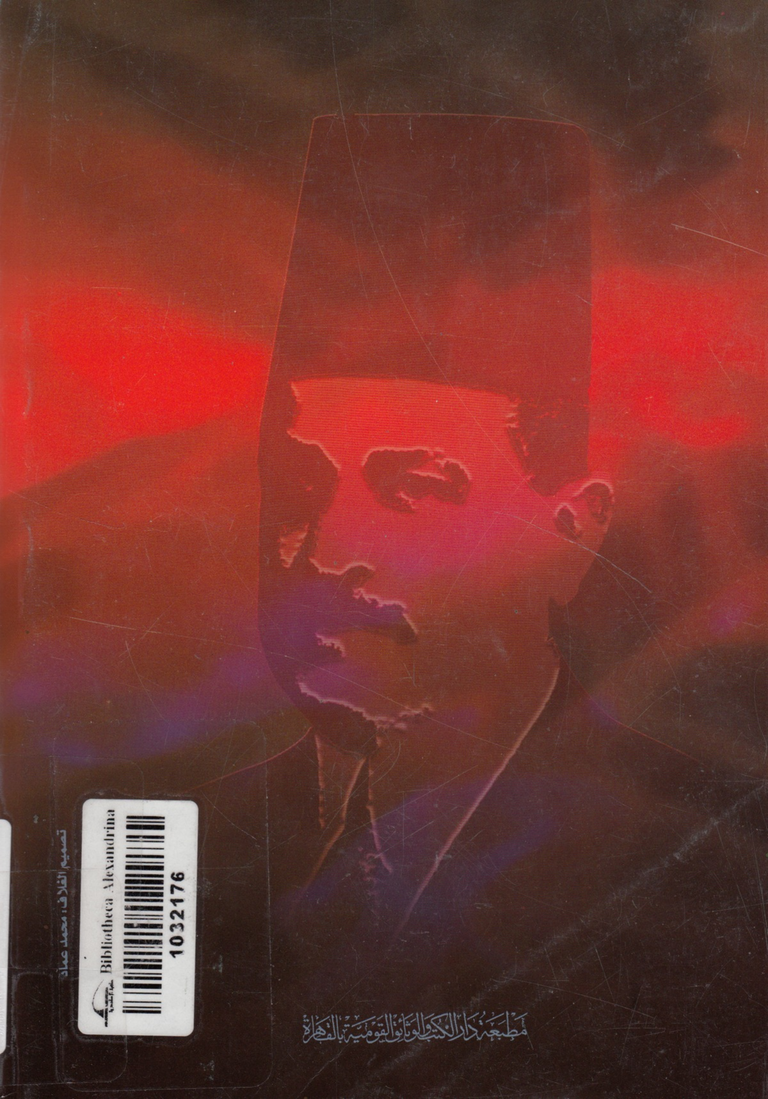
الموضوع | الفهرس

الموضوع	الفهرس

الموضوع	الفهرس

الموضوع	الفهرس

الموضوع	الفهرس


تصميم الغلاف: محمد عماد
Bibliotheca Alexandrina
10321176
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة